



# تَارِيخ اِسْتِبْأَانِ تَكْلِيفِ اِسْلَامِيَّةِ

او

كِتَابُ اَعْمَالِ الْاَعْلَامِ  
فِي مَنْ بُوَيَّعَ قَبْلَ الْاِجْتِلَامِ مِنْ مُلُوكِ الْاَسْلَامِ

لِلْهَيْئَةِ الْوَزَارِيَّةِ لِسُنَنِ الْاِيْنِ الْوَحْدِيَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ

تَحْقِيقُهُ وَتَعْلِيْقُهُ

ا. لِيْفِي بْرُونْسِيَال

اَسْتَاذُ اِلْحَصَاةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالسِّرْبُون  
مُذِيرُ مَعْهَدِ اَللُّغَةِ اِسْلَامِيَّةِ بِجَامِعَةِ بَارْلِي

دَارُ الْمَكْشُوفِ 2

## محتويات الكتاب

ز	مقدمة المحقق
٤	فصل في الإلزام بشيء من إطرء الأندلس . . . . .
٧	دولة عبد الرحمن بن معاوية أول من ملك الأندلس من بني أمية
١١	دولة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية . . . . .
١٤	دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية . . . . .
١٨	دولة عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية . . . . .
٢٠	دولة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . . . . .
٢٣	دولة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . . . . .
٢٦	دولة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم . . . . .
٢٨	دولة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله . . . . .
٣١	إيجاز خبر عمر بن حفصون . . . . .
٣٤	ذكر شيء من أخبار بني حجاج . . . . .
٤١	دولة المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر . . . . .
٤٣	دولة هشام المؤيد بالله بن الحكم . . . . .
٥٩	أيام المنصور محمد بن أبي عامر . . . . .
٨٣	دولة المظفر عبد الملك بن المنصور محمد بن أبي عامر . . . . .
٨٩	دولة عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر . . . . .
١٠٩	دولة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر . . . . .
١١٤	أيام سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر . . . . .
١١٥	أيام محمد بن هشام في الرجعة الثانية . . . . .
١١٦	أيام هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر في المرة الثانية . . . . .

١٧٢	دولة المستعين أحمد بن محمد بن سليمان بن هود
١٧٦	أيام عبد الملك بن أحمد المستعين بن هود عماد الدولة
١٧٥	أيام أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن هود
١٧٦	دولة بني دنون بطليطة وما إليها
١٧٧	أيام إسماعيل بن دنون بطليطة وما إليها
١٧٧	أيام يحيى بن إسماعيل بن دنون بطليطة وما إليها
١٧٩	أيام القادر بالله يحيى حفيد المأمون بن دنون
١٨٠	أيام المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الأفتطس بطليطة
١٨١	عودة يحيى بن دنون إلى طليطة
١٨٢	ذكر مدّة بني مَسْلَمَة المعروفين ببني الأفتطس
١٨٣	دولة عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفتطس
١٨٣	دولة المظفر محمد بن عبد الله بن محمد بن مَسْلَمَة بن الأفتطس
١٨٥	دولة المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الأفتطس
١٨٦	أيام المنصور بن المتوكل عمر بن الأفتطس بجن شانجش
١٨٩	ذكر مدّة بني صادح الأمراء بالمرية
١٩٠	أيام معن بن صادح
١٩٠	أيام محمد بن صادح المعتصم بالله
١٩٢	أيام معز الدولة بن المعتصم بالله أبي يحيى بن صادح
١٩٣	ذكر أيام بني المنصور محمد بن أبي عامر
١٩٣	دولة محمد بن المظفر عبد الملك بن محمد المنصور الملقب بالمعتصم
	أيام المنصور عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن المنصور
١٩٤	ابن أبي عامر
١٩٥	أيام عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر
١٩٦	ذكر أيام الدولة المنذرية
٢٠١	ذكر شيء من حديث بني طاهر بمرسية

١١٩	أيام سليمان بن الحكم بن سليمان في المرة الثانية
١٢٨	دولة علي بن حمود بقرطبة
١٣٠	دولة القاسم بن حمود بقرطبة
١٣٠	بيعة المرتضى من بني أمية
١٣٢	دولة يحيى بن علي الحمودي الحسني بقرطبة
١٣٣	دولة القاسم بن حمود الحسني بقرطبة في كركته الثانية
١٣٤	دولة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار
١٣٥	بيعة المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن
١٣٦	دولة يحيى بن علي بن حمود بقرطبة كركته الثانية
١٣٨	دولة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر
١٤٠	ذكر تلخيص الكلام في الأمراء من بني حمود
١٤٤	ذكر نبذة من أحوال ملوك الطوائف بعد الحلافت
١٤٥	ذكر أيام بني جهور بقرطبة وما إليها
١٤٨	أيام أبي الوليد محمد بن جهور
١٤٩	أيام عبد الملك بن محمد بن جهور
١٥٢	ذكر أيام بني عباد بإشبيلية وغيرها
١٥٣	ذكر أيام القاضي محمد بن عباد أول ملوكهم بإشبيلية
١٥٥	أيام المعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد
١٥٧	دولة المعتضد على الله محمد بن عباد
١٥٩	خير المعتضد بن عباد مع ابن عامر
١٦٣	بقية أخبار المعتضد بن عباد
١٧٠	ذكر أيام بني هود بسرقسطة وما إليها
١٧٠	أيام سليمان بن هود
١٧١	أيام المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود
١٧٢	أيام المؤمن محمد بن المقتدر أحمد بن سليمان بن هود

ذكر شيء من حديث ابن عبد العزيز ببلنسية  
 أيام القاضي أبي أحمد بن جحاف رئيس ببلنسية  
 ذكر شيء من أخبار بني رزين  
 ذكر بني قاسم أصحاب مدينة البنت  
 ذكر بعض صفات الرؤساء بالأندلس  
 ذكر من تيسر من ملوك الموالى الأمويين والعمريين  
 أيام الفتى خنجران العامري  
 أيام الفتى زهير العامري  
 أيام أبي الجيش مجاهد العامري  
 أيام علي بن مجاهد إقبال الدولة  
 أيام الأميرين مبارك ومظفر العامريين وخير خيرة الصقل العامري  
 ذكر المشاهير من رؤساء الطائفة البربرية  
 دولة بني زيري بن مناد الصنهاجي  
 أيام زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي  
 دولة حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد  
 دولة باديس بن حبوس بغرناطة وما إليها  
 دولة عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس  
 أيام نجم بن بلقين بن باديس بن حبوس  
 أيام شيخ زناتة محمد بن عبد الله الوردسني البرزالي  
 أيام إسحاق بن محمد بن عبد الله بقرمونة  
 خير سائر رؤساء الطائفة البربرية  
 ذكر تصير أمر الأندلس إلى ملوك لتونة المدعويين بالمرايطين  
 دولة الأمير يوسف بن تاشفين بالأندلس  
 دولة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بالأندلس  
 دولة الأمير تاشفين بن علي بن يوسف بالأندلس

ذكر من كان في أخريات دولة المرابطيين للمتوطين من الملوك  
 والرؤساء والثوار  
 أيام أبي القاسم بن قسي مدعي الهداية  
 أيام أحمد بن حمد بن الأمير القاضي بقرطبة  
 أيام أبي الحكم بن حسون الأمير القاضي بمالقة  
 أيام أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز ببلنسية  
 أيام عبد الرحمن بن رشيق بمرسية وما إليها  
 أيام الأمير القاضي أبي عبد الله بن أبي جعفر بمرسية  
 أيام أبي أمية أحمد بن عاصم الأمير القاضي بأربونة  
 أيام القاضي المتأمر يوسف بن عبد الرحمن بن جزري  
 أيام الأمير أبي عبد الله محمد بن سعد الجذامي ابن مردنيش  
 أمير شرق الأندلس  
 أيام يوسف بن هلال صهر ابن مردنيش  
 أيام المتأمر إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك  
 أيام أحمد بن ملحان بوادي آش  
 ذكر تصير أمر الأندلس إلى ملوك آل عبد المؤمن المدعويين  
 بالموحدين  
 دولة الأمير أبي محمد عبد المؤمن بن علي بالأندلس  
 دولة الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي بالأندلس  
 دولة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بالأندلس  
 دولة محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بالأندلس  
 ذكر الثوار والطوائف والمتسلكين من بعد دولة الملوك آل  
 عبد المؤمن بالأندلس  
 بقية أخبار بني مردنيش بشرق الأندلس  
 أيام الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش وبنيه



## مقدمة المحقق

نُبت في هذا السفر قسماً كبيراً من كتاب «أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاختلام من ملوك الإسلام»، وهو القسم المتعلق بتاريخ إسبانيا في العهد الإسلامي.

وكتاب «أعمال الأعلام» من آخر التأليف العديدة التي صنفها - طيلة حياة مفعمة بالحوادث - رجل الدولة والأديب الغرناطي الشهير الذي عاش في القرن الرابع عشر المسيحي، أعني لسان الدين محمد بن الخطيب. وقد وصف هذا الكتاب أو نشر منه نبذةً عدةً مستشرقين وهم: ف. كودرا F. Codera، وفانيان E. Fagnan، وح. ح. عبد الوهاب، وأخيراً م. م. أنتونيا M. M. Antuna، فذكر كل بدوره الظروف التي أُلّف فيها. ولنكتفٍ - مع إحالة القاريء على دراساتهم - بتذكير موجز لتلك الظروف:

فبعد أن مثل ابن الخطيب - طوال سنين عديدة - دوراً هاماً في البلاط الناصري بغرناطة كوزير للسلطان محمد الخامس، اضطرتّه وشايات أعدائه إلى الهجرة من إسبانيا إلى المغرب حيث حلّ بتلمسان لائتداً بالسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز. فأحسن ذلك الملك ضيافته وأبى تسليمه إلى حكومة غرناطة التي كانت تلح في طلبه. ولكن أبا فارس مات في السنة التالية ( ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م ) وبويع مكانه ابنه أبو زبّان محمد السعيد ولم يبلغ الرابعة من عمره. واجتهد بن الخطيب في كسب عطف الوصي على العرش المريني الوزير أبي بكر بن غازي. وفعلاً تمتع ابن الخطيب في ولاية الملك الطفل الصغيرة بالأمن التام. ولكن لم تطل المدة حتى خلع أبو زبّان وولي مكانه أبو العباس المستنصر ( ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤ م ) فاشتد خوف المهاجر المسكين، وحق له الخوف إذ انتهى به الأمر إلى أن سجن بفاس، ثم خنقه بسجنه، في بعض الليالي،

٢٧٤	أيام أبي بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب بجرسية
٢٧٥	أيام الرئيس أبي عثمان سعيد بن حكم الأموي بمنورقة
٢٧٦	أيام أبي عمر حكم بن سعد بن حكم الأموي بمنورقة
٢٧٧	دولة السلطان محمد بن يوسف بن هود الجذامي
٢٨٦	دولة الأمير محمد بن نصر الغالب بالله ( مبتور )
٢٨٧	ذكر الخلاف بين ابن نصر وبين بني أشقيلولة
٢٩١	حديث امتسك بني الحكم برندة
٢٩٢	خبر انتزاع الرئيس أبي الحجاج بن نصر بوادي آش
٢٩٤	دولة الأمير أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر
٢٩٥	دولة محمد بن إسماعيل بن فرج بن نصر
٣٠٤	دولة يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر
٣٠٦	دولة محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
٣٠٧	دولة إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
٣٠٨	دولة محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج بن إسماعيل بن نصر
٣٠٩	دولة محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر
	ذكر التعريف بما أمكن من ملوك النصارى بالأندلس على الاختصار
٣٢٢	
٣٣٩	الفهرس الأول في أسماء الرجال والنساء
٣٦١	الفهرس الثاني في أسماء الأماكن
٣٦٨	الفهرس الثالث في أسماء القبائل والعشائر والأجناس
٣٧٠	الفهرس الرابع في أسماء الكتب الواقعة في هذا الجزء

رسل' أحد أعدائه الحريصين على هلاكه .

وقد كان تأليف كتاب « أعمال الأعلام » في الفترة القصيرة التي مرت بين تقليد السلطان المريني الطفل أبي زيان وبين خلعه ، أي بين سنتي ٧٧٤ و ٧٧٦ ( ١٣٦٢ - ١٣٧٤ م ) . وعنوان الكتاب نفسه يدل على الغاية التي رعى إليها ابن الخطيب بتأليفه . فقد أراد أن يهديه إلى حاميه ، السلطان ووزيره الوصي . فأحب أن يخصص كتاباً لذكر ولاية جميع ملوك المسلمين الذين بوبعوا قبل سن الاحتلال . ولم يكن ذلك ، طبعاً ، إلا مناسبة . فقد تجاوز ابن الخطيب ، من أول وهلة ، ذلك الإطار التاريخي الضيق وأخذ يجمع المواد لتاريخ عام كبير يشمل 'دول الإسلام ويمكن أن يكون شبه مقابل لتاريخ معاصره ابن خلدون ويحل فيه المغرب وإسبانيا المحل' الأهم .

\*\*\*

يمكن الفاريء أن يجد في « مشاركة » السيد ح . ح . عبد الوهاب في « ذكرى مرور مائة سنة على ميلاد ميشال أماري Centenario de Michele Amari » تفصيل عناوين الأبواب التي اشتمل عليها القسم الأول من كتاب « أعمال الأعلام » ، وهو المتعلق بالشرق ، والقسم الثالث المتعلق بشمال أفريقيا وبصقلية . وهذا القسم الأخير يبدو أنه بقي غير تام : فالدولة الموحدة لم تحل فيه بالمكان اللائق بها ولم يتعرض فيه إلى تاريخ بني مرين وبني عبد الوادي وبني حفص . وكل ذلك يدل - كما لاحظ السيد ح . ح . عبد الوهاب - على عجلة المؤلف الذي - إن صدقنا ما جاء في بعض المخطوطات - يكون قد ألف قسماً من كتابه ، إن لم يكن جميعه ، في أربعين يوماً .

وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى القسم الثاني الخاص بتاريخ إسبانيا المسلمة ، وهو أهم أقسام الكتاب ، وذلك يتجلى من أول نظرة تلقى على الكتاب . وإذا كان ابن الخطيب يمر سريعاً بما حدث في إسبانيا قبل القرن العاشر المسيحي متبعاً دون كبير اختلاف « كتاب البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ،

ح

فهو يعالج تاريخ ما يلي ذلك باطناب ودقة لا نجدهما عادة في التواريخ المنشورة إلى يومنا هذا .

وقد أشير منذ زمن إلى أهمية القسم « الأندلسي » من كتاب « أعمال الأعلام » . فنذ سنة ١٨٩٢ نبه إليها المستشرق ف . كودرا F. Codera وعبر عن رجائه في أن ينشر نص ذلك القسم . وذلك الرجاء هو الذي حرصنا على تحقيقه يوم أمكننا أن نعتمد المخطوط الموجود بمكتبة جامع القرويين بفاس وهو ، بلا منازع ، أحسن المخطوطات التي يمكننا أن نتصرف فيها اليوم . وقد تبسر لنا أن نتحقق أن المخطوطات المعروفة لتاريخ ابن الخطيب ( أي مخطوطات القرويين والجزائر وتونس ومجريط ) تنتمي كلها إلى أسرة واحدة وإن النقص الموجود فيها لا يختلف بما فيه الانقطاع الفجائي لسياق التاريخ ، ذلك الانقطاع المشار إليه هنا في الصفحة ٢٨٦ . ولذلك السبب لم يسهل لنا تعدد النسخ اثبات النص ، وهو نص يتصف في أكثر الأحيان بإيجاز كبير وبزعة أدبية ليست تزعج غالب المؤرخين المنتسبين إلى المغرب .

ولقد نفذت منذ مدة نسخ الطبعة الأولى لهذا الكتاب . ولذلك قبلت بسرور طلب الشيخ فؤاد حبش مدير دار المكشوف في بيروت عندما رغب إلي أن أضع طبعة جديدة لهذا الكتاب تحت تصرف من يهتمون بتاريخ الأندلس . وتمتاز هذه الطبعة الجديدة بأن أكثر الكلمات فيها مشكول . وقد بذلت عناية خاصة بضبط حركات الأعلام التي كثيراً ما لا يحسن قراءتها المشتغلون بالتاريخ في الشرق .

ط

وهذا المؤلف الأخير نفسه في :

Catalogue des Manuscrits Arabes de la Bibliothèque - Musée d'Alger,  
Paris, 1893. p. 449.

— وعن مخطوط مكتبة مجمع التاريخ بجربيط انظر كودرا F. Codera  
المرجع نفسه المذكور سابقاً .

— وعن مخطوطي مكتبة جامع الزيتونة بتونس انظر :

M. Roy, Extrait du Catalogue des manuscrits .... de la Grande  
Mosquée de Tunis, Vol. I, Tunis, 1900, No 4936 et No 4937.

#### ج - الأقسام المنشورة والمترجمة :

١ ( الأبواب المتعلقة بمجاهد أمير دانيه وابنه اقبال الدولة ) في هذه الطبعة  
من ص ٢١٧ إلى ص ٢٢٢ انظر :

F. Codera, Mochéhid, conquistador de Cerdana ( Centenario Michele  
Amarì, Palerme, 1910, vol. II, pp. 130 - 133 ).

٢ ( قائمة الأبواب : نص الأبواب المتعلقة بالعبيدين وبني زيري من ملوك  
أفريقية ؛ والأبواب المتعلقة بتاريخ أفريقية في :

H. H. Abdul - Wahab,  
Contribution à l'Histoire de l'Afrique du Nord et de la Sicile (Ibid.,  
vol. II, pp. 427 - 482 ).

٣ ( الأبواب المتعلقة بثوار المرينين في آخر أيام دولة المرابطين ) في هذه  
الطبعة ص ٢٤٨ - ٢٥٢ في :

David Lopes, Os Arabes nas obras de Alexandre Herculano,  
Lisbonne, 1911, pp. 130 - 137.

٤ ( الباب الخاص بملوك اسبانيا المسيحيين ) في هذه الطبعة ص ٣٢٢ -  
٣٣٨ في :

M. M. Antuna, Una version arabe compendiada de la « Estoria de  
España » de Alfonso el Sabio ( Al-Andalus, vol. I, 1933, Madrid -  
Grenade, pp. 105 - 154 ).

انظر استعراضي لذلك المقال في :  
Hespéris, t. XVIII, 1934, p. 102.

ك

## ثبت المراجع

أ - ذكر « كتاب أعمال الأعلام » المؤلفون المغاربة الآتية أسماؤهم :

— المقرئ في « نفع الطيب » ط . القاهرة ١٣٠٢ - ١٣٠٤ هـ . الجزء

الرابع ، ص ٢٤٤ .

— والمقرئ أيضاً في « أزهار الرياض » ط . تونس ١٣٢٢ هـ . الجزء  
الأول ، ص ١٧٧ .

— والافرائي في « نزهة الحادي » ط . هوداس Houdas باريس ١٨٨٨ ،  
ص ٢٥٩ .

— والكتاني في « سلوة الأنفاس » ط . فاس ١٣١٠ هـ . الجزء  
الثالث ، ص ١٨٩ .

— والناصري في « كتاب الاستقصاء » ط . القاهرة ١٣١٢ هـ . الجزء  
الثاني ، ص ١٣٣ .

#### ب - وصف المخطوطات :

— عن مخطوط مكتبة جامع القرويين أنظر :

أ . بل وعبد الحلي الكتاني  
A. Bel et Abdal-Haiy al-Kattâni,  
Catalogue des livres arabes de la Bibliothèque de la Mosquée d'El -  
Qaraouiyyine à Fès, Fès 1918, p. 101 ( No 1286 ).

— وعن مخطوط المكتبة القومية بالجزائر ( عدد ١٦١٧ ) والنسخة التي  
نسخت لكودرا Codera أنظر :

F. Codera, Mision Historica en Argelia y Tunez, Madrid 1892,  
p. 155 sqq, 177 - 178.

E. Fagnan, dans Revue Africaine, 1890, XXXIV, p. 259 - 262.

ي

كتابُ أعمالِ الأعلام  
فيمَن بُويعَ قبلَ الإِسلامِ  
مِنَ ملوكِ الإِسلامِ

د - انظر كذلك :  
Brockelmann G. AL. II, p. 262 (4).  
A. Prieto Vives, Los Reys de taifas, Madrid, 1926.  
إن كتاب أعمال الأعلام لم يذكر في المقال المخصص لابن الخطيب بقلم  
C. F. Seybold في دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الثاني ، ص ٤٢١ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله ومحبيه وسلم .

### قال لسان الدين بن الخطيب

( مفتتحاً القسم الثاني من كتابه المسمى بأعمال الأعلام )

( فيين يبيع قبل الاحتلام ، من ملوك الاسلام )

( وهو قسم يتعلق بأخبار الجزيرة الأندلسية )

ويتضمن بالإشارة إلى من دال بالأندلس من جهة المغربية ، واقتطاعها عن الممالك المشرقية ، والدول العباسية ، والشيعية العلوية ؛ وفيهم ملوك بني أمية ، وملوك بني حمود الأدارسة ومن بعدهم من ملوك الطوائف ، والنوادر أولي البهراج الزائف .

نقول بعد استعانة الله : قد كان الأولي بنا أن نذكر بعد دواول الملوك بالمشرق من يتصل بهم من حدود البلاد العربية ، من الجهات الإفريقية ، وما وراءها غرباً إلى البحر المحيط ؛ وبعد ذلك ، نذكر على الأندلس بالذكر ، ونصرف القول ، بعد الفراغ من متصل البر ، إلى ذكر ما وراء البحر ؛ لكننا راعينا في ذلك غرضين : أحدهما المناسبة في الأموية ، فإن ملوك الأندلس منهم إنما هم بقايا الدولة بالمشرق ، وفروع عن أصولها ، وفل من جهورها ، ومقتطع من جرومتها ؛ فقد كان ملك الأموية فتتحها ، وأمرأؤهم ملوكها ، ثم استقر بها ذريتهم ، فأقاموا رسماً غير خامل القدر ، ولا مغفل الذكر . والثاني ما بئتنا عليه من الحتم بالدولة المرينية ، لنبدأ الكتاب بذكر السلف الواجب الحق ، ونختبه بذكر الملوك الكرام من آل عبد الحق ؛ فنكون قد افتتحنا بالفضل والنسك ، وعقبنا بالملك ، وختمنا منهم بختام المسك . وولينا المعبة ما اعتذرنا عنه من الترتيب ، انبرأ من

التربيب ، وشأننا في هذا القسم قريب ، بما كَبَّنَّا عليه من الاختصار والتقريب ، إلا ما كان المستظهر والغريب ، أو المتأخر القريب ، فقلنا خلوتنا من الإسهاب ، وتزين الكتاب بالآداب ؛ وحسبنا الله مبسر الآراب ! لا إله إلا هو !

#### فصل في الإلام بشيء من إطراء الأندلس

ليعلم أن وطن الأندلس حظ من المعبور كبير ، وإنما سمي جزيرة بحكم المجاز لا اعتراض البحر الشامي الخارج من دائرة البحر المحيط من قبل الزقاق بطنجة قاطعاً بين هذه الأرض الأندلسية ، وبين ما يجاورها من البر المتصل قبله ، إلى أن يتصل إلى الخليج بأحواز الفسطاطية . وقد اختلف طباع هذه الأرض لسعة خطتها ، وأخذها من الأقاليم يحظوظ ؛ فمن أماكها المعتدل وغير المعتدل ما ثل إلى البرد . وقد خصها الله من الري ، وغدق السقيا ، ولذاذة الأقوات ، وفراصة الحيوان ، ودرور المياه ، وكثرة الفواكه<sup>١</sup> ، وتبحر العمران ، وجودة اللباس ، وشرف الآنية ، وكثرة السلاح ، وصحة الهواء ، وايضا أألوان الإنسان ، ونبل الأذهان ، وقبول الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفاذ الإدراك ، وإحكام التدن والاعتار ، بما حرمة الكثير من الأقطار بما سواها<sup>٢</sup> . حدثني بعض من كنت أرددته إلى ملوك النصارى بأعماق أرضها ؛ فقال : مرت في مرحلة واحدة بأزيد من ثلاثمائة بلد في نهاية الإحكام ، وحسن الوضع ، وتشيد البناء ، كأنها سوسان الرياض ، يومض برقها في مدهام الغياض ، لعدم الصحاري والمفاوز بذلك الوطن . وقيل إن ذرعه سنة أشهر . وقال لي بعض الفضلاء من أصحابنا ، الذين جلبوا الأسطار ، وخبرها الأقطار ، وصحبوا الحداة والقطار ، وهو حجة في الأخبار ، ومدرك الأنظار : اعلم أن الأندلس ، بالنسبة إلى ما وراء

١ ج و ج : « ودرور الفواكه وكثرة المياه » .

٢ ذكر المقرئ هذا الوصف في « نفع الطيب » و « أزهار الرياض » ( ج ١ ، ص ٦١ ) .

البحر كله ، تل وحضارة ؛ والجسيم صحراء متفاضلة الأحوال في البداوة . وإن قدوت أن قطرتا من الأقطار التي تقع عليها عينك بعده ، يوازنها أو يشبهها في ظرف أو حسن أو زينة أو إحكام صناعة أو فلاحه ، فاعتقد أنك غلظت في الأمر ، وأن الخبر غير الخبر .

قلت : وهذا أيضاً غلط ؛ فإن استحسان الأوطان لا يملك فيه زمام الهوى . وممن فن بالأندلس فتنة هذا أبو إسحق بن خفاجة في قوله : [البسيط] ما جئت الخلد إلا في دياركم وهذه كنت لو خيترت أختار لا تشقوا بعدها أن تدخلوا سقراً فليس تدخل بعد الجنة النار

ولما فاض سيل الإسلام ، وبلغ ملك الأمة المحدثية ما زوى لنبيها ( صلى الله عليه وسلم ) من الأرض ، وعبرت سيوف الدعوة العربية البحر إلى الأندلس ، ونظروا إلى ما وراء البحر في خطتها من بلاد طيبة ، وبركات صيبة ، اغتبطوا ، وارتبطوا ، وتمسكوا ، واستقروا ، وتوالدوا ، ونسوا أوطانهم ، وألقوا أعطانهم . واستقام للإسلام بها ملك كبير ، وساطان شهير ، قد انفرد بعموم خيره ، عن غيره ، وغني بما حواه ، عن سواه ؛ ولذلك ما نقل عن منصور بني العباس أو مثله ، أنه قال ، وقد جرى ذكر بعض أصداده من ملوكها : « وما الذي يقال في رجل يركب من نتاجه ، ويلبس من ديباجه ، وينفق من خراجيه ؟ » قلت : ولو شاء لآذ : ويأكل من علاجه ، ويتقرب إلى الله بجهاد أغلجه ، إلا أنها اليوم لم يبق لها إلا علالة لا تروي غلته ، ونفاضة مزاد لا يحسن بها قلته ، لم تحفظ دماءها إلا فتن شغلت العدو ، وشرعت الهدو ، لطف الله يربها مر النسب بقدرته !

وحديث الفتح ، وما فتح الله على الإسلام من المنهج ، وأخبار ما أفاء

١ راجع مق ( ط بولاق ) ج ٤ ، ص ٦٧٤ : « شعر ابن خفاجة » تحقيق كرم البستاني ص ٨٦ . والبيتان هما الآخران من قطعة ثلاثة أبيات . ونس الأول : يا أهل أندلس لله دركم ماء وغل وأنهار وأشجار

الله من خير ، على موسى بن نصير ، وكتب من جهاد ، لطارق بن زياد ،  
 تملول قضااص وأوراق ، وحديث أفول وإشراق ، وإدعاش وإبراق ،  
 وعظم امتناش ، وآلة معلقة في حانوت قشاش . والقصد أنه دخلها  
 من الأمراء ، من لدن افتتاحها على عبد الملك بن مروان ، إلى لحاق  
 عبد الرحمن بن معاوية مجدّد الدولة الأموية بها ، نحو من عشرين رجلاً ،  
 منهم طارق بن زياد ، الذي تولّى افتتاحها ، وإليه ينسب جبل الفتح  
 المدعو بجبل طارق ، وخبره بها شهر ، مولى موسى بن نصير ، فكانت  
 إمارته فيها سنة ؛ ثم موسى بن نصير البكري ، وإليه ينسب الفتح ، إذ  
 كان طارق من قبله ، وهو الذي تمّ ما بدأه بها ، فملك هو وابنه عبد العزيز  
 ثلاث سنين ، ثم قتل بالغنائم ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان سلطاناً  
 الذي ولّاه مريضاً بجود بنفسه ؛ وولي الأمر بعده أخوه سليمان بن عبد الملك ؛  
 فأشار على موسى بن نصير بالتربّص ليكون دخوله في أيامه إذا قضى الوليد  
 نجه ؛ فأبى عليه لصلابة موسى ، ودينه مشهور وفائه ؛ فلما ولي ، آسفه ،  
 ونكبه ، وقتل ولده بما هو معلوم . ثم ولي أيوب بن حبيب اللخمي ابن  
 أخت موسى بن نصير ؛ فملك ستة أشهر ؛ ثم دخلها الحرّ بن عبد الرحمن  
 الثقفي ؛ فملك سنة وسبعة أشهر ؛ ثم دخلها السنج بن مالك الحولاني ؛  
 فملك سنتين وسبعة أشهر ؛ ثم دخلها عتبة بن سحيم الكلبي ؛ فملك  
 أربع سنين وخمسة أشهر ؛ ثم دخل يحيى بن سلامة الكلبي ؛ فملك سنة  
 وستة أشهر ؛ ثم دخل حذيفة بن الأخوص القيسي ؛ فملك ستة أشهر ؛  
 ثم ولي عثمان بن أبي نسيعة الحنظلي ؛ فملك ستة أشهر ؛ ثم ملك الهيثم  
 ابن عبيد الكلبي ؛ فملك أربعة أشهر ؛ ثم ولي عبد الرحمن بن عبيد الله  
 الغافقي ؛ فملك سنتين وسبعة أشهر ؛ ثم ولي عبد الملك بن قطن الفهري ؛  
 فملك ثلاث سنين وشهرين ؛ ثم دخل عقبة بن الحجاج السلولي ؛ فملك

١ راجع هذا الكلام منسوباً إلى ابن الخطيب في «الفتح» و«أزهار الرياض» (ج ١، ص ٦١) للمعري .

خمس سنين وشهرين ؛ ثم دخل القصر عبد الملك بن قطن مرة ثانية ؛  
 فملك سنة وشهرًا ؛ ثم دخل بلج بن يشر القشيري صاحب الطليعة  
 البلخية من أهل الشام ، مفلولاً قد كسره البربر في خبر مشهور ؛ فملك  
 ستة أشهر ؛ ثم تولّى تغلب بن سلامة العاملي خمسة أشهر ؛ ثم ولي أبو  
 الحظار حسام بن ضرار الكلبي ؛ فملك سنتين وثمانية أشهر ؛ وكانت في  
 أيامه حروب شهيرة ؛ ثم ولي ثوابة بن سلمة الجذامي ؛ فملك سنتين  
 وشهرين ؛ ثم ولي الأمر يوسف بن عبد الرحمن الفهري ؛ فملك تسع  
 سنين وأحد عشر شهراً ؛ واستقر له ملك الأندلس لمصاهرة الضمّل بن  
 حاتم ، إلى أن طرده من قدوم صفّر بن أمية عبد الرحمن بن معاوية ما  
 كدّر شره ، وروّع مرّبه ، عادة الأيام ، والبقاء لمن انفرد بالدوام -  
 سبحانه لا إله إلا هو !

## دولة عبد الرحمن بن معاوية

### أول من ملك الأندلس من بني أمية

قالوا : لما أتيح للعباسية الظفر بمروان بن محمد الجعدي بأحواز مصر ،  
 وانقرضت دولة بني أمية ، وصاحت بهم الأيام ، ووقع الطلب عمّن أفلت  
 منهم ، كاث عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك هذا بمن شرده  
 الحوف ، واستنار به الجلاء والاختفاء إلى المغرب .

وقال ابن أبي الفياض ، مجرباً عنه عن نفسه ، قال : « سمعت مسليمة  
 ابن هشام بن عبد الملك بن مروان ( عمّ لي ) يقول يوماً لجدّي هشام بن  
 عبد الملك ، وهو خليفة ، وقد نظر إليّ : « هذا هو الذي يجي ملك بني  
 مروان بالمغرب بعد ذهاب ملكنا بالشرق ! » فكان جدّي يفضلني من  
 حينئذ ؛ وما زالت تلك الكلمة تعمل في قلبي إلى أن انخرم ملكنا بالشرق ؛

فخرجت 'أريد' المغرب ؛ فملكته 'الأندلس' .

**قالوا :** واجتاز عبد الرحمن ، وقد لحق به بدر مولاة بشي من الذهب وجوهر بعثت به أخته إليه ليعيش به . ونذر به أمير إفريقية عبد الرحمن بن حبيب ؛ فأقلته . واستقر بمغيلة ، وكتب من ساحلها إلى من بالأندلس من موالي بني أمية وصنائع دولتها ؛ فاستجابوا له ، واشتري له بساحل 'ندميير مراكب' عاد إليه فيه بدر مولاة ، في طائفة من الصنائع ؛ فركب فيه البحر ، واحتل بمصر المكنك ثمرة وبيع الأول من سنة ١٣٨ . ثم تحرك إلى الليبرية ، واستجاب الناس إلى دعوته . ولما كملت لديه الجيوش ، عقد اللواء ، ونهض نحو قرطبة . وكان الأمير يوسف الفهري يومئذ غائباً عنها ، محاصراً مدينة سرقسطة ؛ فلما بلغه الخبر ، قفل إلى قرطبة ، فزها . وأقبل عبد الرحمن ، فنزل بضعة النهر منها . ودارت بين الفريقين محاصرة أجلت عن اللقاء يوم الجمعة ، وهو يوم الأضحى من السنة . واستدعى عبد الرحمن من أبي الصباح حي بن يحيى اليحصبي بفسل أشهب ، يسمى الكوكب ، كان له ؛ فتحول إليه وقال : « إن فرسي قلق ، لا يتمكن معه الرمي ! » فقدمه إليه ؛ فركبه ، واطمأن الناس . وتمت الهزيمة على يوسف الفهري ؛ وتمت البيعة لعبد الرحمن يومه ؛ ودخل قصر الإمارة بقرطبة ، فاستقر به .

وتأدى يوسف الفهري في فراره ، إلى أن استقر بقرطبة . وتحرك عبد الرحمن في أثره ؛ فنازله وحصره ، والتمس من عبد الرحمن الأمان ؛ فبذله له . وخأته بعد ، وفر عن حضرته ؛ ووقع عنه الطلب ؛ فأني إليه برأسه . وخلا له الجوه منه .

وانتال بنو أمية من المشرق محتالين محتفين ؛ فلحق به عدد منهم تجددت بهم الدولة .

وماج على عبد الرحمن بن معاوية بجز الخلاف والمنازعة ؛ وقارع الكثير

من الثوار ولاية ؛ كالعلاء بن مغيث الجذامي الداعي إلى نفسه بناحية باجة من عكل حمن ؛ وذكر أن المنصور صاحب الدولة العباسية أرسل إليه بولاية الأندلس ؛ فاتبعته الأجناد ، وتطلع إليه العباد ، إلى أن كادت دولة عبد الرحمن أن تنصرم ؛ فخرج إلى قرطبة ، محاذياً له بخاصته ؛ وعاجله العلاء بن مغيث ؛ فحاصره بها أياماً عديدة ؛ فلما طال بالعلاء الأمر ، وسلم عبد الرحمن باختلال محلته ، أمر بنار ، فوقدت ؛ ثم أمر بأجفان السيوف ، فطرحتها ؛ وقال لأصحابه : « اخرجوا معي خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع ! » وكانوا سبعاً ؛ فخرجوا إلى عدد لا يحصى ؛ فزفهم الله النصر ، وزلزل أقدام عدوهم ، لما قضاه الله من إقبال الدولة وتمهيد الأمر ؛ فانهمز القوم ، وقتل العلاء ؛ فطيف للحين برأسه ؛ وأمر به عبد الرحمن ؛ فغولج بما يحفظه ، وجعله مع اللواء المعقود له في سبط ، وأمر قوماً من الحج أن يوصلوه إلى مكة ؛ واتفق أن حج المنصور عامئذ ؛ فجعل القوم السقط بإزاء باب سراقه ؛ فلما نظر إليه قال : « عرضنا هذا المسكين للقتل ، والحمد لله الذي جعل بيننا وبين هذا ( يعني عبد الرحمن بن معاوية ) مجزاً ! » واستنزل الثوار ، وقهر الأعداء ، وجاهد في سبيل الله بما هو معروف في دولته من كتب التاريخ .

وذكر أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه : « أخيروني من صقر قرطبة من الملوك ؟ » قالوا : « ذلك أمير المؤمنين الذي راض الملوك ، وسكن الزلازل ، وأباد الأعداء ، وحسم الأدواء ! » قال : « ما قتلتم شيئاً ! » قالوا : « معاوية ؟ » قال : « لا . » قالوا : « فمعد الملك بن مروان ؟ » قال : « ما قتلتم شيئاً ! » قالوا : « فبن ؟ يا أمير المؤمنين ! » قال : « صقر قرطبة عبد الرحمن بن معاوية ، الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلاد أعجبيات ، منفرداً بنفسه ؛ فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، ونال ملكاً بعد انقطاعه ، بحسن تدييره ،



وشدة إيشكيته. إن معاوية نهض بمركب حمله عمر وعثمان عليه، وذلك لا له صعبه؛ وعبد الملك بيعة أبرم عقدها، وأمير المؤمنين يطلب عترة، واجتماع شيعته. وعبد الرحمن منفرد بنفسه، مؤيد بأمره، مستصحب لعزيمه، وطرد الخلافة بالأندلس، وافتتح الثغور، وقتل المارقين، وأذل الجائرة الثائرين<sup>١</sup> !

وكان عبد الرحمن من أهل العلم، وعلى سيرة جميلة من العدل. ومن قوله<sup>٢</sup>:

أيتها الراكب الميمم أرضي إقرار بعرض السلام عني لبعض  
إن جسي كما قرأه بأرض وفوادي ومالكيه بأرض  
قدّر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي  
قد قضى الله بالفراق علينا فمسي باجتماعنا سوف يغضي

وله من الشعر كثير، وهو معلوم. وكان عبد الرحمن بن معاوية فصيحاً بليغاً، حسن التوقيع، ملبح الفصول، مطبوع الشعر، معدوداً من أهل العلم، وعلى سيرة حسنة من العدل. ذكروا أنه، لما نزل بئنية الرضافة من قرطبة، نظر فيها إلى نخلة حاجت شجته، وتذكر بها وطنه؛ فقال بديهة:

تبدت لنا وسط الرضافة نخلة تناءت بأرض العرب عن بلد التخل  
فقلت: شديهي في الشعر والنوى وطول التناهي عن بني وعن أهلي  
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فيثلك في الإقصاء والمنشأ مثلي

وتوفي عبد الرحمن بن معاوية يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر

١ - القصة في «الآخبار المبيعة» و «العقد» لابن عبد ربه و «البيان المغرب» إلخ ...  
٢ - راجع «نفع الطيب» ج ٢، ص ٢٥ (طبعة ليدن).

سنة ١٧٢؛ ودُفن بالقر من قرطبة. وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة، وأربعة أشهر؛ وكان عمره يوم دخل الأندلس خمساً وعشرين سنة. وكان قد عقد الخلافة لابنته هشام سليمان؛ فاستحقها هشام باستناده إلى قصر الخلافة قبل أخيه، إذ كانا غائبين. ولما حضرته الوفاة، وابنه هشام بماردة، وابنه الآخر سليمان بطليطلة، وكمل ابنه عبد الملك المعروف بالبلنسي، وقال له: «من سبق إليك من إخوتك، فأبرأ إليه بالخاتم والأمر. فإن سبق إليك هشام، فله فضل دينه، وعفافه، واجتماع الكلمة عليه؛ وإن سبق إليك سليمان، فله فضل سنه، ونجدته، وحب الناس له.» فقدم هشام قبل سليمان؛ فلقاه الأخ عبد الملك، وسلم إليه امرته، وأدخله القصر.

## دولة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

### ابن هشام بن عبد الملك بن مروان

كنيته: أبو الوليد. بوبع مستهل جمادى الأولى من سنة ١٧٢. ولما اتصل بأخيه الحبر، وهو بطليطلة، حشد الجنود وقصد قرطبة. وبرز إليه هشام. وكان اللقاء بجهة جيان؛ فانهزم سليمان، وعاود الاحتشاد؛ فتكررت الهزيمة. ثم نازعه أخوه عبد الله متخلف أبيه، الذي دفع إليه أمانته، لسبعة أشهر من ولايته، ولحق بأخيها سليمان بطليطلة. وتحرك هشام إلى منازلها؛ فأجلت الحال عن لحاق عبد الله بهشام من غير عهد ولا أمان؛ وتقبله، وأجرى مجرى أبيه في الأمن. وصالح سليمان بستين الفاً، على الخروج بأهله وولده عن الأندلس إلى عدوة المغرب. ونازل هشام بعد ذلك سرقسطة؛ وبها مطرّوح بن سليمان الأعرابي؛ فأمكنه الله منه، وخلا له الجو؛ فغزا بلاد الروم بنفسه وقواده؛ فكان أثره عظيماً؛ فتح

بها مدائن أربونة وحاصر إفترنجة .

وفي سنة ١٧٩ ، أغزى عبد الكريم بن مغيث بالصائفة التي انتهى بها أسنقرة داخل جليقية ، فهزم طاغية الروم ، وقد احتشد له البشكنش ؛ ثم اتبعه في الجبال ، ينسف كل ما مر به ، ويتركه قاعاً صفصافاً . وكانت مقدمة جيش عبد الكريم الحجاب التي قدمها بين يديه للمناجزة إذ فونش ، وصاحبها فرج بن كنانة عشرة آلاف ؛ فكانت غزاة شهيرة .

وكان هشام الرضى من أئمة العدل ، وبمثلة عمر بن عبد العزيز في قومه بالأندلس . تولّى بناء القنطرة العظمى بقرطبة بنفسه ، وأنفق فيها أموالاً عظيمة . وحكى ابن وضاء أنه ذكر له أن الناس يقولون إننا بناها لتصيد وزهته ؛ فحلف ، لما بلغه ذلك ، أن لا يجوز عليها إلا لغزو في سبيل الله أو مصلحة .

قلت : هكذا شأن الناس مع أبواب الدول : إن بنى القنطرة ، ولزامها على كرسية نفعه الله واختار ما نالها من طيبه ، قيل : بناها للهو وصيده . ولو كان ذلك ، فكيف شعري أي شيء كان يعوزهم من منفعتهم بها وهلاً دعوا له أن ينيه الله زهته وصيده إذ كانا شافعين في بناءها لهم . ولو لم يبنها ، لم يسلم من حملهم لأجل تركها . فانا لله من الناس ! وما أشبه حال صاحب الدولة بحال الابن والأب والعمار لا فارق : ذكروا أن رجلاً خرج هو وابنه ، ولهما حمار يركبه الرجل [ وابنه ] خلفه ؛ فسمع الناس يقولون : « ما أعظم جفاء هذا الشيخ وأقل حياءه ! ركب هو وابنه حماراً ضعيفاً ؛ فهلاً نزل وخفف عنه ! » فنزل عن الحمار وترك عليه الولد ؛ فسمع الناس يقولون : « أركب ابنه القادر على المشي ، وترك نفسه مع الضعف ! والشيخ يطارح الولد سوء الأدب وسوء المعاملة ! » فأنزل الولد وركب ؛ فسمع الناس يقولون : « ولد صغير آثر نفسه عليه ، وتركه يتعب دونه ، ولم يرحمه ! » فنزل وترك الحمار خالياً ظهره ؛ فسمعهم يقولون : « حمار يسير بطالاً ،

وشيخ وصغير خلفه ! قد حرم هذا الشيخ نفسه وابنه حرصاً وصوناً للعمار ! فعل الله به وضع ! » فقال : « يا ولدي ، حرنا مع هؤلاء ! لم نخلصنا معهم شيء . والحق أن نعمل ما يظهر لنا ولا نلتفت إليهم ! »

وفي مثل هذا الحال ، قلنت من قصيدة طويلة شرحت فيها حالي فيها بليت به بالأندلس من مكابدة الصم البكم الذين لا يعقلون : [ الخفيف ]

إن تورعت أصبحت حوز المثل لك ضياعاً لجرأة الفجار  
أو طردت العفا : خفت من الله إذا ما سئلت عن أوزاري  
أو تقاعدت : أصبح الأمر فوضى تلعب الشاة فيه بالجزار  
أو تعرضت وانتدبت : سمعت الله قد حال الإيراد والإصدار  
لا يزال الملام عتي بحال حالة الشيخ وابنه والعمار  
قدنهم للجهاد فاشتكوا الضعف فاضجوا لكثرة الأسفار  
ملت للصلح سئوا الصلح شرّاً عكس قول المهتمين الجار  
سستم لست أبغي غير حق الله أو قومي بحق الجار  
فجزوني جزاء من يخدم السلطان فيما مضى من الأعصار  
من ممالك كالسباع ووُصفوا ن وعزّوا وذيلهم وتصار  
لم تجد مسلماً يقوم بحقي ناظراً لي بقلّة استعمار  
أو ولياً يعطي لطوري حقاً ويرى فضله على الأطوار  
غير أعمى يظنك يعلق في رحا لي علوق الكروم في الأشجار  
طالباً كل ما اقتضاه هواه هبه بالريح عاد أو بالחסار

نستغفر الله ( ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نَعْفِرْ لنا ونَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) والله كره الصوفية إذ يلزمون من جني عليه

١ سورة الأعراف ، ٢٣ .

الاستغفار والإنصاف من نفسه ، ويرَوْن أنه لما أوتي من قبلها .

( رجع ) . وكانت أيام هشام خير أيام عافية وهدوء . وعدَّه أبو محمد بن حَزَم ثالث ثلاثة من العدول في بني أُمِيَّة خاصَّة . وتوفي لسبع خلون من صفر سنة ١٨٠ . وذكروا أنه سأل مُنَجِّم زمانه ، وأُظِنَّه العباس بن فِرْتَّاس ، عن مقدار أيام دولته ؛ فاستغاه من ذلك ؛ فلم يفعل وعزم عليه ؛ فقال له بعد نظر : « إن صحَّ دعوى هذه الصنعة ، فإنك تبقى في الولاية سبع سنين وكذا . » فأطرق وبكى ، وقال : « حسي الله ! فوالله ! لو كانت في سجدة لله ، لكانت قليلةً قصيرة ! » وصرف وجهه إلى الاجتهاد والجهاد - رحمة الله عليه ورضوانه - . وكانت مدَّته سبع سنين وأشهرًا .

## دولة الحكم بن هشام

### ابن عبد الرحمن بن معاوية

كنيته : أبو العاصي . وكان ملكًا كبيرًا ، شديد الحزم ، ماضي العزيمة ، عظيم الصولة ، حسن التدبير . وكان يُسلِّط فضاته وحُكَّامه على نفسه ، فضلًا عن ولده وخدمه . وكانت له ألف فرس مرتبطة بجانب القصر ؛ فكلَّما أُنمى إليه البريد خبرًا بأمر أو خارجيٍّ ، عاجلته قبل أن يعلم ، فلا يشعر إلا وقد أحيط به .

وفي سنة ١٨١ من أيامه ، كان الإيقاع بأهل طَلَيْطَلَة ، وقد اتخذ قصرًا احتفَر ترابُ بناء جدرانها من صَحْنِه . فلما كمل إلا ما يخصُّ الصحن ، أعمل المخطوط على طَلَيْطَلَة ، وعرض واليها عليه أو على ابنه حضور صَنِيعه بالقصر الجديد ؛ واستدعى له وجوه البلد ؛ وأَوْهَمَ أَنَّهُم ،

١ في الأمل : احتفر بناء تراب جدرانها .

إذا طعم منهم قومٌ ، انصرفوا عن بابٍ غير الذي دخلوا منه ، وجعلوا كلُّما دخلوا قَتَلُوا ، حتى فطن بعضُ شيوخهم إلى البخار المرتفع من الدمار ؛ فقال : « هذا والله بخارُ الدماء ، لا بخارُ الطعام ! » وقد خمد الناس . فذكروا أن عدَدَ القتلى يومئذٍ من وجوه طَلَيْطَلَة وأعيانها خمسة آلاف وثلاثمائة رجل . فلانت بعد ذلك صولة طَلَيْطَلَة .

وفي أيامه ، قتل عمُّه أبو أيُّوب من المغرب ، وطلب الأمر لنفسه . وكانت حربٌ عظيمة بينهما ، أجلت عن هزيمة أيُّ أيُّوب وقتله . وكانت للحكم غزوات شهيرة . وأنكر الناس عليه أمورًا ، منها : إطلاق يد ربيع التوميس متولِّي المعاهدتين بالأندلس من النصارى ، وكان حَظِيًّا في رجاله ، سَوَّغَه افتراض المتعاون والمغارم على المسلمين . فثار به أهل الرِّيف بقرطبة سنة ٢٠٢ الثورة الشهيرة ، وناذروه ، وجاهروا بجلعه ، ورجعوا إلى باب قصره في السلاح وأحاطوا به في أُمم لا يحصيا إلا الله ، وفيهم الفقهاء الجلَّة وأهل الفتيا مثل طائوت الفقيه ، ومجيب بن يحيى الراوية عن مالك ، وأخيه ، وأمثالهم . وكان من جيلتهم جدُّ لنا يعرف ابن وزير ، بمن طرحت النوى بركابه ، واستقرَّ بطليطلة ، ومنها تحوَّل إلى مستقرًّا يَلُوسُهُ ؛ فكان خطيبًا بها ؛ وله ينتسب بيتنا من بعد النسبة الأولى .

وذُعر الحكم لهوَل ما رآه ، وأمر بعض خُدَّامه الصَّغَالِيَّة أن يأتيه بوعاء الغالية ؛ فاستراب الفتى ، وأنكر ذلك ، وقال : « وأيَّ وقت غالية هذا ! » فصاح به ، وقال : « انت به وَبَحْكَ ! وإلا ، فمن أين يُعرف رأس الحكم ؟ » وجاء بها ؛ فغلف بها رأسه وحيته ، واستبسِل الموت . وتوافى إليه كثيرٌ من خُدَّامه ، واستركب عبيده وحجَّابه ، وأخذوا أعقاب الناس ؛ فدهشوا إذ عدموا من يلتفُّ عليه جميعهم . فقد كان من نوادر ذلك اليوم ، المأثورة مَثَلًا في هَيْج الرِّشَاع ، أن حدَّادًا كان بين يديه صبي يسوق الكير ، وأبصر اجتماع الناس وحضورهم في الأسلحة ؛ فقال : « ومنْ

رئيسهم؟ « فقيل : « ليس لهم رئيس . » فقال للصبي : « يا صبي ، حرّك  
الكبير واعمل عملك ؛ فإن هؤلاء لا يكون منهم شيء ! » فأعمل السيف  
يومئذ في أهل الرّيبض ؛ فقتل منهم أزيد من عشرة آلاف رجل . وجلى  
عن قرطبة أضعاف ذلك . وما استقرّ منهم طائفة ببلد من البلدان إلّا وثاروا ،  
حتى لقد « حكي أن » آلافاً منهم استقرت بالإسكندرية ، وأن رجلاً منهم  
تكلم مع جرّار ؛ فرمى الجرّار بوجهه بكرش كانت في يده ؛ فبطش به  
وقتل ؛ وفادى مُناديهم في المدينة ؛ فتألّجوا ، وثاروا ، وتغلّبوا على المدينة ،  
حتى صرفوا عنها صلحاً إلى جزيرة إقريطش . وأقسم الحُكم بحجرات  
الإيمان أن لا يمشي عن الرّيبض حتى يدعّه دكاً ؛ فصيره على عظمه وهوله  
وأصالة بناه مزوعة .

قلتُ : ولقد باسُرتُ بالأندلس أنحاً ونظيراً لهذا الموقف الحُكمي  
النكد : أعظّم الله به الأجر ، وجعلته آخر المواقف الكريمة في الدنيا !  
إلّا أنّ الناس اجتمعوا على هذا العهد الذي شهدناه ، والتفتوا على رجل من  
قراية السلطان ، ولم يكونوا هملاً ؛ فكان الشقاء بهم أشدّ لولا لطف الله .  
وذلك أنّ السلطان أبا عبد الله بن أبي الحجاج بن نصر ، لما عاد إلى الأندلس ،  
مُرمّة خدامه إلى طلب الناس بالذنوب ، وكلّهم جانّ بيده ولسانه ؛  
واتّفت الكلمة الواحدة على الثورة به ، ولحقت ببابه ، والأمر قد كل  
استعداداً للشر ، وأبرمت عقدته ؛ وأخيف الدليل المبركي ؛ فشاع هو  
وطائفة من مثله الرئيس عليّ بن عليّ بن نصر من القرابة ، وأنا ذاهل عن  
الأمر ، إلى أنّ شيوخ التكلّف والفطنة والاشتغال بما لا يعني من أمر الدنيا  
والآخرة ، عليّ بن كُماشة ، عتبي ، مُشفقاً ، في القدوم على الأندلس يومئذ ،  
وقال لي : « احتلّ في الانصراف ! فإنّنا السلطان كالْبَيْضَة فوق النار ؛  
كأنّي بما قد فُرّقعت . واشتقتُ فسالتُ ! » وتهاوتت بقوله ؛ وما  
رأيت من العَدِ وأنا بين يدي السلطان ، وقد جلس للناس في قُبّة الجنان

المتّصل بالقصر ، وأبطأ المبكرون على بابه إلّا والنذير العربيّ يقول : « قد  
بأن البلدُ والتّداء فيه بدعوة فلان ! » وكثر ذلك . والتفتّنا من طيقان  
القُبّة ؛ فإذا البلدُ يوج بأهله خيلاً ورجلاً . فقال لي السلطان : « ما ترى؟ »  
فقلت : « الصبر والتوكّل على الله تعالى ! » وأُسُرتُ عليه بالانصراف إلى  
منزله وسدّ أبواب القلعة إلّا واحداً يُسدُّ بالرجال ؛ وأُسُرتُ عليه بالدخول  
إلى منزله ولبس سلاحه ؛ وفُتِحَت خزائنُ العُدّة ، وصعد السلطان في موقف  
مطلّ على البلد ونُشرت رأيته فوق رأسه ، وأسمع النفير ، وثُودي على  
الجند بالعطاء ؛ والحقّ قد ناصبونا الحرب ، والصبح قد سدّ الآفاق ،  
والسهام تراشق نحونا ، وصاحب القوم واقف في روبة تجاه القلعة ، ومن  
انحاز إلينا لا تعرف فينا مذهبيهم : وألم الله الصبر ، وسدّد القول والعمل ؛  
فلم يستحك الزوال إلّا وظهر اختلافُ مصافّ القوم ، ورسائي تُنفذ إلى  
وجوه الناس . فخذل المكابدون ، وسقط في أيديهم ، وفرّوا على وجوههم ؛  
وقبض على الشيخ ، وسكن الله الإرجاف ، وأخذ النائرة ؛ وقد كانت  
الآرقة التي ليس لها من دون الله كاشفة ، وعظم خوف الناس من السلطان ،  
واستحكمت صبغة الشرّ ، وكثر المستريب ؛ فبادرت من العَدِ يوم الجمعة  
المسجد الجامع ، وعلوت ذروة المنبر بكتاب أسُهدت فيه على السلطان  
بترك قديم المواخذات وحديثها ، ورفع الخوف عن الناس ، وبذل الأمن  
لجميعهم ؛ وارتنت في ضان ذلك ربة قونت به العافية إلى ما بعد .  
والحمد لله !

( رجع الحديث ) وكان الحُكم على فظاظته شاعراً مطبوعاً بما يؤثر من  
شعره قوله في جوارٍ كان مغرماً بهم : [ الخفيف ]

كلّ من قرط حُبّه ملوكاً ولقد كان قبّل ذلك ملكاً  
إن بكى أو سكا الهوى زيد ظلماً وبعاداً يُدني حِمَاماً وشيكا  
تَرَكتُهُ جادِرُ القصر صَبّاً مُستَهاماً على الصَّعيدِ تَربكا

يَجْعَلُ الْحَدَّ وَاضِعاً فَوْقَ تَوْبِ الْوَلَدِ الَّذِي يَجْعَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكَ  
هَكَذَا يَحْسُنُ التَّذَكُّلُ بِالْحُرِّ إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكًا  
وتوفيَّ - رحمه الله - يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦ .  
وولي الأمر بعده ولده عبد الرحمن بن الحكم .

## دولة عبد الرحمن بن الحكم

### ابن هشام بن عبد الرحمن معاوية

كنيته : أبو المطرّف ، وكان ملكاً كبيراً ، قارعَ الثوّار ، وهزم  
الكفار ، وأبعد الآثار . ولما حلّى على والده وواراه ، جلس متطأطأً ،  
ليس تحته وطاة ، وفعل من معه كذلك ؛ فافتتح القول فقال : « الحمد  
لله الذي جعل الموت حتماً من حكمه ، وعزماً من أمره ، وأجرى الأمور  
على مشيئته ، واستأثر بالملكوت والبقاء ، وأذلّ خلقه بالفناء ! تبارك اسمه  
وتعالى جدّه ! وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم تسليماً ! وقد كان  
مصاب الإمام - رحمه الله - ما جلّث به المصيبة وعظمت به الرزية ؛ فعند  
الله تحسبه وإياه نسأل إلهام الصبر ، وإليه نرغب في إكمال الأجر والذخر !  
وعهد إلينا بما فيه صلاح أحوالكم . ولستنا بمن يخالف عهده ، بل لكم لدينا  
مزيدٌ إن شاء الله ! » ثم قام ، وخرجت الكساوي والأموال على أقدارهم .

وفي أيامه ، انتقض المعاهدة بجزيرة ميّورقة ؛ فغزاهم في ثلاثمائة مرّة ؛  
فاقتحمها ثانية . وغزا بنفسه جليقية ؛ فاقتحم حصونها ، وسبى حريمها ، وقتل  
مقاتلها ، وذلك سنة ٢٢٥ ؛ وطالت غيبته في غزاته هذه ؛ وفي ذلك يقول  
شاعره عبد الله بن الشّير على لسانه ، وقد وصف له أرقاً عراه وتذكراً  
لن حنّ إلى لقائه :

[ المتقارب ]

عَدَانِي عَنْكَ مَرَارُ الْعِدَى وَقَوْدِي إِلَيْهِمْ لِهَاماً مُهَيَّباً  
فَكَمْ قَدْ تَعَسَّفْتُ عَنْ سَبَبٍ وَلَا قَيْتُ بَعْدَ دُؤُوبٍ دُؤُوباً  
أَلَا قِي يَوْجَهِي سُبُومَ الْهَجِيرِ رَوَقْدَ كَادِمِنِ الْحَصَى أَنْ يَذُوباً  
أَنَا ابْنُ الْهَيْثَامَيْنِ مَنْ غَالِبٍ أَشْبُ حُرُوباً وَأَطْفِي حُرُوباً  
وَادْرِعُ الشُّفْعَ حَتَّى لَيْسَ تَنْ بَعْدَ نَضْرَةٍ وَجْهِي شُحُوباً  
سَمَوْتُ إِلَى التُّرْكِ فِي جَحْفَلٍ مَلَأْتُ الْحَزُونَ بِهِ وَالسُّهُوباً

وكان ذا حظٍّ في البلاغة : تردّد عليه بعضُ مواليه ، يسأله استخدامهم  
بلطائف الرغبة وترفيق الملاحظة ؛ فقال له : « لم يتقدّم لك عندنا خبرةٌ شؤليّة  
بها ، ولا تجربةٌ تقدّمك بسببها ، غير ما رأينا من بلاغتك وحسن خطابك  
فيما يردّ علينا من كتبك . فإن كنت كاتبها ، فقد جودت وأحسنّت ؛  
وإن كنت تطلّبت بعنايتك ، وتحجّرت بفضل همّتك من حسن ذلك عنك ،  
فقد أحسنّت في العناية ، وفضلت في الهمة ، [ فأنت ] بكائي الحالين متقدّم !  
وقد رجونا باستلطافك لعلك وتهذيبك لخدمتك ، وقد وليناك على الرجاء  
فيك ؛ فصدّق ما خيّل الظنُّ بك . فإنّك إن حافظت على أدنى حظّك ،  
أدرّكت أقصاه ؛ وإن احسنّت في بدئه ، نكّلت أحسن عقابه ! » وكتب  
إليه بعضُ عمّاله يسأله عملاً رفيعاً ، ليس من شاكلته ؛ فوقع له في أسفل  
كتابه : « بن لم يصيب وجهه مطلبه ، كان الحرمان أولى به . »  
ومن شعره :

ولقد تعارض أوجه لأوامر فيقودها التوفيق نحو صوابها  
والشيخ إن تجوّر الشئ بتجارب فشباب رأي القوم عند شبابها  
وفي سنة ٢٠٨ ، كانت الغزاة التي عقدها عبد الرحمن على وزره عبد  
الكريم بن عبد الواحد بن مغيث بالضاقة المعروفة بغزوة آلبسة والقلاع ؛  
دخل فيها أرض العدو ، وأمعن بالاعهاد به من الفج المعروف بفج جريشيو ؛

فأخرب كل ما مر به ، ونازل مدائن ، وفتح معاقل ، وهزم جموعاً كثيرة ، حسباً هو مذكور في كتاب عريب وغيره .

وفي أيامه ، خرجت مراكب المجوس ؛ فدخلت مدينة إشبيلية وقناديس وشذونة وأشبونة ؛ ثم انهمزوا ؛ والمجوس هم الذين يسمونهم اليوم نصارى قسطنطية بالأنقليش ، وأهل المشرق بالفرينج وبالأنكثير ، ومستقر ملكهم بجزيرتين عظيمتين ذوع إحداهما سبعائة ميل ؛ وهم أهل قوة وبأس وشدة . وقد ذكرنا شيئاً من حديثهم عند ذكر أيام صلاح الدين ؛ ونجلب شيئاً منه فيما يأتي بجلته ، إن أعان الله على ذلك وأنساً الأجل إليه .

وفي أيامه ، احتفلت دولة بني أمية بالأندلس ، وعظمت الألقاب ، وشيدت القصور ، وجلبت إليها المياه . وجلبت إليه من المشرق ، بعد أن عانت الفتنة في قصور الأمير وخزائن بغداد ، الذخيرة الرفيعة كعقد الشفاء ومثله أعلام زبيدة بنت جعفر ، وفي أيامه ، اتخذ الطراز ، الذي كان حديث الرفاق ، وطرفة أهل الآفاق .

وكانت وفاته يوم الخميس ثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٣ . وتخلت من الولد أزيد من ثمانين ، بين ذكر وأنثى ، سطرهم ذكور . وولي بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن .

## دولة محمد بن عبد الرحمن

### ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

بويع للأمير محمد بن عبد الرحمن لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٣ . واستعصت عليه طليطلة ؛ فبرز إليها بنفسه ؛ واستجاش أهلها . وملك النصارى بجليقية أودون بن إذفونش ؛ فوجه إليهم أخاه . وكادته

الأمير محمد ؛ فبث الكُتُباء وقصد المدينة في جمع غير كثير ؛ فاستبشر الطاغية ، وأيقن أنه يظفر به . فلما خالطته ، برزت الكُتُباء من الجهات ؛ فهزمه الله شر هزيمة ، وبلغ عدد القتلى ثمانية آلاف فارس . ثم وصل الغزو إلى أرض ألبنة والقلاع ؛ فعظم أثره .

وفي سنة ٢٦٢ ، عظم أمر عبد الرحمن بن مروان من المنتزعين على الأمير ببطلانيوس وماردة ؛ وكان من المستأمنين المستنزلين على الخلاف ، المستقرين بقرطبة ؛ فعصى الله ، وخلق بحيث ذكر ؛ وأصل داؤه . وكان سبب انتفاضه أن الوزير هاشم بن عبد العزيز ، الأثير لدى الخليفة محمد ، القريب للصوق به ، حثه ابن مروان من بين الوزراء لحدة كانت في هاشم ، لم يملك معها نفسه أن قال له : « الكلب خير منك ! » وأمر به ؛ فصفع ففاه واستبلغ به ؛ ففر في خبر طويل ، واستكن بسعدون السُرُنْبَاقِي وقومه ، وهم فرسان العرب بالثغر . وبادر هاشم بن عبد العزيز ؛ فطلب فرصة ينتهزها فيهم ، وأفحص بغرته ، وجاوز الوعر ، وأبعد عن العسكر ؛ فأخذت المضائق عليه ، وناشتبه القتال ، وواقعت الجراح ، وقتل جملة من جباغته ، وأسر . واستقر بيد عدوه الذي صفه وأهان ؛ فبره وأحسن إليه وحلم عنه عند قدرته . وبلغ ذلك الأمير محمداً ؛ فأخى على هاشم وقال : « هذا أمر جناه على نفسه بعجلته وطيشه ! »

وفي سنة ٢٦٤ ، تم انطلاقه ، بعد أن كان الأمير محمد أقعد ابنه عوضاً عنه بمرتبة الوزارة في حال الصغر ، وحفظ عليه جاهه ونعمه ، إلى أن قرئت بذلك عينه عند خلافة نكبة أسره .

ولقد أذكرني قضية هاشم ، وأنا قاعد مع الوزير التدب المهام أبي بكر بن غاري ، المقيّد هذا الكتاب بأمره ، ما حدث من مثلها في شأن الشيخ عثمان بن إبراهيم بن أبي طلاق العسكري المتيّز بنصيحته ، وهو صاحب العلم لبني عسكر ؛ وقد بلغه الخبر بأسره وتحصيلة بيد عدوه ، لتجلّده عند

نكبه ، واستدعاه ولده ، وإجلسه بمكانه على صغر سنه ، وعقد الراية فوق رأسه ، وضمّ خدام أبيه إليه ، وانصرفه رافلاً في الخلع السلطانية وراكباً في الخلة الرفيعة إسطاة لعزّه . ونسبت على ذلك من قرب مني من خواصه تفاؤلاً بخلاصه ؛ فكان كذلك لأقرب مدّة ، من غير يد ولا فدية . والحمد لله مبسر السعادة ومبليغ الإرادة !

وفي أيام الأمير محمد ، كان ابتداء أسر ابن حفصون كبير الثوار بالأندلس على عهد الدولة الأموية ، المنفك الأمد ، المثلث الدولة لباس الكبد ، متصل العناء به أزيد من سبعين سنة ، حسب يأتي عند ذكر الثوار . وكان الأمير محمد أوحده قومه في البلاغة والرجاحة ، متنزهاً عن الخنى والقبیح وعن القبول على السعایات . قال وزيره هاشم بن عبد العزيز ( وكان هاشم من رجال الكمال ، قل أن تأتي الدنيا مثله من اجتماع خصاله ) : كان الأمير محمد - رحمه الله - فصيحاً بليغاً ، عظيم الأناة ، متنزهاً عن القبيح ، يؤثر الحق وأهله ، لا يسمع من ساع ، ولا يلتفت إلى قول رام ؛ وكان عاقلاً ، على أخلاق حميدة ومكارم جميلة ، ذا بديهة وروية ، يرى كل من خدمه وباشره أن له الفضل المستبين في إدراكه وفهمه ، ودقة ذهنه ، ولطف فطنته ، وجزالة رأيه . وكان متى أعزل منها شيء ، رجع إليه فيه ، وإذا أخل أحد من خزانته وأهل خدمته الحساب شيئاً من ذلك ، لم يجز عليه باللعظة والنظرة . ولقد استدرك على بعض خزانته في صك يشتمل على مائة ألف دينار كبراهم خمسة عشر درهماً ؛ فرد الصك ، وأمر بتصحيفه ؛ فتجسّع الخدمة والكتّاب إليه ؛ فلم يقعوا على ذلك التقصان لقلته وخفائه ؛ فرجعوا إليه معترفين بالتقصير ، وأعلموا الرسول ؛ فرد الصك وأعلمه باعترافيهم ؛ فعلم على موضع الخطأ ؛ فإذا هو خمسة عشر درهماً .

وخدمته ملوك البلاد المغربية ؛ واهتفت بطاعته بتاهرت وسجلماسة .

١ فوج : لهم .

وكان على عهده من ملوك إفريقية أعظمها وأفضها فتر ذلتد يهاده ويتاحفه على تراهيه بنفسه إلى الغاية التي لم يذهب إلى مثلها قومه . فهذا الملك هو الذي اتخذ مثلاً زنته ثلاثاً رطل من ذهب خالص وحقه من الباقوت والزبرجد بما لا يدخل تحت القيمة ، واتخذ له كرسيّاً بأعظم من ذلك كله ، وحشد جميع الأمم الفريجية لراهه ؛ ثم دفعه إلى صاحب كنيسة الذهب .

وكان الأمير محمد يستنفر لغزوه في الصوائف المجردة إلى جليقية مع ولده من كورة البيرة وجيان وقبرة وإستجة وسدونة ومورور خمسة عشر ألف فارس ، ليس فيهم من أهل الأندلس غير من ذكر ؛ وربما أوغل في بلاد العدو ستة أشهر . وذكروا أنه خرج متنزهاً يوماً لبعض متنزحاته ، ومعه هاشم بن عبد العزيز ؛ فكان بها صدر ناره على راحته ؛ فلما أمسى واختلط الظلام ، انصرف إلى القصر ؛ فأخبر من سمع هاشماً يقول : « يا ابن الخلائف ، ما أطيب الدنيا لولا الموت ! » فقال له : « يا ابن اللغناء ، وهل ملكنا هذا الملك الذي نحن فيه إلا الموت ! ولولا الموت ما كنا نراه أبداً ! »

وكانت وفاته يوم الخميس ليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٣ ، وهو ابن خمس وستين سنة . وكانت مدته نحواً من خمس وثلاثين سنة - رحمه الله .

## دولة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن

### ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

كنيته : أبو الحكم . وتقدم بعهد أبيه ؛ وكان بعيد الهمة ، قوي الشكبة ، يكرم إخوانه ، ويحبهم ، ويدي مجالسهم ، ويصلهم ، ويحضرهم مجالس أنسه . وكان يجزل العطاء للشعراء ، وينشدونه غازياً وراجعاً . وكان من شعرائه أحمد بن عبد ربّه ، والعكبي ، وغيرهما من شعراء العرب .

ولم يكن أحد من الخلفاء قبله في شجاعته وصرامته وحزمه وعزمه ؛ ولقد بلغ ذلك في سنة ما لم يبلغه غيره في الدهر . ولقد كان أبطال الرجال وأنجادهم من أهل الفتنه يُدْعون إليه دون مِحنة ، ورسلون إليه بالطاعة قبل أن يطلبها ؛ وإن الحَبْرَ المستفيض عن الشيوخ الذين أدركوا ذلك الزمان ، وعن أهل التمييز بالخروب ، أنه ، لو عاش المُنْذِرُ عاماً واحداً زائداً ، لم يَبْقَ بين يديه مُناقض . وأخباره تدلُّ على ذلك . وأول أخباره الدالة على ذلك أنه ، لما أتاه خبر موت أبيه ، لم يمنعه ذلك من التعرّيج عن القصد ، واختصار الطريق ، ولا شغله أمرٌ مهمٌّ ولا أمرٌ جليل عن آخر ؛ فجعل طريقه على ربه ؛ فهذب أمورها ، ونظر في أسبائها ، وولّى عليها سُلْبان بق عبد الملك ابن أخنطل وعبد الرحمن بن حُرَيْش ، وأدخل معها أهل المعافيد من العرب والحنّس . ثمّ جمع في يوم واحد مُبايعيه ، وأعطى عطائين للجند ، وأعمل النظر فيما أسقط من الأزمّة عن الرعيّة ؛ وما فعله من الاستعداد إلى أهل قُرطبة بإسقاط العُشور عنهم ، والنظر في الثّوب ، وإخراج الفائده ؛ وهكذا [ كان ] فِعْلُهُ في جميع أسبابه .

وبادراً لأوّل أمره لسجن هاشم بن عبد العزيز الوزير ؛ وسبب ذلك أن هاشماً كان يحسد لمكانه من الأمير محمد ؛ وكان حُسّاده يسعون به عند المنذر حتى تنافرت النفوس . فلما مات الأمير محمد ، أراد المنذر أن يتّبع به فِعْلَ أبيه ؛ فولّاه الحِجَابَة ؛ ثمّ قالاً عليه حُسّاده ، وكنّوا ، وحرّفوا كلامه ، حتى نفذ قضاء الله ؛ وكان مفخر دولتهم وزينة مُلكهم . ونُسي عنه أنه قال عند مواراة الأمير محمد في قبره :

أَعَزَّيَ بِأَمْرٍ عَنكَ نَفْسِي مَعَاذَ اللَّهِ وَالْمَنَنِ الْجِسَامِ  
فَهَلْ مَاتَ قَوْمٌ لَمْ يَمُوتُوا وَدُفِعَ عَنْكَ لِي كَأْسُ الْحِيَامِ

فأغروا المنذر بكونه قصده . وصدرت عنه في نكبته أشعارٌ وملاحظات لم تغن عنه . ومن شعره في ذلك ، ما كتب به لجارية له تسمى عَاج :

[ الطويل ]

وإني عداني أن أزورك مَطْبِقٌ وبابٌ مَتَّيْعٌ بالحديدِ مُضَبَّبٌ  
فلن تعجبي يا عَاجُ بما أصابني ففي رُبِّ هذا الدهر ما يُتَعَجَّبُ  
تَرَكْتُ رِشَادَ الْأَمْرِ إِذْ كُنْتُ قَادِراً عليه فلاقيتُ الذي كُنْتُ أَرْهَبُ  
وكم قائلٌ قال : أُنْجِ وَيَحْكُ سَالِماً ففي الأرض عنهم مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ  
فَقُلْتُ له : إنَّ الْفِرَارَ مَذْلَّةٌ ونفسي على الأسواء أحلى وَأَطْيَبُ  
سَأَرَضَى بِحُكْمِ اللَّهِ فَمَا يَنْوِبُنِي وما من قضاء الله للعبدِ مَهْرَبُ  
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى شَامِئاً فِي فُلَانِهِ سَيَنْهَلُ فِي كَأْسِي وَشَيْكاً وَبَشْرَبُ  
إلى أن قتل - رحمه الله .

ثمّ انصرف إلى محاربة عُمر بن حفصون الثائر بمدينة بُيْشْتَرٍ ومُنازلته ؛ فلم تسع أيامه لما وراء ذلك ، بعد أن أحفظه وأضاق صدره وظهر على قوّاده ؛ فتحرّك إليه ، وقد أقسم القسم الغليظ ألا يبرح من حصره حتى يتمكن منه ، أو يموت تَوَتُّهُ . وعظم ذلك على الناس ، وشقّ عليهم الثّواء بعسكرهم ظاهرٌ يُبْشِتَرُ . وعيّن القدر الحتم ليمينه أحد الطرفين المتقضي الإماماء لابن حفصون ؛ فزعموا أن المنذر اعتلّ لأربعين يوماً من مُنازلته ابن حفصون والأخذ بمخنقه ، وبعث إلى قرطبة في إمارة أخيه عبد الله بن الأمير محمد ليُتَوَبَّعَ عنه إن اتّصل مرضه . فلما وصله ، مات المنذر . وتفرّق العسكر ، فلم يَلْثُرْ أحدٌ على أحد ؛ وظهر ابن حفصون ، وبرز إلى منازعة عبد الله ومن ثبت معه ؛ فلم يَسْعُهُ إلا أن رفع المنذر فوق جَبَلٍ وانصرف إلى قرطبة . وعظم أمرُ ابن حفصون ؛ فاستولى على معظم البلاد ، ولم يَبْقَ بينه وبين دار المُلْكِ إلا مقدار مرحلة قصيرة . فتحصّن بحصن بُلاي من الكُتُبَانِيَّةِ .

وكانت وفاة المنذر يوم السبت من منتصف شهر صفر سنة ٢٧٥ .



## دولة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

### ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية

كنيته : أبو محمد . كان - رحمه الله - مقتصدًا في أموره من مطعم وملبس ، شديد التواضع ، متظاهراً بالبر والحشوع .

وذكره الإمام أبو محمد بن حزم ؛ فصرح بالحل عليه ، وقال : كان قتالاً ، نهون عليه الدماء ، مع ما كان يظهره من عفته ؛ فإنه احتال على أخيه المنذر لما قصده بالعسكر ، وواطأ عليه حجاماً ممّ المبيض الذي فصده به . ثم قتل ولديه معاً بالسيف واحداً بعد واحد ، وقتل أخاه القاسم ثالثهم ، إلى من قُتل من غيرهم . قلت : والإمام أبو محمد في التجريح والتعديل حجة على قومه ؛ وسوق الملك لا ينكر فيها أمثال هذه البضائع ؛ ومن عوفي ، فليحمد الله !

وكان الأمير عبد الله ذا حظ من الشعر وحسن التوقيع : اعتذر إليه بعض ممالئكه يوماً ؛ فوقع على عذره : « وإن مخالب الأمور لتتدل على خلاف قولك ، وتنبئ عن باطل تصلّك ؛ ولو يؤت بذنبك ، واستغفرت لجرمك ، لكان أحجى لك وأسدلّ لستر العفو عليك ! » فكتب إليه : « إنما أنا بشر ، وما يقوم لي عذر . » فقال : « مهلاً عليك ورويداً بك ! تقدّمت لك خدمة ، وتأخرت لك ثوبة ؛ وما للذنوب مجال بينها . وقد وسّعك الغفران ! »

ومن شعره :

[السريع]

يا مَهْجَةَ العشاق ما أوجعَكَ      وبأَسِيرِ الحُبِّ ما أخضعَكَ !

وبارِسُولِ العَيْنِ من لَحْظِهَا      بالردِّ والتبليغِ ما أضرَكَ

نذهبُ بالسرِّ فتأتي به      في مجلسٍ يخفى على من معَكَ  
كم حاجةٍ أنجزتَ لإوزائها      تبارك الرحمن ما أطوَعَكَ

ومن قوله في الزهد :

[الكامل]

يا من يراوغه الأجلُ      حتى مَ يُلْهِيكَ الأملُ  
حتى مَ لا تخشى الردى      وكأنتَ بك قد نزلُ  
أغفلتَ عن طلبِ الشجا      ولا نجاةَ لِمَن غفلُ

ونصيرت إليه الخلافة ، وقد تحيف النكت أطرافها واقتسمها الثوار ، وكلب عليها الأشرار ؛ ولم يبقَ منها إلا الاسم فوق ظهر منبر قرطبة والقليل من غيرها ؛ وساءت الظنون . ولم يدّر عبد الله إلى أين يصرف وجهه : إلى ابن حفصون كبير الثوار المجاور لقرطبة ، وقد استولى على أعظم البلاد مثل البصرة وريّة وما إلى ذلك ، أم لابن حجاج ، وقد استقلّ بشبيلية وقمرمونة وما إلى ذلك ، أم لعبد الرحمن بن مروان الجليقي ببطليوس ، أم لعبد الملك بن أبي الجواد بباجة الغرب ، أم لابن السليم بشذونة ، أم لابن إلياس بالقلعة المنسوبة إليه ، أم لحخير بن شاكر بشوذر ، أم لعمر بن مضمّ المتزولي ، أم لسعيد بن هذيل بمحصن المثنلون ، أم لسعيد بن مسنّة بباغو ، أم لبني هازيل بمحصن جيان ، أم لإسحاق بن عطاف بمحصن مناشة ، أم لسعيد بن سليمان بن جودي بغرناطة ، أم لمحمد بن أضخى كبير العرب بالبصرة ، أم لأبي بكر بن يحيى بشنت مريّة ، أم لسليمان بن محمد الشذوني بشريش ، أم لعبد الوهاب بنورين ، أم ليحيى التيجي الأنقر بسرّ قسطة .

وإنما ألعنا بذكر أسماهم المتعددة ، وهم بعض من كلّ وقيل من كثير ، لفرغين : أحدهما التأسي والتعزي ، حتى لا ينكر ملك أن ينازع أو يخرج عليه أو تفتق ثغوره وتكث عهوده ؛ وإذا تعين المستحق

لأمر المسلمين ، أين يوجد مثل من خرج عليه هؤلاء نسباً ومذهباً وشروطاً مستوفاه؟ وقد ساعدتهم رعاياهم وفلقاؤهم وعلمائهم قسراً وطواعية ، وأطعموهم عظيمة ، ومعاصروهم جلّة ، حتى اقتضوا الأيام التي حدّها الله لهم ، منطلقاً أيديهم فيما كتب الله لهم أو عليهم من غيٍّ أو رشدٍ . والثاني : الاستراحة إلى حسن العتبي وما أعدّه الله من كفاية من استكفاه .

فخرج بنفسه محتسباً إليها في سبيل الله ، وقصد بُيُوتَهم ، وانتسف معايشها ، وقتل . فعقبه ابن حفصون ، واستولى على إسْطِجَة وإسْطِجَة . وأخرج إليه الجيش ، وألحّ عليه حتى اتقاه ابن حفصون بطلب الأمان . ثم ضيق على قرطبة ، حتى خرج بنفسه إلى حصن بُلاي ، وكان آخذاً بمخفياً ، فدخله وملكه . واحتشد ابن حفصون ، وأقبل في ثلاثين ألفاً ، فنصره الله وهزّمه فأصبح هزيمة ، وصرف وجهه إلى ابن حجاج بإشبيلية ، فهادته وعاقده . وتقاضى العبر مع ابن حفصون حرباً وسلماً ومعاقدةً ونكثاً ، إلى أن عاد روثق الخلافة ، وانتشع كثير من الظلماء .

ونقص عبد الله الدهر بما جرى به القدر من قتل ولديه حسباً . يتقرّر في محلّه ؛ ولا أوحش الله من دنيا تطيب بعد قتل ولده ، ولو أن صحبتها إلى غير أمد . كانت وفاته في مستهل شهر ربيع الأول سنة ٣٠٠ ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . وملك خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً .

## دولة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله

ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام  
ابن عبد الرحمن بن معاوية

كنيته : أبو المطرف ، ولقبه : الناصر لدين الله . وولي بعد جدّه ، إذ كان أبوه محمد خاف من أبيه ، وأغراه به المطرف أخوه ، حتى سجنه الأب ،

ثم قتله أخوه في السجن ؛ وقتل عبد الله أبوهما المطرف قاتله . وألقى الله على عبد الرحمن هذا الحفيد محبةً من جدّه ، وشفقةً كنفه لها في حجره ، وأسكنه في مسكنه ؛ وكان يحظيه من دون بنيه ، ويومي إليه ، ويرشحه لأمره ، ويقعده في الأعياد والمواسم مقعد نفسه ، ويأمر بالسلام عليه . فتعلقت آمال الدولة به ، ولم يشكوا بصير الأمر إليه . فلما مات الجد ، أقعد على سريره دون ولده وإخوته ، ونهياً له ذلك من دون منازع لسكناء بقصره . وقيل إنه برى إليه بخاتمه إمارةً على استخلافه ؛ فكان أول من بايعه أعمامه أبان ، والعاصي ، وعبد الرحمن ، ومحمد ؛ وتلاههم أخوة جدّه ، ثم من سواهم . والله يؤتي ملكه من يشاء . [الحطيف]

لا يضر الصغير حدثان سنّ إمسا الشأن في سعود الصغير  
كم مقيم فازت يداه بغنم لم تنله بالركض كف مغير

والناصر هذا هو الذروة العليا في ملوك بني أمية . طال عمره ، واتسع سعده ، واشتهرت أيامه ، وبعد حيلته ، وانتشرت بالعدوة الغربية طاعته ، وعلمت على منابرها كلمته . وهو أول من تسمّى منهم بأمير المؤمنين ؛ ثم اقتفاه من جاء بعده ؛ وذلك عندما ضعفت الدولة العباسية ، وظهرت الدّول التركية والديلمية ، وكثرت الألقاب ؛ وخطب بذلك خطيبه أحمد بن بقيّ بن تحنّك يوم الجمعة سنة ٣١٦ .

قالوا : وولي الناصر لدين الله الأمر ، والأندلس جيرة تحتدم ، وثار تضطرم ؛ وقد عظم الشقاق والنفاق ، وارتجبت الآفاق ؛ فسكنها الله بسعده ، وعزّ نقيته . وكان بشيّه بعبد الرحمن الداخل . وهو الذي استنزل التّواري ، وشيد القصور ، وغرس الغروس ، وخلّد الآثار ، وأعظم في الكفر النكابة . فلم يبق عليه في الأندلس مخالف ، ولا نازعه منازع . ودخل الناس أفواجا في طاعته ، ورغبوا في مسالته . وفي ذلك يقول شاعره ابن عبد ربّه :

### [البسيط]

قد أوضع الله' للإسلام منهاجاً والناس قد دخلوا في الدين أفواجا  
وقد تربت الدنيا لساكنيها كأنما ليست شيئاً وديابجا

ونحرك إلى كورة إلبيرة ، واستنزل التوار . ثم كره على ببشتور ،  
وهي الدار العليا والداحية العظمى ، وأقام البناء ، وشرع في السكنى ؛ فأذن  
حفص بن عمر بن حفصون المتصير إليه أمرها بعد أبيه وأخيه ، وألقى بيده ؛  
فتملكها رجاله يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة من السنة . وكانت مدة  
بني حفصون أزيد من سبعين سنة .

وخاطب الناصر البلاد عندما أراحه الله من الغم القديم اللزيم المتعاقب هم  
ابن حفصون واستغلق قلعة ببشتور عليه ؛ فعيّن المخاطبة بأمير المؤمنين  
واللقب بناصر الدين ، بما نصّه : « أما بعد ، فأنا أحق من استوفى حقه ،  
وأجدر من استكمل خطّه ، وليس من كرامة الله ما ألبسه للذي فضّلنا  
به ، وأظهر اثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا إليه ، وبشر على أيدينا إدراكه ، وسهل  
بنا وبدولتنا مرأته ، ولذي أساد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، وأعلن  
من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم إلينا ، واستبشارهم بدولتنا ؛  
والحمد لله وليّ النعمة والإنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه .  
وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتّاب عنها وورودها  
كذلك ، إذ كلّ مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومنتمٍ بما  
لا يستحقّه . وعلينا أن التادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق ضيعناه ،  
واسم ثابت أسقطناه . فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به ، وأجر مخاطباتك  
لنا عليه ، إن شاء الله . »

### إيجاز خبر عمر بن حفصون

وعلى عهد الناصر لدين الله ، كان انقراض أمر عمر بن حفصون وولده .  
وكانت مدة خلافه وقتله اثنتين وخمسين سنة وستة أشهر . وكان عمر كبير  
التوار بالأندلس ، وغصص الحلفاء بها . وهو عمر بن حفص بن جعفر الإسلامي ،  
ظهر بنفسه ونجدته وحدثان تلقاه في أمره . ونحصى بمدينة ببشتور من كورة  
ريته ، وأطاعه أكثر بلاد المتوسط بين ريته والحضراء وإلبيرة وأحواز  
قرطبة . وأخرج الأمير محمد إليه الجيش لنظر وزيره هاشم بن عبد العزيز ؛  
فأمته وأوصله إلى قرطبة مرفهاً عليه ؛ ثم استراب وفر إلى الجبل المذكور  
من المخالفة إلى شأنه سنة ٧٧٢ . وخرج المنذر ابن الأمير محمد إليه بالجيش ،  
وضيق به ؛ واتصل بالمنذر وفاة أبيه ؛ فعبج الرجوع إلى قرطبة . ولما قرّر  
أمره ، خرج بنفسه إلى منازل ابن حفصون ؛ فنازله بقاسرة من عمل ريته ، وضيق  
حصاره . فلما اشتد عليه الأمر ، طلب الأمان لنفسه على النزول بأهله وولده  
إلى قرطبة ، وشرط أن يدفع له مائة بغل يحمل عليها ثقله وأهله إلى قرطبة ،  
وأن يفرج له ؛ فأسعف في ذلك ؛ فقتل العرفاء الناظرين على البغال ، وأخذها ؛  
وقد انحلّ العسكر . وانصرف إلى ببشتور ، وقفل المنذر إلى قرطبة ، وشرع  
في الحرّكة إليه ، وأقسم ألا يفارقه أو يستأصل أثره ، ونازله بببشتور ، كما  
تقدّم ذكره . فكانت وفاة المنذر محاصراً إليها .

وولي بعده الأمير عبد الله أخوه ؛ فعظم أمر ابن حفصون . وتغلب  
عالم عبد الله على كورة ريته ، واشتدت شوكته ، وظهرت على سوار ؛  
وأمر سعيد بن جودي أمير إلبيرة ، ووقعت المهادنة بينه وبين الأمير عبد  
الله . ثم انتفض ، وغلّك حصن بلادي ، وجيش ثلاثين ألفاً من أهل الكور .  
وبرز له إليه الأمير عبد الله بنفسه في نحو شطر ذلك العدد ؛ ففر عنه ابن

حفصون . وفتح عبد الله حصن بلادي في سنة ٢٧٧ ، ونازل مدينة إسيجة ؛ فاستنزل منها رجال عمر . ثم انتقل ؛ فنزل بظاهر 'بيشتر' ؛ ولم يأت له في ابن حفصون عرس ؛ فقفل إلى قرطبة عن حزن كثيرة .

وجرت على ابن حفصون بأحوال النيرة هزيمة أنخن بها جراحاً ، ولحق مفلولاً 'بيشتر' ، ثم قوي أمره بخلاف بني حجاج بإشبيلية ، واتصلت يده بهم ؛ فعمّمت غاراته ومراياه إلى موزور وسدونة وقرمونة وغيرها .

ثم كبر أولاد عمر بن حفصون أيوب وجعفر وعبد الرحمن وحفص ؛ واعتل عمر علة شديدة ، أنجم فيها أيوب ولده بالفتك به ؛ فعاجله وقتله . والجيش في كل حين تتوالى عليه ؛ فتارة يستأمن ، وتارة ينكت ؛ وأهلك الأندلس فتنه . وخاطب ملوك الشيعة بإفريقية أصدقاء الأموية ، وجهوا إليه رجلين من معتقد مذهبهم بخلعات ، وخاطبوه بالخص على التزام طاعتهم وإقامة دعوتهم ؛ وأقاما عنده حتى حضرا كثيراً من حروبه ، وصرفهما ؛ ووجه معهما هدية انتخبها إلى صاحبهما . ولما توطئ لهذا العهد أمره ، أحضر أصحابه ، وعقد لولده جعفر العهد بعده ؛ وكتب عليهم عقداً استحلهم فيه . واتصل به مرض الأمير عبد الله ؛ فغلب لذلك على الحصن الذي ابتناه على مدينة 'بيشتر' ، وقتل من به . وبلغ ذلك الأمير عبد الله ؛ فأغراه ابنه أباناً سنة ٢٨٥ ؛ فاشتد الأمر عليه ، واستراب بأصحابه ، فحذرهم ، وعول على النصارى ، وتكلم ( زعموا ) دينهم دين آبائه .

ثم ولي الأمر عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، وصرفه إلى استنزال الثوار ؛ فرأى ابن حفصون من إقبال دولته وسعادة حركتها لطلب أمانه ؛ فأسعه الناصر ، وكتب له عهداً ، أمضى ذلك له ولعقبه ما وفوا ، وارتين عنده ولده عبد الرحمن بن عمر . وغزا قواد الناصر ببلاد النصارى غزوات حضرها ابن حفصون .

ر ثم توفي عمر في سنة ٣٠٦ ، وولي أمره ولده جعفر بن عمر ؛ وزعموا أنه

شهر دين النصارى ، وانفرد بمواراة أبيه مع القسيسين حتى دفنوه على سعة دينهم .

وذبح جعفر مذهب أبيه في العناد ، ودين الثرثار للقطع بالطرقات ؛ فأغزى إليه الزامر ، ثم غزاه بنفسه ؛ فافتتح حصن بلدة عنوة ، وقتل مقدم جعفر ، واستباح أهل الحصن قتلاً وأسرأ . وخالف على جعفر أخواه عبد الرحمن وحفص ، وضاق أمره ، واختلت حاله ؛ وقام عليه طائفة من خاصته ؛ فقتل . فكانت مدته ثلاث سنين وثلاثة أشهر . واستدعى قتلته أخوته سليمان وحفص ؛ فسبق سليمان إلى 'بيشتر' ، واستولى على أسر والده ، واستأمن إلى الناصر ، وخطب طاعته ؛ فسأله إلى أن تمكث وعلا قدره ؛ فكت ، وشن الغارات ؛ فأخرج الناصر القواد إلى مضايقته ، وبني على طرثش من حصونه قصبات حصينة ؛ فلاذ بالصلح ؛ فقبل منه ، وأخذ رهائنه ، وهدم حصن طرثش من حصونه . ولم تطل مدة سلبه إلى أن نكت ودخل مدينة المنكب عنوة ؛ فقتل جميع أهلها ، وسبى نساءهم ؛ فخرج الناصر إلى منزلته ، وضيق به ، وفتح الكثير من جهاته ؛ ثم قفل ، وقد اختلفت كلمة أصحاب سليمان بن عمر بن حفصون ؛ فرصدوه حتى إذا خرج يوماً إلى مطالعة بعض حصونه ، أعلنوا بخلفه ، وخاطبوا القوميس كبير النصارى المعاهد بن عامل الناصر بتلك الجهة ؛ فالحق بهم فيبنا هو يروض الجبل في استدعاء قائد الناصر ، إذ لحق سليمان مستبلاً ، وقد أضاعوا الحزم في ضبط المدينة ؛ فدخلها متنكباً منكباً يحمل حزمة حطب ؛ وتلاحق به أصحابه ؛ ففر الأسقف وجعل سليمان السيف على من اتهمه . ثم ضافت حاله ؛ فكتب إلى عبد الرحمن الناصر بطلب الأمان والسلام ؛ فأجابه إلى ذلك ، وكتب له عهده . فلما تأمل ، نكت وعاود الغدر ؛ فوالى عليه عبد الرحمن الجيش والحشم ، وأردف القواد حتى نالته عليه الوقائع ، وتبين إداره ؛ فأطاع جملة من معاقله ، وقطعت عن 'بيشتر' الميرة والمرافق ، إلى أن وقعت على سليمان أهزيمة

بأحوار شئت يجنت ؛ وكبا به فرسه ؛ فقتل .

وولي بعده أخوه حفص : ملكه أهل القاعة أسرهم . وخرج إليه الناصر سنة ٣١٥ ؛ فافتتح مدينة أنجش من طاعة حفص ، ونازله ببكشتر ، وابتنى بجوارها حصن خليدة ، وتخلّف فيه الوزير ابن المنذر ؛ فأذعن إلى السلم ؛ فلم يجب إلا على الخروج . فمّ ذلك بعد عنا كبير سنة ٣١٦ . ووصلوا جميعهم إلى قرطبة . وتوسّع إلى حفص في إزال واسع ، وإلحاق شريف . وغزا مع عبد الرحمن الناصر إلى جلّيقية ، وأغنى بين يديه إلى أن مات بوادي الحجارة سنة كذا وعشرين وثلاثمائة .

وانقضى أمر بني حفصون إلى هذا الحد . ولا بدّ لكلّ أوّل من آخر ؛ فسبعان من له البقاء !

### ذكر شيء من أخبار بني حجاج

وكان هذا البيت من بني حجاج بيّت رياسة وظهور بإشبيلية ، وآخر بيوتات التباعة الأربعة : بيت بني حجاج هذا ، وبيت بني عبّاد ، وبيت بني خلندون ، وبيت بني الحكيم المستقرّ عقبهم الآن بوندة ، حسباً ذكر لي أبو بكر بن الوزير أبي عبد الله منهم . وأدركت من بيوتات بني حجاج بالقة أمين العطّارين بها يجبر بشرف عن هذا البيت ، وأنّهم استبدّوا بحضرة إشبيلية عن بني أمية ، بحيث كانوا يقدّمون قاضي الجماعة من مدينتهم ، ولا يرجعون في شيء من أمرها إلى صاحب الدعوة مروانية .

وكان إبراهيم كبير هذا البيت ، لما كشف الوجه في الخلاف ، هادن الأمير عبد الله بن محمد على أن يولّيه ببلده ، ولا يعرض له ؛ فرضي منه بذلك ، وفعل . فجيى الأموال ، واصطنع الرجال ، وارتقى في درج الجلال ؛ وكان رئيساً ضخماً ، بعيد الهمة ، حسن الآثار ، جميل الذكر ؛

ولم يزل يتبسط على الأمير عبد الله حتى ساء ما بينهما ؛ فظهر الخلاف ، ومالاً يجاره ابن حفصون ؛ وعظمت نكايتهما إلى أن هلك إبراهيم ، وحال الملوك مصافاً وإنعاماً . وكان يضاوي الملوك ، ويقصده الشعراء ، وتؤمّله الأشراف . وفيه يقول ابن عبد ربّه قصيدته التي أوّلها : [الوافر]

كتاب الشوق يطويه الفؤاد ومن فيض الدموع له مِداد

وكان مهلكه فجأة في عام ٢٨٨ .

وولي بعده ولدّه عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج ؛ فطالت مدته إلى سنة ٣٠١ . وكان أخوه محمد بن إبراهيم بن حجاج بمدينة قرمونة ، قد أقام أيضاً رسناً كبيراً من الفضل ، زاده على شهرة أبيه وجلاله . ولما توفي عبد الرحمن جعل أهل إشبيلية الأمر لأحمد بن مسلمة من بني حجاج ، وصرّفوه عن محمد صاحب قرمونة ؛ فناصبهم الحرب ، وأعطى الناصر الطاعة ، وقد صار إليه الأمر ، وأمدّه بإليش ؛ فضيّق على إشبيلية ، وأقام بإقليم الشرف منها . ولما رأى ابن مسلمة ما لا يطيقه ، داخل الناصر لدين الله في مرّ من الأمر ، ومكّن الناصر من إشبيلية . ولما علم محمد ذلك ، أنكر كتم الأمر عنه ؛ فخالف الناصر ، وأغار على الأحواز القرطبية . وما زال الناصر يؤتسه ، ويتأثى له ، إلى أن أجابه إلى سكّنى قرطبة حضرته ، على أن يترك بقرمونة بلكه نائباً عنه ؛ فكان ذلك في رمضان من عام ٣٠١ . ووصل قرطبة في رجاله وقومه ؛ فأجرى الناصر عليه ، وقرّبه من نفسه ، وولّاه الوزارة متوّهاً به رفيع القدر ؛ وخرج للفرقة ؛ فأغزاه معه وزيراً . ثمّ امتنعت عليه قرمونة ؛ فحاصرها مع السلطان إلى أن طرقت في أمورها التهمة ؛ فعزل عن الوزارة وحبس . ثمّ أعتبه . ولم تطل مدته أن هلك في شوال سنة ٣٠٢ . وأنقضت أيام بني حجاج .

والتوّار في دَوْل بني أمية متعدّدون : شقيت بهم الملوك ، وتنقضت

بهم الخلفاء ، واضطروا إلى مسألتهم تارة ، ومُحاربتهم أخرى . وجعلوا رسم الوفاء لمن عاهدوه منهم سياسةً ، لولاها لجلَّ الخطبُ ، ولم يخلص الملكُ .

والسببُ في كثرة التوار بالأندلس يومئذٍ ثلاثة وجوه : الأول : منعةُ البلاد وحصانةُ المتعاقِل ، وبأسُ أهلها بمُحاربتهم عدوَّ الدين ؛ فهمُ شوكةٌ وحدهُ بخلاف سواهم ؛ والثاني علوُّ الهِمَم ، وشيوخُ الأنوف ، وقلةُ الاحتمال لثقل الطاعة ، إذ كان من يحصل بالأندلس من العربِّ والبوايرة أشرفاً يأنف بعضهم من الإذعان لبعضٍ ؛ والثالث : الاستناد ، عند الضيقة والاضطرار ، إلى الجبَل الأثَمِّ والمتعقِل الأعظم من مَلِكِ النصارى الحريص على ضَرْبِ المسلمين بَعْضَهُمْ بَعْضٌ . فكان الأمراءُ من بني أُمَيَّةَ يرون أنَّ اللجاج في أمورهم يؤدي إلى الأضلولة ، وفيها فسادُ الأموال ، وتعدُّرُ الجباية ، وتعرِيضُ الجيوش إلى الانتكاب وأولياء الدولة إلى القتل . ولا يقوم السرور بغلبةِ الثائر بما يوازنه من ترحه هذه الأمور . وسياسةُ التوار والناجين قد أكثر أربابُ السياسة القولَ فيها من الفُرس واليونان والشُرُك وغيرهم ، حسباً يَنبِيئُ في « كتاب رسالة الفلُك في سياسة المُلُك » إن شاء الله . فلا يزالون يسيغون في حسن التأنِّي لهم المرء ، ويتحملون المشاق .

وكان الأمير عبد الرحمن مبرزاً في ذلك مع معين البخت والإقبال ؛ فهادنَ طائفةً ، وارتعنَ أخرى ، واستنزل إلى حضرته أخرى ، وغلب بالسيف أخرى ؛ فاستأثر من بين قومه بالهدوء وخلو الجهات من المهرج ، ونهأ بحول الملك .

وهذا الكتابُ كتابُ 'لمع' وإشاراتٍ ، إن أطلَعْنَا فيها العِنان ، حَرَجْنَا عن الغَرَضِ .

ثمَّ إنَّ الله ابتلاه ومحبه بالوقعة الشهيرة التي أوقعه بها عدوُّ الله رُدْمِير ابن أَرْدُون ، يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خَلَّتْ من شوال سنة ٣٢٧ ، على باب مدينة سَنَات مَانَكش من بلاد الرُّوم ، بعد قتال أيام جالَتِ

فيه المُعَالبة بين الفريقين بأشدَّ ما يكون وأصعَبِه . وكانت للعدوِّ الكرَّةُ ؛ فانكشف المسلمون انكشافاً لم يسمع بمثله . وجرتِ الهزيمة على المسلمين طائفةً من جُنْدِ الناصر لدين الله حَسَدَتْهُ ما هيأ الله له من الصنع ، ولم تُنَاصِحْهُ في الحرب حقَّ النصيح ؛ فجالت ثانيةً للأعِنَّة ، واختلَّ مصافُ القتال . وألجأ العدوُّ المسلمين إلى حَنَدَقٍ بعيدٍ المهوي ، إليه تُنَسَّب الواقعة ؛ فنساقط فيه الناسُ حتى سَاوَوْا بين حافَتَيْهِ . وانكشف الناصِرُ ، وأسلم محلاته ؛ فاستولى عليها العدوُّ بما فيها من عُدَّةٍ وغير ذلك ؛ وضاع فيها مُصَحِّفُهُ ودِرْعُهُ ، وكان لا قيمةَ لهما ، إلى أن استردَّ ذلك فيما يأتي .

ولما خلس من المعركة ، وجَّه طائفةً من أنجاد خَدَمَتِهِ سبقت الناس إلى قرطبة ؛ فبشَّرت بسلامته ، وأُنقذت أَمْرُهُ باتخاذ الحَشَبِ والمصَالِبِ على خَصْفَةِ نهرها ؛ ولجِن وصوله ، تقبَّض على ما يناهزُ ثلاثمائة من الفُرسان ؛ فصلبهم ، وأمر بالنداء عليهم : « هذا جزاءُ من غَشَّ الإسلام ، وكاد أهله ، وأخَلَّ بمصافِ الجهاد ! » فرُفِعوا بها ، وبأذرتهم الرماح برأى من الناس ؛ ودخل إلى قصره . ومن لدن هذه الغزاة ، لم يُبَاثِر الغزو بنفسه . وصنع الله له بعدها من الوقائع على ملوك النصارى واكتساح بلادهم ما لم يصنعه لأحدٍ مِن قَبْلِهِ .

وتواتتْ عليه بعد ذلك المنوح ، وأذعنت الأعداءُ ، وقدمت عليه رُسُلُ الملوك بالعدوَّة العَرَبِيَّة من رَنَانة والأدارِسَة والقَيْرَوَان وجَزَائِر بني مَرْغَتَا . ووصل إليه رسولُ مَلِكِ القُسْطَنْطِينِيَّة العُظْمَى ، راغباً منه في إيقاع المُوَالفة . فقَعَدَ له المُتَعَدِّد الشهير ، الذي لم يَتَبَهَّأ مثله مَلِكٌ قَبْلَهُ ؛ فدخل الرسولُ عليه ، وقد بهت لهول ما عاينته ، ودفع إليه رسالته مُودَعَةً في كَدْرَج ذهبٍ كثيرٍ التِصاوِير ؛ وكان الكتابُ في رَقٍّ ساوي اللون مكتوباً بالذهب ، وعليه طابَعُ ذهبٍ ، في أحد وجهَيْهِ صورةُ المسيح ، وعلى الآخر صورةُ الملكِ 'قُسْطَنْطِين' .

وتعهد 'ملك' الناصر ، وعظم أمره ، وبلغت العاية مبانيه ؛ فزاد في المسجد الأعظم الزيادة الهائلة ، وبنى المنار الأعظم بقُرطبة ، وجعل في أعلى ذروته ثلاث رُمّانات تحطف الأبصار بالتباعد : أثنتان منها ذهب ، وواحدة فضة ، طوق كل رُمّانة فيها قطار من الذهب ، ودور إحداها ثلاثة أذرع ونصف .

وهو الذي ابنتي الزهراء : ابتدأ بناءها في أوّل سنة ٣٢٥ . وكان يضرب فيها من الصخر المنجور العريض الضخم كل يوم ستة آلاف صخرة ، سوى صخر التليط والتأسيس . وجلب إليها الرخام حتى من ثونس وقُرطاجنة وإفريقية ؛ وجلب إليها من سوارى الرخام أربعة آلاف وثلاثمائة سارية وأربعاً وعشرين سارية ؛ وجلب إليها من بلاد الروم على يد ربيع الأسقف حوضاً منقوشاً بالذهب ، يشغل هوئناً من مكان إلى مكان ، حتى وصل إلى البحر ، ورفّع منه إلى بلده : فكان عبدةً لمتأمله ؛ وجلب إليه أحمد ابن حزم حوضاً ثانياً منقوشاً ، فيه غائل لا قيمة له ، احتيل في اجتلابه من بلاد الشام ؛ فوضعه في بيت المتنام من المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ؛ وكان عليه اثنا عشر نقلاً من الذهب الأحمر المرصع بالدرّ النفيس العالي . وذكر المؤخّير أن قوت الحيتان في بركات قصوره بلغ في كل يوم اثني عشر ألف خبزة . وكانت هيئته في البناء طامعةً فوق هيئ الملوك .

وكانت جبايته مقسومة ثلاثة أقسام : قسم للجند ، وقسم للبناء ، وقسم مدّخر للضرائر .

وحكى صاحب طبقات القضاة : أن الناصر لدين الله اتخذ بسطح القبة المائلة على الصرح المؤنرد المشهور شأنه بالزهراء قراميداً مغطاة ذهباً وفضةً ، أنفق عليها مالا جسيماً ؛ وقرمده سقفها بها فاقعة إلى بيضاء ناصعة . تسلب الأبصار بطارح أنوارها المشعّشة . وجلس فيها ، إثر إتمامها ، لأهل

بملكته ؛ فقال لوزرائه وخاصته ، مفتخر بما صنعه ، وبما يتصل به من البدائع : « هل سمعتم أو رأيتم ملكاً كان قبلي فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه ؟ » فقالوا : « لا ، والله ، يا أمير المؤمنين ! وإنك لأوحد في شأنك كله ، وما سبقك إلى مبتدائك هذه ملك رأينا ولا انتهى إلينا خبره ! » فأهجه قولهم وسره جدّاً . وبينما هو كذلك ، تضحك أسارى وجهه ، إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجياً ناكساً ؛ فلما أخذ مجلسه ، قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره على إبداعه . قال : فاقبلت دموع القاضي تنحدر على لحينه ، وقال له : « والله يا أمير المؤمنين ! ما ظننت أن الشيطان - لعنه الله - يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أنك تمكثه من قيادك هذا التمكن ، مع ما آتاك الله وفضلك به على العالمين ، حتى يزل منازلك الكافرين ! » قال : فاقشعر عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وقال : « انظر ما تقول ! كيف أنزلني منازلكهم ؟ » فقال : « نعم ! أليس الله تعالى يقول : « وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، الْآيَةَ . قال : فوجم الناصر لدين الله ، ونكس رأسه ملياً ، ودموعه تنحدر على لحينه خشوعاً لله تعالى ، وتندمماً بما أجري إليه . ثم أقبل على منذر بن سعيد ، فقال : « جزاك الله عناً وعن نفسك خيراً ، وعن المسلمين والاسلام خيراً جزائه ، وكثر في الناس أمثالك ! فالذي قلنت هو الحق ! » وقام من مجلسه ذلك ، يستغفر الله ؛ وأمر بنقض سقف القبة ، وإعادة قراميدها ثراباً على غير تلك الصفة .

ثم طرق الناصر ما طرق جدّه ؛ فأنفذ قتل ولده عبد الله ، وقد بلغه أن جماعة من أهل قرطبة يبعوه بالخلافة ؛ وكان أهلاً لذلك فضلاً وعِلماً وبصراً بالفنون ؛ وذلك سنة ٣٣٨ . وكان الناصر شديد الجراءة على الدماء ، مرهوب السطوة ، ثقل العقاب والسخط . حدث ثمريطه أنه استدعى للتصريح ليلاً ؛ فأمره بضرب عنق جارية لا نظير لها في الدنيا ، وهي تسترحمه ، فلا يرحمها . قال : وسمعت السيف في عنقها صوتاً لم أعلم ما هو . فلما صممت

عليها النطع ، وخرجتُ بها إلى الحفرة ، أُلْقِيَتْ عَقْدًا قد سقط في النطع لا قيمة له في الدنيا ؛ ورجعتُ فَأَعْلَمْتُهُ ؛ فقال : « اذهبْ به فهو لك ! »

ومن آثاره التي ضربت بها الأمثال ، وقضيت منها العجائب ، حال الطراز ببابه لنسج ما يحتاج إليه من الخلع والكسى وملابس الحرم وغير ذلك ؛ فقد كان على عهدِه مدينة تشتمل على آلاف من الخلق ، قد انشجرت فيها المرافقُ والمساجدُ والحمامُ والسوقُ . ولو تلبَّغنا أصنافهم ، وما كانوا يجاولونه من صناعاتهم ، ويناغون به المشرق من بضائعهم ، ومقدار جراباتهم ونفقاتهم ، لضاق عنه الكتابُ .

وتوفي - رحمه الله - يوم الأربعاء لإثنتين خلعتنا من رمضان سنة ٣٥٠ . فكانت أيامُ ولايته خمسين سنة وستة أشهر وثلاثة أيام ، وعمره ثلاث وسبعون سنة . وقال ابن القزويني : « وُجِدَ في تأريخه بخط يده : أيامُ السرور التي صَفَتْ لي من غير تكدير يومٌ كذا من شهر كذا من سنة كذا ، وكُرِّرَ التأريخ ؛ فعُدَّتْ ؛ فكلُّ ما وُجِدَ منها أربعة عشر يوماً بطول خمسين سنة ونصف سنة . وكذا حال الدنيا لمن اعتبرها ، وموازينها لمن اختبرها .

ومن شعر كاتبه جعفر بن عثمان المصنفي في نديته : [الطويل]

ألا إنَّ أَيْاماً هَفَّتْ بِإِمَامِهَا لِجَاوِزَةٍ مُشْتَطَّةٍ فِي احْتِكَاكِهَا  
فَلَمْ يُؤْلِمِ الدُّنْيَا عِظَامُ مُطْوِيهَا وَأَحْدَاثُهَا إِلَّا قُلُوبَ عِظَامِهَا  
تَأْمَلُ فَهَلْ مِنْ طَالِعٍ غَيْرِ آفَلٍ لَهَا وَهَلْ مِنْ قَاعِدٍ لِقِيَامِهَا  
وَعَايِنْ فَهَلْ مِنْ عَائِشٍ يَرْضَا عِهَا مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَيِّتٌ يَغْطِيهَا  
كَأَنَّ نَفْسَ النَّاسِ كَانَتْ يَنْفُسِهِ فَلَمَّا تَوَارَى أَيْقَنْتُ بِجَمَامِهَا  
فَطَارَ بِهَا يَأْسُ الْأَمَى وَتَقَاصَرَتْ يَدُ الصَّبْرِ عَنْ أَعْوَالِهَا وَاحْتِدَامِهَا  
وكان عددُ الفتيان الصَّقالِبةِ بمدينة الزَّهراء حين وفاته ٣٧٥٠ ؛ وعدَدُ

النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمائة وخمسين ، يجري على الجميع اللحم والخبز والطيور والحيتان وغير ذلك من ضروريات المؤتمرات وضروريات الديار الجارية .

وقد عهد بالأمر بعده لولده الحكم ، وهو طفل صغير من ثمانين سنة أو نحوها ، بحيث لو هلك لثُصِبَ بعده مكانه ، حسب اقتضاه ما أخذه على الناس من العهد بذلك ، واقتضاه من الأئمان الغليظة المخرجة شأن من يأخذ العهد لولده من الملوك ، إلا أن عمره امتد إلى أن كان يوم تصيير الأمر إليه بعده في سنِّ الكهولة . فالحكم - رحمه الله - بهذا الاعتبار مُنَّ استشرطنا ذكره ثم بوبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام . وكفى بذلك ومجال ابنه المؤيد هشام بعده الابتساء لمن أراد الابتساء بذلك ، واختار الاقتداء به - رحمه الله عليهم أجمعين !

## دولة المستنصر بالله الحكم

ابن عبد الرحمن المستنصر لدين الله

بُويِعَ الحُكْمُ بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحُكْمِ بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بعد موت أبيه ، تجديدًا لعهدِه ، ثلاثَ خلونَ من شهر رمضان سنة ٣٥٠ . وكان - رحمه الله - عالماً فقيهاً بالمذاهب ، إماماً في معرفة الأنساب ، حافظاً للتاريخ ، جليلاً للكتب ، ميمراً للرجال من كل عالم وجيل ، وفي كل مضر وأوان ، تجرد لذلك ونهم به ؛ فكان فيه حجة وقودة وأصلاً يوقف عنده .

وفي أيامه ، سكنت الفتنة لتوطيد أبيه الدولة ، واستظهاره على الثوار بحسن السيرة وطول العمر ومساعدة الأيام . وفي أيامه ، ظهرت المجوسُ المجلبة على المسلمين من بحر الجوف ؛ فتحرك إلى المريّة ، وقد



حصروا حصن القبيطة من حصونها ؛ فأوقع بهم ، وأنشأ الأسطول لغزوم ؛ فكان عدده ستمائة جفن بين غزوي وغيره . وفي سنة ٣٥٢ ، غزا الروم ؛ ففتح مدناً جليلة .

وهو الذي بنى الزيادة بالمسجد الأعظم ، وزينه بالفسيفساء المجتلية من قبل ملك القسطنطينية مع الصنائع المحكمين لذلك ، محاذياً بفعله ما فعله الوليد بن عبد الملك بمسجد دمشق ؛ ففاق خدامه وماليكه في تعلم ذلك ، وبرعوا فيه ، إلى أن كمل ما أراداه . وورد عليه أرسال ملوك البلاد ، وجبايرة العباد . وألقت الاقطار إليه بالقاليد ، وجمعت بالطاعة . وورد عليه جعفر بن علي وأخوه يحيى ملك الراب ، الذي مدحه محمد بن هاني الشاعر بالقصيدة الشهيرة التي أولها : [ الطويل ]

أَلَيْسَتْنا إِذْ أُرْسِلَتْ وارداً وحفاً . وبتنا نرى الجوزاء في أذننا شفاً  
فاحتل لتلقيه ، وكان يوماً مشهوراً بالأندلس .

وفي سنة ٣٦٣ ، افتتح غالب ملوك مدينة البصرة من أحواز أصيلا ، وقفل إلى الحضرة ، وقد استول ملوك الأدارسة الحسنيتين .

وأخبار الحكم - رحمه الله - شهيرة ؛ وإليه انتهت الأبهة والجلالة ، والعلم والأصالة ، والآثار الباقية ، والحسنات الراقية .

وولد له هشام ابنه في حق الكبر ؛ فعظم استبشاره به وسروره به بهبه الله فيه . حدث عبادة بن عبد الله فيه قال : 'بشّر الخليفة الحكم يوماً في خلوته بأشغال جاريته صبح على حمل ؛ وكان جعفر بن عثمان المصحفي بين يديه ؛ فأشده بديهة : [ الوافر ]

هنبأ للإمام وللأنام كريم يستفيد على كرام  
مرجى للخلافة وهو مائة ومأمول لآمال كرام

أضاء على كريمته ضياءً فلم تعلم بغاشية الظلام  
ولم لا يستضاء بجانبها وبين ضلوعها بدر النام

قال : فولدت صبح من هذا الحمل هشام بن الحكم . واتفق أن حضر جعفر عند الخليفة ساعة أتاه البشير بولادته ؛ فقال في ذلك : [ خلع البسيط ]

أطلع البدر من سحابه واطرد السيف من قرابه  
وجاءنا وارث المعالي لبث الملك في نصابه  
بشرنا سيد البرايا بنعمة الله في كتابه  
فلو منحت البشير عمري لكان نورا لمن أتي به

وتوفي الحكم ليلة الأحد لأربع تلوون من صفر سنة ٣٦٦ ، وعمره نحو من ثلاث وستين سنة وسبعة أشهر .

### دولة هشام المؤيد بن الحكم

هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية .

ولما توفي الحكم المستنصر بالله ، بويع ولي كعهده هشام الملقب بالمؤيد بالله ، وبوالخلافة قد بلغت المنتهى ، وأدركت الجنى ، وبلغ طورها ، وانتهى دورها ؛ فكانت كرامة ، ثم زهرة بسامة ، ثم ثمرة بهية ، ثم فاكهة شهية . وكان بكرسي العامرية مجلاها ؛ ثم تلاها ما تلاها ، وأرخص الخطوط من أعلاها ؛ فكان المال قد ضاقت عنه خزائنه ، والمضر قد عظمت مزايده ومزائنه ، والمثلث تعوذ بالله أن لا يصيبه عائنه الذي يعابنه ، والمباقي قد بلغت السماء سموها ، وزاحمت الكواكب علوها ؛ والبلاد قد بلغ فيها إلى قاصي الاهتمام ، وفترعت بناتها من لبنات النام ؛ والآثار

الصالحة قد تخلّدت ، والمآثر الواضحة قد تعدّدت ، والأذهان في بسطة الإسلام قد تبلّدت ؛ ورسم الخلاف قد أضحى ، والدولة المروانية قد بركت وسط المرعى ، والدعوة قد انتشرت في المغرب الأقصى ؛ والمضرب قد خرج في العبارة عن المعتاد ، وظهور الرئي والوهاد ، متزاحماً بجيوش الجهاد ، والصنائع تجلّى ، والفتوحات من فوق المنابر تثلى ، والقرابة تضيق عن أعدادهم مجالس الملك ، ويقصر عن انتظام لآلهم الثبنة ذرع ذلك السلك .

ووقع الاتفاق على تعيين هشام للخلافة مع وجود الأعمام الكهول ، وبني الأعمام الفحول ، أسود الهياج وغيوث المحول ؛ وهشام يومئذ صبي صغير يناهز عشر سنين ، مع ضعف في الأصل ، وعدو في الحقل ، والكل على علم ، من أنه لم يبلغ الحشم .

حكى القاضي أبو الفضل عياض - رحمه الله - أن الحكم أباه ، لما وضع سريره للصلاة عليه ، قيل لجعفر بن عثمان : « من يضلّي على أمير المؤمنين ؟ » فقال : « ومن يضلّي عليه إلا أمير المؤمنين ولده ؟ » فتقدّم هشام ، وتقدّم خلفه بارزاً عن صف الناس القاضي أبو العباس بن دكوان ، ناوياً الإمامة لصغر هشام عن هذه الوظائف ؛ وخلفه يومئذ ، من أعلام مشيخة العلم والدين والشهرة والصلاح في الحق ، أمة لم يشتمل العراق عليها أيام احتفاله ، ووفور رجاله ، ما منهم إلا عالم بسنه ومولده ، ومحلّه من الاضطلاع بأمورهم والاستقلال بأعباء ما مخلوه . وأعطوه صفقات أيانهم من بيئته ؛ والقوم القوم لا يؤتون من جهل ، ولا يهدون إلى سلوك سبل . فتم ما أريد من ذلك . وأخذ على الناس العقود به أياماً تباعاً حتى كمل العرض ، وتم ذلك الواجب المفتروض .

وكان الناس يومئذ - لا بل وفي كل زمان - أربعة :

فصنّف همّة الدنيا التي ينالها بسبب الولد همّة بالغاً أو . أمياً . طعلاً في المسد أو جنباً في المنسية . وهم صنائع الحكم وخدّامه

وعُمّاله وفتيان ورجال به ؛ وكل في علاقة به ، ممن يحسب نفسه أجنبياً عن خليفة غيره ، إن لم يعدّ عدواً ، تطرق الظن إلى ماله ونفسه . وهذا الصنف بجبر زاهر ، وللحصى والفطر مكائر ؛ وينضاف إليه كل ذي علاقة قديمة سالفه أو حديثة ناشئة ، تنتسب إلى النائب عنه ، وهو مستكثر من الأولياء لضرورة ما تحمله والاستظهار على ما كحل فيه ؛ وهم أيضاً بجبر ثانٍ ، وهول لا يثنيه ثانٍ .

وصنف مرتقى من الديوان ، مشهور العناية والمكان ، أو مجهول الشأن ، راض بحظه من الزمان ، لا يتشوّف إلى المزيد ولا يجذر من النقصان ، قد تساوت في الدّول أحواله ، وسكنت إلى الرّزق والمفروض أماره ، فإن تعيّن الطفل أو الكهل ، لم تلحقه بإزاء هذا مربّة ، ولا فتقد لأجل هذا حالة سنيّة ، فهو هادئ ساكن ، وإلى فئة العافية راكن .

وصنف يؤمل أمراً ، ويشبّ إن قدّر جبراً ، ويرجو من القرابة الراجحة زيداً وعمرأ ، ومستحقّ بأسف لما خرج عن يده ، أو يعتقد الظلم فيمن عدل عنه إلى تحلّ ولده ، مستوحش بيخس حقه ، وجعده سبّقه ، ولا يعلم حال الدنيا فيمن ادّعى الاستحقاق ، وفرض الوفاق . وإن هذا قياس فضح الأول والآخير ، والغائب والحاضر ، وقطع الأعناق ، وسحت الأرزاق ، وأكسب النار ، وأعقب الحصار ؛ وما تلبّست الأيدي بشيء ، ولا حصلت إلا على ظيلّ وفتي ؛ وقد جرت بذلك الأمثال المضروبة والأقوال المشهورة ، كما قال قيس بن الملوّح ، وقد خسر على ليلى حتى عقّله ومسكّنه ، وذهب بها إلى رحله ، وتمتّع بها بما حرم : [الطويل]

فصّاهها لغدوم . ابناي برّاء . شيء غير ذاك ابتلايها

وقال الآخر :

رُبّ ساعٍ لقاعدٍ وأسلمي أمّ خالدٍ

لا بل ، سبحانه الله الذي يقول : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِيهِ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدَأُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . » ولا يعلم أن الحظوظ قد كُنَّتْ ، والأمور قد أُبرِمتْ ، والفلك قد سَجَرَ ، والقدر قد قَدَّرَ ، والنجوم قد أُمِرَّتْ ، والأحوال قد قُرِّرَتْ ، والموالي قد انشَبَتْ ، والغيوب قد أُهْبِطَتْ .

وهذا الصنف المتنازع المتنازع بين أن يَصْنُتَ فيوت بدائه ، أو يَجْهَرَ بالمنازعة فينتهي إلى قَدَرِ الله وقضائه . وكان في ذلك الوقت أضعف الأصناف ، لاستحكام الصبغة الحكيمية التي لا تباي بين تقادم . ولا تظن غير الحكم أو الناصر كان آدم ؛ فلم تَسْعِهِ يومئذ إلا المجاملة ، وجرت على الرضى المعاملة ، واستمع الدعاء والإطراء ، واعمل السكون والإراء !

وصنف من أهل الدنيا والآخرة ، قلَّدوا أهل الحل والعقد ، والقبول والرد اجتهادهم ؛ وسألوا الله توفيقهم وسدادهم ، واستكفوه الشرور التي تنال النفوس والأقوات ، وتسيء المجيا والمبات ؛ واعتبروا بمن رَأَسَ الأُمَّة المسلمية في أمهات البلدان ، من الفتيان والعلماء ، والطوائف والحضبان ، والأعجام التي تَخَاطَبُ بالترجمان ، والصبيبة والنسوان . وهم أشرف أوطانا ، وأعظم سلطانا ، وأوفر أعلاما ، وأغض إسلاما . ورأوا أن الله قد سدّ ثلهم بمن يحكم التليق ، ويلتس التوفيق ، وحسن المآب ، ويحكم السنة والكتاب . وأنه رَأَبُ الصّدْعِ برجل من أنفسهم يؤثر الثقوى ، ويدفع عن الجورة بالذراع الأقوى ،

١ سورة آل عمران : ٢٥ - ٢٦ .

إلى أن يستقل هشام بأمر الحكم ، ونفضي المذاهب إلى النهج الأمم . فحمدوا الله على حسن الكفاية واصطناع المنّة ، وإقامة رُحْمِ الكتاب والسنة ؛ فاغتبطوا ، واربتطوا ، ونشطوا ، وانبطوا ؛ وكلما زادت الأحوال صلاحاً ، شكروا ، واعتبروا ، وذكروا ، واستصبروا . وهم جمهور الناس من الفقهاء والعلماء ، والخاصة والديهاء . فلم تَسْعَ عن أحد منهم هجرة أعملها ، ولا فتيا سوّغت الخلاف لمن سألها ؛ ولم يستجيزوا ذريعة تؤدّي إلى سفك الدماء ، وتغيير النعماء ، وشيات الأعداء ؛ فصانوا أدبانهم ، وعرفوا زمانهم ، واقتصروا على رسول الله في الإرشاد ، وإلهام السداد .

وصنف غارم ، لا هم له إلا فيمن يَحْتَفُفْ أضربه ، أو يبدل باليسر عسره . وأما هؤلاء ، فأوابش أسواق ، وحقق ما لهم من أخلاق ؛ ففتح الله على الجميع في هذه الأيام المشامية العارضة أبواب النعم والمنوح ، وجلا صور الفتوح ، والنصر المتوح ، شملت إحكام التمهيد ، وكنتف الخلق واقية كواقية الوليد ؛ وتلأوا العافية التي غبطتهم فيها أهل الأرض بما رحبت خمساً وثلاثين سنة ، مدّة الكفالة العارضة ؛ وتغلب على الأمر رجال ، زعموا أن لهم في السداد بجال ، يرون مروان بن الحكم عجوزاً من عجائر البيت ، وعبد الملك ابنه في حليتهم بمنزلة السكيت ؛ فسام الناس كهرتهم سوم العذاب ، وأخذتهم الرجفات من كل باب ، وتقطعت بالإسلام الأسباب ، وذُهِبَت الأموال ، وتغيّرت الأحوال ، وسفكت الدماء ، وكتب الجلاء ، وطوّت عبارة الإسلام الأعداء ، ليعلموا أن الخير والخيرة إنما هي لمن بيده ملكوت الأرض والسماء ، ومقاليد السراء والضراء ؛ وصاروا يُعَلِّلون باستخلاف خصي من فتيان آل عامر ملازماً للسكر ، محبوباً للأئمة والذكور ؛ فيقتنعون به إماماً ، ويجهرون جماً في طريقه سلاماً ، ويقف أعلامهم ببابه خداماً : وهذا يُقرَّرُ ذماماً ، وهذا يستنظر سخباً جهاماً ، من كل منكوس الجِدِّ ، مجهول الأب والجَدِّ ،

أَشْوَسَ اللَّحْظُ ، أَعْجَمِيَ اللَّفْظُ ؛ لَأَذُوا مِنْهُمْ بِأَذْيَالِ لَيْبٍ وَزُهَيْرِ وَفَائِقِ  
وَوَاضِحِ ، يَشْمُونُ عَلَيْهِمْ رَاغَةَ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَسْتَظِلُّونَ أَيَّامَ  
النَّضْرِ ، وَإِقَامَةَ رِسْمِ الْقَصْرِ ، وَأَوْقَاتِ الْعَافِيَةِ الَّتِي سَمَّيْتُ عَنْ الْحَضَرِ .  
اللَّهُمَّ ! لَا تَوَاضِعْنَا بِبَطْرِ الْعَافِيَةِ الَّتِي مَدَّتْ ظِلَالَهَا ، وَسَوَّغَتْ زِلَالَهَا !  
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ !

وَصِنْفُ هَذِهِ الْآخِرَةِ ، بَعِيدٌ مِنْ تَعْرِيجٍ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا ، لَا  
يَنْكَلِمُ فِي مِثْلِ هَذَا ، وَلَا يُنْكَلِمُ مَعَهُ ، وَلَا يَفْتَحُ فِيهِ بَابًا ؛ لِأَنَّهُ هُوَ  
مَشْغُولٌ بِرَبِّهِ خَاصَّةً . وَهَذَا جِيلٌ قَلِيلٌ ؛ وَلِأَنَّهُ ذَكَرَ مُرَاعَاةً لِلتَّقْسِيمِ .  
وَلَا تَخْلُو الْأَفْطَارُ مِنْهُمْ ؛ فَهُمْ بَرَكَاتُ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَوَلِيَاؤُهُ مِنْهُمْ .

\*\*\*

عَنْ ابْنِ حَيَّانَ فِي التَّوَسُّلِ النَّعِيمِيَّةِ : رَأَيْتُ ابْنَ إِسْحَاقَ بْنِ إِسْحَاقَ بَصْرِيًّا  
صَبِيحَةَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ بَعْدَهُ ، لَثَلَاثَ سَلَوَاتٍ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ ٣٦٦ . وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
الْبَيْعَةِ ؛ فَاسْتَوْسَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَخْتَلَفْ فِيهَا مِنْهُمْ إِثْنَانٌ . وَاتَّصَلَ أَخْذُهَا عَلَى  
النَّاسِ أَيَّامًا ، وَكُتِبَ بِهَا إِلَى الْأَفْطَارِ ؛ فَلَمْ يَرُدَّهَا أَحَدٌ .

وَكَانَ عَلَى عَهْدِ بَيْعَةِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ مِنَ الْأَعْلَامِ هَضَابٌ رَاسِيَةٌ ،  
وَبَحَارٌ فِي الْعِلْمِ زَاخِرَةٌ ، وَأَعْلَامٌ قَوْلُهُمْ مَسْبُوعٌ ، وَبِرُّهُمْ مَشْرُوعٌ ، وَأَثَرُهُمْ  
مَتَّبَعٌ ، مِثْلُ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي بَكْرٍ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زُرَّابٍ ، وَحَسْبُكَ بِهِ  
شَهْرَةٌ وَجَلَالَةٌ ؛

وَالْقَاضِي أَبُو الْمُطَرِّفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى بْنِ فُطَيْسٍ ، قَاضِي  
الْقَضَاءِ بِقَرْطَبَةِ ؛

وَالْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ السَّلِيمِ ، قَاضِي الْقَضَاءِ عَلَى عَهْدِ الْحَكَمِ  
وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ وَلَدِهِ ؛

وَالْقَاضِي أَبِي عَلِيٍّ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ ذَكْوَانَ ؛

وَالْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ يَبْقَى بْنِ زُرَّابٍ ، قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقَرْطَبَةِ ؛  
وَالْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَحْيَى زَكْرِيَاءُ بْنُ بُرْطَالٍ ؛

وَالْقَاضِي الْجَمَاعَةِ سِرَاجُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِرَاجٍ ؛

وَالْقَاضِي الْقَضَاءِ الرَّئِيسُ الْجَلِيلُ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى الْوُزَرَاءِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ  
اللَّهِ بْنِ هَرْمَةَ بْنِ ذَكْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ دُوسٍ بْنِ ذَكْوَانَ الْأَمْوِيِّ ،  
وَكَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْمَوَادَّةِ : ذَكَرُوا أَنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا اتَّخَذَ مَسْجِدَ الْحُطْبَةِ  
بِالزَّاهِرَةِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى الصَّلَاةِ فِيهِ ، لَمْ يُصَلِّ مَعَهُ ابْنُ ذَكْوَانَ فِيهِ مَدَّةً  
أَيَّامَهُ مُرَاعَاةً لِلْخِلَافِ ؛

وَالْقَاضِي الْقَضَاءِ أَبِي بَكْرٍ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَافِدٍ . قَالَ ابْنُ حَيَّانَ :  
كَانَ أَحَدَ كِبَالِ الْقَضَاءِ بِالْأَنْدَلُسِ هَذِيحًا وَعِلْمًا وَرَجَاحَةً ؛

وَأَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذَكْوَانَ ؛

وَأَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقَلَالِيِّ ، لَهُ تَوَالِيفُ  
جَلِيلَةٌ ، سَمِعَ قِرَاءَةَ ابْنِ مُحَمَّدٍ وَحَمَّاسُ بْنُ مَرْوَانَ وَالْمَعَانِي ، وَلَهُ كِتَابُ  
جَلِيلٌ فِي الْإِمَامَةِ ، وَلَهُ بَلَاغَةٌ وَشِعْرٌ وَفُضُولٌ وَتَوَادُّرٌ ؛  
وَالْقَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ السَّلِيمِ . قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَّاضُ : نَالَ  
رِيَاسَةَ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ؛

وَأَخِيهِ مُنْذِرُ بْنُ إِسْحَاقَ أَبِي الْحَكَمِ ، قَدَّمَ لِلشُّورَى بِقَرْطَبَةِ ؛

وَعُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَوْسُفَ أَبِي مَرْوَانَ الْمُعْتِظِي ،  
سَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغٍ ، وَالْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ ، وَأَحْمَدَ بْنِ عُبَادَةَ ؛  
وَسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي ثَوْبٍ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ بَلْكَشَائِشِ الْقَوَاطِي أَبِي أَبِي ثَوْبٍ ، سَمِعَ  
مِنْ ابْنِ ثَابِتٍ وَغَيْرِهِ ؛

وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هُذَيْلٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّيْمِيِّ أَبِي مَرْوَانَ ، سَمِعَ مِنْ  
أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ ، وَابْنِ أَصْبَغٍ . قَالَ ابْنُ عَقِيْفٍ : كَانَ وَاحِدَ عَصَرِهِ ؛  
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّحَّالِ ، مِنْ بَيْتِ النَّبَاهَةِ

والوزارة بقرطبة ؛

وأبي بكر بن القوطية الإمام المصنف ؛

وإسماعيل بن إسحاق بن إبراهيم القيسي المصري بن الطحان ، اختصر

« المدونة » وكان من كبار العلماء ؛

وأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن القيسي ، سمع وهباً وأبا علي النابلي

وأفنى بجامع الزهراء ؛

وعبد الله بن محمد بن عبد البرّ الثميري ، والد أبي عمر بن عبد البرّ ،

من أصحاب ابن مجاعة الإليوي ؛

وعبد الله بن محمد الصائوني المعروف بابن بركة ، ولي الشورى بقرطبة ؛

ومحمد بن عبد العزيز بن يحيى . قال : كان من أفضل أهل زمانه ، وله

تأليف حسن ؛

وأبي عمر أحمد بن عيسى بن المكرم الغافقي ، وأخيه أبي عثمان سعيد بن

عيسى ، سمع قاسم بن أصبغ ؛ وكان من أصحاب الرأي والتصرف والحفظ ؛

وأحمد بن محمد بن زكرياء بن الوليد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن زيد

ابن ميكايل ، مولى عبد العزيز بن مروان ، الرضاقي القرطبي ؛

وأحمد بن قزلمان أبو عمر من العباد المتبتلين ؛

والقاضي محمد بن يحيى بن زكرياء التميمي ، سمع بقرطبة من ابن خالد

وقاسم بن أصبغ وابن رفاعة وابن دحيم ؛

وإبراهيم بن أحمد بن فتح ، المعروف بابن الحداد القرطبي ، روى عن ابن

أشمن وابن مسعود ؛

ومحمد بن الحاج بن عبد الرحمن بن علقه ؛

وأحمد بن محمد بن يوسف المعافري القشيطي ، سمع أبا عيسى

والداينوري ؛

وسعيد بن حمدون بن محمد القيسي أبي عثمان ، سمع ابن أصبغ وابن

الشامة وابن حزم وابن مطرف ؛

وخطاب بن مسلمة بن محمد بن سعيد بن بئري الإيادي ، سمع ابن لثابة

وابن أصبغ ، وحج ، فلقني ابن الأعرابي والنحاس ؛

ومسلمة بن محمد بن مسلمة أبي محمد الزاهد ، سمع بمكة من الأجري

وغيره ؛

وعتاب بن هارون بن عتاب بن بيشر بن عبد الرحيم بن بيشر بن الحارث

ابن سهل بن أيوب ، سمع بمكة من ابن الأنطاطي والطوسي والخزاعي ؛

وسعيد بن مرشد العكسي أبي عثمان الشذوني ، سمع وهب بن مسرة ،

وشور مع أصحابه ؛

وعثمان بن سعيد بن البشير بن غالب اللخمي الشذوني ، سمع ابن لثابة

وابن خالد وعمر بن محمد بن إبراهيم بن الرافعي الأبهري ، وروى

« الإشراف » عن مؤلفه ابن المنذر ؛ وكان من أهل العلم والعمل ؛

وأحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن فيهر بن الإمام أبي بكر ؛

وعبد الله بن محمد بن أزهر بن حريث بن قيس بن أيوب بن جبير

الإسنيجي ؛

وأحمد بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم الأسنيجي ؛

ومحمد بن عبد الله بن القاسم الإسنيجي ، سمع ابن لثابة وابن خالد

وابن أصبغ ؛

وعبد الله بن عبد الواث بن منبيل الطلطي ؛

وأبي تمام غالب بن عبد الله بن تمام بن غالب المعافري الطلطي ؛

وعبد الله بن فتش بن فرج بن معروف الحوير الطلطي ، سمع من

ابن الوزد والسكري وابن أبي الموت ؛

وعبد الله بن محمد بن علي بن سريعة بن رفاعة المعروف بالباجي ؛

ومحمد بن عبد الله بن سنيبة الإسنيبي ؛

ومحمد بن حسن بن عبد الله بن مَدْحَج الزُّبَيْدِي أَبِي بَكْر . قال ابن  
حيَّان : لم يكن له نظيرٌ بالأندلس ؛  
ومحمد بن شَرَحْبِيل أَبِي زَكْرِيَّا الْبَلَنْسِي ، له كتاب في تَوْجِيهِ حَدِيثِ  
« الْمُوطَّأ » ؛  
وإدريس بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن خالد ،  
كان حافظاً زاهداً ؛  
وعيسى بن العلاء أَبِي الْأَصْبَغِ التُّدْمِيُّ ، من أهل الْفَتْيَا بِمَحَلَّة ؛  
ومحمد بن عيسى بن حَسَن بن أَبِي أَسْعَد بن سَيِّد الدار ؛  
وعبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر أَبِي مُحَمَّد الْأَمِيلِي ،  
انتهت إليه الرياسة ببلده ؛  
وَأَصْبَغ بن الفرج بن الفارس الطائي أَبِي الْقَاسِم ، أَحَدُ أَكْبَرِ الْمُفْتِينَ  
بقرطبة ؛  
وعبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن صَاعِد أَبِي الْمُطَرِّف ، سمع الحواري  
وابن جَهْظَم وابن رَشِيق وَهَدَّام للشورى ؛  
وَأَبِي الْعَاصِي أُمَيَّة بن أحمد بن حمزة ، ولي الشرط والأحكام وأقضى ؛  
ومحمد بن أحمد بن محمد بن قَادِم بن زَيْد القرطبي ، سمع من قاسم بن  
أَصْبَغ وابن حمدان والصَّوَّاف وغيرهم ببغداد ؛  
وأحمد بن محمد بن عبد الله بن هَانِي الْعَطَّار ، عُرِفَ بِابْنِ اللَّسَّابِ أَبِي  
عمر ، سمع قاسم بن أَصْبَغ ؛  
ومحمد بن إدريس بن محمد القرطبي ، سمع القاضي المرواني بالمدينة  
والخزاعي بمكة ؛  
وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى بن أَبِي زَمَنِينِ الْمُرِّي ، سمع  
من وَهْب بن مَسْرَّة وابن المشاط وابن عيسى وابن فحلون وابن حَزْم ؛  
وَأَبِي عمر محمد بن يحيى بن سعيد بن الْحَدِيدِي الطُّنْجِي ؛

وَأَبِي موسى بن أَبِي الْحَزْم بن جَهْوَرِ الْمَرْشَاقِي ؛  
وَأَبِي بَكْر محمد بن وَهْب التَّجِيي الحِصَارِ المعروف بِابْنِ الْقَبْرِي الْقُرْطُبِي ،  
أخذ عن ثابت وابن قَطَن وأحمد بن هلال والباجي ، وصحب أبا محمد بن  
أبي زيد ؛  
وَأَبِي عَثَانَ سعيد بن مُحْسِن ، تَقَلَّدَ الشورى بقرطبة ؛  
وَأَبِي إِسْحَاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الْحَضْرَمِي المعروف بِابْنِ الشَّرْقِي  
من الأئمة في الرواية ، ولي الصلاة والخطبة بجامع قرطبة ، وسمع ابن حَزْم  
وابن مُطَرِّف ؛  
وأحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الْكَلَاعِي أَبِي عمرو ، سمع من ابن  
عيسى وَمَسْلَمَة بن محمد ؛  
وأحمد بن سعيد بن محمد بن يَشْر بن الحصار القرطبي أَبِي الْعَبَّاس ؛  
وأحمد بن عبد الله بن الحسن أَبِي عمر القرطبي ، سمع قاسم بن أَصْبَغ وغيره ؛  
وَوَهْب بن محمد بن محمود بن إِسْمَاعِيل بن عبد الله بن يحيى الْأُمَوِي أَبِي  
الْحَزْم ، سمع من قاسم بن أَصْبَغ وَهْب بن مَسْرَّة وغيرهما ؛ وكان من  
أهل الرأي والشورى ؛  
وَأَبِي الْمُطَرِّف عبد الرحمن الرَّعْنِي ابن المشاط القرطبي ، ولي الشورى ؛  
وأحمد بن علي بن أحمد الْمُفْرِيء أَبِي الْعَبَّاسِ الْبَغْدَادِي . قال ابن حيَّان :  
كان ربانياً في علوم الإسلام ، لم يخلف بعده أحد يعرفه في علوم القرآن ؛  
وعبد الرحمن بن أحمد بن سعيد الْبَكْرِي المعروف بِابْنِ عَجَب ؛  
وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَن بن حيَّ بن عبد الملك بن حيَّ التَّجِيي ، سمع الأجرى  
وَتَقَدَّمَ للشورى ؛  
وعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الشرجالي ؛  
وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد الصَّابُونِي بن بَرَكَة من أهل الشورى ؛  
وعيسى بن العلاء التُّدْمِيُّ ؛

وأبي عبد الله محمد بن قاسم بن الجبالطي ، من القراء ، ولي الصلاة والخطبة بقرطبة ؛  
ويوسف بن محمد بن عمر بن يوسف ، سمع من أصبغ ومحمد بن أبي دهم وابن الأحمر ؛  
وأبي عمر أحمد بن عبد الله الباجي أبي محمد الإشبيلي ؛  
وسعيد بن عبد الملك الجندامي الإشبيلي أبي عثمان المعروف بابن الملاح ؛  
وسعيد بن موسى بن مهص الغساني ، لقي الأبهري ؛  
وأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني الطليطي ، سمع ابن الرزاد وابن السكن ؛  
وأبي عبد الله محمد بن عيسى المروزي الطليطي ، الرجل ذي الشجاعة والعلم والعفة ؛  
وأبي حفص عمر بن عباد الرعيني ؛  
وأحمد بن عبد الله بن محمد بن عروس المروزي الحضرمي ، ولي الوزارة ؛  
ومحمد بن يعيش بن منذر الأسدي ، صدّر بلده على عهده ؛  
وأبي الحزم خلك بن عيسى بن سعد الخير بن أبي درهم الرشتي الفقيه ؛  
وأبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بابن الفخار الحافظ إمام المالكية بقرطبة ؛  
وأبي بكر عبد الرحمن بن أحمد بن محمد التيجي ابن حرييل القرطبي ، سمع مطرفاً وابن الأحمر وابن السليم وابن حارث ؛  
وأبي المطرف عبد الرحمن بن هارون المعروف بابن القناري ، سمع ابن يشر وابن القوطي ، وثقفه بابن المكوي والأصيلي ؛  
وأحمد بن يحيى بن حكيم العاملي ابن اللباق القرطبي ، قاضي طليطلة ؛  
وأبي سعيد عمر بن عبد ربه المتعفري القرطبي مختصر الدلائل ؛

وأبي محمد بن الشاق ؛  
وعبد الله بن سعيد بن محمد القرطبي ، شيخ المفتين في وقته ؛  
وأبي محمد عبد الله بن يحيى بن كحون ، أحد جلة شيوخ المفتين بقرطبة ؛  
وأبي محمد حماد بن عثمان الزاهد ؛  
وأبي القاسم يحيى بن عمر بن حسين بن نبيل القرطبي ، آخر من حمل عن أصبغ ؛  
وأبي عبد الله بن يحيى بن محمد ابن الحذاء ، سمع من أبي كاسم والأنطاكي وغيرهما ، وألف شرحاً على « الموطأ » ؛  
وأبي عامر أحمد بن عفيف القرطبي ، سمع من ابن زرب وابن السليم والقاضي ابن المطرف بن الحصار ؛  
وأبي عبد الله محمد بن هشام بن عبد الرؤوف الأنصاري الحمودي حاكم قرطبة ؛  
والليث بن حريش أبي الوليد المفتي ؛  
وأبي محمد مكثي بن أبي طالب ، نزيل قرطبة ، إمام القرآن في وقته ؛  
وأبي أيوب بن ربيع الكلبي ؛  
وقاضي القضاة أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصغار ؛  
وأبي المطرف عبد الرحمن بن سعيد بن جرج ، من أهل الشورى ؛  
وأبي القاسم بن مختار ؛  
وأبي محمد مروان بن عبد الملك بن الأصبغ ، وابنه عبد المهين ؛  
وأبي عمرو أحمد بن إبراهيم بن أبي سفيان الغافقي ؛  
وعبد الرحمن بن أحمد بن نصر بن خالد أبي المطرف من أهل الشورى بقرطبة ؛  
وأبي القاسم خلف بن البناء الأثمي ؛  
وحمام بن أحمد بن عبد الله بن حماد ؛

وخلّف بن مروان الصّخري ؛  
وأبي محمد بن قنيد القرطي ؛  
وعبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي ، من بيوتات الشرف والعلم  
بقرطبة ؛  
وأحمد بن عمر بن عبد الله بن منططور الحضرمي المعروف بابن خفيف ؛  
وأحمد بن محمد بن عبد الله أبي عمر الطليطلي ؛  
والقاضي أبي الوليد إسماعيل بن عبّاد اللخمي ؛  
وأبي بكر زهر الإيادي ؛  
وأبي الوليد بن مقبل ؛  
وهاشم بن يحيى بن حجاج . قال ابن الحذاء : ما رأيت أتم ورعاً منه ؛  
وأبي القاسم المهلب بن أحمد بن أبي صفرة التميمي ؛  
وأبي محمد بن أبان الأموي جاور بكّة بضعاً وثلاثين سنة وسمع الشجري  
وابن فiras وغيرهما ؛  
وأبي العباس أحمد بن أيوب بن أبي الربيع ، من أهل النيرة وسكن  
قرطبة ، ومن شيوخه ابن أبي زمرتين وأبو الحسن القايسي ؛  
وأبي بكر يعّيش بن محمد بن يعّيش بن منذر الأسدي الطليطلي ؛  
وأبي عمرو صعود بن داود بن كلّثات ، لقي ابن عبّاد وغيره ؛  
وأبي عمر أحمد بن حسين القاضي الدّاني ؛  
وسعيد بن سهل الثّرقي ؛  
وأبي بكر عبد الله القرطبي التميمي القرطي ؛  
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الناجي الإشبيلي ؛  
وخلّف بن سعيد بن أحمد بن محمد الأزدي ؛  
وأبي بكر محمد بن مغيرة بن عبد الملك بن مغيرة بن معاوية الإشبيلي ؛  
وأبي بكر محمد بن قاضي القضاة أبي العباس بن دكوان ؛

وأبي المطرف عبد الرحمن بن مختار القرطي ؛  
وأبي الحسن مختار بن عبد الرحمن القرطي ؛  
وأبي عمر بن عبد الرحمن القرطاجي ؛  
والقاضي الشهير أبي الوليد الباجي صاحب « التمهيد والاستدكار » وغير ذلك ،  
وأبي عبد الله بن عتاب الفقيه المشهور ؛  
والقاضي أبي زيد بن الحشّاء ؛  
وأبي عيسى يحيى بن عبد الله اللّثمي ، سمع ابن عمّ أبيه ، وابن لّبابية ،  
وأسلم بن عبد العزيز ؛  
ومحمد بن عبّدون بن محمد بن فهد ، روى عن ابن وضّاح جدّه .

\*\*\*

وهذه نبذةٌ بسيرة من كان على عهد أخذ البيعة لهشام في حياة أبيه، ثم  
بعدها، وهو إذ ذاك صبي صغير، بإجماع من المؤرخين؛ وأكثرهم من  
أهل قرطبة، وبعض أعلام بمن شأنه الوفاة بعهد بلده؛ وكلهم من أصحاب  
إمام دار الهجرة مالك بن أنس - رضي الله عنه . ذكرهم أبو الفضل عيّاض  
في « مداركه » واستوفى أوصافهم . وجلبنا ذكرهم ليجد فيهم أسوة  
من بامرٍ مثل ما بامرؤهُ في زماننا، إن احتاج إلى ذلك، واختاره، وأرادَه،  
كما عدّنا جملة من بويع قبل الاحتلام، ليتأسى بها من جنح إلى مثل  
ذلك، مع أن ذكر هؤلاء الفضلاء في هذا المحلّ بما أشار به الأكبر  
بتقييده - أعزّه الله بعزّ طاعته، وتولّى توفيقه بفضله !  
ولقد رجّح الظنّ باستبصارهم في صحّة هذه البيعة ما كان من انعقاد  
الفتن في قضّة عبد الملك بن منذر صاحب الرّدة من خدام الخلافة وطائفة  
من أصحابه، وقد ذكر عنهم الشروع في خلّع هشام وعقد البيعة  
لعبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر، لما أجزّوه تجرّى المحاربين، وجعلوا  
لهشام خليفتهم التخيير فيه، حسباً تقرّر ذلك في موضعه . فاستقرّ الأمر



هشام ، يكتنفه الحاجب المنصور أسعد أهل الأندلس مولداً ، وأشهرهم بأساً ونسباً ، وأبعدهم في حسن الذكر مداً ، الحازم العازم ، العظيم السياسة ، الشديد الصلابة ، القوي المنة ، الثبت الموقف ، معود الإقبال ومبلغ الآمال ، الذي صيبت له ألفت الحفة في الأزمان ، واطرد له النصر العزيز في نحو سبع وخمسين من الغزوات ؛ ولم تفارقته السعادة حالتي الحيا والمات . وكان هو وبنوه سترأ على هشام ورعيته ؛ فلما زال لم تستتر لهم غيرة ، ولا عذمت ثورة ، ولا فطحت للكروب ولا للحروب فتوة . فأتهيت كل يد ما ملكت ، وفشتت الرعايا وهلكت . وانشقت العصا ، وضرب طافية الرؤم بن أطاع وجهه من عصا ؛ وصار كعلم الصبيان في المكاتب ، إذ قعدوا فوق المراتب ، يعرض الحرج ، ويصوب الفرج ، ويكلف الصعب ، وينشئ الرغب ، وينفذ الهول ، ويضيق القول ، ويسمع الوعيد المسوع ، ويطلق الجنوع . ويضم الأقطار بكاشي يديه ؛ فلا من يدفعه ، ولا من يعترض عليه . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

ولما كان هشام مندرجاً في طي كافلة الحاجب المنصور - رحمه الله - بحيث لا ينسب إليه تدبير ، ولا يرجع إليه من الأمور قليل ولا كثير ، إذ كان في نفسه وأصل تركيبه مضطرباً مشغولاً بالزهاد ، ولعب الصبيان والبنات ، وفي الكبر بمجالسة النساء ، ومحادثة الإماء ، يحرص برغمه على اكتساب البركات ، والآلات المنسوبات : فكم ألفي بجزائه من ألواح منسوبة إلى سفينة نوح ، ومن قرون منسوبة إلى كبش إسحاق ، ومن حوافر منسوبة إلى حمار عزيز ، ومن خفاف منسوبة إلى ناقة صالح ، لم يسترب في تعددها ، ولا فكر في مقدار ما يحتاجه الحيوان منها ، إلى مصلكات منسوبة لعباد ، وأواني وضوء متوارثة عن زهاد : بذل في ذلك من الأموال ما يزن أضعاف أوزانها ، وهي مجلبة من المجازر والمعاطي ،

ملثقة من أبيدي المخابث .

وجب أن نلثم بأحوال الدولة منسوبة إلى المنصور ملك الأندلس وأكثر العدو على الحقيقة ، السالك من الحزم على أقوم الطريقة .

### أيام المنصور محمد بن أبي عامر

هو محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري ؛ دخل جدّه عبد الملك مع طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، وتزل بالجزيرة ؛ فساد أهلها ؛ وخدم منهم محمد أبو عامر ابن الوليد ، وابنه عامر في دول الأموية . وكان أبو الحاجب المنصور من أهل الفضل والإنقباض ، حجّ وقفل إلى المغرب ؛ فتوفي بإطربا بلس المتغرب . ونشأ محمد ابنه ظاهر النجابة ، معتمداً نحولاً في الفضل والنباهة ، تنقّس فيه محابيل الرياسة ، ولا يزال يحبّر بذلك عن نفسه ، حسباً هو مشهور . ثم اتصل بالحكم ، وولي له أعمالاً من قضاء وأمانة ، نقله عن طورينها ( وقد بهر مضاؤه ) إلى طور الحدمة والمباشرة والإنتظام في أصحاب السلطان .

وما ينقل عنه من « الذخيرة » قوله : وقد نفل عن نسط الفقهاء والقضاة إلى شتّواص الدولة ؛ ووجه الحدمة قد قطعت الزئثار ونبتت الرهبانية ؛ وترشع إلى وكالة ولي العهد هشام سنة ٣٥٩ ؛ ثم أضاف الحكم له الخزانة ؛ ثم قدمه إلى خطّة الموارث ؛ ثم استقضاء على كئور إشبيلية ؛ ثم رقّاء إلى الشرطة الوسطى ؛ ثم قدمه إلى الأمانات بالعدوة ؛ ثم أضاف إليه النظر في الحشم آخر أيامه . وتنقّل للسيدة أم هشام بما استهواها به من الحدمة والإنخاف والمهاداة ؛ بلغ في ذلك ما لا يهتدى إليه من قصور الفضة والابتها . وصحب لذلك الوقت خواص العسكر ،

واصطنع أهل الحصوية، فبا من يومٍ إلا ويرتقي منزلةً أو يستزيد أثره .  
ولما توفي الخليفة، تقلد حجاباً هشام بعده جعفر بن عثمان المصعفي؛  
وأنهض في اليوم بعينه أبو عامر للوزارة، وتعين بسبب الدالة على السدة  
أم هشام رسولاً فيما بين ولدها وبين الحاجب المذكور؛ فتأكدت المداخلة.  
ولم يكن إلا أن شاع خبر مهلك الحكم، فانتفض الطاغية، وشاع  
كلبه على البلاد؛ فاضطرب الأمر، واستغاث أهل الثغور؛ وكبر  
الأمر على جعفر، وندب الوزراء للذب على الثغور؛ فقصروا عن ذلك،  
وانقبضوا منه. وأشار بعضهم بإزالة الجسر المتخذ على وادي أنه بين  
العدو وجنهور البلاد؛ فأيف لذلك محمد بن أبي عامر، وانتدب للقيام  
بالجهاد، وبرع به، وكفى السلطان مهيشه، وشرع في الحركة، واختار  
الرجال العدة؛ وخرج أول رجب سنة ٣٦٦؛ فنازل حصن الحامة من  
عمل حليقة وحاصره، وفتح ربضه، وقتل غانماً إلى قرطبة عن خمسين  
يوماً. فعظم السرور والتيسر بحركته. ونال الجند من سعة درعه  
وكرم لقائه وحسن عشرته وبدخ مائدته ما أحبوه له، وانقبطوا به من  
أجله؛ ولما وشت عروقه، ناصب جعفرًا، وابتز عزه؛ فما زال يدفعه  
عن مرتبة، ويستأثر بها دونه، إلى أن أسقطه سقطة لم يستقلها غيره.

واستظهر محمد على المصعفي بشت نظام العبيد السنية المستعربين  
بما خلف حجاب القصر؛ وكانوا ينفون الألف، فيهم الأكابر المستون  
بالخلفاء زهاء عشرين فتى، يجرّون دنيا الملوك العظام؛ يتقدم الجماعة  
فائق وجوزر؛ وتبع هؤلاء طوائف من الحجريّة والفحول. وكان  
عرض رؤساء الصقالبة العدول عن الولد هشام إلى من يظلم بالأمر من  
القرابة ولهم الحكم في ذلك. وجرت معهم فيه محاوراة ألقت في نفس  
الحاجب المصعفي بئاً؛ فجاءه ابن أبي عامر باب هواه في حسم دأبهم؛  
فألفاه شديداً الانحطاط في ذلك الشعب؛ فأشير على جملة من معتبريهم

المنافسين لعلبتهم بالرفع على أكابرهم، وإعلان الشكوى بهم. فلما اتحل  
ذلك على يد جعفر المصعفي، رأى هشام والسيدة أمه بدليس المنصور أن  
إصلاح بواطنهم أكد في السياسة برفع حكمهم كدينك الكبيرين عنهم.  
فصدر الأمر به، وضاق ذرعهما عن حمله، نغرة وتعزّزاً، وعرضا  
بالانصراف عن القصر، فكانت حاجة في النفوس قضيت. فأستعفا  
بالانصراف عن القصر إلى دورهما بالمدينة؛ ولهما أتباع وصناع يطوقون  
الحاجب المصعفي الموجد.

ثم عرض على جمهورهم المستبقيين بالقصر اختيارهم من يرجعون إليه؛  
وقد تقدم لهم في ذلك تديبر وإطباع كبير؛ فاخاروا كنف ابن أبي  
عامر. ففصل له بهم جناح كنف، مباشر للنصر، شديد الثغور عن  
جهة ضده.

ثم ساء في المظاهرة عليه إلى أن أجلى من ذلك بمصاهرة كبير ماليك  
الحكم، غالب، ذي السيفين، صاحب الثغر الأعلى، وسيف الدولة  
الحكمية والناصريّة، وأنف عزها. وقد كانت بينه وبين الحاجب جعفر  
وحشة جرئتها الحساد، وألقحتها الكواشح؛ فتمكّن المنصور، وعلت  
يده، وصح بالملك انفراد، وعليه اشتاك، وبغالب وشيعته استظهاره.  
وصبب الحيرة بالمرء بينه وثقاته ضيقاً أنسى به من سلف من  
الكفلة وأولي السياسة. ثم غزا غزواته الثانية، واجتمع بصهره غالب،  
وأظهر من موافقته والسعي في مرضاته ما استغنى به ضميره، وملك  
به قيادة.

ولما تم له الغرض من نكح جعفر المصعفي، وإسقاط جهة السلطان  
عليه، وعرض صناعه ورجاله عوداً عن صنائع جعفر وشيعه، وقدم  
أولياءه لمراتب الوزارة، ورمى إلى الغرض البعيد من ضبط السلطان،  
والجبر عليه، والاستبداد، وامتنال رسم التغلبين على ملوك المشرق،

وسما إلى ما سَمَتَ الملوكُ إليه من الاختصاص بقصر ينزله ويَلْدِرُ يسكنه ،  
خوفاً مما تجرّه عليه الحيلُ في الدخول إلى قصر السلطان ؛ فابتنى مدينته  
الزاهرة ، وانتقل إليها ، واتخذ فيها الدواوين للأعمال ، والحجَر للغلمان ،  
والسقايفَ للبحرّاس ، والقصور للولَد والحاصّة ، والإصطبلات للظهور  
والكراع ؛ وعُدل داخلها الأهرام الواسعة والخزائن الوثيقة ، وانتقل إليها ،  
ورثب فيها مقاعد الوزراء وسقايف العيال ، وكتب بأن 'تُجَلِّبَ إليها  
وظائف الجبابات والأموال . وعطّل قصر الخلافة ، وسدّ بابّه ، ونصب  
رسم الشرطة نلقاه ، وأدار عليه السور الحريز الوثيق ؛ وأشاع أن  
السلطان فوض إليه النظر في أمر الملك ، وتخلّى بعبادة ربّه .

وبثّ ذلك في الرعيّة ، وأثبت في النفوس مع قوّة ضبطه وسُرعة بطشه .  
فناقسه غالب ، لما رآه يطوي الدولة طيّاً ، وينشيها خلقاً جديداً ،  
منسوباً إليه ، معروفاً باصطناعه ؛ فأضرب له الخديعة ، ورجا منه الإراحة ،  
وصانعه ، ومال في هواه ، ودعاه في إحدى غزواته ، وقد حلّ بظاهر  
مدينته المدعوة بأنثيسة من الثغر إلى وليمة أعدّها . فلما صعد القلعة في  
خيفٍ من أصحابه ، وانفرد به ، شرع في عتابه ؛ ثمّ كرّ عليه بسيفه ؛ فأصابه  
بجراح أبانت بعض أنامله ، وأثرت أنراً كبيراً بضدغه ؛ وفرّ أمامه ؛  
فأفهم فرسه مهّداً من أعلى القاعة ، أصاب عند استقراره ساباطاً بناؤ نشب  
فيه ؛ وتخلّص جريحاً ، ونجا من ورطة كانت النجاة منها غريبة من  
آيات سعّده .

وامتنع غالب بمقله ؛ وبادر المنصور إلى مدينة سالم ، حيث دار غالب  
وولده ؛ فسبق إليها الحبر ، وقد ضمن له كاتب غالب أمرها ؛ فاستولى  
عليها وعلى جميع ما كان له بها من مالٍ ونعمة ؛ ففرّق ذلك كله في الجيش ،  
ولم يستأثر به ؛ وقفل إلى الحضر . واستجاش غالب من ملوك النصارى  
ومَن يرى رأيه في الخلاف على ابن أبي عامر . وكان غالب فارس الأندلس

من غير مدافع ، وأبا الأبطال ، ومخرّج الفرسان والشجعان ، وذمير  
الحروب . وبرز المنصور ؛ فأتيح لغالب الظفر عليه ؛ وكسر جيشه ،  
وأمر وزراءه ؛ وتكرّر ذلك حتى نُظِنَ بأن أبي عامر الإديار ، وهو مع ذلك  
جاذٍ في مطالبة غالب ومعاودته ، إلى أن أراه الله ما لم يكن يحسبه من  
آيات نصّره .

قال المؤرّخ : نهض ابن أبي عامر في جموعه إلى مدينة سالم للقاه غالب .  
وقد كان غرسية دخل إلى بلده عند حركة ابن أبي عامر ، ليدبّه عنه ،  
وهو يرى أنه فاسد لغارته ؛ فلما استبان قصده لغالب ، خرج إليه في  
جمع من النصارى ، فيهم طائفة من البشكنش مع ابن ملكهم رديمير  
ابن شانبه المعروف بريّ قرّجه . فنهذ إليهم ابن أبي عامر إلى أنثيسة ،  
حتى نزل حصن شئت بجنت بالقرب من أنثيسة يوم الخميس لليلتين  
خلتا من المحرم سنة ٣٧١ .

وبرز له غالب ، وقد عبأ ابن أبي عامر عسكره أحسن تعبئة ؛ فصار  
في القلب مع الغلمان وطرائف جند الحضر ، وصير الوزير جعفر بن علي  
مع البرابر في الميمنة ، وأبا الأحوص معن بن عبد العزيز الشجبيّ وحسن  
ابن أحمد بن عبد الودود في معظم أهل الثغور في الميسرة ؛ فأطلقوا عقال  
الحرب يوم الخميس المذكور ويوم الجمعة ، وتواعدوا الصديق في غدّه يوم  
السبت ؛ وأهتفوا على 'محاجرة' ؛ فأصبحوا يوم السبت لأربع خلون من  
المحرم على تعبئة ؛ ووقعت الحرب في كلّ جهة ، فاشتدّت وحيت ؛  
وأقبل غالب لما متع الضحى من هذا اليوم على فرس له مذكور ، عليه  
درع السابعة ، وعلى رأسه طشتان مذهب مرتفع السمك ، قد عصبه بعصابة  
حمرّة أعلم بها ، وسدّ جبينه بعصابة أخرى ؛ وقد قارب في وقته الثمانين سنة ؛  
وحوّله كسكة من أنجاد غلّمانه وحماة رجاله ؛ فوقف ينظر في صفوف ابن  
أبي عامر مضعداً أو مضروباً ؛ ثمّ مال لمن حوّله من هؤلاء ، وأشار إلى

المَيْمَنَةُ ؛ فَقِيلَ : « ابْنُ الْأَنْدَلِسِيِّ » وَالْبَرَابَرَةُ ! » فَقَالَ : « الْأَعْدَادُ وَرَاءَ الْقَابِلَةِ ! شَدُّوا عَلَيْهِمْ بِسْمِ اللَّهِ ! » فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حِمْلَةً فَضَمُّهُمْ فِيهَا ، وَلَمْ يَثْبِتْ قُدَّامَهُ أَحَدٌ ؛ وَانْتَقَضَتْ لِحُولَتِهِمُ الْمَيْمَنَةُ . ثُمَّ عَادَ غَالِبٌ إِلَى مَوْقِفِهِ ؛ فَقَالَ : « مَنْ أَوْلَئِكَ ؟ » وَأَشَارَ إِلَى الْمَيْسَرَةِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : « مَعَنَ وَصِيْعَتُكَ ابْنُ عَبْدِ الْوَدُودِ ، مَعَ الْجِيَوَانِ وَالصَّحَابَةِ ! » فَقَالَ : « الْغَادِرُونَ أَوَّلُ الطَّيْعَةِ ! خُصُّوهُمْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ بِحِمْلَةٍ ! » وَشَدَّ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً كَاللَّيْتِ الْعَادِي ؛ فَانْقَلَعُوا قُدَّامَهُ طَائِرِينَ ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى صَاحِبِهِ . فَاسْتَوَى لَهُ فَضْلُ الْجَهَنَّمِينَ فِي وَقْتٍ ، وَالْقَلْبُ قَائِمٌ مَكَانَهُ . فَضَبَطَهُ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ بِسَيْفِهِ ، وَهُوَ عَلَى أَحَرٍ مِنَ الْجَمْرِ ، يَصْقُقُ يَدَهُ دَهْشًا ، وَرِجْلَاهُ تَضْطَرِبَانِ فِي رِكَابِهِ ، يَنْظُرُ مِنْ أَنْ يَحْبِطَ بِهِ ، وَلَا يَشْكُ فِي حَتْفِهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَطْمَئِنُّ نَفْسَهُ ، وَيُرْذِلُهَا عَلَى مَكْرُوهِهَا ، فَيَسْكُنُ جَأَشَهُ .

وَخَرَجَ غَالِبٌ مِنْ غِمْرَةِ الشَّدَةِ الْأُخْرَى ؛ فَخَرَجَ إِلَى مَوْقِفِهِ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : « كَيْفَ تَرَوْنَ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ ؟ قَدْ كَسَرْنَا جَنَاحَيْ الْقَوْمِ ؛ وَبَقِيَ الْقَلْبُ ؛ وَلِنَا ثَبَتٌ مَنْ فِيهِ حَيَاءٌ مِنْ هَذَا الْأَحْدَبِ الْمَلْعُونِ ( يَعْنِي ابْنَ أَبِي عَامِرٍ ) ! وَلَيْسُوا ذَوِي حِفَاطٍ فَمَا أَخْلَقْتُمْ بِإِسْلَامِهِ ! فَاصْدُقُوا الْحِيلَةَ عَمَى اللَّهِ أَنْ يَمَكِّنَ مِنْهُمْ بِقُدْرَتِهِ ! » ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ ! إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ بَقَايَ أَصْلَحَ لِلْمُسْلِمِينَ وَأَعُوذُ عَلَيْهِمْ مِنْ نِقَاحِ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، فَأَهْلِكْهُ وَانْصُرْنِي عَلَيْهِ ! وَإِنْ كَانَ هُوَ أَوَّلِيْ بِذَلِكَ مَشِيٍّ ، فَانْصُرْهُ عَلَيَّ وَأَرْحُنِي ! » فَكَانَتْ مُبَاهَلَةً حَكَمَ اللَّهُ فِيهَا لِمُحَمَّدٍ . وَحَمَلَ غَالِبٌ عَلَى إِنْزَالِهِ ، وَخَوَّضَ الْقَلْبَ ، وَخَلَطَ بَيْنَ صَفْوِهِ ؛ وَثَارَ نَقْعٌ عَظِيمٌ فَتَقَدَّرَ فِيهِ سَخَصُهُ ، وَسَقَطَ فِي بَحَالِ الْحَيْلِ ؛ فَعَادَ قَرَسَهُ ، وَأَصِيبَ مُجْدَلًا لِبَلَّتِيهِ ، مِثْلًا ، لَا أَثَرَ لشيءٍ مِنَ السَّلَاحِ فِي جَسَدِهِ . فَتَبَيَّنَ أَنَّ قُرْبُوسَ مَرْتَجِهِ الْأَنْدَلِسِيَّ - وَكَانَ شَدِيدَ الْإِشْرَافِ عِنْدَ تَجَافِيهِ عَنْهُ بِقُوَّةِ ضَرْبِهِ - أَصَابَ جَانِبَ قَلْبِهِ . وَقَالُوا غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَلَمْ يَثْبِقُوا فِي سَبَبِ حَتْفِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَقَدْ زَعَمَ قَوْمٌ مِنْ غُلَبَانِهِ أَنَّهُ عَدَلَ عَنْهُمْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الصَّدْمَةِ عَقِبَ الْمُبَاهَلَةِ ؛ فَأَمْسَكُوا عَنْهُ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ يُرِيدُ الْحَاجَةَ ، وَتَوَارَى عَنْهُمْ فِي وَهْدَةٍ ؛ فَأَبْطَأَ ؛ فَاسْتَشْرَفُوا حَالَهُ ؛ فَوَجَدُوهُ سَاقِطًا مِثْلًا ، لَا حَرَكَةَ بِهِ وَقَرَسَهُ يَمُوكَ اللَّجَامُ بِقُرْبِهِ . فَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَانْحَرَفُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ .

وَسَبَقَ إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ غَالِبٍ يَبْشُرُهُ بِهَلَاكِهِ ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَصْدَقُهُ حَتَّى جِيءَ بِيَدِهِ ، وَفِيهَا خَاتَمُهُ ؛ ثُمَّ جِيءَ بِرَأْسِهِ . فَخَرَّ سَاجِدًا ؛ وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ تَكْبِيرًا خَلَعَ قُلُوبَ الْمُشْرِكِينَ ، وَوَلَّوْا عَلَى وَجُوهِهِمْ طَائِرِينَ بِكُلِّ سَبِيلٍ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعْرَجٌ عَلَى أَنْتَيْسَةٍ . وَرَكِبَ الْمُسْلِمُونَ أَذْيَارَهُمْ ؛ فَاقْتُلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا عَظِيمًا ، فِيهِمْ رَيٌّ قَرَجُهُ ؛ وَنَجَا عَرَسِيَّةٌ ، وَلَمْ يَكُرْ إِلَى بِلَادِهِ . وَاسْتَظَفَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ جَيْشَهُ وَبِلَادَهُ وَأُمُومَالَهُ لِيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَتَقَرَّرَتْ لَهُ فَوْقَ الْمُنَازِيرِ الْأَلْقَابُ ، وَخَضَعَتْ الرِّقَابُ ، أَعْمَلَ الْحِيلَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بِأَنْ تَادِمَهُ لَيْلَةٌ ، وَأَغْضَى فِي هَوَاهُ ، وَتَنَازَلَ إِلَى مَا لَمْ يُعْهَدْ مِنْهُ ، وَسَقَاهُ ، وَأَغْرَى السُّقَاةَ بِهِ ؛ ثُمَّ أَرْصَدَ لَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَنَزَلِهِ مِنْ ثَارِهِ وَقَتْلِهِ ؛ وَنَادَى بِتَرَاتٍ سَالِفَةٍ مَنَسُوبَةٍ إِلَى أَبِيهِمْ بِإِفْرِيقِيَّةٍ . وَلَمْ يَغِيبْ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ ؛ فَصَرَخَ بِهِ بِمَا أَوْجَبَ إِسْكَاتَهُ وَإِزْعَاجَهُ عَنِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ .

وَكُرْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ عَمِّ نَفْسِهِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ . وَلَمْ يُبْقِ يَدًا مَجْدُرَ بَطْشِهَا إِلَّا سَلْطًا ، وَلَا عَيْنًا بَرِيَّةً تَنْظُرُهَا إِلَّا فَقْأًا . وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ الْقَصْرِ ، سَدَّ الْأَقْفَالِ ، وَاسْتَظَلَّهَا مَعَ الْأَنْفَاسِ لِحَرْبَاتِ حَرَكَاتِهِ ، وَإِذْكَاءِ بِالْعَيْنِ عَلَى مَنْ بِهِ ، وَاسْتِنَادًا بِسَقَافِهِ إِلَى ثِقَاتِهِ ، مَعَ يَرٍ مَنْ بِهِ ، وَإِجَابِ حَقِّهِ ، وَإِسَاءَةِ رِزْقِهِ ، وَالغِيَرَةِ عَلَى حَرَمِهِ ، وَالصُّونِ لِحُشْمَتِهِ ، وَحِفْظِ رُسُومِهِ ، وَمَوَاصِلَةِ تَفَقُّدِهِ وَمُطَالَعَتِهِ ( فَلَمْ تَقْعُدِ الْخَاصَّةُ وَلَا الْعَامَّةُ وَلَا الْأَعْلَامُ وَلَا الْعُمَمَالُ فِي نِيَابَتِهِ شَيْئًا مِنْ وُظَائِفِ مَلُوكِهِمْ

وأجتمعتهم ، بل عرفت الزيادة والتوسع ، والاختطاع بأمر الدين والدنيا ، صرّف سعيه إلى الجهاد ، وقهر البلاد ، فاستظهر بفرسان الهبياء ، وأبطال الكربية ، وأعلام السمرة من فرسان الغرب كوزانة الواردين على بابيه في سبيل الحسائف والدماء الواقعة بينهم وبين ناسهم ؛ فارتاش منهم بأجنيحة وإفرد ، لم يستظهر قبّله ملكٌ بثّلها ، ومغراوة وأزداجية وزنّانة وصنّهاجة . وانتقى الرجال ؛ فكان لا يلتحق في ديوانه إلا من تفرّز غناؤه ، وتحقق ثقله وكثر موقفيه . ودرت الفتوح ؛ فتعددت بماليكه وحششته . واستكفى أمر العدو المغربي ببني أخيه وولده وكيار بماليكه . فاستنزل حسن بن القاسم ، وجيء به إلى بابيه ، واستدّ بها سلطانه . وآثاره اليوم بعدوة مدينة فاس ومدينة سبتة شاهدة وبإذعان الأيام ناطقة . والله يؤتي ملكه من يشاء ! والله ذو الفضل العظيم !

والتح على ملوك قشتالة بالغزو والإضافة ، يُوالي عليهم الصوائف والشواني ، حتى أذعنوا من خطط الحنف لما لم يدعوا له قبّله ، ولا عرفوه في زمن تقدمه ، حتى لقد تقرب إليه بعضهم بإهداء ابنته ؛ فقبلها المنصور أحسن قبول ، وتزوجها ، وحسن إسلامها ؛ وكانت من خيرات نساءه ديناً متنبأ وحسباً أصيلاً . وأولّد منها ولده عبد الرحمن الملقب من أجل ذلك شنجول (تصغير شانجو) من أساء خؤولته . ولم تزل الأيام حتى ورد أبوها الملك على بابيه زائراً ومستصرخاً ؛ فخرج عبد الرحمن بن المنصور حفيد الملك الوارد ، ابن ابنته ، إلى لقائه بالجيش والأهبة المخضبة ، طفلاً يرفد في السرج ؛ فزلّ جده إليه ، وقبّل رجله ويده ، حسباً يأتي إن شاء الله ، حتى كان ذلك مما يتحدّث به في فنون السعد ومؤاناة الأيام .

وأخبار غزوات ابن أبي عامر وذكرها واحدة واحدة مما يطول الكتاب إن استوفينا ، ونخرج عن الغرض فيه إن اتبعناه . وحسبه أن

دخل سنة ٣٧١ في غزوته الرابعة غنوة ، واستباحها وهدمها ، وهي دار الملك ومحل السلطان ؛ وسبى في غزوة شنت منكمش بضعة عشر ألفاً من مختار السبي ؛ وما سما إليه من غزو مدينة شنت بإقرب قاصية بلاد غليسيّة وأعظم مشاهد النصارى الكاثبة ببلاد الأندلس وما يتصل بها من الأرض الكبيرة .

وكانت على قدم الأيام مكان عزهم ، ومحل جمعهم وحجهم ، ومزارهم ، قد سالتها الأيام منذ ألف عام لحج الروم إلى كنيسها من أقصى بلاد رومة لأجل القدس لقبر ياقب ( وهو تغيير اسم يعقوب ) أحد الحواريين الإثني عشر ؛ وكان هذا الحواري أخص الناس بالمسيح - صلوات الله عليه - والنصارى يسمونه أخاه للزومه إياه ولصوفه . وزعم أهل التاريخ الرومي أنه أسقف بيت المقدس ، وساح في الأرض داعياً لمن فيها ، حتى انتهى إلى هذه القاصية . ولم يطع أحد من ملوك الإسلام في الوصول إليها لصعوبة مدخلها ، وبعد شتتها ، وخشن طرقها ؛ فخرج إليها المنصور في صائفة ٣٨٧ ، وهي غزوته الثامنة والأربعون ؛ وأخرج الأسطول يواجهه في غرضه من بحر المغرب ، وسبقه صاعداً إليه في نهر دوبره من بوطقال ؛ فعبه به ، وعقد منه الجسر عليه للحملة ؛ ثم قطع أرضين متباعدة الأقطار ، وعبر جملة من عظام الأنهار ، ووطئ بالديد والفعلة مسالك جبال شاعة ارتقاها ، إلى أن بلغ البحر المحيط ، وأفضى إلى كير إباريا ، وهو آخر مشهد ياقب في الشهرة . وكان نزوله بشت ياقب يوم الإثنين لليلتين خلّت من شعبان ؛ وقد فر من بها ، وهي خالية ؛ فغم ما بها ، وهدم مبانيها ، وعفى آثارها . وكانت مصانعها آية من آيات الله في الإحكام والإتقان ؛ فتركت كأن لم تكن بالأمس . وأمر بصون القبر ودفع الأذى عنه . ولم يجد بالكنيسة إلا رجلاً واحداً من شيوخ الرهبان جالساً عند القبر ؛ فسأله عن مقامه ؛ فقال : « أوتس ياقب ! »

فأمر بحفظه والكف عنه .

وقفل إلى قرطبة ، وقد استصحب جملة من الملوك وأبنائها ، وبرز الناس إلى لقائه في عالم لا يحصيهم إلا مقدر أرواقهم وآجالهم . وفي أول شوال من السنة ، عقد لهم مجالس جمّة لإحكام ما وصلوا إليه من السلم على حكمه . ثم أنفذ المنصور قاضيه محمد بن عمر البكري مع القوم لاستحلاف الملك غرسيّة على ما التزمه من شروط ؛ وشهد عليه أهل ملته وبطائه بإطلاق أسرى المسلمين ؛ فنفذ لذلك وأقضى ما توجّه إليه .

وبلغت كسّي المنصور في هذه الغزاة إلى ألقى كسوة ؛ وهذا شيء يضيق عنه ساحة الملوك الذين دون ملوك بني مرين - أعزهم الله بنصره ! - فقد كانت الكسّي لأول هذه الدولة ، التي رفع الوزير المعظم ، معتدنا بهذا الكتاب ، لواء الوفاء لها والذب عنها مذكرة بهذه العهود ومجددة لشأنها ، بحيث تنهم الحكاية ويقصر الوصف : يقاض في كل طبقة ما يناسبها عروضاً ثمينة وأصنافاً غالية ، وتلزم الكثير منها المراكب العتيقة والخطى الثقيلة والأموال المتعددة ، حتى لم يشذ من أجناسها فرد ، ولا خلا من صلاتها بئت - حفظ الله رسوم المتجدد بحفظها ، ولا أخلى صحائف الفخر من آثارها ، بمنه !

ومن لدن سنة ٣٨٨ ، صدر الأمر من المنصور بإعفاء الناس من إيجابهم على الغزو ، استغناء بعدد الجيش ، واستظهاراً بأصيل العزيز . وأسمعهم الخطباء ذلك بإثر قراءة كتب الفتح ، وعرفهم بأن من تطوع خيراً ، فهو خير ، ومن خف إليه ، فيبرور ومأجور ، ومن تناقل ، فمعدور . فتمت على الناس النعمة .

ومن غرائب سعد ابن أبي عامر أن جاعداً بن الحسن ، نديم المنصور ، أهدى إليه أبناً سمّته على عادة أهل الأندلس ، وسمّاه غرسيّة بأمر العليج ملك الروم ، وأنفذه إلى القصر يوم السبت المنتصف من ربيع

الآخر سنة ٣٨٥ ؛ وكتب معه هذه الأبيات متفائلاً :

[ الكامل ]  
يا حزين كل خوف وأمان كل  
يا سلك كل فضيلة ونظام كل  
عبد جذبت بضبعه ورفعت من  
سبيته غرسيّة وبعثته في حبله  
فلن قبلت فتلك أنفس منة أسدى بها ذو منحة وتطول

فاتفق أن تخيل المنصور لقيت النصاري جزافاً ، وهو يتصيد ؛ فأمرته ، وجاءت به ؛ فكان من الاتفاق الذي عظم منه العجب .

ولم يبائر المنصور حرباً أشد عليه ، ولا أصعب مقاماً وأغلظ كربة من حربه في غزاته صائفة سنة ٣٩٠ ؛ وقد كانت الهدنة امتدت وفترت خلق الشهامة ؛ وأنس الناس بالجام . وتعاقدت ملوك النصارى ، واستجمعوا من كل أوب . واستقبلهم المنصور كفاحاً لغزوته هذه الصائفة المعروفة بغزوة جربةيرة ؛ وذلك أن المنصور اقتحم قسناالة من ناحية مدينة سأل ؛ فوجد شائجه في جمع عظيم ، يبعد عن الظن ، فيه سائر ملوك الجلالة وقادتهم من حيز بنسبلونة إلى أسترقة . ثم أقبل بهم شائجه حتى أنزلهم جبل جربةيرة بموسطة بلاده ؛ فانتخذه معسكراً ؛ وكان نعم المراد لامتناعه وحصاته ، ولياً وراه من الأعمال الواسعة التي لا تبعد من قبلها الميرة . وقد فوض الجميع تديير الأمر إلى شائجه ، وتعاطوا على حسن الثبات ، وتحريم الفرار ، أغلظت العهود المؤكدة . فأشرف ابن أبي عامر من عظيم عسكريهم ، وووور أعدادهم ، وحصانة مكانهم ، وإشرافه على من نازل بإزائهم ، وقوة الخداهم على من دنا من كفاحهم ، واتساع المجال على فرسانهم ، وضيقه على من بإزائهم ، على ما هالكه وأهم فيه رأيه ؛ وفزع إلى مشاورة وزرائه القواد ؛ فاختلوا عليه .

وكادَ المسلمون شاطئه بيمسره إلى الحرب قبل استيعاب التزول وإحكام التدبير ؛ فاشتبكت الحرب بكل جهة ، واشتعلت بكل ناحية ؛ وجمع عداة الله مراكيبهم ؛ فدفعوا على الميمنة والميسرة دفعة واحدة ففشوا بها تعبتهم جميعاً ؛ ثم تدار حجارة المسلمين ؛ فأحسنوا الثبات والكرّة . ودارت الحرب مليّاً ؛ فصعبت الورطة . ونظر من خلف هؤلاء المحامين من المسلمين إلى ضحك المقام ؛ فدهشوا ، وانحلت قلوبهم ، وقصر أكتافهم ، وعدل على الهروب معظمهم . ووقعت جولات بدائر جهاتهم ، كادت الفضيحة تقع معها ، والهزيمة تستمر بعدها ، لولا دفاع الله ، وكرم صبر المنصور ، وجوده ثباته ، مع قوة ربه ، وفرط دهشه ، وتقليب كفيته كالخضيب ، وشدة استرجاعه ، وتأوّه كالموت ، إلا أن الله أمدّهم بنصره وبرجال أحسنوا الثبات ، وصلوا أوار الحرب حتى ردّوا من بإزائهم . وأنس من خلفهم من المتجولين بفعلهم ؛ فكروا بعد الفر ؛ ومنح الله النصر . وكان أظهر تلك العصابة الحامية عن الملة عبد الملك ابن المنصور إجماعاً غير تخلية ، وإنصافاً لا محابة ؛ ومعه أبطال من أعلام المسلمين الأندلسيين والعديويين ، عامتهم فرسان البرابرة ، على أن الاسم منهم في هذا اليوم ذهب إلى كيدير الدشمري الأبرص من كبار القواد وأحد ملوك بني كسر بالعدوة ، وكان له إقدام عظيم قتل في احتدامه ذلك أحد قواميس بني غوميس ، وجاء برأسه . فاستمرت الهزيمة على أثره . وما قصر عبد الرحمن بن المنصور في شدة الإقدام وثبت المقام . وكانت حرباً عظيمة تعاص على الصفة .

حدث حبان بن خليف بن حسين عن أبيه كاتب المنصور قال : لما اشتد الأمر ذلك اليوم ، برز المنصور على فرسه بأهل موكبته إلى تل يقرب من موضع المجاورة ويشترق على مكان الملحمة ، قائماً يده أهمل النواحي بن حوله ، إلى أن اضطربت الميمنة ، فانكسرت ، وعظمت

الخيوة واستفحلت ، إلى أن انفض الناس عنه ، ولم ينظروا أمره ؛ وارتأى كل واحد منهم برأيه ، واستعد للإجفال وراه ، حتى جعل كاتب المنصور عبد الملك بن إدريس الجزيري يقول لسعيد بن يوسف المعروف بابن القليلية : « هلم إلى التوديع يا شهيد ! » قطعاً على حلول المنية ؛ فكان مأثوراً بعد انقضاء اليوم .

قال خليف بن حسين : فظفر المنصور إلى جملة من معه فقال لي : « اعترض لي من بقي من أهل موكبتي ! » قلت : « أسيئهم لك : فلان وفلان ! » وعددت قوماً من خاصته نحو العشرين ؛ فرفع يده إلى السماء وقال : « اللهم إنهم سخطوني ! فأنصرهم ! وأفردوني ! فاصحبهم ! » ودعا عبد الملك ولده ، وكان قائماً إلى جنبه ، بتلفت إلى الحرب ؛ فلا يأذن له أبوه ؛ فاستدناه ، ودّعه ، وجعل يقبل وجهه ، ونحيبه عالي ، وأرسله نحو الميمنة موثقاً على فقهه . ثم أرسل أخاه عبد الرحمن سخطفه في جهة أخرى ، ونحوّل عن القراس إلى العمارية عند اشتداد الميمنة ؛ فركبها ، ولا يكاد يملك أطرافه زمناً ورعشة ؛ وإنما ركبها توطئاً لمن حوله عن ثبوت مقامه . وكان إلى جنبه جملة من جنائبه ؛ فقال لي : « لا ترد عنها يد ؛ فلنهم أولى بها من العدو ! » وظل قائماً في جميعه يستغيث الله ويناشده عهده ، والحرب تقوى ، والأمر يصب ، إلى أن عن له مع اشتداد الزلزال رأي كان من أفوى أسباب الفتح .

وذلك أنه أمر برقع محلته عن الوهدة التي أعجله العدو عن الظهور منها إلى البروة التي كان قائماً عليها ؛ فصاح بن حوله في إنفاذ الثقل ، وأوعدهم على تأخيرهم ، وأخضر خدمة مضربه ، وجعل لهم على السبق به إلى ذلك التل جعلاً وإفراً . فوافوا به لوقتتهم حنلاً على الأعناق ، واستوى مضروباً لحينه . فلما عاين العدو شخصه ، سقط في أيديهم ، وعلوا أن بالمسلمين قوة ووراءهم مدد ؛ فنكصوا عقب ذلك . واستمرت الهزيمة بهم ،

وركب المسلمون أكتافهم ، يقتلونهم كيف شاؤوا . ووجدت الجبال بأيدي أكثرهم ، قد أعدوها ليقروا أسرى المسلمين . فأخذ جميع ما في تحتهم من الكراع والسلاح والآنية . وأتبع الحيل منهزمهم فراسخ ؛ فأصيب كثير من فرسانهم . ونصر الله المسلمين عليهم نصرأ ما سيع بأعظم مه . واستشهد في هذه الواقعة من صنوف المدونة وغيرهم أزيد من سبعة رجل . وذلك يوم الإثنين لست بقين من شعبان سنة ٣٩٠ .

ولم يخيم المنصور عن وجهته ؛ فأوغل في أرض قشتيلة . فدمر ، ولم يبق ولا وذر . ثم خرج إلى سرقسطة ، وعقب منها إلى قشتيلة ؛ فاقتمها يوم الفطر من هذه السنة ، ونزل منها إلى بنبلونة ؛ فأثر هناك آثاراً عظيمة . ولم يظهر إليه بالبلدين أحد . ثم قفل إلى قرطبة ؛ فوصل إلى مائة وتسعة أيام . وعقب المنصور على كافة جنده بما ظهر من نكوصهم ؛ وأمر كاتبه على الرسائل عبد الملك بن إدريس بإنشاء كلام انتسخه القواد ليقرؤوه على كافتهم . منه فصل :

« وكثيراً ما فرط من قولكم إنكم تجهلون قتال المعاقيل والحصون ، وتشاقون ملاقات الرجال الفحول ! فحين جاءكم شائخ بالأمنية وقادلكم بالشريطة ، أنكرتكم ما عرفتم ، وناقروكم ما ألفتكم ، حتى فررتكم فراراً اليافير من آساد الغيل ، وأجفلتكم إجمال الرئال عن المقتنين ! ولولا رجال منكم رحضوا عنكم العار ، وحرروا رقابكم من الذل ، لكانت من جماعتكم ، وسبب بالموجده كافتكم ، وخرجت للإمام والأمة عن عهدكم ، ونصحت المسلمين في الاستبدال بكم ! ولم أعدم من الله تعالى عاجل نصير وحسن عقبى ! فلا بد أن ينصر دينه بن شاء ! »

وفي ذلك ، يقول صاعد يهشيء بهذا الفتح ؛ وهي من أفخر شعره :

[ الكامل ]

جددت شكري للهوى المتجدد وعهدت عندك منه ما لم يعهد

اليوم عاش الدين وأبتدأ الهدى غشاً وعاد الملك عذب المنور ووقفت في ثاني حنين وقفة فرأيت صنع الله يؤخذ باليد من فاته بدر وأدرك عمره جريئاً فهو من الرحيل الأسعد فوددت لو حتم القضاء بأني في القوم أول طالع مستشهد ما استكين لروعة ومحمد وبنيه أنصار النبي محمد عهدي به والله ينظر صبره والموت بين مصوب ومصعد غطى عليه المشركون فلم يكن في القوم إلا صخرة في قدقد حتى تحسن بالملائكة التي حملت ميامينهم عليك نشيجة كالسيل يحطم جليداً عن جليد ورأوك فارتدوا على أعقابهم مثل ارتداد تنفس المنتهد وركبت فلكهم بكل مهتد يفضي به في الروع كل مهتد ما ناجزوك وفي الجوانح موضع لتصبر ومكانة لتجلد طال الشقاء عليهم وتبرأوا بالجيش في الدل المقيم المقعد فتألفوا لمحتي وتجمعوا للفرق وتآلفوا لمهد ثم واصل المنصور الغزو بنفسه وولده ورجاله على شائخه ملك النصارى ، حتى أذعن لائذاً بعقوه ؛ واستأذنه في القدوم عليه بنفسه ؛ فأذن له ، وصر بجيه سروراً ما سر هط بمثله . فتقدم في الاستعداد له واستحضر طبقات الأولياء ؛ فوصل لثلاث خلون من رجب سنة ٣٨٢ . وأركب المنصور الجيوش والمطوعة لتكثبه في دخوله إلى قصر الزاهرة ؛ فكان يومه أحد أيام الدنيا الشهيرة ، حتى بهت الذي كفر ، ورأى من وفور المسلمين ، ونباهة أسلحتهم ، وجمال زيهم ، وكثرة عذاهم ، ما لم يكن طائناً أن الدنيا تجمعهم ، ولا الأيام تحشده ، ولا الحزائ تكفه . ولقيته ولد المنصور عبد الرحمن حفيد من بينته ، كما قدمنا



ذكره ؛ وقد حُفَّ به وزراء السلطان وجوه القواد وأكابر أهل الحديمة والماليك ، في أحسن زيٍّ وأكمل تعيئة . فلما وقعت عينه على الصبي ، ترجل ، وباس رجلته ؛ فأمر بالركوب ، وأقبل معه إلى أبيه . وصار بين صغي حديد حقائق الطريق أميالاً : ما ثم إلا الدروع السابريّة ، والجواشن المذهبة ، والأبطال قد لبسوا السوق والسواعيد ، وأسبعوا الخلق ، وعلّقوا الدارق ، وخلّفهم صفوف الرماة ، مشدوداً عليها المناطق المذهبة . والملّك الرومي يتلّب الطرف ، قد غشى قلبه ذعر ، إلى أن وصل إلى مجلس المنصور في الساعة السابعة من النهار ؛ وقد قعد له أفخم قعود ، وأعلى مرتبة ، مكثّفاً سريره بالوزراء وأعاضهم رجال الدولة ؛ وامتد الوفاء والصقالية صفتين من باب المجلس إلى باب القصر . فحين وقعت عينه على المنصور بن أبي عامر ، أهوى إلى الأرض مقتبلاً بعيد ذلك مرات ، وهو يستدنيه ، حتى قبل رجلتيه ويديه . وأمر ؛ فألقي له كرمي مذهب قعد عليه ؛ وأشار ؛ فخرج الناس ، وخلاه قاضياً وطره من عذله ، والعليج يقابله بالاعتراف . ثم خرج وتبعه بالخلع السلطانية ؛ ومشت بين يديه المراكيب والبزوز . وما انقض المجلس إلا تحت جناح الليل .

ولما خضع ابن أبي عامر شوكة النصارى بقشتالة وليون وما إلى ذلك الصقع ، صرف الوجه إلى غزو القرينجة المتصلة بأرض إفرائسة ورومة ، وهي الأمة التي لا يطاق قتالها صبراً وسلاحاً وجفوة وكثرة . فدوخوا ، ودخل برجلونه ؛ وكان مما اتخذ لقتالهم القراميد التي تغطي بها السواعد من الهند لتلقى بها الفرسان سيوف الفرينج من فوق رؤوسها وجوهها ، وتفتّح بها الشدائد مفرجة بها .

وإن أطلّقتنا في أخبار ابن أبي عامر القول ، لم ننف عند غاية ؛ فقد أجمع المشيخة أنه نهض بجدي لا كفاء له ، وأصبح سعداً لا تحس مخاططه ،

وأعطى إقبالاً لا إدبار معه ؛ قد وثق بذلك ؛ فلم يلتفت إلى غيره . وانفرد حذر يوماً من رجل يُنبز بالشؤم تعلّق به ، وقصّت عليه أخبار من شؤمه ؛ فقال المنصور : « لا مَرَجَباً بسعدي إن كان لا يعفسي على شؤم هذا ومثله ! » فزعوا أن حال ذلك الرجل انتقلت بعرفته إليه . وكان الناس يعجبون من نجح رأيه كلّمَا ارتكب في الشورى مخالفة أو سلك مضاضة . وكان مهيباً وقوراً ؛ فإذا خلا ، كان أحسن الناس مجلساً ، وأبرهم بن يحضر منادماً ومؤانساً . وكان شديد الفلق من التبسط عليه والدائنة والامتنان ، لا يغفرها زلّة ، ولا يحلم عنها جريرة ؛ ولم يكن يسامح في نقصان الهيبة وحفظ الطاعة أحداً من ولده ولا ذي خاصّة ؛ دعاه ذلك إلى قتل ولده عبد الله صبراً بالسيف بما هو معروف . وحكايته في هذا الباب شهيرة .

وكانت الجزالة والرجولة ثوبه الذي لم يخافه إلى أن وصل إلى ربه ، والحزم والحذر شعاره الذي لم يفارقه طول حياته ، والنصب والسهو شأنه في يومه وليله ، لا يفضل لذة على لذة تديره وحلاوة نهي وأمره ؛ فينقذ الأمور ، والكأس تدور ، والجبال للطرّب تمور . زعوا أنه أكثر في ذلك ليلة على كاتيه الأخص عيسى بن سعيد ، وكان أول كاتب كتب له قبل ملكه ؛ فكان ينسبط عليه لسالف خدمته وقديم صحبته . فلما باعد بينه وبين شهوته ، وقطع به عن . . . ، قال : « اللهم غفراً ! إماماً شراباً ولذة » ، وإلما خدمة ومشقة ؛ فإذا عزم على صلة النهار بالليل ، فأسكت المسعة ولتخضر الحريطة ؛ ثم مرّ بما سئلت نغم به على الحقيقة ؛ فخلط الجِدّ بالهزل مُفسِده . وإلّا نستجم بهذه الساعة الضيقة لقطع الأوقات الطويلة ؛ فضحك المنصور وقال : « اجبر يا عيسى ! وليس مثاً في شيء ؛ ومن عدل بالأمر والنهي لذة » ، فقد انتفى من الذكرورة ؛ ثم

توفر ببقية الليل على المناداة .

وحدث فتاة شغلة ملازمه ، قال : غلب علي السحر عند مولاي ، وقد اختلف ما بينه وبين الخليفة ؛ فكان يفر على الحرم ، ويصعد إلى قبته المسماة بلؤلؤة وغيرها من مستشرفاته ، يرعى النجوم ، وينفرد بنفسه ، ويكب على الفكرة ، والشعبة بين يديه ، والدراج ملقى على الدواة إلى جانبه ؛ فإذا تاب له رأي ، أثبتته ؛ ولا يزال كذلك إلى أن يدنو الفجر ؛ فيستلقي على مهاد يجده في كل وجهة من أماكن خلوته ؛ فلا يتحصل لأهله على الحقيقة مكان سرّقه ، ولا يزال قائماً على القدم حتى تُدنى منه سواكه ووضوءه ، ويؤذنه المؤذن بالصلاة ، فيقضيها ، ويربط الدراج في مندبل كتمه ، ويرفع الشتر عنه ؛ فيدخل من رسته البكور من الخاصة والوزراء والصحابة ؛ فيناظرهم فيما رسمه ليله ، ويأمر بتقييد ما شاء منه ، إلى أن يرتفع النهار ويجتمع الناس ؛ فيأخذ في النظر العام ، ويتناولني الدراج ، فأقطع صغارا وأغرفه في مساء ورد بحضرته حتى تخفى أجزاؤه . ولقد قلت له ليلة : « قد أفرط مولانا في السهر ؛ وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم ! وهو يعلم ما يحرك عليه السهر من علته العصب ! » فقال : « يا شغلة ! حارس الدنيا لا ينام إذا نامت الرعية ! لو استوفيت نومي ، لما كان في دور هذا البلد عين نائمة ! ولو كنت من صاحب القصر ( وأشار إلى ناحية الخليفة ) على مثل مسافة بسطة ، لأخبرمت النوم ! فكيف وإنشأ بيننا مدى صيحة ! »

وأما آثاره في بناء القصور ، وزيادة المسجد الجامع ، والحباب لسقي الناس ، وبنیان التناظر بتهري قُرطبة وإسجة ، فأثار عظيمة ، ولو لم يكن من آثاره غير الزاهرة ذات القصور الفخمة ، والمنزهات المختلعة .

وكان ، لشدة حذره من الحادث الواقع بعد دولته ، وتقية المكروه من جهة أهل بيت سلطانه ، قد اتخذ رجلاً ثباً أميناً جعله عيناً على من

بالمدينة من ولد الخلفاء ؛ وأمر المروائين مع ذلك بلزوم متنازلهم في المدينة ، وحظر عليهم الركوب والخروج رأساً إلا لضرورة ، ووكل بهم ثقات من مشيخة الفتيان الحكيميين على دواول متعاقية ، يطالعون ما ينكرونه من أحوالهم ؛ وأخذهم بتفريق من حوّلهم إلا لمن يأذن فيه من غلام أو وكيل أو معلم أو طبيب ، وحذرهم صجة سيوكم من الناس ، وألزمهم القصد في أمورهم والإقبال على ما يعينهم . وكان يأخذهم بالخروج معه إلى الغزوات ، حتى خشعوا ، واقتصروا على بيوتهم ، وأهملتهم أنفسهم . وكان له كاتب يدور في الدواوين يتصد ما يجري من قصة أو يحدث بين ولائها من مناظرة ؛ فيثبت ذلك ، ويطالع به . وكان شأنه في الأخذ على المكتهين والمنجحين ومن يئذ بدكر قاطع على الدولة أو اقتراب من المدد ؛ فكان يمتنع لذلك ، ويذهب فيه بقطع الأعناق والألسنة بعد العقاب الأليم . وكان أحرص الناس على التمشير والاعتار ، والمشاحة للعمال .

وعلى الجملة ، فكان نسيج وحده في صفه ، وقل أن يسمع مثله في غيره . قال بعض من معني بأخباره : كان آية من آيات الله فطرة دهاء ومكر وسياسة ، عدداً بالمصاحفة على الصقالية حتى قتلهم ؛ ثم عدداً بغالب على المصاحفة حتى قتلهم ؛ ثم عدداً بجعفر بن الأندلسي على غالب حتى استراح منه ؛ ثم عدداً بنفسه على جعفر حتى أهلكه . ثم انفرد بنفسه ، ينادي صروف الدهر : هل من مبارز ؟ فليسا لم يجده ، حمل الدهر على حكمه ؛ فانقاد له وساعده ، واستقام له أمره منفرداً بسابقه لا يشاركه فيها غيره .

ومن أعجب أحواله أنه كان على بصيرة من أمره ، هائناً بما ذخرت له الأيام في حداثة سبه ؛ فكان يتكلم في ذلك بين أصحابه ولدايه ، ويشير بما خبا الله له من عتبه . فحدث ابن أبي الفيض في كتابه قال : أخبرني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد ، قال : أخبرني محمد بن موسى بن عزالون ،

أي بيت الحاجب جعفر المصحفي .

قال : أخبرني أبي قال : « اجتمعنا يوماً في مَنَزَرٍ لنا بجهة الناعورة بقرطبة ، ومعنا ابن أبي عامر ، وهو في حدائنه ، وابن عمه عمر بن عسقلانية ، والكاتب ابن المارِ عزمي ورجلٌ يُعرف بابن الحسن من جهة مائة ، وكانت معنا سفرة فيها طعام . فقال المنصور ، من ذلك الكلام الذي كان ينكم به : « لا بد لي أن أملك الأندلس ، وأقود العسكر ، وينفذ حكمي فيها ! » ونحن نضحك منه ، ونهزأ به . وقال : « تمشوا علي ! » فقال ابن عمه : « تمشي أن تتوالى المدينة ! » وقال ابن المارِ عزمي : « تمشي أن تتوالى السوق ! » وقال ابن الحسن : « أفتى أن توليني القضاء بجبتي ! فإني أحب التين ، حتى أنشفت من أكل التين ! » قال موسى بن عزمون : وقال : « تمشي أنت ! » فأسمعتهم كلاماً فيجاً . فلم يك إلا أن صار الملكُ إليه ، فولّى ابن عمه المدينة ، وبلغه أمله من ضرب الأشرار ، وولّى ابن المارِ عزمي السوق ، وكتب لابن الحسن بالقضاء عناهُ بشع من التين . قال : « وأغرمتني أنا مالا عظيماً ، أجحفني وأفقرني لتيسع ما كنت جشع به . »

قلت : والشيء يذكر بالشيء . وقف عندي على هذه الحكاية الشيخ القاضي اليوم بغرناطة علي بن الحسن الملقب بجعسوس ، أطروفة الدنيا وأضحكتها سَكْلاً وعِلْماً وخلقاً ؛ فحبسها فرصة تغتم بضعف عقله ، وظهر له بسبب اشتراك اسمه مع ابن الحسن المذكور أن يتنسخ من هذا الكتاب عدة نسخ أنفق عليها ما تضيق عنه حاله الضعيفة . وجعل كلما فرغ من الكتاب ، باعه أو هداه ، لا يقف في ذلك عند حد ولا غاية . فقلت للكاتب ابن زمرك المولع بالعبث به وحفظ نوادره : « ما ترى ما يذهب إليه أبو الحسن بن الحسن من اقتضاره على نسخ هذا الكتاب والاشتغال به عن ضرورياته ؟ » فقال لي : « إنّه سمع الحديث

١ راجع « تاريخ قضاة الأندلس » لابن الحسن الباهي ، ص ٨١ .

« تزوجوا فإني مكاتير بك الأمم » ، فقدّر ، جارباً على أفتيسه الفقيه ، أن كل مكاتير لشيء ما فهو مأجور . « فقلت له : « أجبر في الحديث بحضرتة إذا جاء إلينا للطعام ! » ففعل ، فقال : « يا سيدي ! هو ذكرٌ جميل ، وفيه فخرٌ للوكند ! » فقلت : « سبحان الله ، وعلى فرض أن يكتب بظهر كل منفسح عقد بأنتك ابن الحسن ، وأن هذا جدك ! وأي فخرٍ فيمن تبين أن سبب طلبه القضاء الذي يسألك عنه أهل الفضل والورع هو حب التين والشع من أرهاطه ! وهي شهوة يتوصل إليها في ساحلك ببيضة كدجاجة أو كسفرة خبز ، لا بل بغير تمين ! وهذا ، إذ ظهر له أن يذكر السبب ، قال : لتجري الأحكام بالحق وأن تتخذ الشهود وتنظر في الأحباس الضائعة ، أو سكت وطلب القضاء فقط ! وأما جعل مثل هذا الوظيف الديني ذريعةً وسيلةً إلى الشع من التين ، فلا يقوم مدح صاحبه بالقضاء ، وتعرفه ابن أبي عامر في وقت الحمول بمذمة النهم والحسة ! إنما كان الأمر يقرب لو قال المؤرخ : رغب أهل مالة في تقديمه أو استخار الخليفة الله ، فهداهُ إليه ! ولو أذركت هذا الرجل الذي ترغب في الخلاص إليه ، للتبئنه بطير العصير ! » ( وهو عندنا طائرٌ معروف يأكل التين ) ؛ فقال : « يا سيدي ، ومتى ينظر أحد بنظر أو يعطي هذه الأشياء ما تعطيه من اعتبارك ؟ ما سمّ اليوم أحد من العلماء يصل بفكره إلى مثل هذا ! » فقال ابن زمرك : « حضرتي أبيات أخاطب بها سيدي الفقيه ! » فقلت : « افعل ! » فأنشده ، وهو من المستظرف في معناه :

أحافد عبيد التين يملأ بطنته من التين والمسا (١) لهم من غير لقد كنت قبل اليوم فيك تحييراً إلى أن هديت الفكر ميثي للسير فقد طبت من طير العصير بنسبة فخرت بها بين القضاة على العير

١ التصحيف ظاهر في الأصل .

فَأَنْتَ إِذَا مِنْ ذَوْقٍ جَدَّكَ نَابِتٌ كَمَا تَبَتِ الْأَشْجَارُ مِنْ ذَوْقِ الطَّيْرِ وَذَهَبْنَا فِي الدَّعَابَةِ كُلِّ مَذْهَبٍ وَحَرَدَ ، وَأَرَادَ أَنْ يُجِيبَهُ ؛ فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ . وَالتَّوَادُرُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِذِكْرِ ابْنِ الْحَسَنِ هَذَا الْمَتَأَخَّرُ غَرِيبَةٌ جَدًّا ، قَدْ تَضَمَّنَهَا كِتَابٌ يُسَمَّى : « بَجَلْعُ الرُّسَنِ فِي التَّعْرِيفِ بِأَحْوَالِ ابْنِ الْحَسَنِ » ، بِمَا دُونُ الْمَوْلَى السُّلْطَانِ الْمُقَدَّسِ أَبِي فَارِسَ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَا شَيْءَ فَوْقَهُ فِي الطَّرَفِ وَالِاسْتِطْرَافِ ، بِسِلْيِ الشَّكَالَى . وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى !

رَجَعَ الْحَدِيثُ . وَكَذَلِكَ كَانَ الْمَنْصُورُ أَبْضًا عَلَى عِلْمٍ مِنْ مُدَّةٍ ؛ فَحَدَّثَ أَبُو مَرْوَانَ [ ابْنُ حَيَّانَ ] عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ حَرْثِمٍ وَزَيْدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، الْأَخْصَصِ بِهِ ، قَالَ : كُنَّا مَعَهُ يَوْمًا بِالزَّوْءِ ( وَهُوَ مَرْكَبُ النَّزْهَةِ ) فِي الشَّهْرِ بَيْنَ يَدَيْ قَصْرِ الزَّاهِرَةِ ، فِي فَرَسٍ مِنْ خَاصَّتِهِ ، مِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حُدَيْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ يُصْعِدُ بِبَصْرِهِ وَيُصَوِّبُ فِي قُصُورِهِ بِالزَّاهِرَةِ ، وَمَصَانِعِهِ الْمُطْلَعَةِ ، وَمِيزَانِهِ الْمُشْرِفَةِ ، وَقَدْ قِيَدَتْ الْأَخْلَاطُ حُسْنًا وَهَيْجَةً . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : « وَاهَا لَكَ يَا زَاهِرَةُ الْحُسْنُ ! لَقَدْ جَمَلَ مَرْآكَ ، وَرَاقَ مَنَظَرُكَ ! فَلَسْتُ شِعْرِي مَنْ الْمُدِيرِ الْمَشْهُورِ الَّذِي يَهْدِمُكَ ! » قَالَ : فَاسْتَغْطَيْنَا مَا كَانَ مِنْهُ ، وَحَسَبْنَا أَنَّ التَّبِيدَ عَمَلٌ فِيهِ . وَأَفْرَطَ أَبُو عَمْرٍو فِي اسْتِنْكَارِ مَا جَاءَ بِهِ ، حَتَّى تَحَدَّاهُ بِالْقَوْلِ ، وَقَالَ لَهُ : « كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ هَذَا ، يَا أَبَا عَمْرٍو ! وَهُوَ عِنْدَكَ وَعِنْدَ سَلَفِكَ عَنْ صَاحِبِكُمُ الْحَكَمِ كَالْحَمَةِ الْمُنْتَظَرِ ! وَلَكِنْ تَتَجَاهَلُ ! سَيُظْهِرُ عَلَيْهَا عَدُوُّنَا ، فَيَهْدِمُهَا ، وَيُلْقِي حِجَارَتَهَا فِي هَذَا النَّهْرِ ! » فَأَخَذْنَا فِي التَّعْلِيلِ لِهَذِهِ الْآثَارِ . وَقَالَ : كَانَ الْمَنْصُورُ يَعْلَمُ الَّذِي يَزُولُ أَمْرُهُمْ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصِفَتَهُ بِمَا أَطْلَعَهُ مِنْ تِلْكَ الْآثَارِ ، وَجَلِبَ أَحَادِيثُ . اخْتَصَرْنَا .

وَتَوَفَّى الْمَنْصُورُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُنْصَرَفًا عَنْ غَزْوَتِهِ إِلَى بَلَدِ ابْنِ عُثْمَانَ صَاحِبِ قَسْتَنْتَالَةَ ، بِمَدِينَةِ سَالِمٍ ، الَّتِي بَنَاهَا بَوَادِي الْحِجَابَةِ مِنَ الشُّعْرِ ، وَسَيِّدَهَا ، وَأَقَامَهَا فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ ، مَحْمُولًا إِلَيْهَا مِنْ بَلَدِ الْحَرْبِ عَلَى

الرُّؤُوسِ ، عَزِيزًا ، عَلَى فَرَاشِ التَّجِلَّةِ وَالتَّكْرِمَةِ ، وَحِجَابِ الْمُلُوكِ وَالْعَمَلِ الْمُخْتَوَمِ بِالْجِهَادِ ، لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ٣٩٢ . وَذُفِنَ بِصَحْنٍ قَصْرَهَا . وَقَبْرُهُ هُنَاكَ مَعْرُوفٌ ؛ أَخْبَرَنِي بِهِ بَعْضُ الطَّلَبَةِ مِنْ وَجْهَتِهِ لِتَأْكِيدِ عَقْدِ الصَّلَاحِ مَعَ صَاحِبِ قَسْتَنْتَالَةَ ؛ فَدَخَلَ مَدِينَةَ سَالِمٍ فِي طَرِيقِهِ ، وَقَدْ أَوْصِيَهُ بِذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّ رُسُومَهُ مِنْ شِعْرِ مَنْقُوشٍ وَنَارِيخٍ مَكْتُوبٍ وَأَمْرٍ مُنَوَّهٍ بِهِ مَفْقُودَةٌ .

وَحَدَّثَ مَنْ سَمِعَهُ يُوصِي ابْنَهُ عَبْدَ الْمَلِكِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ؛ فَقَالَ لَهُ : « يَا بُنَيَّ ! لَسْتُ نَجِدُ أَنْصَحَ لَكَ وَلَا أَشْفَقَ عَلَيْكَ مِنِّي فَلَا تُعَدِّينِ وَصِيَّتِي ؛ فَقَدْ جَرَّدْتُ لَكَ رَأْيِي وَرَوَيْتِي عَلَى حِينِ اجْتِمَاعٍ مِنْ ذَهْنِي . فَاجْعَلْهَا مِثْلًا لِبَيْنِ عَيْنَيْكَ . وَقَدْ وَطَّأْتُ لَكَ مِهَادَ الدَّوْلَةِ ، وَعَدَّلْتُ لَكَ طَبَقَاتِ أَوْلِيَائِهَا ، وَتَمَيَّزْتُ لَكَ بَيْنَ دَخَلِ الْمَمْلَكَةِ وَخَرَجِهَا ، وَاسْتَكْتَرْتُ لَكَ مِنْ أَطْعَمَتِهَا وَعُدَدِهَا ، وَخَلَقْتُ لَكَ جَبَابَةً تَرِيدُ عَلَى مَا يَقُولُكَ بِجَيْشِكَ وَبِنَفَقَتِكَ . فَلَا تُطْلِقْ بِذَلِكَ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَلَا تُقَيِّضْ لَطَلَسَةَ الْعُمَالِ ؛ فَيَحْتَثِلَ أَمْرُكَ مَرِيعًا ؛ فَكُلَّ سَرَفٍ رَاجِعٌ إِلَى اخْتِلَالٍ لَا تَحَالَةَ ! فَاقْصِدْ فِي أَمْرِكَ جَهْدَكَ ، وَاسْتَنْبِطْ فَيَا تَرَفُّعُ إِلَيْكَ أَهْلُ الْبَطَالَةِ . وَالرَّعِيَّةُ ، فَقَدْ اسْتَقْصَيْتُ لَكَ تَقْوِيَهَا ؛ وَأَعْظَمْتُ مِنْهَا أَنْ تَأْمَنَ الْبَادِرَةُ ، وَتَسْكُنَ إِلَى لَيْلِ الْجَسَنَةِ . وَصَاحِبُ الْقَصْرِ قَدْ عَلِمْتَ مَذْهَبَهُ وَأَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِهِ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ ، وَالْآفَةُ مِنْ بَتُولَاهُ وَيَتَلَمَّسُ الْوُتُبَ بِأَسْمِهِ ؛ فَلَا تَمُتْ عَنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ جَمَلَةً ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهَا سُوءَ الظَّنِّ وَالشُّبْهَةِ ؛ وَعَاجِلُهَا مَنْ خَفِنَتْهُ عَلَى أَقْلٍ بَادِرَةٍ ، مَعَ قِيَامِكَ بِحَقِّ صَاحِبِ الْقَصْرِ عَلَى أَمْرٍ وَجْهِ . فَلَيْسَ لَكَ وَلَا لِأَوْلِيَائِكَ شَيْءٌ يَفِيكُمُ الْحِشْتُ فِي بَيْنِ بَيْعَتِهِ إِلَّا مَا تُقْبِيه لَوْلِيَاهَا مِنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ . وَأَمَّا الْإِنْفِرَادُ بِالتَّدْبِيرِ دُونَهُ ، مَعَ مَا يَكُونُ مِنْ جَهْلِهِ وَعَجْزِهِ عَنْهُ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنَّي وَإِذْكَ مِنْهُ فِي سَعَةِ مَا تَسْكُنُنَا بِالْكِتَابِ

١ راجع ابن حيان في « ذخيرة » ابن بشام ( ج ١ / ٤ ، ص ٥٦ - ٥٨ ) .

والسنة . والمال المخزون عند الدتِك هو ذخيرة تملكك ، وعيدة .  
 حاجة تنزل بك . فأقِبه مقام الجارحة من جوارحك التي لا تبدلها  
 إلا عند الشدة ، تخاف منها على سائر جسديك . وأخوك عبد الرحمن ،  
 قد صيرت له في حياتي ما كجوت أني قد خرجت له فيه عن حقه من  
 ميراثي ، وأخرجته عن ولاية الشعر لئلا يجيد العدو مساعاً بينكما في  
 خلاف وصيتي ، فيسرع ذلك في نقض أمري ، ويجلب الفاقة إلى كواثلي .  
 وقد كفيته الحيرة فيه ؛ فاكثفني الحيف منك عليه . وكذلك سائر أهليك  
 فيما صنعت فيهم بحسب ما قررت به خلاصي من مال الله الذي بيده .  
 وخلافك بعدي أجدي عليهم بما صرفته إليهم ؛ فلا تضيع أمر جميعهم ،  
 والمظفر بعيني ، فإنك أبوم بعدي . فخرج ذكورهم باستخدامك ،  
 وألحف إنايتهم جناحك ، جبر الله جماعتهم ، وأحسن الخلافة عليهم . وإن  
 انتادت إليك الأمور بالحضرة ، فهذا وجه العمل ؛ وإن اعتاصت عليك ،  
 فلا تلتقي بيدك إلقاء الأمة ، ولا تنظر بك وبأصحابك النعمة والسلامة ،  
 فتتسوا آمالك في بطون بني أمية وشيعتهم بقرطبة ؛ فإن قاومت من  
 توثب عليك منهم ، فلا تذهل عن الحزم فيهم ؛ وإن خفت الضعف ،  
 فانتبذ بجاصك وغلثانك إلى بعض المعاقل التي حصنتها لك . واختير  
 عندك إن أنكرت يومك . وإياك أن تضع يدك في يد مرواني ما  
 طاوعتك بتناك ؛ فإني أعرف ذنبي إليهم ! »

قال : وسمعه يقول لعلمايه عند هذه الوصية : « تلتبها لأمركم ،  
 واحفظوا نعمة الله عليكم في طاعة عبد الملك أخيك ومولاكم ، ولا تغرؤكم  
 بوارق بني أمية ، ومواعيد من يطلب منهم سنانكم . وقدروا ما في  
 قلوبهم وقلوب شيعتهم من الحقد عليكم ؛ فليس يرأسكم بعدي أسفق عليكم  
 من ولدي . وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد ، وأن تكونوا كرجل  
 واحد ؛ فإنه لا يفل فيكم ! »

وانصرف المظفر لشأنه ، وضبط سلطانه ؛ وتخلّف المنصور ، ينازع  
 من أجله ، وانفراد بعلمه ، قد قطع الدهر به عن أمّله ، فسجانه الخي  
 الباقي لا إله إلا هو !

قلت : ولم شطير القول فيما اختص بدولة هشام بن الحكم المؤيد بالله ،  
 وكفالة المنصور ابن أبي عامر إياه ، إلا لكونه أشبه الأحوال بما نحن  
 فيه من جهة اتفاق الخواص على مبايعة صبي لم يبلغ الحلم ، وفي قطر  
 يقتدي الناس بأعلامه وأحكامه ، والتعويل في ذلك الرسم الإمامي على من  
 يتولى وزارة النفوذ ، وشأنها معروف ، إذ تعذر وجود جميع الشروط  
 المستبكرة ، ووجب مراعاة حال المصلحة المقدرة ، لا سيما ومن هذه النيابة  
 فقد عدم المظفر فيه عدالة وكفاية ، وتمثت أمور المسلمين بذلك أحسن  
 ما مشئت فيما سلف من الأزمان ، وكوثه عند من اقتصر عليه وأعطى  
 حفة يمينه فيه بما اقتضاه الاجتهاد الوقفي ، وغير ذلك من المناسبات ؛ فلذلك  
 مددنا القول فيه لكي يعتضد الشكل بشكله ، ويأنس صاحب هذه  
 الوظيفة الشرعية بذكر سير مثله ؛ فيجتهد ليراعي في فضله وعذله ،  
 وينكب عما أنكر عليه من قبيله فيجيد عن سبيله ، بمقدار نبيله . والله  
 يجعلنا ممن قصد الخير في أمره كله ، بقدرته وعونه وحوله ! وفي آخر  
 الكتاب عند الوزن ، والكلام في الزمان والمكان ، وفضل الدولة الميرنية  
 بالبرهان ، نستوفي ما نريده من هذا الشأن ، بمشيئة الله .

## دولة المظفر عبد الملك

### ابن المنصور محمد بن أبي عامر

وصار الأمر بعد محمد بن أبي عامر لولده عبد الملك ، الملقب بالمظفر  
 سيف الدولة ، يوم الإثنين ثلاث خلون من شهر رمضان سنة ٣٩٢ .

وخاطبَ الأقطار بالمغرب والأندلس، يعرف الناس بوفاء أبيه، وربما تصير له من أمره؛ فاستوسق له الأمر، ولم يخالفه أحد. واجتمع الناس على حبه. كان مع كلِّه بالنيذ، واستغراقه فيه، مراقباً لله، مجنباً للصالحين، يُظهر العدل، ويحيي الشرع، وينصر المظلوم، ويوفي بالبيعة، ويقع عدو الدين. وبألَّتْ شُعْرِي إلى أين يذهب الناس بعد هذا وما الذي يُريدونه! وكان بما تقرب به إلى قلوب الناس إسقاطُ سدس الجباية عن جميع البلاد. وابتدأ من الحد الذي وقف فيه أبوه، ترمياً بهيمة العالبة وآماله الشريفة.

قالوا: كان عبد الملك أسعد مولى ولد بالأندلس على نفسه وأبيه وغيرهما؛ فجدد الألقاب، واقتفى الرسوم. فلقد ذكر أن المصور توفي عن ألقاب عديدة من ألقاب الطبقات من بابه من الفقهاء والعلماء والكتّاب والشعراء والأطباء والمنجّمين؛ فلم يكونوا أوفر عدد ولا أسمى أرتزاقاً منهم في أيامه، مع عدم التلبس بشيء من أمرهم، إذ كان مقتصرًا على شأنه من التجرد والعمل بالسلح، حفظاً للرسوم، والتباساً لجليل الذكّر، وحرصاً على التزيّد والشفوف على غيره. وكان مثلاً في الحياة والشجاعة، إذ ما كان عند الحياة والشمسة بكرّاً عزيزة، وفي مواقف الكربة أسداً ورّداً، لا يقوم له شيء إلا خطه.

قال أبو مروان في «الكتاب المتين»، فقال يصف مدته: انصب منه الإقبال والتأييد على دولته انصباً ما عهد مثله في دولة. وسكن الناس منه إلى عفاف، ونزاهة، ونقي سريرة، ووثوق في بُعد همة، اطمانوا بها إلى جنبه في السر والعلانية؛ فباحوا بالنعم، واستثاروا الكنوز، وتناهبوا في الأحوال، وتناغوا في المكاسب، وتحاسدوا في اقتناء الأصول وابتناء القصور، وغالتوا في الفرش والأمتعة، واستقرّ هوا المراكب والغلمان، وغالتوا في الجوارح والقياس؛ فسَمَت أمان ذلك في تلك

المدّة. وبلغت الأندلس فيها الحد الذي فاق الكمال؛ فهدت تلك الدولة في احتشاد النعم عندها، وارتفاع حوادث الغير عنها، نذراً لerman قضاه، وأسبوعاً بعمره تملأه في كنف ملك مُقتبِل السعد، مبيون الطائر، غافل عن الأيام، مسرور بما تنافس فيه رعيته من زخرف دنياها. فاجتمع الناس على حبه، ولم يدهنوا في طاعته. ورضي بالعافية منهم؛ وآتوه لها. فصفا عبثه، وانشرح قلبه، وخلّصه الله من الفتنة.

وقال في إطراره دينه: كان في مرّ أمره عفيفاً متواضعاً على رفعة حاله، يبيكي على ذنبه، ويحب الصالحين، ويستهدي أذعيتهم. وذكر لقاءه لولي الله على عهده أبي أيوب الفريسي - نفع الله به -؛ ثم قال: وحكى الأستاذ أبو القاسم المغربي، فقال: طرّفه عبد الملك لئلا؛ وأحسننا بذلك لقربنا من منزل الشيخ؛ فامتألت المقبرة بحجل المطر، وقصد باب الشيخ في خيف من غلثمانه، والقاضي أبو العباس بن ذكوان معه؛ ففرغ الباب عليه، وهو قائم يصلي؛ فأدنته زوجته بكانه؛ وكانت فاضلة؛ وقالت: «يا أبا أيوب أوجز في صلاتك! فهذا صاحب البلد واقف على بابك، ينبغي الدخول عليك! فانظروا ما جناهُ عليك ابن...!» فانصرف، وقال لها: «يا هذه بلوى حلت تستدفع بالصبر! انثني له! وقانا الله فنتته!» فدخل وكلمه؛ فوعظه؛ ثم تناول كفه مضافاً، فقال له: «يا منظر! إن لك كفاً ناعمة رخصة». فانتق الله عليها من لفتح الجحيم! فأقبل عبد الملك على البكاء والنحيب؛ ثم دعا له ويدّه في يده؛ فقال: «بسّطها الله في الجهاد وأطالها بالصدقة! ما يبلّغني عنك بنعمة الله عليك إلا ما يسر! وقد وجب عليّ نصحك: فانتق الله ربك فيمن استرعيت أمرهم، وتذكر من بعد عنك وعجز عن قصدك! فاكشف عن مظالمهم جهنك، وتوق سوء دعائهم ما استطعت، واحترس من

١. يائس في الأمل. ولعله «ابن الفاعلة».

بطانتك أشد من عدوك ! فلهم أقرب إلى ضرك ، يُؤثرون لك شهواتك لينالوا رضاك ، ولا يغنون عنك من الله شيئاً . والله الله في الجهاد ! فيه أعز الله أباك - رحمة الله عليه عليك - بإصلاح السبل ؛ فهي أهم ما ترك إليك . وتقوى الله أول وآخر ما أوصيك به ؛ فاشعرها قلبك ؛ فإنك تأتي إليه وحده ، ولا يغني عنك أحد شيئاً ! » في كلام نحو هذا .

وذكر أن المظفر أرسل إليه بكرة من خمس مائة دينار وقال : « إنها من أطيب ترابي ! وأريد أن تضعها بكان ينفع ! » فقال : « ما أعلم إلا إمام المسجد هذا ليست له دار . فإن شاء أن يشتري بها داراً يوقفها على أئمة المسجد ، فنعماً هي ؛ وإلا فهو أعلم بصدقته ! » فأمر عبد الملك بذلك ؛ فالدار تُعرف بهذا من يومئذ .

قال : وكان مما سلك فيه عبد الملك مسلك والده من الأعمال الزكية نظره في السجون وكشفه عن طال منهم سجنه وتعذر خلاصه ؛ فيطلق من يؤمن إضراره بالمسلمين ويرجى سيوهم .

قال : وكان عبد الملك لصحة عقده ، مع قلعة عقله ، لا يجلف بالله البتة ، ولا يجلف به تعظيماً لله . كتب عنه الكاتب يوماً شيئاً من ذلك في وعيد ؛ فلما مر بسمعه ، أنكره ، وأمر بمحوه ؛ وقال للكاتب : « ومهما عهدتني خلافاً ؟ » قلت : « وقد ذكر الناس ذلك في مناقب أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه .

وذكر أن عبد الملك كان أبر خلق الله بوالديه . وحكى عنه في ذلك خلقاً شريفاً ألحقه الله رضوانه . وذكر حياته وعفته ؛ فقال : كان لا يكاد يرفع طرفه إلى سائل ولا معذور حياة ورفقة . وكان أعف خلق الله إزاراً ، وأستمر لعمولهم ، وأبعدهم عن جميع ما يتدنس في الملوك من وهنة وعهر خلوة . وأجرى شجاعته ؛ فقال : وهذه خلقة كانت أغلب خلل الظفر عليه ؛ فحكى عن الوزير حكيم بن بدر أنه أجرى لمحمد بن

علي بن محمد بن خزر المغراوي ، عظيم زانة ، مفتخراً به للعصية الأندلسية بعد موته بزمان ؛ فقال : « لا تشك ، يا أبا العاصي ، في أنه لم يكن في عسكره فارس يعدله البتة . »

قال ابن حبان : وكان من أحسن الغرائز في الناس ما جمع الله فيه من الحياء والشجاعة . فلقد استحق وصف القائل :

فنى هو أخى من فتاة حية وأشجع من لئس بخفان خادر  
ثم تكلم في سعدة ويمن سلطانه ، وقلقه ، ورفاهيته ، ومبانيه وآثاره ؛ فجاء ببدعات تحسدها الرمم البالية والدول الخالية . فيما ما أحسن الذكركم الجليل في بطون الأوراق ، والمحاسن تنشأ بالأندلس ، ثم تطير إلى الشام والعراق ؛ وسبحان الذي يقول ، حكاية عن نبه ( وأجعل لي لسان صدق في الآخرين ) وأجعلني من ورثة جنة النعيم . ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . ( . )

وله في الرؤم وسيل الجهاد آثار كريمة : غزا سبع غزوات ، منها إلى برجلونة وبلاد الفرنجة ، ومنها إلى بنبلونة ، ومنها إلى غليسية ؛ ومنها غزوة الحريقة ؛ ومنها غزوة قلونية ؛ وآخرها التي مات قافلاً عنها . وفي سنة ٣٩٤هـ ، تنهى ملكه ، واحتكمت إليه ملوك النصارى فيما شجر بينهم . وما رى في أمراء الجيوش أبسط يد في الحركات الجهادية ، ولا أرعد معونة من المظفر . ولقد كان يفيض العطاء في المطوعة التي تعبر البحر للجهاد معه من أرض العدو وجبال البرابرة . وعهد في غزوه التي فتح فيها حصن متنعص من تغر برجلونة إلى الخزان بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة وخمسة آلاف مغفر على طبقات الأجناد الدارين .

سورة الشعراء : ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٨

وفي سنة ٣٩٨ ، استدعى الخليفة إلى قصره بالزاهرة لنزهة أنشأها هنالك في قصوره ؛ فركب إليها من قصر الخلافة على سبيل المعهودة من الاستخفاف عن أعين الناس وطردهم عن طريقه بكل جهة ؛ والحاجب المظفر بين يديه في الجيش على العادة . وقاصد عبد الملك فيما أراده وتفتح من لقائه ؛ فلما انصرف من عنده ، أتبعه رُفعة بجملته ؛ وهي بعد بسم الله :

« من الخليفة هشام المؤيد بالله .

بسم الله الرحمن الرحيم .

أتم الله عليك نعمته ، وهنالك قيسه ، وألبسك عفوّه وعافيته ، لما رأيناك - سلمك الله - من صنع الله الجسم ، وفضله العظيم ، لنا عليك ما شفى الصدور وأقرّ العيون ، استخرنا الله تعالى في أن سبيناك المظفر . فنسأل الله سؤال إلحاف وضراعة وابتهاال إليه أن يعزقنا وإياك بركة هذا الاسم ، ويحلّيك معناته ، ويعطينا وإياك وكافّة المسلمين فضل ما حملت منه ، وأن يخيّر لنا وهم في أفضيته ، ويقرنه بيمنه وسعادته بئنه وخفيّ صنعه . وكذلك أجنّاك التكنسي في مجالسنا ومحافلنا ، وفي الكُتب الجارية منك وإليك في أعمال سلطاننا وسائر ما يجري فيه اسمك معننا ودوننا ، إنافة بمحلتك لدينا ، ودلالة على مكانك مِنّا . وكذلك ما شرفنا فتاك أبا عامر محمد بن المظفر ثلاثاً أسعده الله بالإنباض إلى خطّة الوزاريّين ، وجمعناه بها في التكنسي على المشيخة والترتيب . لئلا في الدولة . وأنت الحقيق مِنّا بذلك كله ، وبجمل المزيّد عليه ، لأنك تزييننا ، وسيف دولتنا ، ووليّ دفعوتنا ، ونشء نعمتنا ، وخرّيج أدبنا . فأظهر ما جدّدناه لك في الموالى وأهل الخدمة ، واكتب به إلى أقطار المملكة ، وتصدّق به بشكر النعمة ! أحسن الله توفيقك ، ومثمننا طويلاً بمعاذاتك ، وآتسنا مكيّاً بدوام سلامتك ! إنّه وليّ قادر ، عزيزّ قاهر ، إن شاء الله تعالى ! »

وعنوان ما كتب به عبد الملك : « من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبد الملك بن المنصور . »

وكان عبد الملك قد أجحف بالمال لانطلاق يديه في حاصله ، والتوسعة على الناس بسدسه ، وكثرة حركاته ، والتجاوز في نقفاته . ثمّ تاب في أخريات أيامه ؛ فهجر اللهو والراحة ، واستيقظ من الغفلة ، وعكف على مباشرة أمره ، والإشراف على سلطانه ، وإحياء رسم والده . فانقلب إلى طرف من حاله ، حسم به أطباع العيال ووالى الجلوس للكشف عليهم ؛ فتضاشرت رغبته وحرصه ، وتراحت أحواله المالية إلى الصلاح والوفور . وبلغ من ذلك في المدة القصيرة ما رجيت بعده الثروة ، وحسنت العاقبة . وقضى الله باحترامه عند تركه في ذلك أسد ما كان في رأيه وأضبط ما كان لشأنه ؛ فضى حصيداً .

وكان قد اعتل في منصرفه من غزوه بالصائفة سنة ٣٩٨ عن بلاد سانبه ابن غربية ؛ ووصل الحضرة منتصف المحرم في عايل عثته متحدثاً بالانكفاء إلى أرضه ؛ فلم يستقر بقرطبة إلا ريثما تراجعت قوتنه إلى أن صحّ عزمه على مفاجأة العدو بالشانية ؛ فخرج من قرطبة للنصف من صفر سنة ٣٩٩ ؛ فزاد به مرض الذبحة . ووقع العمل على إعادته إلى قصره في العمارة . فكانت وفاته بها في الطريق قبالة دير أرميلاط من أحواز قرطبة - رحمة الله عليه - يوم الجمعة لإثني عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٣٩٩ . وولي الأمر بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور .

## دولة عبد الرحمن بن المنصور

محمد بن أبي عامر

ولما دخل المظفر قصر الزاهرة ميثاً ، وقد كان أخوه ضبطه مستخلفاً



عنه ، فقام بالأمر ، وأنتفق الأموال ، وثقف المدينة ، وجلس يجلس أخيه . ودخل الناس عليه مهتئين . ثم ركب إلى قصر الخليفة ؛ فعزاه بأخيه ؛ وانصرف ، وقد خلع عليه خلعاً سلطانيةً ، وقلّده الحجاب ، وأصدر له بحطته تسميته بالمأمون . فتلقّب بالناصر ، ثم بالمأمون . فكان يدعى بالخليفة الأعلى المأمون ناصر الدولة . وساء تصرّفه ؛ وانتهى إليه مثل الدس : وإذا أراد أنه أمراً هيئ أسبابه ! وسلك خلاف مسلك أبيه وأخيه في مداخله الخليفة والوفوف في أمره عند ضرورة السياسة ؛ فتفق إليه ، وفتح الباب إلى تيسير أغراضه ، واستاله ، وخلطه بنفسه ، وطرده العمل في استدعائه إلى التزّهة على ركنه من الحجة عن الرعية . وكان ركنه أن يكسب برئساً في جملة الجوّاري ؛ فلا يعرف منهن . وأوعز بالاحتفال له .

وسوّلت لعبد الرحمن نفسه أن يلتبس ولاية عهد هشام ، والقيام بأمر المسلمين من بعده ، إذ كان هشام قد عدم الولد ضعفاً ومهانةً ؛ فأسغفه بذلك ، مثيراً على نفسه الفاقة ؛ فإن المروانيين من أهل بيته كانوا يرتقبون عادة الدهر بالكرّة التي تعيد الأمر إليهم منسلخاً عن العامرية ؛ فهم يتعلّقون بالأحلام ، وأضغاث المنام ، ويزجرون ساعات الأيام . فلما رأوا انصراف العهد إلى بني أبي عامر ، وخروجه عن بني مروان ، بكّوا ما لا يسعه ذرع التحمل . وشرع رجالهم في مبادرة الأمر واستالة من دونه ؛ وقد جبّل الله أهل قرطبة على ملل ملوكها ، والفاقير بذوي أثرها ، والإرجاف بما يتوقّع لها . وكان سفهاؤهم بالأسواق والمجاميع غير المحتشمة تؤثر عنهم في العامريين نوادر حارّة واستراحات عنهم ؛ كان المصور وولده المظفر يستحضر لذلك مشيختهم ، مرمم بلإناه وعييده ، وبشافهم بإنكاره ؛ ولا يزال حكّامه يبلغون في تغيير ذلك وإنكاره أقنصى المبالغ ضرباً للظهور ، وقطعاً للألسنة . فلبّاه ذهب عبد الرحمن هذا المذهب ، وأطاع هذا الخرق ، كثر الحمل ، وشهرت البغضة .

قال أبو مروان بن حيّان : وقد تقدّم القول في سبب تعلّق هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجرية من غير تأويل ولا عقيدة ، وكيف استهواه كيد الشيطان ، وعزّته قوة السلطان إلى أن ركبها عمياء مظلمة ، لم يشاور فيها نصيحاً ، ولا فكّر في عاقبة ، بل جبرها بالعجلة . ولم يهل الخليفة بعد منصرفهم من تزوّجهم التي أوقعوا فيها هذه الوهلة ، حتى عدّ عليه اليوم الرابع في جيوشه المتكاثفة وعدّه المتظاهرة ؛ فأخذ عليه ألقاب قصر الخلافة ، بعد أن أحضر من شاء من طبقات أهل الحضرة ؛ فأجلس لهم هناك ، وأسهدهم فيما أمضاه من الولاية . وأخرج كتاباً فريء بحضرته من إنشاء كاتب الرسائل أبي حفص أحمد بن برّد - رحمه الله . وهذه نسخة العهد بالبيعة :

« هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله - أطال الله بقاءه - إلى الناس عامّة ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصّة ، وأعطى عليه صفقة بينه وبينه تامّة ، بعد أن أمتعن النظر ، وأطال الاستخارة ، وأهمل ما جعله الله إليه من إمامة المسلمين ، وخصّه به من إمرة المؤمنين ، وانتقى حلول القدر بما لا يؤمن ، وخاف نزول القضاء بما لا يضرف ، وخشي أن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدور ذلك به ، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه ، ولم يوردها ملجأ تنعطف عليه ، أن يكون يلقي الله مفرطاً فيها ، ساهياً عن أداء الحق إليها . ونفض عن ذلك طبقات الرجال من أحياء قرّيش وغيرها ممن يستحق أن يسند الأمر إليه ، ويعول في القيام به عليه ، ممن يستوجب بدينه وأمانته وهده وورّعه ، بعد اطّراح الهوادة والتبرّي من الهوى ، والتحرّي للحق ، والتزلّف إلى الله ، عز وجل بما يرضيه ، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب ، عالماً بأن لا سقاة عنده أعلى من العمل الصالح ، وموقناً أن لا وسيلة إليه أرضى من الدين الخالص ؛ فلم يجحد أحداً هو أجدر أن يقلّده الخلافة ، ويؤوض إليه النظر في أمر الخلافة بعده ، في فضل نفسه

وكرم خيمه وشرف هيئته وعلو منصبه ، مع تقواه وعفافه ومعرفته وحزمه ، من المأمون الغيب ، الناصح الجيب ، النازح عن كل عيب ، ناصر الدولة أبي المطرّف عبد الرحمن بن المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر - وفقه الله - إذ كان أمير المؤمنين قد ابتلاء واختبره ، ونظر في شأنه واعتبره ؛ فراه مسارعاً الخيرات ، مستولياً على الغايات ، جامعاً للباثرات ، وارثاً للمكرمات ، يجذب بضبعه إلى أرفع منازل الطاعة ، وينبو بعينيه إلى أعلى درج النصيحة ، أب منقطع القرن ، وصنو معدوم الغريم ، ومن كان المنصور أباه ، والمظفر أخاه ، فلا غرو أن يبلغ في سبيل الخير مداه ، ويجوي من حلل المجد بما حواه ، مع أن أمير المؤمنين - أكرمه الله - لما اطّلع من مكنون العليّ ، ورعاه من مخزون الأثر ، أمّل أن يكون وليّ عهده القحطاني الذي حدث عنه عبد الله بن عمرو بن العاصي ، وأن يتحقّق به ما استندّه أبو هريرة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه . فلما استوى له الاختيار ، وتقابلت عنده فيه الآثار ، ولم يجد عنه مذهباً ولا على غيره معدلاً ، خرج إليه من تديير الأمر في حياته ، وفوض إليه النظر في الخلافة بعد مماته ، طامعاً راضياً ، ومجتهداً مستخيراً ، غير محابٍ له ولا مائل له بهوادة ، ولا متشرك نصح الإسلام وأهله فيه . وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده فيها إن رأى بقاء ذلك في أمير المؤمنين - أعزه الله . وأمضى أمير المؤمنين - أعزه الله - عهده هذا ، وأنفذه ، وأجازته ، وبثله ، لم يشترط فيه منسوبة ولا خياراً ، وأعطى على الوفاء بذلك في سرّه وجهه زينة . فلهذا لم يزل يسمّى بيمينه - صلى الله عليه وسلم - وذمة الخلفاء الراشدين من آله وأبائهم ، وذمة نفسه ، بأن لا يبدل ولا يغيّر ولا يحول ولا يتأول . وأشهد على ذلك الله وملائكته ، وكفى بالله شهيداً . وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب . وهو - أعزه الله -

جائز الأمر ، ماضي القول والفعل ، بمحض من ولي عهده المأمون ناصر الدولة أبي المطرّف عبد الرحمن بن المنصور - وفقه الله - وقبوله لما قلّده ، والتزامه ما أزمه . وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ .

وهذا الكتاب نسختان ؛ أول الشهود فيه قاضي الجماعة أحمد بن عبد الله بن كسوان ؛ ويليّه من الوزراء خاصة أسماء تسعة وعشرين رجلاً ؛ يليه أسماء مائة وثمانين رجلاً من أصحاب الشرطة وسائر أهل الخدمة من الحكّام والقضاة والفقهاء المشاورين ، وغيرهم .

قال ابن عوّن الله : وصدر عبد الرحمن في أهل المملكة إلى قصره بالزاهرة ، يخال في ثوب الخلافة ، ويحسب أنها له نخلة . فلما استقرّ به مجلسه ، أذن خاصته من الوزراء والأصحاب وأكابر أهل الخدمة بالدخول إليه ؛ فأفاضوا في ذكر تهنّيته بما أكرمه الله به ، والدعاء له ، والمعونة عليه ، يمدونه في غيّه ، وقلوبهم منكّرة عليه ، وهو يؤلّهم قبولاً ، ويؤسّهم تشكّراً . وأمر بإفاد الكُتُب عنه إلى أقطار المملكة بالأندلس والعدوة ، يخبر بولايته العهد والإمعان إليهم بالدعاء له على منازمهم بالعهد بعد الدعاء للخليفة ، مع تسق أسماؤه المجموعة له .

قال : وعدّا وجوه الناس من أهل قرطبة لتهنّته المغرور عبد الرحمن بهذه المنحة ، التي كانت عندهم أشدّ محنة ، كلهم يعزّي عنها نفسه ، ويكفّف عنها عليها عبرته ؛ ثمّ تجملوا بالملق . وجلس هم عبد الرحمن بقصر الزاهرة في مرتبة الملك ، لا ينقصه دققة ، وصفاً رجال المملكة قياماً ، بين يديه على مراتبهم في رائق أبنائهم ؛ وأذن لمن حضر الباب بالدخول إليه لتهنّته ؛ فدخلوا على منازمهم ، يقدمهم المبتعدون عن الخلافة من أهل بيت المؤيد هشام المرواني وغيرهم من بطون قرطبة ، تبدو عليهم في ظاهريهم الاستكانة والكبوة ؛ وتساؤل بعدّهم وجوه الناس من الحضرة ؛ فقصّوا حتى تهنّته ، وغبطوه بما ارتقى إليه من رفيع مرتبته ؛ فأحسن الرّد

عليهم ، وخرجوا من عنده ، وقلوبهم ذؤوبة عليه موقدةً ببعثه .

وولى عبد الرحمن ابنه عبد العزيز خبطة الحجابة مجموعة له بسيف الدولة ، لقب عليه المنظر . فرمى هذا الطغاة بالحجابة بقية مدة أبيه .

وانتهك عبد الرحمن بعد هذه الحادثة في غيبه ، وأقبل على بطائه ، وجاهر بلذاته . ومال إلى صفة الجند بكائيه ، فأدى أكبر الفريقين ، ونادى وجوه الخبيثين ، أعني البرابر والأندلس ؛ فأكثروا الشغل بالراحات والاسعاف بالمحالات ، حتى تفاقم الأمر ، وهو ذاهل عن ذلك كله ، مشغول بشأنه .

قال ابن الوثيق في كتابه : لما تم له ما أراد من ولاية العهد ، ودبر سائر الأمور ، أخذ في التخليط والفسوق والانهماك في مجلس شرابه وخلوته حتى كبا لغيره عن قريب ، حسبا تذكرة إن شاء الله .

قال ابن حبان : ومن مختار ما قالته الشعراء في نهضة عبد الرحمن بولاية العهد قول أبي العلاء صاعد البغدادي : [ الطويل ]

قرأت كتاب الجود وحذرك أولا وأوضحت منه كل ما كان مشكلا فلما تجللى الحسن منه لبستته فأحسنت في الأقوام أن تنفضلا أما والذي أعطى الخلافة ربها أغر معيئا في التبايع مخولا لقد حازها مرمخ عليها جناحه عقاب إذا ما أغلق الصيد جلجلا

وقال أبو منصور زيادة الله الضبي في ذلك بدعية : [ البسيط ]

تخير الله والسلطان للأمر ولي عهد براه الله من كرم لا يعدم الملك منه أن يشيد له عزاً شديداً بضرب السيف والقلم اختاره الله للإسلام بحفظه وخضه بعلو القدر والهمم

وقال أيضاً : [ الكامل ]

بولي عهد المسلمين سا الثقى وابيض وجه الدين حتى أشرفنا

الآن أبلغت الخلافة سؤلها وغدا لها رأي الإمام موقفاً عند الإمام لها فأثبت عزها بولاية المأمون عهداً موقفاً ملك ترى نور الهدى يجيئه متبليجاً وسى الثقى متألقاً زان المغرب في ولاية عهده بالبر والتتوى فشاقي المشرفنا لو أن مكة تستطيع زيارة لأنت ل إليه مودة وتشفق

وقال قاسم بن محمود المرواني :

[ الطويل ]

لقد وفق الله الإمام المؤيدا فقلدك العهد الذي مد عقدك فقلتك العهد الذي مد عقدك شهدت بأن الله ولاك خير من وإتاك يا مأمون أفضل منتقى وهل دخر الرحمن ذا الملك لارىء الا يا ولي العهد فليت عزة تقلده وابشير بالخلافة بعده فأنت الذي جاءت به النذر التي وأنت أمين الله مهدي يعزب بن لى كان هذا الأمر بدءاً وفيكم

وقال كاتب الرسائل ، وأفرط في قوله ، وهو مولى بني مروان :

[ الكامل ]

الآن عاد الدهر غصاً مشرقاً وتمكنت أرجاؤه واستوسقا وغدا هلال الحق بدرأ بعد ما قد كان أصبح شله متفرقا بولي عهد المسلمين ومن غدا في المشركين إذا تقم فيلقنا فانه يشهد للوئيد أنه قد حاط أمة أحمد منه بقا

وأحلّهم في باذخ متمنع صعب حواشيه عسير الملتصقا  
أمرى بفتش قومته وعشيرته شحاً عليها والحميم الألفقا  
ورجا بأن يُلقي إذا ما فتشوا في عبد شمس للخلافة معلّقا  
فراهم متخلفين عن العلا لا يصلحون لأن يسوسوا جرّدا  
فرمى إلى المأمون أمر جميعهم إذ لم يزل حديبا عليها مضفا  
قالوا إذا ضعفت قرّيش أحرّرت وأبو هريرة قال ذاك مصدقا  
وأنى عن العاروق أكرم أسوة خبر غدا للخافقين مطبعا  
لو أن فيكم سالما قدمته ليسي الأمور مغربا ومشرقا

وهذا الذي جلبنا : بعض من كلّ وقليل من كثير . ولو أننا رأينا  
أخبار العامرية غير مستقلة ، لذهبنا في الاختصار أقرب من هذا  
المذهب .

ونحرك إلى الغزو ثانية ٣٩٩ التي اجتمعت أمره . وكان فتاه الأكبر  
نصح له في ترك الغزو ، وخوفه من اضطراب الناس ، وأبلغه عن بعض  
المروانيين نصيحة في محاولة وجل منهم القيام عليه ، واستجابة تخلق من  
الجند إليه ؛ فأعرض عما ذكر ، واستهان به ، وقال : « والله ، لو اجتمع  
بنو مروان إلى مرقدي ، وأنا قائم ، ما أيقظوني ! » وهذه سبيل القرون  
التي سلك عليها معظم أهل الدول ، إلا القليل من الحزمة كالمصور ؛ فإن  
الحازم من لا يأمن الدهر ؛ فإنه جهم العجائب ، ولا يبطل طبيعة المشركين ؛  
فإن القريب في الدنيا بعيد ، والبعيد قريب ؛ والحازم من يزن كئلا  
بيزانه ، ويعده له عدته ، ويعطيه حظا من فكره وكفلا من احتياطه ؛  
فإن اتسقى حال السلامة ، لم يضر حازما حزمه ولا محتاطا احتياطه ، ولو  
لم يكن في ذلك صلاح ، إلا أنه سببا للعدو ، وكيد للمكيد في أن يبصره  
بعيدا عن الغفلة ؛ فيتهيب رأيه ، ويتروك مهاجمته ، ويغتنم السلامة معه والنجاة

منه وضبط القطر بأولي غناه من رجاله وذوي كفاية من بيطانته .

ونفذ بسيله في وقت لم يسع بأشد منه قوة برد وكلب مطر .  
واقترح جليقيته من تغر طليطلة على سبيل منكبة من اللهو والبطالة .  
وكان يوعز إلى صاحب شرطته في المحلة أن يتنادي في الناس : « بأمركم  
أمير المؤمنين بكذا وكذا . » فيفعل ، ويقول له إذا عاد : « كيف رأيت  
الناس ؟ هل أنكر أحد منهم شيئا ؟ » فيقول : « لا ! » فيقول : « عاود  
ذلك مرارا كثيرة ! » إلى أن وصل طليطلة . وبها اتصل به أن محمد بن  
هشام بن عبد الجبار قام بشرطية ، واستولى على القصر ، وفتح مدينة  
الزهيرة ، وأخذ أموالها ، ثم أحرقها وهدمها ؛ فهاله ذلك ؛ وضبط الجيش ،  
وأنى قلعة رباح ؛ فأقام بها حائرا بنفسه ، لا يدري ما يصنع إلا أن  
يستحلف الجنند عند المنبر . وكان قد صحبه في موكب قوميس كبير  
من زعماء النصارى ، المتوسلين إليه بقرني أمه من غلومة الملك . فلما  
رأى اضطرابه ، عرض عليه رأي الخلاص من اللحاق والنجاة ، وبين له  
الأمور ؛ فقال له : « أنا على علم من أني إذا ظهرت لأهل قرطبة ، لا يبقى  
أحد على ابن عبد الجبار ! » فقال له الرومي : « أنا على علم من أنك  
مترور ! واهأ لك ! ولكن لا يوسعني الوفاء لك إلا الموت معك ، مع  
أنني قد أمكنتي خلاص نفسي ؛ فدونك وما شئت ! »

قال : ودعا أهل العسكر إلى مبايعته على حرب أهل قرطبة ونصر  
الخليفة المظلوم ؛ فلم يمتنع عليه أحد ، وأقبلوا يحلفون له أيا ما متوالية .  
وقال ابن يعلى الزناتي : دعاني وقال لي : « أصدقني عن نفسك وعن قومك !  
فلا رأي للكذب ! » فقلت : « نعم ! لا تغتر ! فليس يقابل عنك  
أحد من زناتة ؛ وإناس تبع لهم ! » فشق عليه ذلك ، وقال : « ما الدليل  
على قولك ؟ » فقلت : « تأمر بتقديم مطبخك إلى طريق طليطلة ،  
وتظهر الرحيل ؛ فتعلم من يتبعك ومن يتخلف عنك ! » فقال :

« حدثت ! » ثم لم يفعل ، ورحل إلى قرطبة وقد زين له عدائته دخولها عنوة . وأخرج إليه ابن عبد الجبار حاجبه ابن كزى ، وقد فرّ عنه الناس . فقتل رحمه الله . وقتل معه ابن 'غوميس' ، وذلك بتزول هانيء من أرميلاط ، أدنى محلاته إلى قرطبة ، يوم السبت لأربع سلكون من رجب من السنة .

\* \* \*

وانقضى أمر العامرية . وإلى دولتهم بكتعت حدود التناهي في دول ملك الأندلس ، بحسب ضيق الخطّة وبُعْد النجعة ، إذ الأمور لا تقاس إلا بأشكالها ، ولا تناظر إلا بأمثالها . فذكر أبو مروان حيان بن خلف رحمه الله . في كتابه الذي أنافت على المائة أسفاره ، المسمى بـ « أخبار الدولة العامرية » المنسوخة بالفنشة البوريسية ، وما جرى فيها من الأحداث الشنيعة ، فقال : كتب إلى أبو التامم محمد بن مرشد ، أحد بقايا وجوه الكتّاب المستأجرين المتمتعين بالنظر والمعرفة على كبر السن ، معرّفاً بأشياء سألته عنها من هذا الباب سنة ٤٣٦ ، أنكتبها نعتلاً من كتابه ، وهي :

مبّلع الحياة آخر أيام المنصور أربعة آلاف ألف دينار ، وسوى رسوم الموارث بنظرية وكور الأندلس كانت تجري على الأمانة ، وسوى مال السبي والمغانم على اتساعه في هذه المدة ، وسوى ما يتصل به السلطان من المصادرات ومثل ذلك بما لا يرجع إلى قانون . قال : وكانوا يعتدونها أربع بيوت : تؤخذ الثغقات السلطانية منها على المشاهدة بالزيادة والنقصان ، ما بين الشهر والشهر مائتي ألف دينار إلى مائة وخمسين ألفاً ، إلى أن يدخل شهر يونيو العجمي : فيتضاعف فيه الإنفاق من أجل الاستعداد لغزو الصائفة ، فينتهي منه إلى خمسمائة ألف دينار وأكثر منها . وما فضل من المال بعد جميع النفقات أحرّره السلطان في بيت ماله مع غير ذلك من ضروب استفادته .

قال : وكتب أبو محمد عبد الله بن مروان ، آخر خدّاق كتّاب المحاسبة اليوم ، وممن لحق طرفاً من تلك الدولة أن محمد بن أبي عامر أحب الوقوف على حاصل الأطعمة في الأهراء عندما اعتزم على غزو برجلونة سنة ٣٧٤ ؛ فارتفعت جبلته إلى مائتي ألف مديني ونيّف عليها . قال : فلحقه العجب بذلك حتى قال : « أنا أكثر طعاماً من يوسف صاحب الخزان ! » فلم يظلمه يعني كليلته إذ برأها من الاعتصام من ربّه تعالى ، واعتورته السنون الشداد المتوالية من سنة ٣٧٨ ؛ فانتسفت أطعمته باتصال الإنفاق وعدم الاغتلال ، حتى أشفى على المجاعة وهم بالجواز إلى العدة لحصنها يومئذ ، حتى أغاث الله بلاد الأندلس ، وأخرج أرزاقها ؛ وجعل بعد ذلك لا يستكثر شيئاً من الأطعمة ، ولا يقتصر على ما يجنيه منها حتى يخرج المال في شرائها في سني الحصب . فهلك وحاصله منها جملة غليظة .

وكتب إلى أبو عبد الله بن سعيد التجاني بما أنبأته ، فقال : كان عدّد جميع الأجناد العامريين ، من الفرسان خاصة من سائر الطبقات والأحرار ، وجميعهم مرتزقون في الديوان ، يُقام لهم بالحنبلان والحليّة والسلاح والمنازل والثقة والمعلوفة على مراتب مختلفة إثني عشر ألف فارس ومائة زيادة . قال : وانتهى تحصيل المنصور بن أبي عامر لجميع من ضمه عسكره في بعض أصوائفه الحافلة من الفرسان خاصة إلى ستة وأربعين ألف فارس . فكان عدّد الفرسان الحرس لحمل العدة وخدمة العساكر ستمائة فارس ، وعدّد الشرط والرؤاد المصروفين في خدمة العساكر مائتي فارس ، وعدّد الطبّالين مائة وثلاثين فارس . وانتهى عدّد الرجالة معهم إلى ستة وعشرين ألف راجل .

قال : وأذكر أن المنصور بن أبي عامر ، لما اعتدّ للصائفة التي توفي في قوله عنها سنة ٣٩٢ ، أنفذ الكتّاب إلى جميع الثغور بأن يلحق ببابه

جميع طَبَقَاتِ الْمُتَرَجِّلِينَ مِنْ فُرْسَانَ الْجُنْدِ بِسَائِرِ النَوَاحِي ، لِشُرْفِ عَنْ حَمْلِهِمْ بِنَفْسِهِ ؛ فَعَمَّهُمْ جَمِيعاً بِالْإِرْكَابِ لِكثْرَةِ مَا تَكَامَلَتْ مِنَ الْحَيْلِ يَوْمَئِذٍ . وَقَادَ مَعَ نَفْسِهِ فِي الْعَسْكَرِ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعُمِائَةَ رَأْسٍ مِنَ الْحَيْلِ أَغْرَاءَ عِدَّةٍ لَمَّا مَجِدَتْ فِي طَرِيقِهِ ؛ وَمَعَهُ خَمْسُونَ فَرَساً مِنَ الْعِتَاقِ لِرُكَابِهِ ، إِلَى قَرِيبٍ مِنْ عِدَّتِهَا تَحَلَّفَتْهَا بِقَرْطَبَةِ . وَأَفْضَلَ مَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي الْإِصْطِبَاتِ بِقَرْطَبَةِ مِئْدَارَ أَلْفِ فَرَسٍ عِدْوِيَّةٍ كَانَتْ طَرِيقَةَ الْعُبُورِ ، اسْتَعْنَى عَنْهَا ، وَأَمَرَ بِالْقِيَامِ عَلَيْهَا .

قال : وواصل الابتداء على ذلك في طريقه كله من الوفود وغيرهم إلى أن ورد مدينة سالم ، وقودته من الأغراء نحو ألف فرس . وكان له من المطايا والبغلات سوى ما يحمل عليه مائتان وخمسون رأساً ، منها لركابه نحو خمسين . وكان له من البيغال المستخدمة في الأسفار نحو ألف رأس سوى الزوامل الحادمة للحيل ومطايا الوسلاء . وكان له من الجمال المتصرفة في حمل الأثقال أربعة آلاف ، إلا مائة بمسارج كورة ندمير . وكان له من الرماك المستنتجة بجزائر إشبيلية المعروفة بالمداين على أجناسها ثلاثة آلاف فرس ، يعدلها من فحول الحيل للشراب أو أن الاستنتاج مائة رأس نعرزل عند العلو .

قال : وكانت حمولة ابن أبي عامر لغزاته الصائفة الحافلة ما بين أثنائه وأثنائه غلثامه خاصة تنهي إلى ألفي رأس في أغم السنين ، إلى مائة رأس كانت معه تحمل أرواح الطحن الموزعة بجهات عسكره لطحن الأزواد . وربما قصر ظهره هذا عن حمولته في بعض الأوقات ؛ فيحتاج إلى الاكتواء من الناس من بلد إلى آخر . ثم قال : ومن تفصيل حمولته ( وقصّل ألقاباً من السراديق الكبير ، والمطبخ ، وآلات الوضوء ، ودار الصناعة ، وأغلال السجين ، وحمل المسال ، وأرجل النساء العواري ، وأخيلية الفتيان ) . وكان من جملة مائة داخل السراديق ومائتان إلا

سنة تحمّل لمن لا قطعة له من الجند ، وغلاظة خباء تتحمّل الرجال ، وثلاثون خباء فاضلة للأضياف والواردين . ثم ذكر عدداً كثيراً للغطاء والوطاء على صنوفه ، وآلات المطبخ ، والسقائب ، والوضوء ، والمائدة ، وتوابيت الكيس والحلج ، وآلات المنجنيق ، وتوابيت النبال ، وصناعات العسكر ، والزيت ، والنقطة ، والفطران ، والمشافة وما يستضاف إلى ذلك ، وأحبال الدروع والعدة ، وأرجل الزمائل والمقدمين .

ثم قال : وهذا كله زائد على ما كان يقدم إلى الثغر من العدة على دواب الأكرية المستأجرة لحمل ستمائة ثرس عامري ، وألف ثرس سلطاني ، وألفي حربة إفرنجية ، وألفي وسم للرجم ، وأربعمائة وإثنين وعشرين خباء ، ومائة وسبعة وسبعين خباء من الأخبية المعروفة بالفرو ، وخمسين ربيعاً من الزيت ، وستة بحانيق من مدينة سالم ، ومائتي ألف سهم ، وخمسة آلاف ثرس سلطاني من مدينة سالم ، ومائتي زوج من أزواج المطاحن ، وآلات الحديد . وكان يدفع لأهل الحملان وللموالي فرس ومطية ومرج ولجام ، ولكل واحد نفقة شهرية من الطعام والعلوفة ؛ وتعين لهم الدور للسكنى .

وكان الرّمم أن يوضع من الأخبية عدة للجند كل عام على أجناسها ثلاثة آلاف خباء ، إلى ما يقيه السلطان نفسه ولمن يتمون إياه من كبار خدمه وغلثامه . وكان يصنع بدار التراسين من أصناف التراس كل سنة ، حسباً تلقينته من يحيى التراس ، أحد من بقي من مشيخة التراسين في وقتنا ؛ فقال : كان الطريقة من التراس في السنة ثلاثة عشر ألف ثرس ، وطريقة القسي في السنة إثني عشر ألف قوس بشطرين عريته وشركية : ستة آلاف من قبل أبي العباس البغدادي المعلم الأكبر بقرطبة ، ومثلها من قبل طلحة الصقلي بالزهاء . وكانت طريقة النيل في الشهر عشرين ألفاً .

قال التَّجَانِي : وكان بالزاهرة على ذلك كله من التراس الحفصونية المَعْدَّة للتوزيع على رجالة قُرْطبة وغيرهم من المسجودة أيام البروز والزينة أربعون ألفاً . وكان فيها من أبدان الدروع المستعدة فيها لذلك سبعة آلاف درع ، ومن أجناس الدروع السوابغ والغلائل السابريَّة خمسة آلاف درع ، ومن الجواشين الثنسيَّة والحراسانيَّة سبعمائة قطعة .

قال : وكان الجاري من اللحم على صقاليَّة ابن أبي عامر على طبقاتهم في الشهر وقسطنط المياومة سبعة وعشرين ألف رطل ؛ والجاري على نسائه في قصره على طبقاتهن منه تسعة آلاف رطل ، سوى وظيفة مطبخة الخاصة المتقامة كل يوم ؛ فإنه لم يَغْفُ عليها .

وزعم أن عدَّة الفرسان من البرابرة الغرباء في ديوانه ثلاثة آلاف فارس ، يضاف إليها من رجالة الرقاصة السودان الداخلين في عدادهم ألفا وأجل تَبْمَة خمسة آلاف .

وذكر أحوال الطراز ، وما يضع فيها ، ومقدار ما كان يَرْدُ على بابه من الرصاص والحطب . فرأينا أننا نطولُ بكتِّب ذلك .

قال : وكان يُودع لدواب السلطان من شعير القصيل لضم خيل الحلمان وغيرها مُفْتَسَح الزبعة من كل سنة بالأحقال السلطانيَّة في أَعَمَّ السنين خمسمائة مُدِّي من الشعير . وكان حاصل الابتاع من الخيل في أَعَمَّ السنين ثمانية آلاف فرس ، سوى ما يُبتاع من البغال بأرض الأندلس .

قال : ولما عزم على غزو مُنْتَبِيور ، احتاج إلى الاستكثار من البغال ، وأمر باستحضار ما يصلح منها ، وقعد لما يُقاد بين يديه منها ؛ فابتاع في سبعة أيام متواليَّة من شوال من هذه السنة ثلاثة آلاف رأس . وقال : شاهدتُ عند التفاوض في خزانة السلاح بين محمد بن إسماعيل القرطبي وعبد الله بن اللباد ؛ فأذكر أن القرطبي دخل فيها من العدة على نحو خمسة عشر ألف جنَّة ، ما بين درع سابعة وجوشن وبدن خاصة . وأما سائر الأسلحة

من الدرق والتراس والسيوف والرماح والبيض والبطشثانيات والسوق والسواعد والدبابيس والبطبرزيئات وغير ذلك ، ففأت إحصائي كثرة ، إلى ما شافته في خزائن الحلية من أجناس المراكب المُقَضَّة والمذهَّبة والحِزَم والمناطق والشروج واللَّجْجَم المختلفة الصَّفات ، وغير ذلك بما يحير اللب اتساعاً وكثرة ؛ كل هذا أحاط به الشَّهْبُ يوم قيام ابن عبد الجبار خطفة في ساعة ، لم يحصل منه على شركة ؛ فأعظم بها نكبة .

وبلَّغت المدينة من الاتساع والانبساط وبُعْد الأقطار إلى أن كانت أرباضها إحدى وعشرين رِبْضاً ؛ كل رِبْض منها يُعَدُّ أكبر مدينة من مدائن الأندلس ؛ بالجِهة الغربيَّة منها تسعة : رِبْض الرقاقين ، رِبْض مَسْجِد الكهف ، رِبْض حَوَانِيت الرِّمَّاني ، رِبْض مَسْجِد الشُّفاء ، رِبْض مَسْجِد مَسْرُور ، رِبْض بِلَاط مُغِيث ، رِبْض حَمَّام الإلبيري ، رِبْض السَّجْن القديم ، رِبْض الرِّوض المُحَدَّث ؛ والجِهة الجوفيَّة ثلاثة : رِبْض الرُصَّافَة ، رِبْض باب اليَهُود ، رِبْض قُوتِ رَأْسِه المنسوب إلى أم سَلَمَة ؛ والجِهة القِبْلِيَّة إثنان : رِبْض سَفْنَدَة ورِبْض مَثْبَة المُغِيرَة ؛ والجِهة الشرقيَّة رِبْض مَثْبَة عبد الله ، رِبْض فَرْنِ بِرِيل ، رِبْض فَحْصِ الناعورة ، رِبْض المدينة ، القَصْبَة العتيقة واسطة البلدة . وكان ينقسم على رِبْضَيْن الجامع ، وما حَوْلَه رِبْض واحد يتولاه عَرِيفُه ومَحَارِبُه على حِدَة . ورِبْض آخر بذاته ينفرد به أيضاً عَرِيفُه . وكان ذَرْعُ مَسَافَةِ الحُنْدَقِ المضروب على قرطبة أيام قتال البرابرة من جِهَاتِها الثلاث ، إذ أغنى الشَّهْرُ الأعظَمُ عن مدِّ الحفير عليها من الجِهة القِبْلِيَّة ، سبعة وأربعين ألف ذراع وخمسمائة ذراع ، يجب لها ستَّة عَشْرَ مِيلًا غير سُدُسِ مِيلٍ .

قال : وهلك المنصور عن سبعة خُلَفَاء من فِشَانِه الأكبر . وكان شأنهم في مُلْكِ الأمويَّة كبيراً ؛ وهو بسوء بُثْقَلِ كُتْلَفَتِهِم الباهظة . فلما تولى

ولده عبد الملك بعده الأثر ، بلغ بهم ستة وعشرين خليفة ؛ فضاغت مؤنتهم أضعافاً كثيرة . وكان من مشاهيرهم : واضح ؛ بشير ؛ نظيف ؛ نجاة ؛ شعله ؛ مظفر ؛ مجاهد ؛ زهير ؛ خيران ؛ نصر ؛ نصير ؛ طرفة ؛ شفيق ؛ زين ؛ واثق ؛ بشير ؛ واضح ؛ بشرى ؛ الزاب ؛ بلقيس ؛ كوشتر ؛ خلف ؛ جعفر ؛ خلف آخر . انتهى كلام التجاني . قلت : خيران ومجاهد ملكان قد طارت بهم الأخبار ، ونسيت لهم المآثر والآثار .

ومن خط الميزاني الكاتب في تأريخه قال : أحب المنصور أن يعرف مقدار ما يدخل قرطبة من جباتها من أحمال الخطب في اليوم الواحد من أيام دروره للاحتكار ؛ فوكل بإحصاء ذلك عدة من ثقاته ؛ فعدوا له راصدين بسائر طرق قرطبة وأنسابها ، وكتب كل واحد منهم ما أحصاه ، ورفعوا جميعه ؛ فانتهى إلى ستة آلاف حبل وستمائة حبل على اختلافها . وذكر أن الخليفة الحكم وكل من أحصى له ما يباع بقرطبة من السمك المملوح المسمى بالسردن خاصة ، المجلوب من الساحل ؛ فانتهى البيع فيه في يوم واحد إلى عشرين ألف دينار دراهم .

هذه نبذة من أحوال تلك المدينة التي كان أهلها تحت بيعة صبي لم يبلغ الحلم بعمره ، ولا باشر شيئاً من أمره ، ولتظن نائب عنه بحمي حماه ، ويدافع عداه ، ويصون حرمة ، ويخشه فضل الله قبله ونعمته ، ويخلد آثاره ، ويوفي لإجلاله وإيثاره ، ويعطي وظائف الدين حقها ، ويوضح من شعائر الشرائع طرقها . وقد قرأ ما انتهى إليه أمرها من بعده ، وكيف ذهب سعادتها بذهاب سعدة ، وأنجز لها الدهر كالي وعده ؛ فحالت أحوالها ، وتغير جمالها ، وشقت عن العورات أسماؤها ، وصارت معتبراً لذوي الاعتبار ، ومندباً لناظمي الأشعار . فما ينسب في ذلك إلى الوزير أبي عامر بن شهيد من كبارها ، وأبناء وزرائها :

### [ الكامل ]

ما في الطلول من الأحيه مخبر قمن الذي عن حالها تستخير  
لا تسألن سوى الفراق فاته ينبيك عنهم أجدوا أم أغوروا  
جار الزمان علتهم ففترقوا في كل ناحية وباء الأكثر  
جرت الخطوب على محل ديارهم وعليهم فتغيرت وتغيروا  
فدع الزمان بصوغ في عرصاتهم ثوداً تكاد له القلوب تنسور  
فليشتر قراطيل بقل بكاء من يبكي بعين دمعها متفجر  
دار - أقال الله عنة أهلها - فتببروا وتغربوا وتمصروا  
في كل ناحية فريق منهم متفطر لفرافها متخير  
عنديها والشملى فيها جامع من أهلها والعيش فيها أخضر  
ورايح زهرتها تلوح عليهم بروائح يفتتر منها العنبر  
والدار قد ضرب الكمال رواقه فيها وباع النقص فيها بقصر  
والقوم قد أمنوا تغير حننها فتعموا بجمالها وتآزرُوا  
يا طيبهم بقصورها وخدورها وبُدورها بقصورها تتحدوا  
والقصر قصر بني أمية وأفر من كل أمر والخلافة أوفر  
والزاهريسة بالمراكب تزهر والعامرية بالكواكب تغمر  
والجامع الأعلى بغص بكل من يتلو ويسمع ما يشاء وينظر  
ومسالك الأسواق تشهد أنها لا يستقل يسالكها المحمر  
يا جنة عصفت بها وبأهلها ربح النوى فتدسرت وتدنوا  
أمر عليك من المات وحق لي إذ لم نزل بك في حياتك نفخر  
كانت عراصك للميتهم مكة يأوي إليها الخائفون فينصروا  
يا منزلاً نزلت به وبأهله طير النوى فتغيروا وتكثروا



جاذ الفرات' بساحتك ودجلة' والثيل' جاذ بها وجاذ الكوثر' وسقيت من ماء الحياة غمامة' تحيا بها منك الرياض' وتزهر' أسقي على دابر عهدي' ربوعها وطباؤها بفنائها تنبخت' أيام كانت عين' كل كرامة من كل' ناحية إليها تنظر' أيام كان الأمر فيها واحداً لأميرها وأمير من يتأمر' أيام كانت كف' كل سلامة تسو إليها بالسلام وتبدر' حزني على سروعاتها ورؤاها وثقاتها وحباتها يشكر' نفسي على آلائها وصفائها وبهاها وسائها تنحسر' كبدي على علمائها حلماتها أدباها طرقاتها تنفطر'

قال : وممن رثى قرطبة أيضاً ، من وجوه أهلها وأرباب النعم المؤتلة بها ، وأكثر التفجع على دياره منها ، لما استولى الخراب عليها عند فرار البرابر عنها ، الفقيه الأديب أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ، ابن وزير آل عامر الأكبر . فإني وجدت بخطه في خبر ذكره قال :

وقفت على أطلال منازلنا ، محومة بلاط مغيت من الأرباض الغريبة ، ومنازل البرابر المستباحة عند معاودة قرطبة . فرأيتها قد تحت رؤسوها ، وطست أعلامها ، وخفيت معاهدتها ، وغيرها إلى ؛ فصارت صحاري مجدبة بعد العمران ، وفيافي موحشة بعد الأمان ، وآكاماً مشوهة بعد الحسن ، وخرائب مفرغة بعد الأمن ، ومآوي للذباب ، وملعب للجان ، ومغاني للغيلان ، ومكامن للوحوش ، ومخافي للصوص ، بعد طول غشيانها برجال كالسيوف ، وفترسان كالليث ،

١ راجع « طوق الحمامة » لابن حزم ( ص ٨٨ من طبعة ليون ) ، ومقالتي في مجلة « الأندلس » ( ١٩٥٠ ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ ) .

تفيض لديهم النعم الفاشية ، وتغص منهم بكثرة القطر الحاشية ، وتكنس في مقاصيرهم طباء الأمان الغائبة تحت زبرج من غضارة الدنيا تذكير نعيم الآخرة ؛ حال الدهر عليهم بعد طول النضرة ؛ فبدد شملهم حتى ساروا في البلاد أيادي سببا ، تنطق عنهم الموعظة . فكأن تلك المحارب المنيعة ، والمقاوية المرسقة ، التي كانت في تلك الديار كبروق السماء إشراقاً وبهجة ، يقيد حسنها الأبصار ، ويجلي منظرها الغموم ، كأن لم تنعن بالأمان ، ولا حلتها سادة الأمان : قد عبث بها الحراب ، وعمشها الهدم ؛ فأصبحت أوحش من أفواج السباع فائرة ، تؤذن بفناء الدنيا ، وتريك عواقب أهلها ، وتخيرك عما يصير إليه كل ما قد بقي مائلاً فيها ، وتزهدك فيها . وكروئت النظر ، ورددت البصر ، وكثدت أستاذ حزننا عليها ، وتذكرت أيام نشأت فيها ، وصباة لداني بها ؛ مع كواعب غيد ، إلى مثلهين يصبو الحليم ! ومثلت لنفسي انطواءه من بالفناء ، وكوتنه تحت الثرى إثر تقطع جتمعنا بالتفرق والجلاء في الآفاق النائية ، والنواحي البعيدة ؛ وصدقت نفسي عن فناء تلك القصة ، وانصداع تلك البينة بعد ما عهده من حسنها ونضارتها وزبرجها وغضارتها ، ونصوته بفراقها من الحال الحسنة ، والمرتبة الرفيعة ، التي رفعت في حلتها ناشئاً فيها ، وأرغيت سمعي صوت الصدى ، والبوم زافياً بها ، بعد حركات تلك الجاعة المنصدعة بعراصها ، التي كان ليها تبعاً لنهارها ، في انتشارها بسكاتها ، والتقاء عمارها ؛ فعاد نهارها تبعاً لليلها في الهدوء والاستباح ، والحفوت والإخفاش . فأبكى ذلك عيني على جمودها ، وقورع كبدي على صلابتها ؛ وهاج بلايلي على تكاثرها ، وحركتي للقول على نبوء طبعي ؛ فقلت :

[ الطويل ]

سلام على دابر رحلتنا وغودرت خلاء من الأهلين موحشة قفرا

تراها كان لم نغن بالأمن بلشعاً ولا عبرت من أهلها قبلنا كهرأ  
 فبا دار لم يفرك مثا اختيارنا ولو أننا نسطيع كئنت لنا قبرا  
 ولكن أقداراً من الله أنفدت ندرنا طوعاً لما حل أو قهرأ  
 وبا خير دار قد تركت حبيدة سكتك الغواصي ما أجل وما أنرا  
 وبا مجتلى تلك البساتين حفها رباض قوارير غدت بعدنا عبرأ  
 وبا كهرأ بلغ ساكنيها تحيى ولوسكنوا المروين أوجاوزوا النهرأ  
 فصبوا لسطور الدهر فيهم وحكميد وإن كان طعم الصبر مستقلاً مرأ  
 لئن كان أظمانا فقد طال ما سقى وإن ساءنا فيها فقد طال ما سراً  
 وأيتها الدار الحبيبة لا يوم ربوعك جون المزن عبيها القطرأ  
 كأنك لم يسكنك غيد أو أنس وصيد رجال أشبهوا الأنجم الزهرأ  
 تقانوا وبادوا واستبرأت نواهم للهم أسكبت مقلتي العبرأ  
 سنبر بعد البسر للغير طاعة لعل جميل الصبر يعقبنا بنسرا  
 ولاني ولتو عادت وعدنا لعهدا فكيف من أهلها سكن التبرأ  
 وبا كهرأ فيها متى أنت عائد فنعهد منك العود إن عدت والكرأ  
 فبا رب يوم في ذراها ولبق وصلنا هناك الشمس بالهر والبدرا  
 فوا جسيمي المضى ووا قلبي المغرى ووا نفسي التكلى ووا كبدي الحرأ  
 وبا هم ما أعدى وبا سجنو ما أبرأ وبا وجد ما أسجى وبا بين ما أنرا  
 وبا دهر لا تبعد وبا عهد لا تحل وبا دمع لا تحمد وبا سقم لا أنرا  
 ساندب ذاك العهد ما قامت الحضرأ على الناس سقفاً واستقلت بنا القبرا

## دولة محمد بن هشام بن عبد الجبار

ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله

وكنيته : أبو أيوب ، ولقبه المهدي ، وكان عبد الملك بن المنصور  
 قد وتر محمدأ هذا بقتل أبيه هشام بن عبد الجبار لانتقامه بالتدبير على  
 دولته ، فكان يطلب له الغوائل . فلما توفي المظفر ، وكان من قدر الله  
 أن انتهت أمه الذلفاء ، حظية المنصور ، بالتدبير عليها وقتله باسم  
 أخاه عبد الرحمن المتأثر بعده ، فداخلت المروانيين في الوئب عليه  
 بوساطة بشر الصقلي من الفتيان العامرية المنحرفين عن مولاه عبد  
 الرحمن ، فأرشدوه المروانيون إلى فارك من فتاك يديهم في ذلك الوقت ،  
 جرار جسور ، ثائر ، مخاطر ، خليع ، مداخل للصقورة والفتاك ،  
 لا يدري في أي واد هلك ، وهو المهدي هذا . ففتح معه باب التدبير ،  
 ووعدته عن الذلفاء الإغاة بالمال . واستظهر بسائر ولد الناصر وفتيان  
 المروانية ، وقد شلتهم كلمة بعض العامرية ، فباعوا محمداً سراً ،  
 واستألو له خلفاً كثيراً ، بلفونه بأطراف قرطبة وسفح جبلها ، على  
 حال اكتنام وخفية . وخفي عن شيعه السلطان أكثر ذلك . فلما ذهب  
 عبد الرحمن لوجهته من الغزو ، وأبعد عن الحضرة ، فكأن محمد بن عبد  
 الجبار من وثوبه ، فأقدم على باب السلطان في السادس عشر من جادى  
 الآخرة سنة ٣٩٩ ، واهتبل الغيرة لاستعمال صاحب كرسي المدينة القاعد به  
 يومئذ أكثر حرسه في احتفار كرومه أمناً وطمانينة واغتراراً بالأيام .  
 وقد كان ابن عبد الجبار كثر رجاله بتلك النواحي ، وانتبذ هو في عدوة  
 الشهر قبالة القصر برقب المقات ، إلى أن تألف إليه من أصحابه اثنا عشر

فتي ، فبهم طرُسوس المجوسي ، وهو أشبههم القوام ، عاملين على الكرور إلى الباب وظهر الأمر ؛ فانكشف إلى هناك ، وقد بث العصابة أمامه ؛ فتكثفوا الباب كئاشهم نظائره ، إلى أن طلع عليهم ابن عبد الجبار . فشهز سيفه ، وهجم للحين على صاحب المدينة ، واقتحم عليه بحلته . فجيء به إلى محمد بن هشام مختبلاً لفرط جزعه ؛ فأمر بضرب عنقه بين يديه ، ورفع رأسه على قنارة . وحين أبصرت العامة رأس المذكور ، تداعيت إلى ابن عبد الجبار كالسيول من السيللة والغواغاة ؛ فقويت بهم نفسه ، وجعل يحركهم على العامرية ، ويخاطبهم بوجه قيامه واحتسابه . وبأذرك بكسر سجن العامرية ، وفيه اللصوص والدعارة وأرباب الجرائم . وتلاحق به بنو عنه المروانيون ، يستعدون الناس .

وأغلق هشام المؤبد باب القصر ، وارتقى إلى السطح ، وأشرف على العامة بين مصحفين ، يحملهما خادمان ؛ وأشار إلى من تحته من العامة ، يسكتهم بيده ؛ فصاحوا به : « لا حاجة لنا بك ! وهذا أولى بالملك ! » فولئى عنهم منصرفاً إلى قصره . وأمر الحدم بالكف عن دفاعهم حتى يقضي الله قضاءه ، ودخل محرابه ؛ فلم يتحول عنه إلى أن تم أمر الله عليه . وأمر محمد بن قنقب القصر والدق لأبوابه ؛ فشرع في ذلك ، وجلست السلايم . وخاف هشام على نفسه وأهله لما رأى عجز من بالزاهرة عن نصره ، وتمازى الناس عليه ؛ فأرسل إلى ابن عبد الجبار ؛ وجرت بينه وبين هشام محاورة في عشي هذا اليوم . وقصدت الزاهرة أمم من أخلاط الناس ؛ فماتهم أهلها ليلتهم ؛ ثم خذلهم الله بعددها . وأنزل ابن عبد الجبار الناس من سقف القصر ، وذادهم عن أنقاب ، وأجلس بكرمي الشرطه محمد ابن المغيرة ابن عنه ، ونصب عبد الجبار ابن عنه الآخر مكان الحاجب ، واستدنى سليمان بن هشام منهم ؛ فسماه ولي العهد ، وبعث ليلته إلى هشام مغلوبه مبعثاً له على حبه إلى آل عامر ، ويدعوه إلى خلعه نفسه ؛

فاعتذر بالعجز عن الإراحة منهم ، وبأذرك إلى ما سئل منه من الخلع . فسر ابن عبد الجبار بذلك ، وبأذرك بالإرسال عن الناس ليلته ، لم يطبق جفنًا . فسارع المشيخة وأهل البيت من قریش والأعيام والوزراء وطبقات الخدام والقضاة والفقهاء والمؤدول ؛ وقد بأذرك إليه هشام يخلع فخره ، غير بها للوقت من أحواله . ودخل عليه الأسياد ؛ فصحت الخلافة لمحمد بن عبد الجبار في صبح تلك الليلة . وتلقب بالمهدي ، لقب لم يلبسه مرواني قبلكه .

وكان المهدي جسوراً ، مضطرب الرأي ؛ ويقال إن عدة من تبعه من سفلة قرطبة ، فأثبتت أساءهم في العطاء ، خمسون ألفاً . وانتهب الزاهرة ؛ فقسمت الأيدي كل ما اشتملت عليه من مالي مخزون وآلة ومتاع وعقد سلطانية ، وفرش ، وآنية ، حتى اقتلعت الأبواب الوثيقة والخشب الضخمة ؛ وتوصل منها القاليم - زعموا - بعد ذلك خمسة آلاف وخمسمائة ألف دينار كراهيم ، ومن الذهب لألف ألف وخمسمائة ألف دينار . واستخرج من بعض الدفائن مائتي ألف لم يغن عنه شيئاً مع الاضطراب والفينة . وأطلق من حرم آل عامر الحرائر ، واضطفت الأماء . ولما فرغ من تحويل ما كان بالزاهرة أمر بهدمها ، وحط أسوارها ، وقطع أبوابها ، وتشعبت قصورها ، وطمس آثارها ، وتعييل ذلك ، توفعاً لتدارك عبد الرحمن بن أبي عامر ومن أدبه من الجيوش أمره . وسوخ الناس إقاضيها ؛ فبلغوا من تدوير تلك المدينة الجليلة ما لا يبلغه الدهور المتعاقبة ؛ فأصبحت بئساً كأن لم تغن بالأمس .

وذكروا أن المنصور بن أبي عامر بانيتها كان يرى في منامه كأن الله اطلع عليها وتجلي لها ؛ فسأل عن ذلك ابن الهمداني ؛ فأخبره بحرابها ، وتلا قوله تعالى : « فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلنَّبِيِّ جَعَلَهُ كَكَاً » . فكان

المنصور متى تذكر هذه الرؤيا تنعش عيشه . وكان ما تقدم به التعريف من اغترار عبد الرحمن بن المنصور ، وإقدامه بالجيش على قرطبة ، وفرار الناس عنه إلى ابن عبد الجبار وقتله .

وسر أهل قرطبة بولاية المهدي سروراً عظيماً ، وأفراطوا في اتخاذ الأعراس له بالرحبات والأرباض ، غافلين عما خبا القدر لهم في ذلك من المكروه الذي أباد خضراءهم ، وفرق جموعهم ، وأجاع بطونهم ، وسلب أموالهم ، وهدم دورهم ، وألبسهم لباس الجوع والخوف ، سنة الله في الرعايا إذا بطرت ، وملكت العافية ، ودانت مجب الإذالة والقلق بالملوك والشعراء إلى الثورات .

والثقف الجيش الغازي مع عبد الرحمن بن أبي عامر على صاحب الأمر ، ودانوا بطاعته ، فكان من أسباب إداره قعود من وكمل بأبوابه من السفلة ومحدثي الاستعمال والاستخدام من أواذل العامة المتجذبة بكل من يجيب بره وتسويده من وجوه الناس وأعلام الجيلة وشيوخ البرابرة ؛ فكانوا يطالبونهم بإلقاء السلاح ، ويبادرونهم بالنجدة ويستمعونهم الحتن ، من غير تمييز بين أعلاهم وأدناهم ، حتى اتبعوا منهم حقداء ، وأثاروا على إسلام ابن أبي عامر ندامة . وهاجت طائفة ؛ فتعدت على دور البرابرة بالرصافة ؛ فهبت ؛ ففسدت طاعته ، وانحرقت النفوس عنه .

فلما استوسق له الأمر ، وكتب إليه واضح العامري صاحب طليطلة بالطاعة ، وتم مراده من انتظام الملك ، أخرج المؤيد هشاماً من قصره ، وأسكنه ببعض دور الملك ، وأحضر للناس رجلاً ميتاً شبيهاً به ، قيل إنه كان يهودياً أو نصرانياً ؛ فعابته الوزراء ، وشهدوا بأنه هشام المؤيد من غير شك فيه . وقام بحق مواريده يوم الإثنين ثلاث بقين من شعبان هذه السنة ، ثم أسقط سبعة آلاف ممن كان قد استلحقه من جنسوده ، فاستهدف لانحرافهم وعداوتهم ، وأعلن ببغض البرابرة

وتنفصهم ، جهلاً بحيلهم من البأس والعصية ؛ فتألفت من هذه الأصناف جملة على هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وتعصبت العامة للمهدي . وأجالت الحال عن القبض على هشام بن سليمان ، والإتيان به إلى ابن عبد الجبار ، وتفرق من كان قد التف به من البرابر المستوحشين من ابن عبد الجبار لكونهم صناع ابن أبي عامر ، وغيرهم من البكديتين والصنائع والفئتيان . فقتل هشام بن سليمان صبراً بين يديه ، وانتهبت دور ودور من تلبس به من البرابر وغيرهم . وانحاز البرابرة والمغاربة من القبائل بجميعهم إلى أرملاط خارج قرطبة عشية يوم الجمعة ، بعد محاربة بينهم وبين العامة ؛ ثم صرفوا وجوههم إلى الشتر . ورأسلهم محمد بن عبد الجبار ؛ فلم يلتفتوا إليه .

وكان سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لدين الله قد فر من قرطبة طالباً النجاة بنفسه لما قتل من قتل من بني أمية ؛ فصار من جعلتهم . ولما سأله عن نفسه فصدقه عن أمره ، قدموه ، وعقدوا له الخلافة ، وتسمى المستعين بالله ؛ وذلك في عقب شوال من سنة ٣٩٩ المذكورة ، ونهضوا به إلى سانشجه بن غرسية بن قرذلند ، وعاقده على أن يعين سليمان بن الحكم على دخول قرطبة ؛ فتحرك معهم في عسكر عظيم من النصارى ، واحتل قرطبة . وبرز إليهم المهدي فيمن معه ؛ فهزمهم سليمان ، وقتل النصارى يومئذ من أهل قرطبة أزيد من ثلاثين ألفاً . وكانت أول ثارات المشركين على المؤمنين .

ولما عظم الأمر على ابن عبد الجبار ، ورأى انحراف الناس عنه ، بدا له في أمر هشام المؤيد بالله المخلوع ، ووطن أن الناس يتعصبون له إذا رأوه ؛ فأخرجه للناس ، ورجا أن يستمسك الحال به ؛ فلم يجد ذلك ، وقد فككت الداء ، وأعطل المشركي ؛ وعجز ابن عبد الجبار ، ورأى إرباز هشام للناس لم يعجز ؛ فدبر الحيلة ، وأذن لسليمان ومن معه من البرابر ، وسلم في

القصر السلجاني ، فوجهه إليه والدة الحنك لم يضبط أمره بخلاف ما يتم خروج ابن عبد الجبار عنه بأهله ، ويدخله ضجوة اليوم ، ففر ابن عبد الجبار من ليلته ، واختفى في المدينة أياماً ، ثم خرج مستكسراً إلى طليطلة في خبر غريب ، بتقضى حديث اختفائه وحيلته وما جرى عليه من الخطوب . فكان اتصاله بطليطلة والحياسة إلى واضح الحنكي بها في أول جمادى الأولى من سنة ٤٠٠ . وقبيلة أهل طليطلة أحسن قبوله ، وكان من أمره ما بُدكر .

## أيام سليمان بن الحكيم بن سليمان

ابن عبد الرحمن الناصر لدين الله

والحديث قد تقدم بقيام البربر بدعوتهم ، ونزولهم بظاهر قرطبة من بعد هزيمة ابن عبد الجبار ، ثم الخلاعة لهم عن الأمر ، واختفائه في المدينة ، ونزول سليمان قصر قرطبة مرتبة الأولى في السابع عشر من ربيع الأول سنة ٤٠٠ ، ثاني يوم من فرار المهدي وطليطلة ، فأعيته . واستقر سليمان بقر المملك ، وخطب البلاد ، وقدم العمال . ولحق طاق ابن عبد الجبار إلى طليطلة مستظهِراً بواضح ، بادر ، فأحكم له أيضاً العقد مع الفرنج ، على أن يخرجهم عن مدينة سالم ، فقبضوها ، إلى ما التزم لهم عن نفسه من مال ونفقة . ونحرك الجميع إلى قرطبة . وبلغ ذلك سليمان ، فاستنفر الناس ، وخرج إلى لقاءهم لأربع عشرة خلت من سؤال هذه السنة . ولما أحكمت البرابرة التعبئة للحرب ، جعلوا سليمان في أربابهم ، ومعه خيل من المغاربة ، وقالوا له : « لا تبرح من مكانك ، ولو وطنك الحيل ! » فلما دفعت الفرنج ، وخرقت صفوف البربر ، لم يدرك أن البربر أفرجت لها ، إذ لا يقوم لصدتها شيء ، ولما تلتفت عليها بعد ، فلم يشك أن

البربر قد اصطلبوا . فانهمز فيمن كان معه على ذلك ، فقتلت يومئذ البربر أرمئند ملك الروم ومئين من كبار قومه . وقتل من البربر نحو من ثلاثمائة من رجالهم ، إذ لم يقتل لهم يومئذ فارس . وانحازوا إلى الزهراء ، وفرعوا أولادهم ، وفرأوا على وجوههم . ومضى سليمان فاراً إلى ساطية . وخرج أهل قرطبة ، فانتهبوا أثاث البربر ، وقتلوا من وجدوا . وأتى محمد بن عبد الجبار وواضح الفتي قرطبة ، فدخلها .

## أيام محمد بن هشام في الرجعة الثانية

قال : ولما عاد ابن عبد الجبار إلى قرطبة ، جدد البيعة لنفسه ، فكان أول من بايعه هشام المؤيد . وطلب الناس مالاً يفرضونه لمن معه من النصارى ، وكانوا في تسعة آلاف . ثم أقسم بالأيان المغلطة أن لا يستقر ولا يحل شعار الحرب حتى يفرغ من أمر البربر ، وقد كانوا ساروا بعالمهم وأولادهم ، يحملونهم على مروج دوابهم وغير ذلك ، إلى جهة البحر الزقزقي تجاه بلادهم الغربية ، ونزلوا بوادي يارو من أحواز مراكلة . وتحرك إليهم بكل من قدر على حمل السلاح من أهل قرطبة وبواديها ، حتى نزلوا على البربر يوم الخميس لست خلون من ذي قعدة سنة ٤٠٠ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . وعش ابن عبد الجبار فرسان الثغر ، وبكوا من البربر قتال المستحيث الذي لا يطع في الحياة . ومن قاتل كذلك ، فقد كتب الله له الصائلة . فانهمز واضح وابن عبد الجبار والفرننج أعظم هزيمة عن عدى قليل دليل إلا أنه أثبت رجله في مستنقع الموت ، ولم يعول على الحياة . فقتل من الفرنجة يومئذ أكثر من ثلاثة آلاف ، وغرق منهم بوادي السفائين ، وهو وادي يارو خلق كثير . واحتوى البرابرة على ما في عسكرهم وعسكر واضح وابن عبد الجبار من مزارب ومال وسلاح ودواب . ووصل المنهزمون إلى قرطبة ثاني يوم الواقعة . ورغب ابن عبد

الجبار وواضح من النصارى في الرجوع معهم إلى البربر ؛ فأبوا منه ذلك ، ورحلوا إلى بلادهم مفلولين . وشرع ابن عبد الجبار في الحركة والرجوع ، وطلب أهل المدينة بالمال تجلداً وعزيمة كاذبة . ولم يكن إلا أن رحل عن الحضرة ، ثم غلب رأي الانحجار والاحتجار ، وأمر باحتفال الحنذق . وتكالبت البربر ، وظهرت خيلهم مغيرة على الأطراف ، وغلوكوا جبل بيشتر قاعدة خلاف ابن حفصون في القديم . وأجحف ابن عبد الجبار بالناس ؛ فنفروا عنه ، ونشأوا به ؛ وبدأ لهم سوء ما ذكرهم القدر من أيامه ، وأحسوا بعقاب الله إليهم في بطر العافية المقتونة بدول العامرية التي ملكوها وسكنوا نعيمها ، وضجوا من مواصلة جهادها في سوء الجوار وكفران الحق . ولهذا العهد أتت النفقات على أسباب السلطان ، وذهب غناؤه وزينه ، وأصبح فقيراً فقيراً ، واستأسل العدو ، واستقال سليمان بن الحكم أمير البرابرة العشرة . واقضى نظره واضح ومن معه قتل ابن عبد الجبار ، وإعادة هشام المؤيد المستبق لهذا العهد ، المبتلى بهذه المحن ، إلى محله . وكان المهدي قد استجيب واضحاً ؛ فدخل عليه يوم الأحد الثامن من ذي الحجة سنة ٤٠٠ ، وقبضوا عليه ، وأخرج هشام المؤيد ؛ فأجلس ابن عبد الجبار بين يديه ؛ فعاتبه طويلاً لما جنى عليه في نفسه وحرمه ؛ ثم أخرج من بين يديه ؛ فقتل ومثل به . واختفى ولده وي عهده إلى أن لحق بطليطلة .

## أيام هشام بن الحكم بن عبد الرحمن

### التأخير لدين الله في المرة الثانية

ولما قتل المهدي ابن عبد الجبار ، جلس هشام للناس ، وتقدم لحجابه واضح ، وجدد له البيعة ، وبعث برأس المهدي إلى سليمان أمير البرابرة وإلى

من معه ، ودعاهم إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، والاستقالة من الفتنه ؛ فلم يقبلوا ذلك ، واعتبطوا بأميرهم . وفي أخريات ربيع الأول من هذه السنة ، نزلوا قرطبة ، ودخلوا مدينة الزهراء . وانضم الحلق من الأحواز إلى المدينة ، وانتشرت الغارات ، وعظم العياش فيما اتصل بالبلد . وانتشر البرابر على كور الأندلس مألقة ، وإلبيرة ، وما اتصل بأحواز قرطبة ، بخربون الديار ، وينسون النعام ، ويسبون الحريم ، ويصادرون بالفداء من بينهم باليسار من الرعيه ؛ وطلبوا الناس بالأموال ، وقطعوا الميرة عن قرطبة ، فاستند الغلاء ، وعظم البلاء ؛ واضطر هشام وواضح إلى خطبة الحسف من استصراخ النصارى والاستغاثة بملكهم على شرط تمكثهم من البلاد . ووصلت رسله إلى قرطبة ؛ فأحكمت الشروط على تسليم أزيد من مائتي حصن بما فتح الملوك المجاهدون من بني أمية وكافل أمرهم المنصور وولده . وحضر لذلك الفقهاء والقضاة والمفتون ؛ وانصرف الجميع مستبشرين بنصر العدو إياهم خذلاناً وعباية ولجاجاً في العي وثقة من الله لبطر العافية . وارتكب العوام والرعايا بين المناصرة للبربر والمجانبة الطبيعية ، وعدم الإغماض في استصلاحهم ، تركباً من اللجاج والتصامم مكن خزي الله من وجوههم ، وتل ربق القهر في رقابهم ؛ فلقد كانت من واضح وهشام في بعض الأحيان مراوحة في السلم والصلاح ، وصل للكلام فيها من قبل القوم رجل خير يعرف بابن بكر ، وقنع الناس عليه ، فقتلوه ومثلوا به ، وقد عجز صاحب الأمر عن نصره .

ونجود الناس لقتال البرابر ، وكتلفوا المال للجيش ، حتى تليفت أموالهم . وكان مما أزم رسم الجيش خمسمائة فرس ؛ واضطر السلطان إلى المال ؛ فأخرج ما في قصره من حلى ثينة وذخيرة وآنية فضة وذهب ونوب ومتاع ، حتى الكتب والحزون والمواعين والفرون ، وحتى الأدوية الطيبة والعقاقير المجلوبة . ذكر أرباب التاريخ من ذلك أموراً تجدد الفجعة

ونبتت الحسرة ، لم يُغن ذلك من شيء لعيات الأيدي فيه ، وامتنياز أيدي العوام به ، وشتره أهل الجاه والتمسك إليه . وجعل السلطان الناس إلى القصر ، وشكا إليهم النل والحاجة ؛ فأظهروا العجز ، وقالوا : « لم يبقَ فينا مطمئئع ولا علالة ! فآخِزْ بنا إلى العدو ! فإننا لا نقيم على هذه الحالة ، والموت خيرٌ منها ! » وتخيّر واضح وارتيك عليه أمره ؛ فعزم على الفرار إلى الثغر ؛ وفطن له الجنود ، وضعف في أعينهم ؛ فاجترأوا عليه ، واجتمعوا على ابن وداعة من وجوه قواد العسكر ، وزحفوا إليه ؛ فعاتبوه بما أثلفت من الأموال ، وما عزم عليه من خراب الدولة ؛ ثم سلّوا السيوف ، فقتلوه ، واحتزوا رأسه ، وطافوا به البلد ، وألقوا جثته بالموضع الذي طُرح فيه جثة ابن عبد الجبار ؛ ونهبت دورهُ وخزائنه ، وألفت أمواله مبشرةً ورحاله مشدودة . ونجلد هشام بعده ، وأظهر الاستغناء عن الوزير ، وتجرد لمباشرة الأمر بنفسه .

وكتب سليمان بن الحكم إلى أهل قرطبة يحذّروهم الفتنة ؛ فلبثوا . وبلغت الغاية ، وانتهى الأمر . وطال على الناس لزوم المحاريس والمراصد والبيات ؛ فلبثوا وعجزوا . وبان للعدو فشلهم وإخلاقهم إلى الأرض ؛ فاشتدّ فيهم طمعه ، وهم على خلسة إضعاف الحاصر . وتوالت عليهم الهزائم ، وأكلتهم السلاخ ، وأضرعتهم الحاجة . واقتحم البرابرة أرباض قرطبة عنوة . فكان الأمر في هول يومها يجلب عن الوصف ، ويشد عن العبارة ، من استيلاء السيف والسي والنار والتخريب ؛ ولجأ من تأخر أجله إلى المدينة . وخرج القاضي ابن دكوان ، وكان له توسل إلى أميرهم سليمان بن الحكم ، وقدم في الصاغية إليه ، ورأي سديد في مصالحة قومه ؛ فعدّوا للناس أماناً تحت صغار ذلّة ودنيّة وخفّة . ودخل سليمان القصر بقرطبة بعد .

## أيام سليمان بن الحكم بن سليمان

### ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن في المرة الثانية

دخل سليمان القصر بقرطبة يوم الاثنين ثلاث بقين من شوال سنة ٤٠٣ هـ ؛ وأحضر هشاماً ؛ فوبّخه ، وقال : « كنت تبرأت لي من الخلافة وأعطيت صفقة بينك ! فنفقت عهدك ! » فاعتذر إليه بأنه مغلوب على أمره . ثم تبرأ له عن الأمر بجملة . وانتقل سليمان إلى سكنى الزهراء ، ورثب الأمر ، وكتب بالتسكين إلى الجهات ، وأخرج الولاة ، وقسم بعض كنوز الأندلس بين رؤساء القبائل البربرية ؛ وكانوا سنة : فأعطى ضئيلة منهم بني زيري بن مناد بالسيرة ؛ وأعطى مغراوة جوفي البلاد ؛ ومُنذِر ابن بجي سرقسطة ؛ وبني يوزال وبني يفرن جيان وذواتنا ؛ والمغاربية وبني كمر وأزداجة شدونة ومورور . وولّى علي بن حمود على سبتة ، والقاصم بن حمود على مدينة طنجة وأصيلا الحضر . ولما استقر الأمر لسليمان ، كان رؤساء البربر غالبين على أمره ؛ فحذر لذلك العامرية ، وفرّوا إلى بلاد شرق الأندلس ؛ فتأثّلوا بها الملك ، حسباً يأتي بحول الله .

وفي هذا العهد ، لأوّل عودة سليمان بن الحكم ، هلك هشام — رحمه الله — ؛ وكان الفتيان والعامريون والبقايا الشاميون ، لما يتسوا من محسن العقب ، وأيقنوا باستيلاء البرابرة مع سليمان على قرطبة ، قصدوا لليلة الإثنين الذي فتح فيه البرابرة قرطبة إلى باب السدة ، وقد تأهبوا للفرار ، وجهدوا في الدخول إلى هشام ؛ فلم يمكنهم من ذلك . فجعلوا يرأسلونه ويعرضون عليه الدخول إلى مدينة الزهراء ، كما يجتمع الجند إليه بها ؛ فأبى وقال : « المدينة من قرطبة ! ومن فاته رأس الأمر فلا يأخذ بذنبه ! وقد علم الله أنني ما أحببت الدخول في شيء مما أذخلكموني

فيه ؛ فقد نذله فضاؤه بكرهه ، وهو حسي ! ، قالوا : « فاركب معنا الليلة في رخص من رجلك وصفوة من أهلك ، نخرجك في جمعنا ، ونقطع من الليل ؛ فنلحقك بقلعة شاطية بحل عصية . فلا يبعد أن يلحق بك الناس ، وينحل أمرؤك بسرعة ! » فقال : « وهذا أشد ! أعود إلى مثل حال سليمان ، والفتح الفتنه ، والعرج الأمانة ! هذا ما لا يكون أبداً ! » فلما يسوا منه ، مالوا إلى الصلح من غدي ، وطمعوا في الحياة ، واستجابوا لخلع هشام ؛ ومكثوا من ناصيته . فدخل إلى سليمان ، وعاتبه ؛ ثم صرفه ، وقد رقى له مع محمد بن سليمان ولده ، ووصاه بالجيل في أمره ؛ فأقام معه أياماً ، لا يحفى مكانه ؛ ثم غيب شخصه ؛ فكان آخر العهد به .

وشاع يومئذ أن محمداً أعجل عليه دون إذن والده سليمان ؛ فاعتاله خنقاً منفرداً بذلك ، مع بطانه ابن حذير وغيره ، لحس خلون من ذي القعدة سنة ٤٠٣ . فكانت مدهته في هذه الكرة سنتين وأربعة أشهر ، أنست ما قبلها من آمار الشر وأزمان الفتنة . وكانت سنة يوم الخلع الثاني ثمان وأربعين سنة وأربعة أشهر . ولم يخلف عقباً من ذكر ولا أنثى . واقتدر قاتلوه على ما لا شيء فوقه من كتم أمره ، وأشاعوا أنه فر لوجه ماؤوناً له ؛ فتعيش زماناً سقاً بالمرية .

وكان من غرائب الدهر ، ولعبري إن الدهر الغرائب كله ، أن صم ابن عباد بإشبيلية شيخاً مأبوناً من عرض الرعاع ، أضبطه ، وحجبه ، وزعم أنه هشام المؤيد ، استقر عنده وقام بدعوته ، وندب الناس إليه ، ووقف عليه معاينو هشام أيام حياته ؛ فشهدوا بوجوده حياً لديه فخطب له بأكثر بلاد الأندلس قرطبة وإشبيلية وغيرها زماناً ؛ وتوصل بذلك إلى كثير من تدبيره حتى توطد له الأمر بإشبيلية ، واستحكم بناؤه ، وأورثه بنيه بعده .

ولما تنفس خنق العامريين الموالى والصنائع الهاشميين ، وعادوا على سليمان بالحقود البربرية ، صرف بعضهم إلى علي بن حمود أمير سبنة من الحسنيين عهداً منسوباً إلى هشام المؤيد ، ومخطه زعموا ، يعهد فيه بالأمر بعده إلى علي بن حمود وتوليته الطلب ؛ وسهلوا عليه سبيل طلب الخلافة . فأظهر به الخلاف على سليمان بن الحكم ؛ وكان أملك لنفسه ؛ ثم تحرك بعد أن التفت عليه بشر كثير ، وبعد أن خاطب أخاه القاسم بقرطبة ؛ فلحق بيلاده الحضر . فكان استبداد علي بن حمود بسبنة سنة ٤٠٤ . وقتل قاضيها محمد بن عيسى ، والفقير ابن يربوع عبيدها ، لانتهاهما بميل إلى سليمان ؛ وقد بعث عيوناً تنظليع له على أحوال سبنة .

وفي السنة المذكورة ، جاز علي بن حمود من سبنة إلى مالقة ، بعد أن بعث منها إلى حيوس الصنهاجي وإلى خيران العامري ؛ فأشارا عليه بقصد مالقة وقتله . وخرج سليمان المستعين بالله من قرطبة إليه ؛ فالتقيا في شهر محرم من سنة ٤٠٧ . فكانت على سليمان الهزيمة . وقبض على سليمان وأخيه وأبيه الحكم ؛ فقتلهم بيده ، وقال بلسانه الزناني : « لا يقتل الزنطان إلا الزنطان ! » وقيل إن علي بن حمود قال للشيخ الحكم : « يا شيخ ! هكذا قتلتم هشاماً ! » فقال : « لا والله ! ما قتلناه ، ولا هو إلا حي يرق ! » فعند ذلك عجل علي بقتله . وكان هذا الشيخ الحكم بن سليمان فاضلاً ، لم يتلبس من أمر ابنه بكبير شيء . وجعلت رؤوس ثلاثتهم في طست ، وأخرجت من المحلة إلى النصر ، يُنادى عليها : « هذا جزاء من قتل هشاماً ! »

وانقضى أمر سليمان على هذه السبيل . وكان أديباً شاعراً مديحاً متأثراً ، إلا أنه خرج الأمر في تلقيق الأمور عن يده . وشعره متداول مشهور . وهو أحد من شرف الشعر بأسننه ، ونصرف على حكمه .



ومن المشهور له ، فتوانته يُعارضُ الرشيد هارون في قوله بسببِ جواربه  
الثلاث ١ :

مَنْكَ الثَّلاثُ الْآتِياتُ عَنِّي وَحَلَلَنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ  
مَا لِي نَطَّاءُ وَغَنِي الْبَرِّيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعُهُنَّ وَهْنٌ فِي عَصِيَّاتِي  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهَوَى وَبِهِ قَوَيْنَ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي

بقوله :

عَجَبًا حَبَابُ اللَّيْلِ حَدُّ سِنَانِي وَأَهَابُ تَحْظُ قَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ  
وَأَفَارِعُ الْأَبْطَالِ لَا مَهْتَبًا مِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَيْجَرَانِ  
وَتَبَلَّكَتْ تَفْصِي ثَلَاثُ كَالْدُمَى زَهْرُ الْوُجُوهِ نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ  
كَكَوَاكِبِ الظُّلُمَاءِ لِحْنُ لِنَاطِرٍ مِنْ قَوْقِ أَعْصَانٍ عَلَى كُتُبَانِ  
هَذِي الْهَلَالُ وَتِلْكَ يَبْتُ الْمُشْتَرِي حُسْنًا وَهَذِي أُخْتُ غَضَنِ الْبَانِ  
حَاكَمْتُ فَيَهِنُ السُّلُوكُ إِلَى الْهَوَى فَقَضَى بِسُلْطَانٍ عَلَى سُلْطَانِي  
فَأَبْعَنَ مِنْ قَلْبِي الْحِمَى وَتَرَ كُنْتِي فِي عَزِّ مُلْكِي كَالْأَسِيرِ الْعَانِي  
لَا تَعْدُ الْوَا مَلِكًا تَذَلُّ لِلْهَوَى ذُلُّ الْهَوَى عَزُّ وَمُلْكٌ ثَانِي  
إِنْ لَمْ أُطِيعْ فَيَهِنُ سُلْطَانُ الْهَوَى كَلْعًا يَهِنُ لَا كُنْتُ مِنْ مَرْوَانِ

واغتنبتَه شعراءُ العاربية والدولة الأموية ؛ وقد نسجت على أفواههم  
ومحاريبهم العناكبُ أَيْامَ الحربِ والفِتنة ، واشتدت فاقمتهم ، وجمت  
طباعهم . وكانوا كاليزاةِ الفذرةِ الجباعِ ، انقضت لفرطِ الضرورة على  
الجرادة ؛ فلم يُبالِ صدامهم ، ولا شدَّ تخلصهم ، لاشتغاله بشأنه واشتداد  
حاجةِ سُلْطانه . فمن ذلك ما أنشده شاعرُ الأندلس على عهده ، الكائنُ

١ راجع « ذخيرة ابن بسام » ( ج ١ / ١٠ ، ص ٣٣ - ٣٤ ) .

فيها يومئذٍ بمنزلةِ المنتنبي بصقع الشام ، أبو عمر بن دراج القسطنطيني ١ :

هَنِيئًا لِهَذَا الْمُلْكِ رَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَلِدِينِ وَالْدُنْيَا أَمَانٌ وَإِيمَانٌ  
فَإِنَّ قَعِيدَ الْحَزَنِي قَدْ ثَلَّ عَرْشُهُ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ  
سَجِيءُ الَّذِي انْقَادَ الْأَنَامُ لِأَمْرِهِ فَلَمْ يَعْصِهِ فِي الْأَرْضِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ  
وَبَاقِي الْعَلَى لِلْحَمْدِ غَادِرٌ وَرَائِحٌ وَحَلَفُ الثَّقَى لِلَّهِ رَاضٍ وَغَضْبَانٌ  
بِهِ رُدٌّ فِي جَوْزِ الْخِلَافَةِ ثَوْرَهَا وَقَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهَا قُصُورٌ وَأَوْطَانٌ  
وَأَنْقَذَ دِينَ اللَّهِ مِنْ قَبِيضَةِ الْعِيدَا وَقَدْ قَادَهُ لِلشَّرِّ ذُلٌّ وَإِدْعَانٌ  
وَقَامَ فِقَامَتُ لِلْعَالِي مَعَالِيمُ وَلِلْخَيْرِ أَسْوَاقٌ وَلِلْعَدْلِ مِيزَانٌ  
وَجَدَّدَ لِلْإِسْلَامِ ثَوْبَ خِلَافَةِ عَلَيَّهَا مِنَ الرَّحْمَنِ ثَوْرٌ وَبِرَّهَا  
وَأَكْثَدَهَا عَهْدَ الْأَكْزَرَمِ مَنْ وَفَى بِعَهْدِ زَكَّتْ مِنْهُ مُجُودٌ وَأَيْمَانٌ  
بِهِ شَدُّ أَرْزِ الْعَدْلِ وَالْعِلْمِ وَالْهُدَى وَفَاضَ عَلَى الْأَيَّامِ حُسْنٌ وَإِحْسَانٌ  
فَقَلَّيسَ لَهُ إِلَّا الرِّغَابُ أَفْئِرَانٌ فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا الرِّغَابُ أَفْئِرَانٌ  
يَوْمُ عَلَيْهِ يَوْمٌ يَرُوي سِيوفُهُ كَمَا أَنَّ يَوَافِيهِ الدُّجَى وَهُوَ ظَلَمَانٌ  
سَجِيءُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ وَوَارِثُ مَا شَادَتْ قُرَيْشٌ وَعَدْنَانٌ  
وَمَا سَافَتِ الشُّورَى وَأَوْجِبَتِ الثَّقَى وَأَوْرَثَ ذُو النُّورَيْنِ عَيْكَ عُثْمَانُ  
وَمَا حَاكَمْتُ فِيهِ السِّيُوفُ وَحَاوَزَهُ إِلَيْكَ أَبُو الْأَمْلَاكِ جَدُّكَ مَرْوَانُ  
مَوَارِيثُ أَمْلَاكِ وَتَوَكِيدُ بَيْعَةٍ جَدِيرٌ بِهَا فَتَحٌ قَرِيبٌ وَرِضْوَانُ  
وَدَوْحَةٌ تَجِدُ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا كَوَاكِبُهَا مِنْهَا فُرُوعٌ وَأَعْصَانُ  
لَنْ عَظُمَتْ شَأْنًا لَقَدْ عَزَّ تَصَرُّهَا بَكَرَاتُ فُرْسَانٍ لِأَقْنَادِهَا شَانُ  
قِبَائِلُ مِنْ أَبْنَاءِ عَادٍ وَجُوهُهُمْ لَمْ صَفُو مَا تَنِيهِ هُودٌ وَقَحْطَانُ

١ راجع بعض أبيات هذه القصيدة في « ذخيرة » ابن بسام ( ج ١ / ١٠ ، ص ٥٣ - ٥٤ ) .

بنو دول الملك الذي سلفت به  
فهم عرفوا ميثاقك في هبوة الردى  
وللبوت في نفس الشجاع نخيل  
فأعطوك واستعطوك في حومة الوغا  
كان السماء بذرهما ونجومها  
وقد تمتعت حولك منهن أسنة  
أسود هياج ما تزال تراهن  
وأقمار حروب طالعات كانتا  
ويوم اقتحام الحفر أيقنت أنهن  
دلفت بهم للحرب تحت عجاجة  
بكل زناهي كان حاميته  
وأبيض صنهاج كان سنانه  
لقد علموا يا مستعين بأنهم  
ولولاك والبيض التي مهدوا بها  
ولا استبدلت قرع النواقيس بالضحى  
وهم سمعوا داعيك لما دعوتهم  
نصاوير ناس مهطعين لصورة  
فله عزم رد في الحق روحه  
وقلت لعل العائرين كانته  
وأصبح أهل الحق في دار حسمهم  
محمداً من رد النفوس فأصبحت  
وأنس شمل بالتفرق موحش

ورد جراح الغي من غرب شأوه  
وقد أمن الترتيب إخوة يوسف  
وأعقب طول الحرب أبناء قيلة  
وحنت الداعي الصلح بكر وتغلب  
وفازت فداح المشتري بسعودها  
وعرف معروف وأثكروا منكروا  
وأغمد سيف البغي عثا وعطلت  
وما كان مشا الحيا في ثوب ذلقة  
ومن على المستضعفين وأنجزت  
يؤمن الإمام الظافر العافر الذي  
مجرد سيف الانتقام لمن عتسا  
فمن سره المتجبا فسمع وطاعة  
وكان ملكه ، الذي عفا على محاسن العباد والبلاد ، بوطن الجهاد ،  
وذهب منه بالطارف والتلاد ، وإذ قرطبة حضرة الدنيا ، وأم الدواعي من  
غير ثنيا ، حر النار ، ورد الشفار ، وترك حديثها كحل للاعتبار ، ثلاث  
سنين وعشرة أشهر ، ألتوت بحاسن المضر الأنيق ، وذهب بروثقه الشهير .  
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي الكبير !

وعقد سليمان بن الحكم العهد لابنه محمد بن سليمان ، في منتصف جمادى  
الآخرة سنة ٤٠٠ . وكان يومئذ واحداً ، وهو صبي مراهق ، فأعلن  
بتقليده عهده ، وزعم أنه من حسن اختياره لرعيته ، بعد أن شاور في  
ذلك وزراء ورجال مملكته من الطائفتين . فتوخى معظمهم مراقبته ؛  
فأمضى به العهد ، وأوقع الدعاة له بذلك في سائر عمله ، وأجرى ذكره  
بالتأمين والتكثيف في المخاطبة . فتمت ولايته على هذا الوجه دون تقف

ولا تعاضد الفتنة المال . فكان أول من اقتنع بذلك ؛ وتلاه من جاء بعده من المنوئين في الفتنة ، حتى صار العهد كخطبة من الخطط ، يقتصر فيه على صيغة مقروعة . وأمر بنقل اسمه في السكة والأعلام والطراز ؛ وتقدم إلى الخطيب قاضي الجماعة ابن ذكوان بالدعاء له فوق المنبر على الزمزم ؛ ونقلت الكتب بذلك عن سليمان . فكانت نسختها :

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين ، لما جله الله عليه ، وحبه إليه ، من الاجتهاد للمسلمين ، والنظر لهم ، والفكر في عواقبهم ، والحرص على مصالحهم ، والإشفاق من اختلافهم ، وافتراق كلمتهم ، رأى أن يجتهد لهم لسانه ، كما اجتهد لهم في حياته ، بأن يرفع لهم علماً يتبدون به ، وينصب لهم وزراً يلجأون إليه ، وموثلاً يتعطفون عليه ، يؤلف شملهم ، ويجمع كلمتهم ، ويلئم شعنتهم ، ويُسكن نفرتهم ، ويؤمن روعتهم ، مقتدياً في ذلك بالأئمة المهتدين ، والخلفاء الراشدين ، الذين نظروا للأمة من بعدهم ، وأسفقوا من اختلاف كلمتهم ، وتفرق مذاهبهم ، عندما ينجأهم ما لا تحيد لهم عنه ولا بد منه من بقات الأقدار ، ونفاد الأعمار ، الليل والنهار ؛ فأطال استخارة الله - عز وجل - وجهه - والرغبة إليه في أمده ، بتوفيقه ومعاذته بتسديده ؛ وحمله على ما فيه الخير له ولجميع المسلمين وجبل العاقبة في الدنيا والآخرة ؛ فألقى الله في روعه ، وثبت في خلده ، وقرّر في نفسه ، أن محمد بن أمير المؤمنين أولى أهل بيت الخلافة بولاية عهد المسلمين غير محاب له ولا آخذ بهوادة فيه ، بل لما قد علمته الخاصة والعامة من تكامل خلال الخير له ، واجتماع أدوات الفضل فيه ، وما هو عليه في دينه ، وهديه ، وورعه ، وفضله ، وطهارة أثوابه ، وغفاف مذهبه ، وصلب نفسه ، واكتال حشمه ، وسعر عظمه ، وكال أدبه ، واضطلاع بأعباء الخلافة ، ومعرفة بعبائي السياسة ، ونفاذه في التدبير والإدارة . فأمضى أمير المؤمنين ما استخار الله تعالى فيه ، وعزم عليه ، وجعل ولاية

عهد المسلمين إلى محمد بن المستعين بالله أمير المؤمنين ، وهو يعتقد أنه قد خرج لجماعة المسلمين عملاً أقرمه الله من حقهم ، ونبراً إلى الله بما كلفه من أمرهم ، وأدّى الأمانة التي حمّله الله في الاجتهاد لجماعتهم ، وقضى ما وجب عليه من الاحتياط في الاختيار لإمامتهم ، مبتغياً بذلك نواب الله العظيم ، وقضاه الجسيم ، ونظراً لأمة محمد - عليه السلام - وتحصيناً عليها ، واحتياطاً لها ، وهروباً من التقصير في حقها . والله يورث وجماعة المسلمين الخير والخيرة واليمن والبركة والسعادة والغبطة فيما وفق أمير المؤمنين له وألمه إليه . فأعلم ذلك من عقد أمير المؤمنين وعهده وما أنفذه من فعله ، وتقدم إلى أصحاب الصلوات في جوامع عمّلك بالدعاء له في خطب الجمعة بما أدرجناه طي كتابنا هذا . والله يسأل أمير المؤمنين أن يتولاه في جماعة المسلمين بما فيه الخير لهم ، وجبل العاقبة في دينهم ودنياهم ، وأن يقارضه بجبل نيته لهم ، وكرام مذهبه فيهم . إنه ولي المجازاة بالإحسان عن الإحسان ، والمتمن بالفضل والامتنان ، إن شاء الله . وكتب في الثصف من جبادى الآخرة سنة ٤٠٠ .

قال أبو مروان في « المتين » : ومن غريب ما طرحه أهل التتبع في مبتدأ هذه الفتنة وكثرة تأثيرها على أصولهم وزعمهم أن القرآن الشنيع الحادث في سنة ٣٩٧ المؤذن بها كان في روج ذي جسد بن قيل له السبيلة ؛ فأذروا بذلك بأن تكون لمن قام بالملك في هذه الفتنة دولتان لا محالة . فرصد ذلك ؛ فإذا القضاء قد أخرجه من القوة إلى الفعل ، حسباً ذكره ، وتناشق على الكرور في الملك خمسة أملاك ملكوا مرتين ، وهم : محمد بن هشام هذا ؛ ثم هشام بن الحكم صاحب الجماعة ؛ ثم سليمان بن الحكم صاحب البرابرة ؛ وإثنان من ملوك الحسودية : القاسم بن حمود ، وابن أخيه يحيى بن علي بن حمود . وارتفعت بعد هذه العادة على أن أباه علي بن حمود ، عاقب سليمان بن حكم ، وأول ملوك بني عمود ، شد

عن هذا الترتيب في تثنية الملك وسطاً من سبناه ؛ فلم يدلّ إلا مرة واحدة . والله أعلم بأمره وأحكامه .

#### ذكر دولة الأدارسة الحسنيين بقرطبة وما يخلطها من أفاذ بني أمية من بعد الجماعة

##### دولة علي بن حمود بقرطبة

وهو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبد الله بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وهو أول ملوك بني هاشم بالأندلس . والكلام في هذا البيت وطاق أهله من البلاد الحجازية بالمغربية مما يرجى القول فيه إلى الجزء الثالث بعد هذا إن شاء الله . لقبه : الناصر لدين الله ؛ وكنيته : أبو الحسن . وكان من جملة أمراء المغاربة المترسبين في ديوان بني أمية بقرطبة .

ولما التفت البرابرة والمغاربة لبليان ، استجاساً من العصاب الأندلسية ، وتشميراً لمقارعتها ، وأجفل البرابرة إلى وادي يارو منزهين ، لحق بالعدوة الغربية ، وتغلب على سبته محتالاً . ثم عاد إلى الأندلس لما استوسق الأمر لبليان ، واختص من كور إيلاته التي اقتسمها البرابرة واقطعها بسبته ، وأخوه القاسم بالجزيرة ، كما ذكرنا آنفاً . ولم يصب عن دهاء أصحاب لبليان بن الحكم فساد رأييه في إشراك بني حمود مع نفسه في الولايات على نفسه وترشعهم إلى طلب ما بيده . ولكن الله غالب على أمره ؛ فلقد دخل على لبليان عبد الله البرزالي من رؤساء البرابرة ، لما بلغه تقدم بني حمود بضفتي العدوتين ؛ فقال له : « بلغني أنك وليت بني حمود على المغرب ! » فقال : « نعم » . فقال له : « تأني إلى الأحناش ، فتردهم طليبين ؟ » فقال : « نعم » . فقال له : « تأني إلى الأحناش ، فتردهم

تعاينين ! » فقال له : « قد نفلت الأمر بذلك ! »

وقال ابن حبان : ومن الإتفاق العجيب على لبليان أنه ، لما استوسق له الأمر بعد فراغه من أمر هشام ، أنفذ عزمه من بين قواد جيوشه في اختيار علي بن حمود للتقديم بسبته ، رأياً ذهل عنه ، ونبذه إلى ضد له مكاشح شريك في الدعوى والقرابة ؛ فتلقها علي ، وهجم عليه ؛ فسلمه ملكه ، وحوّل دولته ، ومزق عشيرته . وإذا أراد الله أمراً ، أمضاه ! وذكر أن هشاماً كان معنياً بقاءه على المروانية بسبته ، أول أسبه عين ، حسباً تلقى ذلك من كتب الملاحم والحدّان ؛ فلم يزل يرتقب ظهوره إلى أن قام علي بسبته ؛ فكتب له عهده ؛ فكان من أخذه بثأره ما تقدّم .

ولما صارت إليه الدولة ، فهر البرابر ، وأمضى الأحكام ، وأقام العدل . وكان الأغلب على خلقه السباحة والشجاعة والإنابة . وكان مفتح الباب ، مرفوع الحجاب ، يقيم الحدود ، ويعذب المتظلمين ؛ فانتشر الناس في الأرض . ثم ساء في الناس رأيه ؛ فألزمهم المغارم ، وانتزع منهم السلاح ، وتوصل إلى خيارهم بسبب الإطباع ، فامتحن لذلك جملة من أعيان قرطبة . وكان فيما زعموا تليغاعة ، يصيب بعينه ؛ فما يستحسن شيئاً إلا أمرعت إليه الآفة . وازورت عنه جوانب الكثير من الرؤساء والعامة .

وفي سنة ٤٠٨ ، كان مقتله بأيدي أحداث من صقالبنه مجتمار قصره ، لم يشركهم في أمره سواهم . ولما استطال نساؤه لبته في الحثام ، دخلوا عليه ؛ فألفوه صريعاً بسيل دمه ؛ فطار خبر مقتله . وبعث إلى القاسم أخيه بإشبيلية ؛ فلحق بقرطبة ، وصلى على أخيه ، وقعد مكانه ، وعثر على اثنين من الصبة فقتلوا وصلبوا ؛ ولم تنتقل التهمة إلى غيرهم . فسكنت الأحوال .

## دولة القاسم بن حمود بقرطبة

وقد تقدم نسبته في ذكر أخيه . وكان لقبه المأمون ، وكنيته أبو محمد . وولي الأمر مرتين مداولاً لابن أخيه يحيى ، أولاها لأربع خلون من ذي قعدة ، سادس يوم من موت أخيه . وأحسن تلقى الناس ، وأجل مواعدهم ، وأمنهم ، وأسقط عنهم ما كان قد طلبهم به أخوه ؛ وأقر الحكام وأرباب الألقاب على ما تخلصهم عليه أخوه . ثم ضعف أمره وتلاشى ، وغلب عليه رؤساء البرابرة المستولون على الكور ، وأمرأة الشغل ، والفتيان العامرية بالبلاد الشرقية . واتفق أمراء الشغل مؤذرين يحيى ، وابن ذي الثون ، وزهير العامري على إعادة الدولة الأموية ؛ فبايعوا من بني أمية عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر لدين الله .

## بيعة المرتضى من بني أمية ،

وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

وكان من أسباب ذلك أن حيان الفتي العامري ، لما دخل قرطبة مع علي بن حمود ، طبع في أن يجيد هشاماً المؤيد بالله حياً . فلما لم يجده ، استراب من علي بن حمود ، وحذره ، وشرع في الفرار ؛ وأتبعه علي بذلك ؛ فسبقه زهير ، ولحق بأمنه وشيعته . ونصبوا هذا المرتضى ، وحفظوا به إلى قرطبة ، بعد أن أحكموا أمره ، وراشوا جناحه ، وأقاموا آلات الملك ، ونزلوا بإغترناطة ، بادئين بها ؛ وأمروها يومئذ زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي . فكانت بينه وبين القوم محاورات ومخاطبات ؛

ثم اقتتلوا اقتتالاً شديداً أياماً ؛ ثم إن المرتضى خذله أنصاره من هؤلاء الأمراء ؛ وكانوا قد بدا لهم في أمره ؛ فانهزموا عنه ، وهم في أضعاف مضاعفة من عدوهم . وقتل المرتضى . واستولى الصنهاجيون أصحاب زاوي على مملكته من الآلات والحيل والظهور والقياب ، على ما يجوز الوصف كثرة .

وورد على القايم بن حمود الحيو بمقتل المرتضى وهزيمة الأندلسيين من قبل زاوي مع سبه من الغنية ؛ وفي الجملة مرادق المرتضى ؛ فسر بذلك ، وضرب السراديق على نحو قرطبة ؛ وعشيه الناس ينظرون إليه ، وقلوبهم تنتطع أمسى وحسرة .

ومن بعد هذه الواقعة ، ركبت ربح المروانية ، وتقطعوا في الأرض ، واستهنوا ؛ فلم تهم لهم قائمة . وكان بمن تخطاه الهلاك يومئذ أبو بكر هشام بن محمد ، أخو المرتضى ، ولحق بالوالي العامريين ؛ فزهدها فيه ؛ فاستقر عند ابن قاسم صاحب حصن البنت ؛ فأجاره . ولم يزل عنده إلى أن استدعي للأمر بقرطبة ، حسبما يأتي التنبيه عليه إن شاء الله . ومن بعد هذه الواقعة أزمع زاوي بن زيري الرحيل عن الأندلس إلى وطنه بإفريقية ، مغتبطاً بما تم بها له ، وحذراً من العواقب بعده ، إذ رأى أن الذي جر له الهزيمة على الأمراء إنما كان إغاضهم وتحاذلهم عن نصر صاحبهم . وكانت هذه الواقعة في سنة ٤٠٩ .

رجع الحديث إلى دولة القايم . ولما ضعف أمر القايم ، شرع أبناء أخيه : يحيى الكائن بسبنة ، وإدريس الكائن بالقصة ، في مطالبة ؛ فأجاز منهم يحيى بن علي بن حمود البحر إلى مالقة ؛ فضبطها ، وتخلت إدريس بسبنة . وجمع يحيى جيشاً ممن انضاف إليه بالقصة ومن أعاسه من جيرانه البرابرة ، وقدم على عمه بقرطبة . واستجار القايم برؤساء البرابرة جيرانه ؛ فقدموا ، وأرادوا التغريب بين أولئك الحسنين . ولما عبر القايم عن

مقاومته ، فرأى إلى إشبيلية بكتفه ، لثان خلون من ربيع الآخر سنة ٤١٢ ، وضبط من بها من العِدْوِيِّين ، إلى أن لحق يحيى بن علي بقرطبة .

### دولة يحيى بن علي الحمودي الحسني بقرطبة

ربيع له بقرطبة يوم الإثنين مستهل جمادى الأولى من سنة ٤١٢ . واجتمع عليه الفريقان من البرابر والأندلسيين بقرطبة وأعمالها . وكان شريف الأرومة في بيت كريم الولادة ، رابع أربعة من أبناء القرشيات في الإسلام : أولهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ثم الحسن ، ثم الأمين ابن زبيدة بنت جعفر . وسلك لأول أمره مسلك أبيه في التحقق بالفروسيّة والصيد ، ومجانبة العصبية ، وإيثار النصفة ، وطلب السلامة ، إلا أن الكبر والعجب ساءاه ، وثلث خصاله ، إلا أن الإضاءة والراحة واستكفاء غير الكفاي طرقت الخلل لأمره ، وضيق عليه الكلف ؛ فاضطر إلى ارتكاب ما نعاه الناس على غيرهِ ؛ فساءت حاله ؛ وتمشّت مدّة ولايته الأولى هذه ، وهي سنة واحدة وستة أشهر ونصف شهر ، بمسالمة ومعاقبة بينه وبين عمّه المجاور له بإشبيلية .

قال أبو محمد بن حنّوم : ولم يسمع بحليفتين تصالحا ، ولا بأدال على الإديار منه . واضطر إلى الفرار عن قرطبة لاثنتي عشرة سَلَت من ذي قعدة سنة ٤١٣ .

### دولة القاسم بن حمود الحسني بقرطبة

#### في كونه الثانية

ولما فرأى يحيى بن علي بن حمود من قرطبة ، وخلعه من بها من مجند البربر وغيرهم ، استدعى الأمر القاسم من إشبيلية ثانية ؛ فدخل قرطبة يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤١٣ . فاستمرت أيامه بقرطبة وإشبيلية ، وابن أخيه يحيى بالثقة ، يدعى لكل واحدٍ منهما بأمير المؤمنين ، إلى أن ساءت حاله ، وفسد ما بينه وبين أهل المدينة بسبب من كفه من البرابرة . فسار الناس بهم وأغلبنوا بجلته كلمة إجماع ، وأزعجوه عن المدينة يوم الثلاثاء لتسع بقين من جمادى الآخرة منها ، بعد حصره في القصر أياماً ، براوحونه القتال ويُعادونه ، إلى أن انتقل إلى الرُبَضِ الغربيّ منها في جيش البربر . واتصل الحصار منه بقرطبة نحو شهرين ، إلى أن أتبع عليهم النصر لأهل المدينة ، ووقعت عليهم هزيمة شنيعة فرأوا لها مفلولين ؛ وذلك لاثنتي عشرة ليلة سَلَت من شعبان من السنة .

وفرأى القاسم إلى إشبيلية ، وبها ابنه محمد الحسن وأهلُه . فسبأ أهلها أبواب المدينة في وجهه ؛ وعيّد لهم القاضي بإشبيلية محمد بن إسماعيل بن عبّاد أول الطائفة العبّادية ، وهذه الحال كانت أس دوتهم . وانصرف القاسم طريداً إلى مدينة شريش ؛ فاستقر بها . وأعمل إليه الحركة يحيى المعتلي بالله ، ابن أخيه مداو له بقرطبة ، فإزاله مدينة شريش إلى أن فتحها وأسره ؛ فسجنه مع بنيه بالثقة ؛ ثم أمضى قتله خفياً زعوا .

ولما فرأى القاسم عن قرطبة منهزماً مع البرابر ، وظهر عليهم القرطبيون ،

طمعوا في جبر الدعوة المروانية ؛ فاختاروا من أبناء المروانية أمثلاً من في بقايا الوقت 'سليمان' بن عبد الرحمن ، وكتبوا بيعته ، ولقبوه بالمرتضى . فبينما هم بالمسجد الأعظم ، قد شرعوا في أخذ البيعة له ، إذ هجم إليهم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، أخو المهدي القائم على بني أبي عامر المستنوي على أمر هشام المؤيد ، في شردمة من الناس ، يدعو إلى نفسه ؛ فرجعوا إليه طوعاً وكرهاً . وبشّر أمم سليمان من الرئى وجعل فيه اسمه ؛ وذلك من النادر الغريب .

### دولة عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار

يبيع يوم خروج القائم والبرابر من ربة قرطبة منهزمين ، يوم الثلاثاء السادس عشر من رمضان المعظم سنة ٤١٤ . وتلقب بالظافر بالله . وكان قد هم بالوثوب عند اضطراب أمر القائم بن حمود ، وبث دعوته ؛ فلم يأت له ذلك ، ونذر به الوزراء والمشيخة ؛ فحدروا من شؤون الوثوب . ووقع الطلب عليه ؛ فلم يظهر إلا يوم هجمه ؛ فأسقوه بذلك ، وإن كانوا قد أغلقوه بالشورى لبراعته ، وجعلوه ثالث ثلاثة بعد سليمان بن المرتضى ، ومحمد بن العرافي . فاستقل بالأمر يومئذ ، وتكفقه أميراً الدائرة محمود وعزيز المقدمان على الرجال المتخذين بقرطبة لحمايتهم من القائم والبرابرة . فساء الوزراء والمشيخة ذلك ، ولم يملهم أن قبض عليهم ، واعتقلهم بالمطيق ، وأغرمهم أموالاً ؛ فسعوا عليه من المطيق ، وكتبوا الناس ؛ فاستجابوا لهم وثاروا ؛ فكسروا المطيق ، إذ لم يكن بقرطبة معقل يملك السلطان فيه نفسه إلا القصر ، اغتاراً بأزمينة العافية ، وحسن ظن بالأيام . وخرج الوزراء والمشيخة ؛ والتف بهم الناس ، وتغلّبوا على القصر ، وأقعدوا به محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ،

ولقبوه المستكفي بانه .

**وقال بعض المؤرخين :** إنما ثار به الناس لإكرامه وفنداً من البرابر . قدموا عليه ؛ فصاح الناس : « عاد شر البرابر جدعاً ! » ووافقهم الدائرة ؛ فقتلوا الضيوف من البرابر ، وماجوا في البلد ؛ فسبعهم من المطيق من مشيختهم ؛ فاستعانوا بهم ؛ فكسروا أقاله . وما راعه إلا تسوّر الناس السقف عليه . وأحيط به من كل جهة . وركب يطبع في الخروج ؛ فقامت الدائرة من وجهه بسبونه ؛ فترجل ، وخلع ثيابه ، واختفى في أثون حمام القصر . وسببت حرمة بما لم يجز على حرم مثله . وبُعث عنه ؛ فاستخرج بحال قبيحة ؛ فبطش به أحد الرجالة القائمين على رأس ابن عمه المبايع . فقتل ومضى لسيبله يوم السبت ثلاث خلون من ذي القعدة سنة ٤١٤ ، وكان ، لولا قاطع الأدبار عليهم ، من ذوي الفضل البارع ، والظرف الناصع .

**قال ابن بسام :** كان على حدوث سنة ذكياً ، بقطاً ، ليباً ، أديباً ، حسن الكلام ، جيد الفريجة ، مليح البلاغة ، بتصرف فيما شاء ، ويصوغ قطعاً من الشعر مستجادة ، يُزين ذلك بطهارة أبواب ، وعفة ، وبراءة من شرب النبيذ . وكان في وقته نسيج وحده ؛ به ختم فضلاء أهل بيته الناصريين .

### بيعة المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن

**ابن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله**

وكنيته : أبو عبد الرحمن . وكان عمره اثنتين وخمسين سنة . ووافق لقبه لقب شبيهه من العباسية في كثير من الحلال ؛ منها توثبهما في

الفتنة ، واستظهارهما بالفسقة ، واعتداء كل واحد منهما على ابن عمه ، وتوسيط كل واحد منهما في شأن امرأة خبيثة ؛ فذلك حسناء الشيرازية ، ولهذا بنت المروزيّة . قاله ابن حبان . وكان منقطعاً إلى البطالة ، عطلاً من الخصال ، ضدّاً لقتله المستظهر . وفي أيامه ، عاجل ابن عمه ابن العراقي بالحق ؛ وفي أيامه ، استوصلت القصور الناصرية بالحراّب .

وفي سنة ٤١٦ ، اتصل بأهل قرطبة تحرّك يحيى بن علي بن حمّود إليهم من مالقة ؛ فدخل الوزراء والمشعة على المستكفي ؛ فأغلظوا عليه في الكلام ، وقالوا : « قد اضطررنا إلى مكافحة عدونا ! ونحن خارجون إليه ! ولا ندري ما يحدث عليك بعدنا . فاخرج معنا ! ، فأجل الرد عليهم ، وخرج فارّاً بنفسه في هيئة النساء متتقيّاً بين امرأتين . فذكر أن من خرج معه من رجاله أتهموه بمال ؛ فاغتالوه وقتلوه بأقلبيج من الشعر . وكان خروجه في يوم الثلاثاء لحس بقين من ربيع الأول من السنة . وعاد يحيى بن علي بن حمّود إلى قرطبة .

## دولة يحيى بن علي بن حمود بقرطبة

### كروته الثانية

وقدم يحيى بن علي من مالقة بعد انصراف المستكفي عن قرطبة ؛ فدخل القصر يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٤١٦ المذكورة ، وبقي به إلى تمام السنة . ثم خرج إلى مالقة يوم الثلاثاء اثنان من المحرم ، وترك بقرطبة وزيره وكتبه أبا جعفر . موسى ، ودوناس بن أبي زوح ، إلى أن قصد إلى قرطبة الموفق زهير وخيران العامريّان من قبل حبوس بن ماكسن . فلما أحس أهل قرطبة

بهما ، وثبوا بن كان عندهم من البرابر ؛ فقتلوه يوم الثلاثاء لعشر بقين من ربيع الأول من السنة ؛ وبلغ عددهم ألف رجل . وفر أحمد بن موسى ودوناس ؛ فتجأ . وكان يحيى بن علي بن حمّود قد انتقل إلى قرطبة ، مضيقاً على ابن عبّاد ؛ وطمع فيه ابن عبّاد لاستئثار اللهو والشراب به ؛ فوجه إليه إسماعيل بن عبّاد ابنه مع جيش من ضائعة وطائفة من البرابر المستخدمين لذيّه ؛ فطرقوا أحوار قرطبة ليلاً ، وقد كمنوا ، وستروا أنفسهم . واتصل خبرهم يحيى ، وهو عاكف على شرابه ، فتمل ؛ فتعرّ - زعموا - وقال : « وايض يحيى الليلة وابن عبّاد زائر ! » وبادر الخروج برجاله ، ومضى ، يضرب لبطني قرسيه . وألقى بنفسه على القوم في أوائل الليل ؛ فزال منهم مئلاً كاد يفضحهم ، لولا أن انتفضت الكمناء . وجاد صبره ؛ ثم انهزم أصحابه وضرع ؛ فحز رأسه ، وطير به إلى ابن عبّاد بإشبيلية . فخرّ ابن عبّاد ، فجا زعموا ، ساجداً ؛ وانطبق البلد فرحاً . وكان لذيّه محمد بن عبد الله البيرزالي كبير البرابرة من بني بيرزال ؛ فابتدر قرطبة لوقته ، وقد ملك أبوابها سودان يحيى بن علي ؛ فتوصل من بعض الأماكن حتى دخلها عن حيلة ؛ فجاز ما اشتملت عليه .

وانقضى أمر يحيى بن حمّود على هذه الوتيرة ، وذلك في سنة ٤١٧ ؛ فكانت مدته هذه ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً . وكان من حديث بني حمّود ما يأتي ذكره إن شاء الله .

قال : واجتمع أهل قرطبة بعد هذه الكائنة على خلع الفاطميين من بني حمّود ؛ ونشأت بينهم الشرّات التي تأتي المهادنة ؛ فنظروا من يبددون به الزمّ من بني أمية .



## دولة هشام بن محمد بن عبد الملك

### ابن عبد الرحمن الناصر

وقد تقدم أن المُرْتَضَى الذي يرمي العامريون قَتْلَ بظاهر غرناطة لما نحل بها طالباً الأمر لنفسه ، على يد زَاوِي بن زيري ، وأن أخاه هشاماً هذا فر يومئذ من الواقعة ، واستقرَّ بِحِصْنِ البُنْتِ عند صاحبه عبد الله بن فاسم القهري . ولما نُخِيعَ الحُمُودِيُّونَ ، بَابَعَهُ أَهْلُ قُرْطُبَةَ بِمَكَانِهِ مِنَ الثَّغْرِ الْمَذْكُورِ ، يوم الأحد حَمْسَ يَفِينِ من ربيع الآخر سنة ٤١٨ . وأقام كذلك سنتين وسبعة أشهر وثمانية أَيَّامٍ ؛ فخطبَ له بقرطبة غائباً عنها . ثم أتى قُرْطُبَةَ في سنة ٤٢٠ . ولم تَطْلُفْ مَدَنُهُ أَنْ تُخْلِعَ بسبب وزير له يُعْرَفُ بِحُكْمِهِمْ بن سعيد وبن عَمَى بالقُرْطُزِ ، أساءَ مُعَامَلَةَ الوزراء والرعية . وكان إحساناً مُعَامَلَةً مَنْ ذَكَرَ يومئذٍ مُعْوزاً بكلِّ حال لسوء خلق المدينة ، وشذوذ أهلها عن حَبِطِ السياسة ، وجرائهم على الوُثْبِ ، وضعف السلطان وعجزه عن مؤنة مَنْ يَقهر به العامة ؛ فبطشوا به وقتلوه . وكان المغربي هشام ابن عمِّ له ، هو أُمِيَّةُ بن عبد الرحمن العراقي ، من أبناء الناصر ، قَتَلَ شَدِيدَ التَّهَوُّرِ والجَلِّ ، سَوَّلَتْ له نفسه الاستيلاء ؛ فلما قَتَلَ حَكَمَ قام أُمِيَّةُ هذا . وهو أُمِيَّةُ بن عبد الرحمن بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر . واجتمع عليه العوام ، وتقدم إلى القصر ، وهشامُ الشَّيْخُ غَافِلٌ بين نسائه ؛ فبادر حين بلغه الخبرُ والرجفةُ الصعودَ إلى العليَّةِ ممتنعاً بها . ونهبت العامةُ القصرَ . وبادرت العامةُ إلى الشَّيْخِ أَبِي الحَزْمِ بن جَهْوَر كبيرهم ؛ فنهبت على الناس بكف الأيدي . وأُمِيَّةُ مع هذا مُقِمٌّ بالقصر ، قد تَبَوَّأَ مَجْلِسَ هِشَامِ ، واستوى على فراشه ، ورتب من النهاية مَنْ

يُنْقِذُ أوامره مُحَرَّضاً على هشام ، لا بِشكٍّ في تمام الأمر له . وأعمس الوزراء والمشيخة الرأي ؛ فانفقوا على خلع الشَّيْخِ وإبطالِ رُسْمِ الخلافة جيلةً لعدم الشاكلة ، وعلى نقْيِ المروانية وإجلالهم . وأنفذوا إلى هشام المُعْتَزِلَ بالله ، وإلى أُمِيَّةَ بالخروج عن قُرْطُبَةَ ؛ فأنزل الشَّيْخُ هِشَامَ من العليَّةِ إلى ساباط الجامع المفضي إلى المقصورة ، فيمن تألف إليه من ولده ونسائه ، طارحاً نفسه على الجماعة ، يُشَدِّدُهُمُ الله في مَهْجَتِهِ . فأعلمهم بِكَرْفِ الناس له ؛ فقال : « لَيْتَنِي قرب البحر : يرموني في اللجَّة ؛ فيكون أخفَّ لثأني ! فافعلوا ما شئتم ، واحفظوني في أهلي وولدي ! » وبقي بمكانه يومه وليته أسيراً ذليلاً ، خائفاً ، شاخصَ البصر إلى جهة تهجم منها المنية عليه .

وذكر بعضُ تَخْدَمَةِ المسجد أن أوَّلَ ما سأل الشيوخ الداخلين عليه إحضارَ كُسْبَرَةٍ يسدُّ بها جوعَ طِفْلَةٍ صغيرة له ، إذ كان قد ضمَّها إليه سائراً ليأثاها بكُفِّهِ من برد ليلته ؛ وكانت تشكو له الجوع ، ذاهلةً عسا أحاط بها ؛ فتزبد في همِّه ؛ وسأل سراجاً يتأثس به نساؤه . فأبكى مَنْ كَلَّسَهُ اعتباراً بعادية الدهر . وبات الناس ليلتئذٍ بالجامع ليفرغ الوزراء من شأنه ؛ ثم أخرج إلى حِصْنِ ابن الشَّرَفِ من غير أن يُؤْخَذَ سَطْرُهُ بالخلع ، ولا يشهد عليه بعجزه عن تدبير الخلافة وإحلال الأُمَةِ من بيعته على السبيل المعهودة . وأنساهم الله ذلك تهاوناً بحقه ونسياناً .

وأما أُمِيَّةُ بن العراقي فلم يبرح من القصر حتى أزعج مُطْلِقاً لسانه من الحَمَلِ على الوزراء بما شاء . ومشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحدٌ بقرطبة من بني أُمِيَّةَ ، ولا يكتفهم أحدٌ . وكان القائم بإخراجهم ، ومقيم الرُّسْمِ بقرطبة بَعْدَهُمُ أَبَا الحَزْمِ بن جَهْوَر ، حسباً يأثي الكلام فيه . وانتهى أمرُ بني مروان لهذا الحَدِّ ، وبما رُسمُ الجماعة ؛ وتقسَّم البلاد والأقطار رؤساء الطوائف ، قد استحاز كلُّ منهم استبداده نفسه . ورضي

بذلك من بقواعدهم من المسلمين على وفور الفضلاء، وتعداد العلماء، وانفساخ الأقطار، وتراحم الاعترار. والأرض لله، بورئها من بشاء من عباده. والعاقبة للمتقين. ونكره بالقول على تمام حديث العلويين الفاطميين من بني حمود.

#### ذكر تلخيص الكلام

#### في الامراء من بني حمود

وقد ذكرنا منهم فيما سلف كبيرهم علي بن حمود، والقاسم أخاه، ويحيى بن علي، وانتهينا إلى ذكر مفضل يحيى بن علي بظاهر قزمونة على يد بني عبد الله البرزالي على قزمونة. فصل ذكر القوم بعده، فنقول: ولما بلغ إدريس بن علي بن حمود الكائن بسببة خبر يحيى أخيه، أسرع اللحاق بالقة، ودعا إلى نفسه. ونهض إليه جنوس بن مكنسن مع جنهاجة؛ فبايعوه، واستضافوا بجبلتهم زهيراً الفتي؛ فخطب له بالمريّة المطاوعة زهير حليف وجاره بللييرة، وذلك في منتصف ذي الحجة من السنة. وتوجهوا إلى قزمونة وإشبيلية؛ فجللوهما تهنأ وغارة؛ ولم يتيحه لهم فيها أكثر من ذلك.

ثم توفي إدريس صاحب سببة ومالقة سنة ٤٣١؛ فبويع بعده أخوه حسن بن علي بسببة، وتسمى بالمستنصر بالله. ولما توفي حسن بن علي، قام بعده بأمره ولده يحيى، ودام ملكه بها سنتين. ثم قام عليه ابن عمه حسن بن علي تسيبه؛ فخلعه. ويذكر أن والد حسن هذا، وهو يحيى بن علي، أسند إليه عهدته؛ فسبقه عمه إدريس أبو هذا القليل إليه. وعبر حسن بن يحيى إلى مالقة، وكان له أخ اسمه إدريس

وشي به؛ فثقفه في القصر. ثم نادى ملك حسن بالقة إلى أن توفي بها مسموماً. وترك ولداً صغيراً له بسببة؛ فبايعه أبو القوز نجاة العلوي قائده وثقته بها؛ وهو من شرط كتابنا من بويج قبل الاحتلال من ملوك الإسلام. وأجاز البحر لثقاف البلاد؛ فأقن الجزيرة، وبها أبناء القاسم بن حمود؛ وأراد إخراجهم منها. فبرزت إليه سببة أمهم حاضرة، وقالت: «يا أبا القوز! انقطع أيتام مواليك، وتخرجهم، وتكشفهم عن البلاد؟» فنجل - رحمه الله - من ذلك، وانصرف إلى مالقة، وقيد صفيه قوم من برغواطة كانوا أخوالاً لحسن المتوفي بالقة؛ فترصدوا غفلة من أبي القوز نجاة العلوي؛ فقتلوه بالطريق من مالقة. ثم نهضوا إليها؛ فسبقوا الخبر، ودخلوا على أحمد بن موسى الوزير قائدها؛ فقتلوه؛ وأخرجوا إدريس بن يحيى من سجنه، فبايعوه بها ثم ومن فيها من رؤساء البرابر ولقبوه العالي بالله وخطبوا باسمه سنة ٤٣٤. ثم ثار على العالي ابن عمه محمد بن إدريس بن علي بن حمود؛ فضاهاه في شعبان من سنة ٤٣٨؛ احتبلوا غركته، وقد خرج إلى قلعة بيشتر؛ فسدت الأبواب في وجهه؛ فعاد إلى بيشتر. ثم رحل بأهله وولده إلى سببة؛ فأقام بها عند سواجات البرغواطي، القاسم بأمرها لذلك العهد؛ وبأني التعريف به.

واستقام أمر محمد بن إدريس بالقة، وتلقب بالمهدي. وكان محمد بن إدريس هذا سفاكاً للدماء؛ فأعلنت الحيلة في هلاكه بكأس مسمومة وجهها باديس بن جنوس الصنهاجي أمير غرناطة مع رجل من خاصته؛ فقال: «هذه كأس جلبت للحاجب المظفر باديس؛ فم يرها تصلح إلا للخلافة. فاخضعك بها.» فأعجب بذلك محمد بن إدريس، وملأها خمرأ، وضمها إلى فيه؛ فأحس في نفسه رغبة؛ فأمر الرجل الذي أوصلها إليه؛ فشرب ما فيها؛ فتهرأ لخمته من حينه. وبقي محمد بن إدريس

ثلاثة أيام ، ومات في آخر سنة ٤٤٤ .

وقام بعده بالأمر ابن أخيه ، وهو إدريس بن يحيى بن إدريس بن علي بن حمود ؛ وتسمى بالسامي . ثم أحمل نفسه ، وركب البحر كائن تاجر ، ويزل في ريف غماره . فتبيخ عليه وأتي به إلى سبتة ؛ فقتله سواجات البرغاطي . وبقي العالي عنده إلى أن مات في سنة ٤٤٤ .

وولي بعده ولده محمد ، وتسمى بالمستعلي . وانتفق أمراء البرابر على البيعة لمحمد بن القاسم بن حمود ، الكائن بعد أبيه بالجزيرة الخضراء وما إليها ؛ ولقبوه بالمهدي ، وخطب له بجميع بلادهم . وتوجه إليه من رؤسائهم جماعة ، منهم كبيرهم باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، وإسحاق بن محمد بن عبد الله الزناتي صاحب قزمونة ، ومحمد بن نوح صاحب موزور ، وعبدون بن خزرون صاحب أركش . وانضاف إليهم قنح الله بن يحيى من أمراء ولبة الغرب ، وابن الأفطس صاحب بطليوس ، ونمضوا به إلى بلد ابن عباد إشبيلية ، ونازلوه ، وانتسفوا أرضه ؛ ثم انصرفوا ، وقد عجزوا عنه ؛ وذلك في سنة ٤٣٩ .

ولما توفي محمد بن القاسم ، تابعوا ولده محمد بن محمد بن القاسم على ركنه . ثم مات . وولي بعده القاسم ولده الملقب بالمستعلي . ثم تغلب باديس بن حبوس على مالقة ، وأخرجه عنها ؛ ولم يبق لهذا العهد على ملك الحسنيين إلا الجزيرة الخضراء ، وأميرها القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود ؛ فنازله قائد ابن عباد عبد الله بن سلام في البر ؛ ونازله أساطيله في البحر . فلما عجز من مقاومته ، تخلى له عن البلاد عن أمان أسكده ، وركب البحر معرضاً عن جهة سواجات بسبتة إلى المربية فأقام بها إلى أن مات . وانقضت مدتهم . وكانت من يوم ولي علي بن حمود إلى تخلي القاسم عن الجزيرة ثانياً وخمسين سنة . قال أبو محمد بن حزم : اجتمع عندنا بالأندلس في صغر واحد خلفاء

أربعة ، كل واحد منهم يخطب له بالخلافة بوضعه . وتلك فتية لم ير مثلاً لها : أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام ، كلهم يتسمى بالخلافة وإمارة المؤمنين ؛ وهم : خلف الخضرى بإشبيلية ، علي أنه هشام من بعد اثنتين وعشرين سنة من موت هشام ، وشهد له خضيان ونسوان ؛ فخطب له على منابر الأندلس ، وسفكت الدماء من أجله ؛ ومحمد بن القاسم خليفة بالجزيرة ؛ ومحمد بن إدريس خليفة بالآلة ؛ وإدريس بن يحيى ابن علي ببشتنر .

## ذكر نبتة من

### أحوال ملوك الطوائف بعد الخلاف

يقول ، والله الاستعانة ، ومنه الحول والقوة : وذهب أهل الأندلس من الانشقاق ، والانشعاب والافتراق ، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالحل القريب ، والخطبة المجاورة لمبدأ الصليب ، ليس لأحدهم في الخلافة إرث ولا في الإمارة سبب ، ولا في الفروسيّة نسب ، ولا في شروط الإمامة مكتسب ، اقتطعوا الأقطار ، واقتسموا المدائن الكبار ، وجبوا العائلات والأمصا ، وجندوا الجنود ، وقدّموا الفضّة ، وانتحلوا الألقاب ، وكتبت عنهم الكتائب الأعلام ، وأنشدهم الشعراء ، وذوّت بأسماهم الدواوين ، وشهدت بوجوب حقهم الشهود ، ووقفت بأبوابهم العلماء ، وتوسلت إليهم الفضلاء ، وهم ما بين محبوب ، وبزيري مجلوب ، ومجنّد غير محبوب ، وغفل ليس في السراة بمحبوب ، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائراً ، ولا لحزب الحق مغابراً ، وقصارى أحدهم أن يقول : « أقيم على ما بيدي ، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه ! » ولو جاءه عمر بن عبد العزيز ، لم يقبل عليه ، ولا لقي خيراً لديه ؛ ولكنهم استوفوا في ذلك آجالاً وأغماراً ، وخلفوا آثاراً ، وإن كانوا لم يبالوا اغتیاراً ، من معتيد ومعتيد ورثقى وموثقى ومستكف ومستظهر ومستعين ومنصور وفاسر ومثوكل ، كما قال الشاعر :

ما يزهدي في أرض أندلس أساء معتيد فيها ومعتيد  
ألقاب تملك في غير موضعها كاهل تحكي انتفاخ صورة الأسد

جلبتنا منهم ذكرراً ليغبط مطالعته بجاله ، ورضى الواقف عليه من زمانه ، ويتهج بشأه ، ويرى أنه أوثق عهداً ، وأحكم عهداً ، وأرحب عطفاً ، وآمن وطناً ، وسبحان من لا تزن الدنيا عنده جناح بعوض ، ومن لم يرض لأوليائه الكرام عليه غير ما لديه !

### ذكر أيام بني جمهور بقرطبة وما اليها

قلت : وكان من الترتيب أن تقدم من تقدم بالزمان من هؤلاء الرؤساء ، واستحق تقدم الذكر بتقدم وقت ظهوره . وإنشأ ابتدأ هؤلاء الجباورة اعتناء بحل ولايتهم دار الملك قرطبة لأعادها الله . وبدأ أولاً بشيء من ذكرها ، فنقول :

قال أبو عبد الرشاطي : « قرطبة قاعدة البلاد ، وأمّ المدائن ، ومستقر الخلافة ، ودار الإمارة ؛ فيها كان الخلفاء من بني أمية وآثارهم بها ظاهرة ، وأبنيتهم فيها وفيما جاورها سنية ، وبها الجامع المشهور أمره ، الشائع ذكره ، من أجل مصانع الدنيا لكبر مساحته ، وإحكام صنعه ، وجمال هيئته وإتقان بنائه ؛ همم به الخلفاء من بني أمية فزادوا فيه زيادة بعد زيادة ، وتسمياً إثر تسمي ، حتى بلغ الغاية في الإتقان ، واستولى على أمر الإحسان ؛ فصار يحار فيه الطرف ، ويعجز عن حسنه الوصف . وقرطبة على شهر كبير فوهته بجبل شنورة ، ويسمى على قرطبة ؛ وينصب فيه تحت قرطبة أودية ؛ ثم يمر إلى إشبيلية ( وقد ذكرناه في باب الإشبيلية ) ؛ وعليه بقرطبة قنطرة عظيمة حصينة من أجل البناء قدرا ، وأعطيه خطراً ؛ وهي من الجامع في قبليته وبالقرب منه ؛ فانتظم به الشكل إلى الشكل ، وجاءت كالفرع لذلك الأصل . ولما كانت قرطبة على الصفة التي ذكرنا حل الإمارة ، ومستقر الخلافة ، كثر بها العلم والعلماء ، واستقر فيها

فيه ؛ فأعطوا قوسَ السياسةِ باريها ؛ فاندل عليهم به السِّرُ .  
قال المؤرِّخ : وكان مع براعته ، ورفعة قدره ، أشدُّ الناس تواضعاً وعفةً ، وأشتبههم أولاً بأخِر ، لم يختلف به حالٌ من الفَتَاءِ إلى الكهولة . واستمرَّ في تدييره بقرطبة ؛ فأنجح سَعْيُهُ ، ولمَّ الشعثُ في المدَّةِ القريبة ؛ فتعشَّ الرِّفَاتُ ، وأخفى منها الموت ، ودافع بحسُن تدييره البرابرة ، وأحسن الجوار والمعاملة . ثمَّ توفِّي - رحمه الله - ليلة الجمعة السادس من شهر محرم سنة ٤٣٥ .

### أيام أبي الوليد محمد بن جهور

قال ابن حبان<sup>١</sup> : وولي بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور بن محمد ابن جهور بن عبيد الله ، نهايةً بيوت الشرف الأثيل بقرطبة على تمرِّ الدهرِ المغرِبِ شأوه في نظمِ فِلاحة خمسة ككعوب الرُّمَحِ أنبوباً على أنبوب ، همُّ ما همُّ ، تناقلا الوزارةَ والكتابةَ ما بئنه وبين خاميسهم غيبه الله ، خو لهم الله الرئاسة على تعاقب الأزمان واختلاف الأعصار ؛ فلم تنقلها الفتنة إلى أن ورثها ربُّها هذا الوالي الفاضل أبو الوليد ، ولما تعرَّف البؤس يوماً ، فأعانت ذلك على الحسب والمروءة . وأقرَّ لوقته الحُكَّام وأولي المراتب . ثمَّ اقنَى آثار أبيه في السياسة ؛ فأصبح من العجيب العجائب تكاف الناس عن التظالم والتسافك ، بخلاف ما كانوا عليه تحت الضبط الشديد بأيدي جبَّابيرة أصحاب الشرطه أيام الجماعة . فلا يكاد يُسَمَّع لشرارهم من مَعْهُود ذلك إلا السَّادرة . ثمَّ قال : فلم يَقُمْ من الأمر نبل ما قام به أبوه ، بل قدَّم ولده عبد الملك على الناس وأخذ عليهم العهد والبيعة لابنه المذكور ؛ فجار واعتدى ، وصحب الأزدال ، وأهل الأمور ، وأخاف

١ راجع « ذخيرة » ابن بسام ، ج ١/٢ من ١١٧ - ١١٨ .

السُّبُل ، وأظهر الفساد ، وتعاطى ما أحجم عنه سَلَفُهُ من الاستبداد ؛ فسَمَّى نَفْسَهُ بذِي السَّيَادَتَيْنِ المنصور بالله الظافر بِفَضْلِ الله ؛ وخطبَ له على الميثرِ باسمه . ولم يكن أبوه ولا جدُّه انتقلا عن رَسم الوزارة ولا تلبسا بشيء من أمور الأمويَّة .

### أيام عبد الملك بن محمد بن جهور

وكان الرئيس أبو الوليد - رحمه الله - قد ألقى الله منه على ابنه الأصغر من وَلَدَيْهِ مَحَبَّةً آثَرَهُ لها على أخيه كبيره عبد الرحمن ، لِمَرْبِية شهامة كانت في نفسه جنى بها خروج الأمر عنهم . وخصَّ عبد الرحمن بحظٍّ رغب من أمره ؛ فكان لعبد الملك النظرُ في الجُند ، والتولِّي لعرضهم ، والإشراف في أعظيتهم ، ولعبد الرحمن النظرُ في أمر الجبابة والإشراف على أهل الخدمة ؛ ورضيا بذلك ، إلا أن عبد الملك ابتزَّه ذلك ، وتغلب عليه ، وسجنه في منزله ، ورقب عليه ؛ وقد أصابت الألبُ زمانة . واستولى عبدُ الملك على الأمر .

وكان من تدييره الانحطاط في سلك المعتضد بن عباد جارهم المصائب ، فوالى مخاطبته ومداخلته ، وزاره بنفسه ؛ فقام ابن عباد بحقه ، وأغراه بما تسبَّب به إلى ما بيده من قتل وزير أبيه الكائن شجى في حلق ابن عباد ، وهو المعروف بابن السَّقاء . واتصلت مصادفته لابن عباد بضده يحيى بن ذي النون ؛ فصرَّف عزمه إلى قرطبة ، وجعل التضييق عليها نُصْبَ عَيْنَيْهِ ، واستهان في سبيل الحصول عليها الأموال ، واصطنع الرجال ، وتحرك إليها سنة ٤٦٢ . فاستغاث عبد الملك بن أبي الوليد بن جهور بصدقه ابن عباد ، لعجزه عن الانفراد بمقاومة ابن ذي النون ؛ فبعث إليه المعتضد ابن عباد بكتيبة من ثلاثمائة فارس ؛ ثم أنشعها ألف فارس لتظنر قائدته

الفضلاء والنبلاء ، وصارت دار هجرية للعلم ، ومكان رحلة لأولي القلوب .  
وكان من بها من الخلفاء - رضي الله عنهم - هم العلماء ، ويكبرون من  
يؤولونه منهم خطبة القضاء ، ويختارون للخطبة أهلها ، ويوفونهم حقوقهم  
فيها ؛ فكانت للقضاة بها منزلة عالية ، والرتبة السامية ، مع كون الخلفاء  
منقادين لأحكامهم ، وافين لدى تنفيذهم وإوامهم ، مع ما خص به أهل  
قرطبة من غلو الهبة ، واجتماع الكلمة ، ونالهم على الحقائق ، وانسابعهم  
لأحسن الطرائق ؛ فصارت بذلك لهم النخوة والعزوة ، وحازوا أعلى منازل  
الرفعة . فممن ولي القضاء بقرطبة ، وكان بها على الصفة التي ذكرناها ، محمد  
ابن بشير .

ووقع لي ذكرها في بعض كتب الفسوحات ؛ فقلت : قرطبة  
وما أذكر لك ما هيته ، ذات الأرجاء الحالية الطامية ، والأطوار الراسخة  
الراسية ، والمباني المباهية ، والزهرات الزاهية ، والمحاسن غير المنتهية ،  
حيث هالة بدر السماء قد استداوت من السور المشيد البناء دارا ، ونهر  
المجرة من نهرها الفيض ، المسلول حسامه من غود الغياض ، قد لسق  
بها جارا ، وفللك الدؤلأب ، المعتدل الانقلاب ، قد استقام مدارا ، ورجع  
الحين استيقا إلى الحبيب الأول ؛ وادكارا ؛ حيث الطود كالنار ، يزدان  
بلجين العذب المجاج ، فيزري بتاج كسرى ودارا ؛ حيث جسور الصور  
المديدة ، كأنها عوج المطي العديدة ، تعبر النهر قطارا ؛ حيث آثار العائري  
المجاهد ، تعبق من تلك المعاهد ، شذا معطارا ؛ حيث كرائم السحاب ،  
تزو عرائس الرياض الحباب ، فتحمل لها من الدار نارا ؛ حيث شمول  
الشمال تدور على الأدواح ، بالغدو والرواح ، فتري الغصون سكارى  
وما هي بسكارى ؛ حيث أبدي الافتتاح ، تنفض من شقائق البطاح ،  
أبكرا ؛ حيث تغور الأفاحي البوامس ، تتبها زوار النواصم ، فتخفق من  
قلوب النجوم الغبار ؛ حيث المصلى العتيق قد رجب مجالا وطال منارا ،

وأزرى ببلاط الوليد احتقارا ؛ حيث الظهور المثاره بسلاح الفلاح نجب  
عن مثل أسنمة المنهار ، والبطون كأنها لتدميت الغمام بطون العذارا ،  
والأدواح العالية ، تخرق أعلاها الهادية ، بالجداول الحيارا . فما سننت  
من جور حقل ، ومعرض للحسن ومقبل ، ومالك للعقل وعقل ، وسائل ،  
كم فيها للبلابل ، من قال وقيل ، وخفيف بجواب بشيل ، وسنابل تحكي  
من فوق سوقها ، وقصب بسوقها ، الهنرات فوق الألفات ، والعصافير  
البديعة الصفات ، فوق القصب المؤلفات ، تميل لهبوب الصبا والجنوب ، مالة  
الجبوب ، بدور الحبوب ، وبسطاح لا تعرف عين المسجل ، فتطلبه بالمدخل ،  
ولا تصرف في خدمة بيض قباب الأزهار ، عند افتتاح السوسن والبحار ، غير  
العبدان من سودان السحله ، ومجر الفلاحة الذي لا يدرك ساحله ، ولا يبلغ  
الطية البعيدة راحله ؛ إلى الوادي ، وسر النوادي ، وقرار دموع الغوادي ،  
المتجاسير على تحطيه ، عند تمطيه ، الجسر العادي ، والوطن الذي ليس  
من عمرو ولا من زيد ، والقر الذي في جوفه كل صيد ، أقتل كرسية  
خلافة الإسلام ، وأغار بالرفافة والجسر دار السلام ؛ وما عسى أن نطلب  
في وصفه أسنمة الأعلام ، أو نعتبر به عن ذلك الكمال فنون الكلام .

\*\*\*

ولما خلع هشام الأخير ، واثق رأي الجماعة بقرطبة على نحو رمم  
الخلافة الأموية ، لعدم الصلوح في أهل بيتها ، وسوء الجوار ، وفناء الأموال  
التي يوزق منها من يقر به السلطان كراف الناس ، اتفق المأ على إسناد  
الأمر بالحضرة إلى شيخ الجماعة ، وبقية الأشراف من بيوت الوزارة ، أبي  
الحزم جهوز بن محمد بن جهوز بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن العتر  
ابن يحيى بن عبد العافير بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة . وكان لمدخل  
جدهم يوسف بن بخت بن أبي عبدة إلى الأندلس أثر عظيم من جميل  
الذراع وسعة الباع ؛ وأسندوا إليه مهتهم ، وعدوا من خصاله ما لم يحتفلوا

الكبيرين: خلف بن نجاح، ومحمد بن مرتين؛ وتقدم إليهما بما يكون عليه عملهما.

ولما اتصلت يد عبد الملك بجيش ابن عباد، دافع ابن ذي النون عن حوزته؛ فانصرف عنه، ولم يجد فيه غيرة، بعد قتال ومداغة. وكان مضطرب الجيش العبّادي أيام مقامه في نصره ابن جهور بالرّبع الشرقي من قرطبة.

ووقعت المداخلة بين قائدَي الجيشين وبين بعض الإشبيلية في الإراحة من بني جهور وخلعهم وتضيء الأمر إلى ابن عباد. فلما صح انصراف ابن ذي النون، وذهب القائدان ومن معهما إلى وداع ابن جهور بباب المدينة، اقتحم رجاله الأبواب وملكوها، ودخل الجيش، وقامت الدعوة باسم ابن عباد يوم الأحد لتسع بقين من شعبان سنة ٤٦١. وامتنع عبد الملك وخويعه في عيشة الدار حيث سكنها، ودافع عن نفسه إلى أن غشي الدار الجراد المنتشر من الناس وشملها النهب. ولجأ الشيخ أبو الوليد أبوه؛ فأوى إلى مقصورة المسجد ببنايه وكرامته؛ واقحمها طائفة من نصارى الجند الإشبيلي؛ فجرّوهم، وانتهبوا ما أصابوا عندهم من ذخيرة.

وطلب عبد الملك الأمان لنفسه، ونزل إلى القائدين؛ وتحصل البلد ورؤساؤه في أيديهما؛ فأطلقا النداء بكف الأيدي، وتوعدا بالسيف، وعجلاً إخراج عبد الملك وأخيه عبد الرحمن إلى إشبيلية من يومئذ، مراعاة للحرّم. وألحقا باللاء طائفتها؛ فوكتلا بالكل من تطلع بذلك؛ ثم عطفوا على النظر في حال الشيخ الزّمين أبي الوليد، صدّر بيّوات الأندلس، وأوتقها عروة جاء وأشدّها ركن تعيين؛ فصيّراه إلى دار صغيرى، إلى أن وصل جواب ابن عباد بإخراج الشيخ ومن معه إلى جزيرة سلتطيش من الجزر الكائنة في موقع سهر إشبيلية؛ فأخرج، من بعد العز

والبيعة واتصال التوف، محملاً بين عدليّ بن عليّ ظهر زاميلة، فد أركب خلفه من يسكه.

قلنت: وقد أفرّد أبو مروان بن حيّان لهذه النكبة الجهورية كتاباً سماه «البطشة الكبرى»؛ وكلامه فيه من لباب بلاغته. وذكر أن الشيخ أبا الوليد بن جهور لما توسط القنطرة، مخرجاً عن وطنه على تلك الحالة، رفع يديه إلى السماء، وأخذ يتبتهل في الدعاء؛ وكان ممّا حفظ عنه قوله: «اللهم! كما أجبت فينا الدعاء علينا، فأجبه لنا!» فبات لأربعين يوماً من نكبته بجزيرة سلتطيش — رحمه الله وغفر له — فكانت هذه سبيلهم — رحمه الله عليهم.

وشرع الوزيران في ضبط قرطبة. فتأني بعد حوادث تخللت ذلك، بطول الكتاب إن استقصيناها. فكانت مدة بني جهور بقرطبة أربعين سنة إلا يسيراً. والبقاء لله وحده. وتأثى هذين الشيخين، وخصوصاً لأبي الحرّم والدهما، ما لم يتأتّ لمتأمر من مسألة من يليه، وانسحاب العافية على بده مدة ولايته، حتى كان لرؤساء الطوائف بمنزلة الأب، بفصل بينهم في القضايا، ويشفع في الحوائج، ويصلح بينهم في المنازعات؛ فلم يدر الناس ما فقدوا فيهم إلا بعد أن بكتوا غيرهم وفقدوا خيرهم. والحكم لله سبحانه!

ولم يمتع المعتد بن عباد بما حصل عليه من منحة قرطبة، بل نقصه مرورها بما كان من هجوم ابن عكاشة على قرطبة ليلاً؛ فطرقها. وتيسر ذلك له لتظّره بعض الحصون المجاورة للضرة؛ وقد كان المعتد تخلف فيها الظافر ولده والوزير محمد بن مرتين، مضيقين الحرّم، غريقين في الذّات. واحتال ابن عكاشة حتى دخل المدينة ليلاً برجاله، وطرق دار الإمارة. وبرز الظافر إلى استجلاء الأمر؛ فقتل وحز رأسه. وبادر إلى ابن مرتين، وهو عاكف على شراب وهو؛ فقيض عليه. وتأمر ابن

عُكَاشَةُ بَنِ الْبِلَادِ مِنْ أَوْلِيَاءِ ابْنِ ذِي الثُّونِ . فَتُبِتَ الدَّعْوَةُ لِابْنِ ذِي الثُّونِ .  
وَلَمْ يَخُصْ إِلَّا زَمَنٌ قَرِيبٌ ، وَقُتِلَ ابْنُ عُكَاشَةَ ، وَعَادَتِ قَرْطَبَةُ إِلَى  
الْمُعْتَمِدِ إِلَى آخِرِ أَيَّامِهِ .

### ذكر أيام بني عباد باشبيلية وغيرها

وبنو عباد من العرب الداخلين إلى الأندلس من لخم .

قال أبو مروان : جاز إلى الأندلس بعد الفتح رهط من لخم تفرقوا  
في أقطارها ؛ وانحاز منهم إلى عربيتها أخوان نعيم وعطاف ؛ فنزل  
أحدهما بقرية يومين ، وتنازل ولده بها مدة من الزمان ، ثم  
انتقلوا إلى إشبيلية فتمسوا ، وتصدروا للوجاهة والنباهة في دولة الحكم  
المستنصر بالله ودولة ابن هشام وحاجبيه المنصور . وقد كان نشأ فيهم  
صدور بينهم ومؤسس مجدهم إسماعيل بن عباد ؛ فقدّمه المنصور على  
خطة القضاء بها ؛ فاتصل استعماله إلى زمن انقراض الإمامة الأموية .  
واستمرت حاله مع من نجم في الفتنة ؛ فنظر في صلاح القطر ، وحمله على  
الطريقة المثلى من السياسة ، إلى أن نزل في عتبة الماء سنة ٤١٤ ؛  
وقدح ؛ فعاد بعض بصره ؛ فلم يستجيز الحكم بين الناس ؛ فوَلَّى  
ولده أبا القاسم القضاء ، واقتصر هو على رئاسة البلد وتولي رأي المشيخة .

وكان نسيجاً وحده علباً ومعرفةً وأدباً وحكمةً ؛ فجمي مدينة  
إشبيلية من سطوة البرابر الذين اقتطعوا أحوالها ونزلوا حولها بالتدبير  
الصحيح ، والرأي الراجح ؛ والنظر في الأمور السلطانية ، إلى أن هلك  
سنة ٤١٤ .

### ذكر أيام القاضي أبي القاسم محمد بن عباد

#### أول ملوكهم باشبيلية

وهو أبو القاسم بن ذي الوزارتين أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن  
إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن  
نعم اللخمي . وعطاف هو الداخل مع بلنج بن يشر .

وكان القاسم بن حمود ، لما ملك إشبيلية ، قد اختص واستظهر به على  
مهمات تلك الحضرة ، واستنام إليه لمحلته من الجلالة والأحالة في النظر ،  
ووفور المالية . فلما جرى على القاسم ما تقدم التعريف به من إيقاع أهل  
قرطبة بمن معه من برابريه ، وإجلاله وإيثارهم عن الحضرة ، وما أتيح لهم  
من هزيمته ، خاطب بين يدي لحاقه بإشبيلية من بها بأن تخلّص له الدور  
لن في صعبته من البرابر . فوقع الاتفاق من أهل البلد على سد أبواب  
المدينة في وجهه ، وأن يخرج إليه أهله ولده ؛ ففعلوا . ووصل  
القاسم ؛ فامتنعوا عليه ، إلى أن قصد شريش ، كما مر قبلاً . وتولى  
ضبط المدينة على كثرة الفرج القاضي أبو القاسم ، عميد البلدة ، مشترك  
النظر مع وجود البلاد وأعلام بيوتاتها ، إلى أن انفرد بالأمر دوتهم .

وجرت له في تدبير تلك الأحوال أمور شهيرة ، إلى أن خلص  
بسايقته ، وأجمع أهل عمّله على طاعته ؛ فدانوا له ، وسلك سيرة أصحاب  
الممالك بالأندلس ؛ وأقبل لأول وقته بضم الرجال ، وبشري العبيد ،  
والجد يساعده ، والأمور تنقاد له ، إلى أن استولى على الأمد ، وبني  
قواعد سلطانه سامية العمدة .

وكان من تدبير إسماعيل بن عباد ، لما ضاق ذرعاً بمزاحمة بني حمود



الفاطيين من كل جهة ، ولهم في الناس النداء المسوع والحق المعلوم ، أن دعا إلى تجديد بيعة الخليفة هشام المؤيد ، المشكوك في موته ، المدعي كثير من الناس أنه فرّ لوجهه ، وزعم أنه عثر عليه ساجداً في الأرض ؛ وقد كان صاحب المزية زهير العامري ذهب مذهبه في رجل سقاء شديد الشبه بهشام ؛ فمؤدّ زمناً به سنة ٤٢٦ ؛ ثم تلاشى الأمر في يده ؛ فطرده ؛ وأحكم ابن عبّاد أمره ؛ فأعلق منه اليد بشبهه ؛ فمضى الحال بها زمناً طويلاً . والدنيا عند الله حقيرة الزمان ، خاملة الشأن .

قال ابن القطّان حاكياً عنه ؛ فذكر أن هشاماً فرّ من الفتنه ، ورفض الملك ، وكنى أمره ، واستقرّ في قرية من قرى إشبيلية ، يؤذن في مسجدتها ويعمره ، ويتنوّت من العمل في الحلفاء ؛ فخرج اليه القاضي محمد بن إسماعيل هذا وولّده وجميع خاصته وعبيده ، ومعه أبواب الحلفاء وملابسهم وزينهم ومراكبهم ، ولم يشعر الرجل ، وهو خارج المسجد من القرية ، يعمل بيده في حلفاء ، إذا بالقوم قد غشّوه وأحاطوا به ، وترجل القاضي وابنه ومن معهم ، وقبلوا الأرض بين يديه ؛ فبهت الرجل لما عاين ، وجعل يقول : « لست بالذي تعنون ولا بالذي تطلبون ! » وهم لا يترادّون عليه شيئاً سوى التضرّع والرغبة ، إلى أن أقاموه من مكانه ، وجرّوه من حلفائه ، وألبسوه الكسوة الحلائية ، ووضعوا القلائد على رأسه ، وأركبوه ؛ ومشى القاضي وجميع من معه أمامه . وكان الرجل أشبه الناس بهشام ؛ ودخلوا به المدينة ، وصائح ينادي : « يا أهل إشبيلية اشكروا الله على ما أنعم به عليكم ! فهذا مولاكم ! قد صرف الله الخلافة من قرطبة إلى بلدكم ! » واستقرّ بالقصبة ، وحجبه ابن عبّاد بابنه إسماعيل ، شأن المنصور مع هشام بقرطبة . وخاطب الناس بكل جهة في شأنه ؛ فوجه الكثير منهم أوّسالة وثقافته ليقيموا على حقيقة أمره ؛ فأدخلوا على الرجل ، وهو في بيت مظلم ؛ وذكر لهم أنه يشكو مرض

عينيّه ، كلّموه وكلّمهم ، غير أنهم لم يثبتوا صفته ؛ فنههم المقر والمشكر . وأبى قبول ذلك ابن جهنم ؛ فغزا ابن عبّاد بلدّه ، إلى أن أظهر الموافقة . وخطب له في القواعد التي تغلب عليها العامرية .

وعظم ملك ابن عبّاد ، وضيق على الجهات ، وأكثر الغارات ، إلى أن أصيب ولده إسماعيل بأيدي بني زيري المتغلبين على كنوة البيرة في هزيمة انتجّته عليه . وكانت له وعليه وقعات شهيرة ، إلى أن توفي القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عبّاد في سنة ٤٣٣ . وولي الأمر بعده ولده أبو عمر عبّاد بن محمد الملقب بالمعتضد .

### أيام المعتضد بالله عباد بن محمد بن عباد

تولّى الأمر بعد أبيه منسليخ جبادي الأولى من سنة ٤٣٣ . واستولى على غرب الأندلس كشلب ، ولبلّة ، وجبل العيون ، وما إلى ذلك .

قال أبو مروان : وكان عبّاد قد أوتي من جمال الصورة ، وغامر الحلقة وفخامة الهيئة ، وسباطة البنان ، وثقوب الذهن ، وحضور الخاطر ، وصدق الحس ، ما فاق به على نظرائه . ونظر مع ذلك في الأدب أدنى نظراً بأذكي طبع ؛ فحصل منه على قطعة وافرة . قالوا : ومن عجائب سعده أنه فتح ما يجاوره من بلاد أعاديّه ، وأجلى طواغيتهم عن جواره حتى انضاف إلى بلاده عمل قرمونة وعمل الجزيرة ، وتحصّلت في خزائنه جملة من رؤوس ملوك البرابرة والأداسة ، مثل رأس محمد بن عبد الله أمير قرمونة ، شهاب الفتنه ، ورؤوس خزّرون وابن نوح والخليفة يحيى بن علي بن حمود وغيرهم ، بمن أرواهم بسيفه ؛ وجدّها اللثمينيون لما دخلوا إشبيلية على ولده في مستودعات مفاخره ، والرقاع ملصقة بها معربة عن أسمائها . هذا ، وهو قاعد فوق أريكته ، منفذ للعظام من

جوف فصره . وكان شديد الجرأة ، قوي المنة ، عظيم الجلادة ، مستهيناً بالدماء ؛ قتل ولده إسماعيل صبراً يبدى نفسه ، وقد اتهمه بالفساد عليه . واحتال على طائفة من رؤساء أعدائه البرابرة ، حتى زاروه ببلده ، فأدخلهم الحمام في سبيل التكرمة ؛ فسد بابه إلى أن هلكوا عن آخرهم . وما زال الناس ينسبون إلى هذا اللعجب مصاحبة الجرأة والفظافة في كل زمان ومكان .

وقال بعضهم فيه : لم يقصر عباد في دولته ، التي مهدها فوق أطراف الأسيّة ، وصير أكثر شغله فيها شبّ الحروب ، وكيادة الملوك ، وإهراج البلاد ، وإحراز التلاد ، في توفير حفظه الأوّفي من الأمور الملوكيّة ، والعُدّة السلطانيّة ، والآلات الرئاسيّة ؛ فابتنى القصور الساميّة ، واعتبر العمارات المنيعة ، واكتسب الملايس الفاخرة ، وغالى في الأعلاق السنيّة ، وارتبط الخيل السابجة ، واقتنى الفئان الرؤفة ، واتخذ الرجال الذادة ؛ فانتقام من كل فرقة ، يتمهد طبقاتهم بإدراج الأعطية وضمان الزيادة ، على صدق الصيال والوفاء بالوعيد على النكول ، سياسة أعيت على أنداده من ملوك الأندلس . وكان يشبه في حزمه وضبطه لأمره بأبي جعفر المنصور .

وعظمت القطعة بنه وبين جاره المظفر بن الأفطس ، حتى عجز المظفر عن حربه . وسنّ الله بينها الهدنة في ربيع الأول من سنة ٤٤٣ ، بسعي الشيخ ابن جهور أمير قرطبة . وبعد ذلك ، فرغ ابن عباد إلى حرب الأسراء الباقيين بالقرطب ، فأتيح له من الظفر بهم ، والاستيلاء على بلادهم ، ما هو معلوم . ثمّ مدّ يده إلى الجزيرة الخضراء ، فنازل فيها محمد بن القاسم ، كما ذكرنا ، ونقلها من يديّه . ثم صرف جده إلى قرطبة ، ووجه إليها عزمه . فأناه الحيام من دون ذلك . وكان ملكها مذخوراً لولده المعتصم وولي الأمر بعده . وهو محمد المكتش بأبي القاسم ، الملقب

أول الأمر بالطافر ، ثم بعده المعتصم على الله . وكان المعتصم مع جوده وبسالته وعلو هيبته ، يقرض الشعر ، ويصدر عنه المقطعات الرائقة ، والمعاني الفاتحة ؛ فمن شعره المنسوب إليه قوله : [المنسرح]

كأنما بإسميننا الغض كواكب في السماء تبيض  
والطرق الحر في جوانبه كخذ عذراء مسه عض

وقوله : [الطويل]

شربنا وجفن الليل يغسل كعله بواء صباح والنسيم رقيق  
معتقة حبراء أما بخارها فضخم وأما جسها فدقيق

### دولة المعتمد على الله محمد بن عباد

كنيته : أبو القاسم . وهو الجواد ، الشجاع ، البالغ ، ذو الأخبار الشهيرة الذكّر ، والأنباء المؤثرة في الدهر .

قال ابن الصوري : المعتمد على الله محمد بن عباد نسيح وحده في الجود ، وأصلب نظرائه مكسر غود ، فذ في البلاغة ، طرف في الشعر والكتابة ، باع النظم والنثر ، كثير الأدب ، جزل الألفاظ ، كثير المعاني ، حر المآخذ ، لدن معاطف الكلام ، رقيق الحاشية ، كثيف المتن ، كثير البديع ، رائق الديباجة ، لائق الاستعارة ، حسن الإشارة ، جم التوليد ؛ لم ينشده من الوزراء والشعراء أشعر منه ، على كثرة ما اجتلب إليه من أعلاق النناء ، ونثر عليه من دوا الحمد ، ووضع في يديه من بر القريض .

قالوا : وكان شجاعاً مقداماً ، حسن السيرة ، رفيقاً بالرعيّة . وسكت به هيبته إلى غلثك قرطبة ؛ فدخلت في أمره حسباً وقع الإلماع به عند

مُجالسةً، وشهامةً نفساً؛ فأخذَ بِجَمَامِعِ قَلْبِ المَعْتَدِ، وحلَّ منه المَحَلَّ المَحْجُورَ على سِوَاهِ. وكان خَيْرَانِ العَامِرِيِّ، لما خرج عن مُرْسِيَّة، تغلَّبَ عليها أبو عبد الرحمن بن طاهر من أَعْيَانِهَا، وحِلَّتْهَا، ومَحَلَّتْ في الأدب والفَضْل والسراوة معروفٌ، قد قرَّرَ ذلك الفَتْحُ في كتاب «القلائد»، وعَيَّرَهُ، إلى أن خَالَفَ عليه أَهْلُهَا، وكانوا المَعْتَبِدَ يستدعونَ إليها. فوجهَ ابنَ عَمَّار وزيرَه اليهم، وقائدَ جيشه عبدَ الرحمن ابنَ رَشِيْق. فدخلَ مُرْسِيَّةَ، وتحصَّلَ ابنُ طاهر في اغْتِقَالِهِ. وضبطها واستقرَّ فيها قرارُهُ، إلى أن سَوَّلَتْ له نفسه الانفرادَ بِهَا، وكشَفَ وجهه في الحِلَافِ للمُعْتَبِدِ. وقبِضَ لابنَ عَمَّار من ابنِ رَشِيْق جزاءً عامِلٍ بسوءِ عَمَلِهِ؛ فاهْتَبَلَ غِرْمَهُ، وقد خرج لتَفْقُدِ بعضِ شُؤُونِ حُصُونِهَا؛ فوثبَ على مُرْسِيَّةَ، واستولى عليها. وبلغَ ابنَ عَمَّار الحُبْرُ، ففرَّ عنها، وعلقَ بالمُعْتَبِدِ ابنَ هُودِ بِسَرَقِ سَطِطَةٍ. واستولى بنُ رَشِيْق على مُرْسِيَّةَ؛ فامتنعَ أيضاً بِهَا. وجَرَى بينه وبين المَعْتَبِدِ في ذلك حديثٌ طَوِيلٌ، إلى أن خَرَجَ ابنُ رَشِيْق عن مُرْسِيَّةَ ليُوسِفَ بنَ تاشُفِين أميرَ لِسْتُونَةِ، عند جَوَازِهِ إلى الأندلس. واستعدَّ المَعْتَدُ له؛ فلم يسمع المَعْتَدِ بعد ذلك فيه الكلام.

وبقي ابنُ عَمَّار عند المُوْتَمِنِ بنِ هُودِ على شأنه عند المَعْتَدِ من سلطانه، إلى أن أغراهُ بِحِصْنِ سَقُونَةِ، ووعدَه من نفسه بِفَتْحِهِ، وتوجَّهَ إليه. فلما نَزَلَ بِسَاحَتِهِ، كَادَهُ صاحِبُ الحِصْنِ، وسَهَّلَ عليه الأمرَ، وجعلَ البَكَدَ في يده باللسان، وطلبَ منه الصُّعُودَ بنفسه لِمُبايَعَةِ قَصْبَتِهِ؛ فأسرعَ لذلك في طائفةٍ بِسِيَرَةٍ من مَمَالِيكِهِ ورجاله، وقد أَعْمَى عَيْنَهُ الحِرْصُ والغُرُورُ، ونهَوْرُهُ المشهورُ؛ فلما تحصَّلَ في قَصْبَةِ صاحِبِ الحِصْنِ، وثبَّ به، وأكْبَلَهُ وأودَعَهُ المُنْطَبِقَ.

واتَّصَلَ ذلك ابنَ عَمَّادٍ؛ فراسَلَ صاحِبَ الحِصْنِ في التمكنِ منه،

وأزْعَجَهُ فيما لَدَيْهِ حتى استغفَرَهُ وأمَكَّنَهُ من رِمتِهِ، فأدْخَلَ إشبيليةَ مَدْخَلَ الشُّهْرَةِ، فوقَ ظَهْرِ بَيْنِ عِدْلَتِي تَنٍ. وحشرَ الناسَ إلى رُؤْيَتِهِ، وقد خرجَ أميراً كبيراً، وأعيدَ اليومَ كَذِلاً أُسِيرَ. وتلك عادةُ الأَيَّامِ في تعاقُبِ الصُروفِ، وجِندِ المَعْرُوفِ. واعتقله المَعْتَدُ بِبَعْضِ حُجَرِ القَصْرِ؛ وكان يستحضره، فيبَالِغُ في عَنَبِهِ، ويتأفَّاهُ ابنُ عَمَّار من الاستعطافِ والاسترحامِ بما كاد يَجْلُ عُقْدَةَ مَوْجِدَتِهِ، وبِطْمَعِ في الإبقاءِ عليه، لولا أنْ أعداءَهُ شَمَرُوا للإغراءِ بِهِ، ونسبوا إليه أقوالاً في إساءَةِ ذِكْرِهِ، والتَّيْلِ من أُمِّ وَلَدِهِ؛ فأَمْضَى قَتْلَهُ يَدِهِ.

وصَدَرَتْ عن ابنِ عَمَّار من الأشعارِ في غَرَضِ استقالته واستعطافِهِ كَلِمَاتٌ شهيرةٌ، تُعالجُ بِرَماها جراحَ القلوبِ، وتغفِّي على هُضباتِ الذنُوبِ، لولا ما فرغَ عنه من القَدَرِ المكتُوبِ، والأجلِ المحسوبِ؛ فمن ذلك قوله:

سَجَايَاكَ إِن عَافَيْتَ أُنْدَى واسْمَحْ وعذْرَتُكَ إِن عَافَيْتَ أَجْلِي وَأَوْضَحْ  
وإِن كَانَ بَيْنَ الخُطُئَيْنِ مَزِيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الأَذَى من الله تَجَسَّحْ  
وماذا عسى الأعداءُ أَن يَتَزَيَّدُوا سِوَى أَن ذَنْبِي ثَابِتٌ مُتَصَحِّحْ  
وَأَنْ رَجَائِي أَنْ عِنْدَكَ غَيْرُ مَا يَخُوضُ عِدْوِي اليَوْمَ فِيهِ وَيُزَحْ  
أَقْلِنِي بِمَا تَبَيَّنَ وَبَيَّنْتَكَ من رِضَى له نَحْوُ روحِ الله بِابٍ مُفْتَحْ  
ولا تَلْتَفِتْ قولَ الوُشَاةِ وَزُورَهم فكلُّ ائاهِ بالذي فِيهِ يَرْشَحْ  
وقالوا سيجزيه فلانٌ بِذَنْبِهِ فقلتُ وقد يغفو فلانٌ وَيُصَفِّحْ  
ألا إِنَّ بِطَشاً للمُؤَيَّدِ يَرْغَى ولكنْ حِلْماً للمُؤَيَّدِ يَرْجَحْ  
ويَبِينُ ضُلُوعِي من هَوَاةِ نَمِيَةٍ سنثقع لو أَن الحِمامَ مُجْلَحْ  
سلامٌ عليه كيف دارَ به الهوى إِلَيَّ فيدنو أو عليَّ فيَنْزَحْ

١ راجع «قلائد العقبان» للفتح (طبع القاهرة، ص ٩٨).

ذكر بني جهنم، ووصل إليها؛ فأثس أهلها، وبث المعروف فيها، وأحسن السيرة في أهلها؛ فسرّوا بإيائهم. وولّى عليها ابنه الحاجب مبراج الدولة عبّاد بن محمد بن عبّاد ليستخلفه فيها؛ فوصلها يوم الثلاثاء السادس من شوال تلك السنة، ودخلها دخولاً فضماً، تضاعف له سرور أبيه.

وانصرف المعتد إلى إشبيلية، وخلف ابنه والياً عليها؛ وترك معه القائد ابن مرّتين بجماعة من الفرسان؛ فدخل ابن ذي النون صاحب طليطلة في أثرها رجلاً من قواد الحصون المجاورة لقرطبة، همة من البهم، أجراً من خادير الأسد، يُعرّف بحكم بن عكاشة، ضمن له غرر ابن عبّاد بها. واما ذلك إلى القائد ابن مرّتين؛ فأكذب الخبر، وتهاون به، إلى أن تمّ لابن عكاشة ما أراده؛ ففتح له بعض أبوابها فتوم من شيعته، ودخل المدينة ليلاً، بحيث لا يُشعر به، في شردمة من خيله ورجله؛ فقتل دار ابن جهنم، حيث سكّنى الأمير ابن عبّاد. وبرز ابن عبّاد عند سماع الهبة؛ فجالدهم بسيفه حتى قتل. ثم نهضوا بعد قتله إلى دار ابن مرّتين، وهو عاكف على شرايه ولهموه؛ ففرّ، واخفى ببعض دوير صنائعه. وعثر عليه بعد ثلثة؛ فاستحضر ابن عكاشة من كان بين يديه ليلتذ من الثنات والمثلين؛ فجعل يسأله عن أسماء من حضر، شاتاً له؛ ثم أكسبته وبعته إلى حصنه. فلما وصل ابن ذي النون ودخل الحضرة، أمر بقتله. ولم تصبح ليلة هجوم ابن عكاشة على المدينة إلا وقد انضم إليه أعداد من الأشرار. واستولى على البلدة، وأقام فيها الدعوة الدثوية. وخاطب ابن ذي النون؛ فتلاحق بقرطبة؛ فدخلها في أبنية عظيمة، وأخذ بيعة أهلها. وكان وصوله إليها من بكنسية يوم الجمعة خمس بقين من جمادى الآخرة سنة ٤٦٧. ولم ينشب ابن ذي النون أن اعتل بقرطبة؛ وتوفي فيها لاثني عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة ٤٦٧.

وخاطب أهل قرطبة المعتد؛ فأقبل إليهم، وقاموا بدعوتهم. وفرّ ابن عكاشة على وجهه، يوم المداقة؛ فقتله بالنتطرة يهودي من رجال قرطبة. واستولى ابن عبّاد على المدينة لثلاث ليال بقين من ذي قعدة السنة المذكورة. ومن بعد ذلك، انصلت بها طاعة ابن عبّاد ما ينيف على ست عشرة سنة. وأسكن بها ولده الملقب بالمأمون، وعاد إلى إشبيلية.

وانصلت أيام المعتد على الله أحسن أيام. ولذلك ما هجت القصص بأخباره وأحاديث حطيت المستافة اعتياداً، لجتمع أسبها حروف لقيه؛ وهي أم الملوك الأربعة من ولده، والمنسوبة رمية إلى مولاه الذي اشتراها منه، واسمه رمية بن فلان، إلى أن ناله ضم من صاحب قشتالة إذقونش بن فردلاندي في شأن الضريبة التي كانت تؤدّها إليه ملوك الأندلس، وابن ساليب اليهودي المتولّي لقبضها منه، بحيث أسعته ما يكرهه؛ فغضب - رحمه الله - وأمر بقتله وأمر من وصل صحبته من الصاري. فعظم ذلك على الطاغية، وأقسم أن لا يرفع عن ابن عبّاد؛ فاضطره ذلك إلى الجواز إلى المغرب، واللاحق بالأمير يوسف بن تاشفين، والاستظهار به على جهاد الطاغية؛ فأجابه لذلك؛ وخرج له عن الجزيرة الخضراء. وكان ما يقع التعريف ببعضه من الوقعة بالعدو على يد يوسف بن تاشفين، وحسن بلاء المعتد في ذلك، إن شاء الله.

### خبر المعتد بن عباد مع ابن عمار

وكان محمد بن عمار من المعتد بن عبّاد بالملح المعروف تربية وخدمة، وطول صعبة؛ وكان نادرة وقته براعة وأدباً، وحسن

لِيَهْنِيَهُ إِنْ مِتُّ السَّلْوُ فَإِنِّي أَمُوتُ وَبِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مُبَرَّحٌ  
فَلَمَّا نَسِيَ : وَلَوْ أَنَّ يَطُولُ الْكِتَابُ ، لَأَسْتَوْفَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَعْجِبُ  
اسْتِيفُهُ . وَسُبْحَانَ الَّذِي جَعَلَ نَفْسَ أَكْثَرِ الْمُلُوكِ تَتَقَادُ فِي أَرْمَةِ حُبِّ  
التَّشْفِي ، وَطَلَبِ الْإِنْصَافِ ، فَلَا تَتَوَقَّفُ فِي مُطَاوَعَتِهِ . وَذَلِكَ لِأَنَّهَا  
نَفْسٌ غَيْرُ مَقْهُورَةٍ بِالرِّيَاضَةِ وَالْمُلْكَاتِ ، وَلَا مَرْغَبَةٍ بِفِرَاقِ الشَّهَوَاتِ ، إِلَّا  
لِلْقَلِيلِ النَّادِرِ مِمَّنْ كَانَتْ نَفْسُهُ مُتَّصِفَةً بِالرَّحْمَةِ فِي أَصْلِ جَبَلَتِهَا ؛ فَهِيَ سَاكِنَةٌ  
الْفُورَةِ ، كَالْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ فِي الْعَفْوِ عَنْ عَمَلِهِ الَّذِي نَادَمَهُ عَلَى كَأْسِ السَّلَافَةِ ،  
مِنْ بَعْدِ أَنْ ابْتَرَاهُ نَوْبُ الْخِلَافَةِ ، فَتَرَكَهَا مَثَلًا بَعْدَهُ ، وَلَا يَخْلِفُ اللَّهُ لِمَنْ  
اتَّصَلَ بِالْحِلْمِ وَعَدَهُ ؛ وَمِمَّا يُوَثِّرُ عَنِ الْمَأْمُونِ قَوْلُهُ : « لَوْ عَلِمَ النَّاسُ  
كَحُبَّتِنَا فِي الْعَفْوِ ، لَتَقَرَّبُوا إِلَيْنَا بِالْجَرَائِمِ ! » وَمَا كَانَ أَجْمَلَ بِالْمُعْتَمِدِ أَنْ  
يَبْقِيَ عَلَى جَانٍ مِنْ تَعْبِيدِهِ قَدْ مَكَّنَهُ اللَّهُ مِنْ عَقْبِهِ ، لَا يُؤْمَلُ الْحَصُولُ عَلَى  
أَمَدِهِ ، وَلَا يَجْدُرُ نَعَصْبُ قَبِيلِهِ ؛ وَلَا يُزِيدُهُ الْعَفْوُ عَنْهُ إِلَّا تَرْفَعًا وَعِزًّا ،  
وَجَلَالَةً وَهَيْئَةً ، وَذِكْرًا جَمِيلًا ، وَأَجْرًا جَزِيلًا . فَلَا شَيْءَ أَمْنَحَى لِلسَّبِيحَةِ  
مِنْ الْحُسْنَةِ ، وَلَا أَقْتَنَلُ لِلشَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ ! وَرَحِمَ اللَّهُ الشَّاعِرَ إِذْ يَقُولُ :

[الكامل]

وَطَعَنَتْهُمْ بِالْمَكْرُمَاتِ وَبِاللَّهِ فِي حَيْثُ لَوْ طَعَنَ الْفَنَاءُ لَتَكْسَرَا  
وَذَكَرُوا أَنَّ الْمُعْتَمِدَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ وَلَاتِ حِينَ مَنَدِمَ ! وَمِنْ الْحِكْمِ  
قَوْلُهُ : « أَنْتَ عَلَى مَا لَمْ تَفْعَلْهُ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا فَعَلْتَهُ ! » جَعَلْنَا اللَّهُ  
مِمَّنْ يَمْلِكُ عِنَانِ تَغْفِيهِ ، وَتَقْدِيمِ لَعْنِهِ فِي أَمْسِهِ . وَكَانَ زَمَنُ الْمُعْتَمِدِ بِالْأَنْدَلُسِ  
مَشْهُورًا بِالرَّاحَاتِ وَالْآدَابِ ، وَأَيَّامُهُ مَوْصُوفَةٌ بِاخْضِرَارِ الْجَنَابِ .

### بقية اخبار المعتمد بن عباد

ولما استوسق ليوسف بن تاشفين بسبغيه أمر الجهاد ، وراقة حُسْنٍ ما  
بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْبِلَادِ ، وَأَغْرَى بِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَفَرَّزَتْ لَدَيْهِ مَسَاوِجِهِمْ ،  
أَزْمَعَ عَلَى خَلْعِهِمْ ؛ فَبَدَأَ بِصَاحِبِ غَرْمَاطَةِ حَنْبِيدِ بَادِيَسَ ؛ ثُمَّ نَشَى  
بِالْمُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ ؛ فَانْزَلَتْهُ قُوَّادُهُ بِإِشْبِيلِيَّةِ ، وَانْزَلَتْ وَلَدَهُ الْمَأْمُونُ  
بِقَرْطَبَةِ ، وَوَلَدَهُ الرَّاضِي بِرُنْدَةِ . وَلَمَّا ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ ، جَدَّدَ مُرَاسِلَةَ  
سُلْطَانِ النَّصَارَى ، بِسْتِصْرَاحٍ بِهِ ، وَبِطَبْعَةٍ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا أَوْقَعَ  
بِالْمُرَابِطِينَ الْمُحَاصِرِينَ لِأَهْلِ جَبْيَانَ وَقِيعَةَ اسْتَأْصَلَتْهُمْ ؛ وَلَاحِظَهَا ذَهَبُوا إِلَى  
الْإِقْطَارِ بَدَمِهِ عِنْدَ خَلْعِهِ لَوْ اتَّصَفَتْ الْفَتْيَا بِذَلِكَ . ثُمَّ وَصَلَ النَّصَارَى إِلَى  
بَلَنَةِ مِنْ أَحْوَازِ إِشْبِيلِيَّةِ ؛ فَكَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيوشِ الْمُرَابِطِينَ وَقِيعَةُ  
تَنَاصَفَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ . وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَسَّأَلُ ابْنُ عَبَّادَ ، وَأَيُّقُنُ بِالْغَلْبَةِ .  
وَتَرَامَى النَّاسُ مِنْ فَوْقِ أَسْوَارِ إِشْبِيلِيَّةِ ، وَاسْتَدْعَى أَهْلُهَا أَمْرَاءَ الْمُرَابِطِينَ .  
وَرَكِبَ الْمُعْتَمِدُ ، وَقَدْ اقْتَحَمَ الْبَلَدَ يَوْمَ الثَّلَاثَةِ مُنْتَهِيَفَ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ  
٤٨٩ هـ ، وَعَلَيْهِ قَبِيصٌ يَشْفُ عَنْ بَدَنِهِ ، وَقَدْ اعْتَوَلَ السَّلَاحَ ، وَالسِّيفَ  
مُنْتَهَضِي بِيَدِهِ ؛ وَحَمَلَ عَلَى الدَّاخِلِينَ ؛ فَرَدَّاهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ  
فَارِسًا ؛ فَانْزَعَجَ النَّاسُ أَمَامَهُ ، وَخَلَفُوا الْبَابَ ؛ فَأَمَرَ بِسَدِّهِ ، وَعَادَ إِلَى  
الْقَصْرِ . وَإِلَى تِلْكَ الْحَالِ بَشِيرُ بِقَوْلِهِ :

[بجزوه الكامل]

كَمْ رُمْتُ يَوْمَ تَزَالِهِمْ أَنْ لَا تُخْضِعَنِي الدُّرُوعُ  
وَبَرَزْتُ لَيْسَ سِوَى الْقَبْرِ صِرَ عَلَى الْحَشَى دِرْعُ دَفُوعِ  
أَجَلِي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ يَهْوَايَ ذُلِّي وَالْحُشُوعُ  
مَا مِيرَتْ قَطُّ إِلَى الْقِتَا لَوْ كَانَ مِنْ أَمَلِي الرَّجُوعُ  
شَيْئُ الْأَلَى أَنَا مِنْهُمْ وَالْأَصْلُ تَبِعُهُ الْفُرُوعُ

وفي يوم الأحد لعشر بقين من رجب ، فُتِحَت المدينة ؛ فوقع النهب ؛ وفرَّ أهلها إلى المحلة . وخرج ابن عباد وابنه مالك ؛ فقتل مالك بين يديه . وكثير المعتد ؛ فأغمد سيفه ، وانصرف إلى القصر ملقياً بيده . ووقع البرج بكف الأيدي . ثم أخرج المعتد ؛ فغرب مكبلاً ، مذال العز ، مسلوب الملك ، بعد أن جرَّت عليه أهوال . وتلافَت بنثه يوم الخروج ، ثم جبرَّت عليه بعد ذلك . واستقرَّ بأغمت ، وافتت من غزل بناته . وجرَّت عليه خطوب شهيرة ، يوم ساعها مصائب الزمان ، وحوادث الحداث . وبأغمت ماتت حظيته قبله ؛ وله في التفجع عليها ، ورثاء نفسه ، وإنذاره بسرعة لحاقه بها ، وذكر معبده وأيامه وتقلب الأحوال به ، أقوال "مفتحة" للقلوب ، "مفجرة" للقلوب ، مسئلة عن متاع الدنيا الملسوب .

وكانت وفاته بأغمت في ذي الحجة من عام ٤٨٨ . ولا أحسن بالنبية ترفه ، وحبائلها تغلفه ، أمر أن يكتب على قبره :

قبر الغريب سقاك الراح الغادي حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد بالطاعن الضارب الرامي إذا اقتتلوا بالحضب ان أجذبوا بالري للصادي نعم هو الحق واقاني به قدر من السماء وواقاني لميعادي ولم أكن قبل ذلك النعش أعلمه أن الجبال تهادي فوق أطواد فلا تول صلوات الله دائمة على دفينك لا تحصى بتعداد

قلت : ووقفت على قبر المعتد على الله بمدينة آغمت في حركة راحه أغمتها إلى الجهات المراكشية ، باعها لفاء الصالحين ومشاهدة الآثار ، عام ٧٦١ ؛ وهو بقبرة آغمت في نشر من الأرض ، قد حطت به سيرة ؛ وإلى جانبه قبر اغتباد حظيته ، مولاة رميك ؛ وعليها وحشة التغرب ومعاناة الحمول من بعد الملك ؛ فلا تملك العين دمعها

عند رؤيتها . فأنشدت في الحال :

قد زوت قبرك عن طوع بأغمت رأيت ذلك من أولي المهمات لم لا أذكرك بأندى الملوك بدأ وبا ضياء الليالي المدهيات وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه إلى حباتي لجادت فيه أبياتي أناف قبرك في هضب يميزه فتتجيه حقيبات التحيات كومت حياء وميتاً واشتهرت على فانت سلطان أحياء وأموات ما ريء مثلك في ماضٍ ومعتدي أن لا يوتى الدهر في حالٍ ولا آت

وقال ابن الصيرفي : لما انفصل الناس من مصلّى العبد الذي توفي المعتد في شهره ، حف بقبره ملا من الناس ، يتوجعون له ، ويترحمون عليه . وأقبل شاعره ابن عبد الصمد في جملتهم ؛ وقد اتفق حضوره يومئذٍ بعض شأنه ؛ فوقف على قبره ، وأنشد :

ملك الملوك أسامع فأنادي أم قد عدتكَ عن الساع عواد لما خلّت منك القصور فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً وتخذت قبرك موضع الإنشاد

ثم خرَّ يبكي ويعفر وجهه في تراب قبره . قال : فبكى ذلك الملاء حتى أخضلوا ملايسهم ، وارتفع نحيبهم وعويلهم ، وتمع النهار . فله كد ابن عبد الصمد ، وملاً ذلك البلد . قلت : وقام رثائه :

قد كنت أرجو أن تبرد أدمعي نيران حزن أضرمت بفوادي فإذا بدمعي كلماً أجريته زادت علي حرارة الأكباد يا أبها القبر المنير أهكذا يمضى ضياء النير الوفا

١ . اورد الفتح أول هذه القصيدة في « تلاند العيان » ( ص ٣١ ) .

أفقدت عيني مذ فقدت إنارة  
ما كان ظني قبل موتك أن أرى  
الهضبة الشتاء تحت ضريحه  
عهدي بلكيك وهو طلق ضاحك  
والمال ذو شل مذار والنسدى  
أيام تخفق حولك الرايات فو  
والأمر أمرك والزمان مبشر  
والخيل فرج والفوارس تنحني  
إذ تحسب الهجاء روضاً يانعاً  
وتخال غنبرها دخان الندى قد  
وكان يبيض المرفقات على الطلى  
ولكم هزئت الغصن من طرب لها  
وسقيت رحك ثم من ماء الطلى  
وكانما في الدرع منك ربيعة  
حتى إذا ما الدهر أظهر حقه  
ألفت بأيديها معافلك التي  
وتهدمت أركان كل سياسة  
قالوا أضع الخزم وهي بواطل  
وإذا انقضت أيام ملكنا  
حازت بنو العباس ملك أمية  
ورأى معاوية علياً هالكاً  
والدهر أذهب ثبناً وجودة

منها :

لني لأعجب بعد فقدك كيف لا  
أو يخضب الخطي بعدك نغره  
أو تلقي الشجعان تحت عجاية  
قد كانت الأمداح يجعل دُرّها  
من يفتح الأمصار بعد محمد  
من يطعن التجلاء في المراق أو  
من يترك الأسطار في الأوراق من  
من يفهم المعنى الخفي ومن له  
من يلبس الحداة وهي حصنة  
وبقلد الصمام وهو ممتق  
من ذا بدء على العفاة ظلاله  
من يبذل الآلاف للزوار ولا  
هيئات مات الجود بعد محمد  
ودجا الزمان وأفحطت أيامه  
مسح الزمان بأهله فتعوضوا  
يا ساكن القبر الذي فقدانه  
كنا نؤمل أن نرى لك عودة  
وتبيت خيلك في رابطها على  
وتهدى السلطان في الأفطار  
فإذا المناسبات قاطعات بالمنى  
قد كان هن الرمع عطفني قدّه  
وأنى الحسام العضب من إغمار

ونصاهلت بهم الجياد إلى الوغى  
 إذ حان حين العز أذركك الردى  
 لو كنت إذ ساروا بنعشك حاضراً  
 لآيت خليلاً على الأعواد  
 لآيتي لأعجب من ضجعتك التي  
 قد كنت في ذا على ميعاد  
 جاورتها في قنبرها فكأنها  
 راحت وأنتقلت النوى من بعدها  
 جمعتكما آغمت في التراب الذي  
 وسدما منه بأيّ وساد  
 أم الملوك أما علمت بزاير  
 لك ذي وفاء مخلص ووداد  
 أبكى العلى والمجد فقد كسا الذي  
 ليس له الدنيا ثياب حداد  
 هفي على تلك السجيا لإنها  
 زهر الربا موشية الأبراد  
 هفي على تلك العطايا والى  
 كم أنجحت من واكفات غواد  
 كم نعمة خضراء قد ألبستني  
 ومواهب والينها وأباد  
 ناديت كفاك طامياً مستنظراً  
 فقتى عليّ ندادك باستعباد  
 أخذت في الجود الذي دفقت حا  
 ثم طيى وفضحت كعب إباد  
 قد كنت لا أرضى البحار مناهلي  
 زهواً ولا أرضى السماك مهادي  
 في دولة غراء عبادة  
 فلت من الأملاك كل عباد  
 ورياسة نحمي البلاد رئيسها  
 بوماه يوم ندى ويوم جلاد  
 والبدر ترمي والثريا معقلي  
 والصبح سفي والرياح جيادي  
 أغرقتني في بحر الطامي الذي  
 منع الظماء ورود كل غاد  
 وسكنت في نصري سيف مكارم  
 تركت سيف الهند غير حداد  
 عادت مجاراً إذ سقيت ضاحضي  
 وغدت هضاباً إذ رفعت وهادي  
 ومددت كشي للكواكب قاعداً  
 فبلغتها لما غدت مصادي

نفقتني والدهر بيخس قبلي  
 وأقمتني لما رأيت حوا  
 فالحق بعدك ليس يدري ما الكرى  
 فالحق بعدك ليس يدري ما الكرى  
 وكان قلبي في محالب طائر  
 إن لم تطب فيك المراتي والتنا  
 أو فزت من ذاك الجمال بنظرة  
 إن السباد التي قد حزتها  
 ولئن مضيت فإن ذكرك خالده  
 يا صاحب الفقر التي قد أصبحت  
 راقنت وجوه الكتب بالنكت التي  
 لما فقدت المثل آتراك الردى  
 شقوا الثياب وجدوا أحزانكم  
 كم رد ربح الخطب عنكم ظلك  
 لولا أمير المسلمين وفضله  
 والله ببقية لكم ليصونكم  
 أبقي عليكم ستره وأقالكم  
 كان ابن عباد صباحاً مسفراً  
 كم بات منه البحر تحت سكينه  
 ما كان إلا الروض مؤثري الحلى  
 يتر عند الحمد معطفه كما  
 يا موت لم تترك حنيفاً مسلماً  
 صعب اللقاء على ذوي الأحاد  
 قد كان من أعلى الملوك رياسة  
 وفؤاده من أروع الزهاد



بموت لم تشفق لعربته ولم تر ما تخلقه من الأولاد  
 ما ورث الأبناء إلا مجده إن العلى ميراث كل جواد  
 كثر بقدر موته بنفوسنا لو كان يقبل فيه منا القادي  
 يا موت كيف رأيت صبر محمد قبل احتلالك كان في استعداد  
 كم رام في رجب لقاءك جاهدًا والحظ ليس بنال دون جهاد  
 أهوى الشهور سواه فهو أدلني وأحب أيامي سوى الآحاد  
 صبرًا جميلًا يا بنيه فرمًا نال المني قوم بلا ميعاد  
 إني نظمت لكم لآلئ قلبي عرضت على الأيام صفو وداد  
 ولقد نازج حكم بجواني كمنزج الأرواح بالأجساد  
 فسقنا سكب القيث قنبر أبيكم من رائج متدفق أو غاد  
 ولقد ترتبت وما قضيت حقوقكم والله يعلم ما يكن فؤادي

### ذكر أيام بني هود بسرقة وما إليها

كان مبدأ نباهة هذا البيت سليمان بن محمد بن هود الجذامي،  
 الملقب بالمستعين. وكان، في مدة الجباة بالأندلس، من كبار الجند  
 بالثغر الأعلى إلى حين الفتن الشاملة؛ فتغلب على مدينة لاردة، وقتل  
 قائدًا أبا المطرف التيجي في خبر طويل. واستولى على مدينتي لاردة  
 ومسنون وأنظارهما، في غرة محرم من سنة ٤٣١.

### أيام سليمان بن هود

ولما ثار أهل سرقسطة ببجبي بن منذر بن يحيى، صرفوا طاعتها إلى

سليمان بن هود. فضخم أمره، واشتهر ذكره، وبعد صيته، إلى أن  
 توفي سنة ٤٣٨. وتخلت خمسة أولاد، قد كان قسم عليهم أقطار ملكه؛  
 فولى أحمد منهم مدينة سرقسطة المدينة البيضاء؛ وولى يوسف  
 مدينة لاردة؛ وولى محمدًا مدينة قلعة أيوب؛ وولى لبًا وشقة؛  
 وولى المنذر تطيلة. واستبدوا بعد موته. وكان أحمد منهم مصنوعًا  
 له؛ وضايقهم؛ فظهر عليهم، إلى أن ابتزهم ما كان بأيديهم، واستأصلهم  
 إلى أن ذهب اسمهم ومستأهم في حديث طويل. وتلقب أحمد  
 بالمقتدر بالله.

### أيام المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود

واستوسقت للمقتدر أحمد بن سليمان الطاعة بالثغر الجوفي. واستضاف  
 مدينة طرطوشة إلى عمله، وكانت تحت يد لبيب من الفتيان  
 العامرية، ثم في يد مقاتل بعده؛ فاستحوذ عليها بعد مهلكتها.  
 وكانت بينه وبين الروم حروب عظيمة، ودخلت مدينة برشنة من  
 عمله غنوة، فاستولت من سبها على ما يقارب مائة ألف نفس،  
 وعمرها المدينة. فشر المقتدر أحمد بن سليمان بن هود إلى استرجاعها،  
 واستنفر المسلمين من جميع بلادهم، ونازل المدينة؛ وكان في جيشه الذي  
 احتشدته من الزمالة بالقيسي العقارة أزيد من ستة آلاف؛ ففتح الله  
 المدينة على يده غنوة. فشاع له بذلك ذكر جميل وصيت شهير. ثم  
 زاحم لإقبال الدولة على بن مجاهد؛ فاستنزل على مدينة دانية، واستضاف  
 عسكرها إلى ما بيده؛ فانتسعت خطته، وانفسحت عمالته، وتعددت جيشه.  
 ثم هلك سنة ٤٧٥ م في المني من كلب أصابه كان بعضه له أغصاه،  
 وذلك لقتله رجلًا صالحًا دخل عليه يعظه. وقد ضرب على رقبته ضربة

ماله للرؤوم ؛ فلم يمهله الله أن أخذه أخذاً وبيلاً . وولي الأمر بعده ابنه المؤمنين ؛ فلم تطل مدته أن هلك .

## أيام المؤمنين محمد بن المقتدر أحمد

ابن سليمان بن هود

نصير له ملك أبيه بالتغر كنه ، واستمرت فيه أيامه إلى أن هلك سنة ٤٧٨ ؛ وولي بعده المستعين . وكان بينه وبين المعتز بن عباد ما يكون بين الفحول في الهجات ، والليوث في الأجبات . وبه تلاحق ابن عباد لما خالف على المعتز ، حسباً تقدم ذلك في جملة من الكتاب .

## دولة المستعين أحمد بن محمد

ابن سليمان بن هود

وقام بأمر الثغور إلى هذا العهد المستعين بالله أحمد بن هود . وفي سنة ٤٨٩ ، نازل العدو مدينة وشقة من عمالة المستعين ، وضيقوا بها . وحشد المستعين جيوشاً من المسلمين ، وحمل إليها الميرة . والتقى الفريقان ، ووقعت الحروب من لدن طلوع الشمس إلى غروبها ، حتى كادت تأتي على الفريقين . وترك ابن هود المصاف على حاله ، وقصد مضربه لئلا ساء ظنه بيوم الكربة ؛ فرفع ما كان به من المال ؛ ثم كثر إلى مقامه ، وأبلى إلى أن كانت الهزيمة على المسلمين في أخريات ذي القعدة من العام . فقصد من الناس ما يباهر إني عشر ألفاً . والتمس أهل وشقة الأمان لثلاثة أيام من يوم الهزيمة .

ثم سما طبع العدو إلى مرقسطة حاضرة المستعين ؛ فنزلها في جموع لا تحصى . وأجاز الأمير يوسف بن تاشفين البحر ، ووجه جيشاً لنتظر قائده علي بن الحاج ؛ ينقص عن أحوال ملك الرؤوم بمرقسطة ، ويخبر أحوال جيشه . فشاع لما أطل على محلة الطاغية أنه يوسف بن تاشفين ؛ فأوقع الله الرعب في قلب العدو ، وانهمز جمعه ؛ فأعمل المسلمون فيهم السيوف بما هو معروف . ونجا الطاغية في أفذاذ قليلة بعد مشارفته العطب .

والمستعين هذا بمن لم يجه أمير لسنونة ، ولا نازعه ما في يده ، ولا تطرق لحلعه ، قبلاً منه للعفو ، وإقراراً فيما بينه وبين العدو ؛ لما تحيده مضايقة من تضيير ما بيده إلى الروم ؛ فكان بلاطفه . ووجه إليه ابن هود ولده عبد الملك ؛ فقام بحقه ، وصرفه مكرماً ، وأضحبه كتابه بما نصه :

« من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، إلى المستعين بالله أحمد بن هود - أدام الله تأييده . كتبناه إليك ، والله عز وجل ، يولي أيام سعيدك ، ويعالي أعلام مجدك ، وبطيل في طاعته وعلى أحسن ما نشأه عزمك ، وبشد بتقواه أزرارك ، ويجري على كل لسان صدق ذكرك ؛ من حضرة مرآكش ، حيث تثلث آيات مرفك ، وما تثر السادة القادة سلكك . ونحن نحمد الله بجميع المحاميد ، ونستشهد به أيمن المسالك وأبين المقاصد ، ونسأله أتم الفوائد ، وأعظم العوائد ؛ ونصلني على سيدنا محمد صفوة أوليائه ، وخاتم رسله وأنبياؤه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . وأما الذي عندنا - أيذك الله - لجانيك الكريم ؛ ومجدك العيم ، ومحلك المعلوم المفهوم ، فوادة صريح ، وعقد في ذات الله تعالى صحيح . ووردة - أدام إقبالك ، وأجرى إلى غاية الإفضال آمالك نشأة السادة والفضل ، والنباهة والنبيل ، أبو مروان عبد الملك ابنك ولادة وتنشأ ، وابننا ودادة وتقرأ ، زاد الله به عينك قرة ، ونفسك

دار' ملكهم سرقسطة إلى النصارى ، متعلّقاً بأذيال ابن 'ردمير ، إلى أن عاوضه من 'روطة بحظّه من مدينة طليطلة فانتقل إليه بأهله . ولما ثار ابن 'قسبيّ في صفر من عام ٥٣٩ ، نهض إلى قرطبة عند ثورة ابن حمّدين ، فدخلها ؛ ثمّ لم يلبث أن قرّ منها وقصد جيتان ، وقد ثارت لابن 'جزيّ قلعة جيتان ؛ فتغلّب عليه ، وعاجل قرطبة ؛ وقد ثار بها ابن 'أضحى قاضيا ، واستدعى ابن حمّدين ؛ فتملك ابن 'هود المدينة ، وشدّ حصار من بقصبتها من المرابطين شهوراً . وجيش قاضي 'مروسة ابن 'أبي جعفر الجيش إليها ؛ وسبق الملتصمون ؛ فأوقعوا به الواقعة التي قُتل فيها ابن 'أبي جعفر . وظهر الملتصمون إلى أن عجز ابن 'هود عن مرام قرطبة ، وفرّ إلى جيتان . وفرّ ابن 'أضحى إلى المنكب ، واستولى الملتصمون على البلد . ثمّ إن ابن 'هود اتّصلت به ثورة ابن 'عياض بمروسة ؛ فتوجّه إليها ، ودخلها في الحادي عشر لجداى الآخرة سنة ٥٤٠ . ثمّ إن الروم أغارت على 'مروسة وجهات الشرق ؛ وكان اللقاء بينهم وبين المسلمين في الموفى عشرين لشعبان ؛ فهزم المسلمون هزيمة شنيعة قُتل فيها ابن 'هود . وانقرض أمرهم لهذا العهد من الأندلس ، إلى أن ظهر المستنكّل بن 'هود ، يفخر بأنّه من 'دريسة المستنعين بن هود ؛ وفي ذلك يقول بعض شطار الأدياء يومئذٍ :

يقول المستعين : أبي وجدي حليف البأس والجلود المعين  
فقلت : الفضل في التقوى فدعنا بفخر التوب والماء المهيّن  
وهل في المستعين رأيت خيراً فكيف المدهمي في المستعين

### دولة بني دنون بطليطلة وما إليها

وذكر المؤرخون أن بني دنون هؤلاء الملوك بولاية من قبيل

البربر الذين كانوا يخدمون في الدولة العائرية ، وأنّ أمم جدّهم الذي ينسبون إليه هو دنون ؛ فغيّر بالدال لظول المدة . ولم يكن لهم رئاسة ولا نباهة إلا في دولة المنصور محمد بن أبي عامر ؛ فيها تقدّموا ، واشتهروا ، وقادوا الجيش ، واستقروا بكورة سننبرية . ولما ضبط أمر طليطلة عبد الرحمن بن مثنويه ، ثمّ عبد الملك بن مثنويه بعده ، وأساء السيرة في أهلها ، خلعه ، واتّفقا على أن يرسلوا إلى ابن دنون ؛ فوجّه إليهم من سننبرية ابنه إسماعيل بن عبد الرحمن بن دنون .

### أيام إسماعيل بن دنون بطليطلة

#### وما إليها

قالوا : فاستولى هذا الفتى على ملك طليطلة وما إليها ، وساس أهل مملكته سياسة استقاموا عليها . واستنام في أموره إلى شيخ البلدة أبي بكر ابن الحديدي ؛ وكان من أهل العلم والدهاء ؛ فكان إسماعيل لا يقطع أمراً دونه ، إلى أن حسده قوم من أهل طليطلة على منزله لذيّه . ثمّ توفي إسماعيل ، وولي بعده ابنه يحيى المأمون .

### أيام يحيى بن إسماعيل بن دنون بطليطلة

#### وما إليها

فلما ملك يحيى بن إسماعيل طليطلة ، جرى على سبيل أبيه في استعمال قناشون العدل ، وأجرى أموره مع ابن الحديدي على سنن أبيه ؛

١ غير أن مؤرخي ملوك الطوائف ، كابن حيان وابن بسام وابن عذاري ، يسمونهم « بني ذي النون » ؛ وهو تعريب اسم جدّهم دنون البربري .

منسرة؛ ومعه وزيراك أبو الأصغ وأبو عامر أكثرتهما الله بتقواه؛ وكلا وقيناه حتى نصابه، وآتيناه برّه من بابه، ونلقيناه تكرمة بمقتضى دواعيه وأسبابه. وأذينا إلينا كتابك الخطير، المقبول المبرور؛ فوقفنا به على وجه شغوصها، وأصغينا في تفصيل جملته إلى تلخيصها؛ فآلقينا إليهما مراجعة عن ذلك ما لفتاه، وسفرنا لهما عن وجه مقصدنا فيه حتى يستبيناه، من جملة الوفاق، وجماع الانتظام في سلك ما يرضي الله تعالى والانساق، إن شاء الله .

ولما احتل يوسف بن تاشفين بقرطبة سنة ٤٩٦، أعاد إليه توجيحه ولده عبد الملك الملقب بعباد الدولة، الكائن بمحصن ريوطة، بهدية جليلة: كان من جملة أربعة عشر ربيعاً من آنية الفضة مطروزة بأمر المقتدر بن هود جدّهم؛ فأمر يوسف بن تاشفين بضميرها قراريط مرابيطة، وفرقها في طباق المرابيطة ليلة النحر من تلك السنة. وفي ذلك الوقت، عقد البيعة لولده علي بن يوسف، وحضر العهد عبد الملك ابن المستعين.

وانصلت أيام المستعين بن هود إلى سنة ٥٠١؛ فيها، جدّد البيعة لنفسه ولولده، وتحرك إلى الجهاد في جمادى الأخيرة منها. فدخل على تطيلة إلى أرنيط، وتازلتها، ودخل أرباضها؛ واعتصم أهلها منه في كنيسة عتيقة، فرحل عنها بعد مصلحتهم على مال يؤدونه، أخذ به رهائشهم. ثم انصرف، وقد شن الغارات على تلك الأقطار؛ فعلمها إحراقاً ونهباً وتدميراً. فلما شارف بلاد الإسلام، تلاحق به النصارى؛ فاجتلد الفريقان أحرّ جلاذ، إلى أن استشهد المستعين بن هود وانهمز المسلمون؛ فأقى القتل على كثير منهم - رحمهم الله - وذلك أول يوم من رجب من السنة المذكورة. وولي بعده ابنه عبد الملك.

## أيام عبد الملك بن أحمد المستعين بن هود

### عباد الدولة

بايع الناس عبد الملك، بعد أن استشهد أبوه، بسرقسطة، واشتروا عليه أن لا يتلبس بشيء من أمر الروم. وطمع عبد الله بن فاطمة، قائد الملتصقة في سرقسطة عند موت المستعين؛ فتحرك إليها على شهر من الواقعة؛ فلما قرب منها - رحمه الله - أشار عليه أهلها أن ينصرف عنهم، ولا يبدأ بالفتنة؛ ويخفي عليهم استعانة أميرهم بالروم؛ فانصرف عنهم. ثم إن عبد الملك تلبس بملك قشتالة؛ وأنكر الناس ذلك؛ فاستدعوا قائده علي بن يوسف من بكنسية. فأقبل إليهم، وفتحت له المدينة. واستدعى عبد الملك النصارى؛ فتحرك إليه ابن روميرو. وبادر ابن الحاج قائد عسكر الألموثيين إلى قتاله؛ فخذل الناس، ووقعت الهزيمة؛ فاستشهد - رحمه الله -؛ وأنت الهزيمة على كثير من المسلمين، عشي يوم الأحد منتصف ذي الحجة من سنة ٥٠٣، إلى أن أخرج أهل سرقسطة عبد الملك بن أحمد بن المؤمنين بن المقتدر بن المستعين من الحضرة، واستدعوا عامل علي بن يوسف؛ فدخلها يوم السبت العاشر الذي قعدة سنة ٥٠٣، ولم يبق له ولا لأحد من عقبه بعد قائم. وانحاز إلى قبضة الروم.

## أيام أحمد بن عبد الملك

### بن أحمد بن يوسف بن هود

كان هذا الرجل بقيّة بني هود، أبقت الفتنة بشعر ريوطة، لما نصيرت

فاسقامت طاعته ، وانتسب مملكته ، إلى أن وقعت المنازعة بينه وبين جاره سليمان بن هود ؛ فوجه إليه جيشاً كثيفاً لتطير ولده أحمد بن سليمان ، ونازل مدينة وادي الحجارة . وبرز المأمون لمداقعتيه . وأنيح لابن هود عليه ظهور حاصره لأجله بمدينة طليطلة ، ثم رحل عنه ؛ فأجأته ضيقته وما آسفه به ابن هود إلى الاستعانة بملك النصارى ، وبذل له مالا ، وأخرجه إلى قطر سليمان بن هود ؛ فجال العدو في أحوازه شهرين من زمن الصيف ؛ فلم يدع ما يقتاته الطائر ، وخرّب البلاد ، وأهلك العباد ، وفتح عدة من الحصون والمعاقل . وحالف ابن عباد ، ووافقته على ما دعا إليه من الدعوة المشامية ، وأعلن بها على منابيره ، وقدّر أن الحرق بذلك يوقع ، أو أن العمل به ينفع .

وفي السنة الآتية ، استعان ابن هود بالنصارى ، وخرج إلى أرض ابن دنون ، واسترجع ما ظهر عليه ابن دنون من حصونه ؛ وناغاه ابن دنون ؛ فأخرج العام بعده النصارى إلى بلد ابن هود ؛ ففتح قلعة قلهرية التي كان فتحها ابن أبي عاير ، وفازت بها أيدي الروم ؛ وذلك صدر عام ٤٣٧ . وخرج الطاغية المظاهر سليمان بن هود من ملوك جليقية إلى تغر طليطلة . ودامت الفتنة بين هذين الأميرين المؤمنين على المسلمين من سنة ٤٣٥ إلى سنة ٤٣٨ ، وفورقت بموت سليمان بن هود منها . فلما فتر خنق يحيى بن دنون من سليمان بن هود ، رجع إلى مطالبة جاره ابن الأفتس . ثم شغلته الشواغل عنه بابن عباد ، وساء ما بينهما . وتجرأ إلى قرطبة بما دعا ابن عباد إلى نصره صاحبها ، ثم إلى غدوره والاستيلاء عليه . ثم تصيرت إلى يحيى بن دنون على يد ابن معكاشة كما ذكرت قبلاً . ثم توفي بها يحيى بن دنون لإحدى عشرة ليلة من ذي قعدة سنة ٤٦٧ ، وولي بعده حفيده وسيمه يحيى بن دنون .

### أيام القادر بالله يحيى حفيد المأمون بن دنون

ويؤبع ليحيى هذا بطليطلة إثر بلوغ الخبر بموت جده . ثم وصل تابوته إلى مدفنه بها ؛ فجدد رسوم الجد . وكان قبل وفاته قد قسم وظائف الملك ؛ فجعل الأجناد إلى وزيره ابن الفرج ، وأمور الرعايا والمشورة والرأي إلى ابن الحديدي ، وأخذ الموائيق على ابن الحديدي ليلغن كل مبلغ في شد أزره ، وثبت أمره ، علماً باستقلاله ، ويؤمن مناقبه وخلاله . وكان هذا الحفيد يحيى مضعفاً ، كثير الحيلة ، خيئ الفكر ، بصاحبه مرض كرن قلثا ينش به . وأغرته الطائفة الغالية على أمره بابن الحديدي ؛ فعمل على مكروهه . وكان جده قد سكن مملكته ، وقرّر أسبابه بسجن طائفة من أهل طليطلة ، حثاث الشرور وأسباب الفتن ، بإشارة ابن الحديدي ؛ فتشوسوا بالمطشيق ، واطرد الخبر بقعدهم . فلم يتمكن لابن دنون الفتنك بابن الحديدي لأصلاته في المدينة إلا بعد الاستظهار عليه بأعدائه منهم ؛ فأخرجهم سراً . ولما دخل ابن الحديدي المجلس ، وقعت عليهم عينه ، أيقن بالهلكة . وقام ابن دنون ، وهو يتعلّق بأذنيه ويستجيره ، فلم يغنيه ذلك ؛ فتمكثوا منه وقتلوه . وهاجت العامة ؛ فشغلت بنهب دوره وإطلاق أيديها على ماله .

وظن ابن دنون أن الجو قد خلاه من ابن الحديدي ؛ وإذا به قد بحث عن حثفه بظلفه . وإذا بتلك الجماعة ، لما فرغوا من ابن الحديدي ، رجعت على حفيد ابن دنون بحسائف جده . وانتدب ابن عبد العزيز كبير بكنسية بها ، وخلع يده عن الطاعة ووقف أمره على مهادة ، إلى أن ثار بحفيد ابن دنون تلك الطائفة التي أخرجها من الاعتقال ، وصاحوا به ،

وزعموا أن زَوْجَهُ بِنْتُ الْمُظْفَرِ وابْنَتُهُ مِنْهَا تَبِعَتْهُ يَوْمَئِذٍ  
وَأَحْبَبَتْهُنَّ أَزِيدُ مِنْ قَرَسَخْنٍ ، إِلَى أَنْ رَكِبَتْ ؛ وَلَقِيَ بَعْضُ  
مُحْصَنِهِ . وَأَقَامَ أَهْلُ طَلَيْطَلَةَ بَعْدَهُ أَبَامًا كَالسَّامِيَةِ الْهَمَلَةِ ، لَيْسَ عَلَيْهِمْ  
أَمِيرٌ ، وَلَا فِيهِمْ بِالْصَّوَابِ مُشِيرٌ ، إِلَى أَنْ جَنَحُوا إِلَى الْمُظْفَرِ بْنِ الْأَفْطَسِ  
مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، عَلَى بُعْدِ دَارِهِ ، وَانْتَرَحَ أَقْطَارُهُ ، فَجَاهَمَ مَنَاقِلًا ،  
كَأَنَّ الْمَوْزِعَ : كَوَدْنَا سَامُوهُ فَخَصَلَ سَبَاقٍ ، فَدَخَلَ طَلَيْطَلَةَ  
سنة ٤٧٢ .

ابن المظفر بن الأفطس بطلَيْطلة

1947

180

أَعَادَهَا اللهُ

ذَكَرُوا أَنَّ أَهْلَ الْعُدَدِ وَالْحَلِّ مِنْ أَمْلِهَا ، لَمَّا بَلَغَ الصِّبْرَ بِهَمِّ مَدَاهُ ،  
خَرَجُوا إِلَى مَحَلَّتِهِ ؛ فَأَدْخَلُوا إِلَى الْمَضْرَبِ الَّذِي كَانَ لَهُ ، بَعْدَ حِجَابٍ غَلِظٍ  
وَإِذْلالٍ كَثِيرٍ ؛ فَأَلْفَوْهُ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ مِنَ النُّومِ ؛ فَقَالَ لَهُمْ : « إِلَى مَتَى  
تَتَخَذَعُونَ ، وَمَاذَا تَصْنَعُونَ ؟ » فَجَاءَهُ رَجُلَانِ وَفَتْلَانِ  
أَمْنِيَّةٍ ! « وَسَمَوْاهُ جَمَلَةً » مِنْ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ ؛ فَهَاقَتْ ، وَسَخِرَ بِهِمْ ،  
وَدُعِيَ بِإِسْمَائِلَ مِنْ سَمَوِهِ ؛ فَخَضَرُوا ، وَكَلَّهْمُ يَوْذِي خُضُوعٍ مُرْسِلِهِ ،  
وَيَنْبُغِي فِي لَمَمِ يَدِهِ ، وَيَتَوَسَّلُ بِهَدْيِهِ ؛ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ سُقِطَ فِي

أبيهم . ولثلاثة أيام من ذلك المجلس ، خلّوا بينه وبين البلد . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

وانتقل حفيد ابن دثون إلى بَلَنْسِيَة بمشايعة مَلِك قَسْنَائَة ، ووجهه معه جيشاً حتى دخلها ؛ واستقر بها إلى شهر رمضان من سنة ٤٨٥ ؛ وقد تلك ابن عائشة قائد يوسف بن تاشفين مُوسِيَة ؛ فاستدعاه أهل بَلَنْسِيَة ، وعرضوا عليه مدينتهم ؛ فأقبل إليها نائبه بجيش من اللّـمـنـويـيـن . وخرج القاضي ابن جَعْفَر والفقهَاء لتلقيه وإدخاله البلد . ففر ابن دثون من القصر ، ولم يمكنه الخروج من المدينة ؛ فاختفى ببعض الدّور الخاليّة ؛ فظهر عليه ليلة الجمعة لسبع بقين من رمضان من السنة ، وسبق إلى القاضي ابن جَعْفَر ؛ فأمر بقتله . تولّى ذلك فتى من بني الحديديّ القتييل بطليطلة ؛ وطيف برأسه . واحتوى ابن جَعْفَر على ما كان له ؛ وطرح جثته في سبخة ؛ فواراه رجل احتساباً وصدقة ، ودفن دون كفن . فانقطعت مدته على هذه السبيل .

### ذكر مائة بني مسلمة

#### المعروفين ببني الأفتس

وهؤلاء من جيلة ملوك الطوائف . وكان جدّهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفتس أصله من قبائل مكناسة ؛ ونزل بقصص البلوط من جوفي قرطبة .

قال ابن حيّان : ومن النادر الغريب انجازه في تجميع ؛ وهذه النسبة مدحّته الشعراء آخر وقته ، إذ يقول ابن شرف القيرواني : [السريع]

يا مَلِكاً أُمِسَتْ تَجِيبُ به نَحْسُ قَحْطَانٍ عليه نِزَارُ

لولاك لم تشرف معدّها بها جلّ أبو ذرّ فجئت غفار  
وكان من قومٍ لا نباهة لهم ، إلا أنّه كان من أهل المعرفة النعمة والعقل والسياسة والدهاء . ولما تفرّق شمل الجماعة ، وانتزى كلّ على ما بيده ، استبدّ بالضع العربيّ بيطلليّوس وشنترين وجيسع الثغر الجوفيّ فتّى من عبيد الحكم اسمه سابور ؛ وكان غفلاً ، من المعرفة عطلاً ، إلا من خلّة الشجاعة ؛ فكان عبد الله بن محمد بن مسلمة من صنائه يدبر له أمره ، ويخمد دولته ، إلى أن هلك سابور وترك ولدَيْن لم يبلغا الحلم ؛ فضبط له عبد الله الأمر ، وأمنسكه على ولديّه .

### دولة عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفتس

خلف هذا الرجل سابور ، وقام بأمر ولده في صغر كبير ، هو الذي تسميه اليوم بأرض برنثقال ، ودبر أمره ، وأقام ملكاً ؛ وهو ومنّ ناب عنه من شرط كينايينا في ذكر من يبيع قبل الاحتلام ، من ملوك الإسلام . وحسبك بذلك الوطن جلاله ، وبأهله وفوراً ؛ فاشتمل عبد الله على ذلك الأمر ، واستأثر به ، وحصل على ملك غرب الأندلس . واستقام له مدة إلى أن هلك لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٤٣٧ ؛ وولي بعده ولده المظفر .

### دولة المظفر محمد بن عبد الله

#### ابن محمد بن مسلمة بن الأفتس

ولي المظفر بعد أبيه على ما كان بيده ؛ فاستقامت أموره . وكان فاضلاً عالماً وشجاعاً فارساً . وله التأليف الكبير المسّى به المظفريّ ، في نحو خمسين مجلداً . وأقام بذلك الثغر ملكاً عظيماً . وكان ينكر

الشعر على قائله في زمانه ، ويُقيل رأي من ارتسم في ديوانه ، ويقول : « من لم يكن شعره مثل شعر المتنبي أو المعري ، فليسكت ! » ولا يرضى بدون ذلك . وكانت بينه وبين جاره ابن عباد حروب أذهبت الرسوم ، وأنتقلت الأرواح والجسوم ، والله يُنصف الحصوم ، إلى معبده لذلك الوقت المعلوم .

وفي مدته ، أخذ العدو مدينة قلنبرية من الفتح العامرية ، بعد محاصرة طويلة . وكان قائده عليها يملكها له استأمن العدو في السر ، وخرج إليه بأهله وولده . وأصبح المسلمون بها ، وقد أخذوا أهبة القتال ؛ فقال لهم العدو : « كيف القتال وقائدكم عندنا منذ البارحة ؟ » فضربوا إلى أن نفذت أفواضهم ، ودخلت عليهم غرة ؛ فقتل الرجال ، وسبي الذرية والحريم ، في سنة ٤٥٦ ؛ فكان الفجع بها أكبر . وكانت مدة الإسلام بها بضعا وسبعين سنة . وأقبل المملوك قائدها إلى ابن الأفتس ، وكان له محل من قبيلة ؛ فأمر به ؛ فضربت عنقه . وكلب الطاغية على هذه الثغور الغربية ، وضرب على أهلها الإتاوة حتى ضعفت ، لولا أن الله أهلكه سنة ٤٥٨ ؛ وقام بعده ولده إذفونش ؛ فشغل ابن عباد إلى أن شغله الله بالمرايطين .

ولما توفي المظفر - رحمه الله - ولي الأمر بعده ولده عمر ويحيى . وفي سنة ٤٦١ ، عظم بينها الخلاف والتزعاج ؛ وحصل الطاغية بسبب ذلك على ما أرادته من بلاد المسلمين وأمه المهدي وخيرتهم ، فنبيل الضريب بن منسرجهم . فشبت نار الفتنة بينهما ، وتعلق منهما يحيى بولاية ابن دنون ؛ ومال أخوه عمر إلى تولي المعتيد بن عباد . وما زالت السعاب تفتح بينهما حتى اصطلمت البلاد ، واجتاحت الرعية . وأزاح الله زمنهما بموت أحد الأخوين يحيى . واستوسق الأمر لأخيه عمر ؛ فاستحق الانفراد بالذكور .

## دولة المتوكل على الله عمر

### ابن المظفر بن الأفتس

وكان المتوكل ملكاً عالي القدر ، مشهور الفضل ، مثلاً في الجلالة والسر ، من أهل الرأي والحزم والبلاغة . وكانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم .

وقال التتخ عند ذكره في « قلائده » : « ملك مجند الكتاب والجنود ، وعقد الأثرية والبود ، وأمر الأيام فائتت ، وطافت الآمال بكعبته واعتبرت ، إلى لسن وفصاحة ، ورحب جناب للوافد وساحة ، وتنظم يزري بالدر النظيم ، ونشر يسري في رقة النسيم ، وأيام كائناتها من حُسْنها جمع ، وليال كان فيها على الإنس حضور ومُجْتَمَع . وقال أبو طالب بن غانم : كتب إلي المتوكل هذين البيتين في ورقة كُرْنَب من بعض البساتين : [خلع البسط]

انفض أبا طالب إلينا وأسقط سقوط الندى علينا  
فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضراً لدينا

وقد تقدم ذكر دخول طليطلة في أمره ، وانتقاله إليها ، ومقامه بها المدة المذكورة . واستمرت أيامه إلى أن تغلب اللشونيون المنسجون بالمرايطين على الأندلس ؛ فضيق الأمير سير بن أبي بكر ببطلانيوس بالسرائيا والغارات ، والمتوكل يطمع بالتمسك بها لقربه من حدود النصارى . فلما عيل صبره ، وعجز عن مقاومتهم ، راسل إذفونش ملك قشتالة ، وأطعمه - زعوا - في المدينة ، وخرج له عن مدينة

١ راجع « قلائد النقيان » ص ٤٦ .



مَنْتَرِينَ ، فَحَصَّنَا الْعَدُوَّ وَضَبَّهَا . وَعِنْدَمَا مَكَّنَ الْعَدُوُّ مِنْ شَتْرَيْنِ ، انْخَرَفَتْ عَنْهُ الرِّعْيَةُ ، وَانْصَلَّ عَلَيْهِ الْجَلُّ ، وَضَاقَتِ الصُّدُورُ ، وَرَاسَلَ أَهْلُ بَطْلَيْوَسَ الْمَرَايِطِينَ ، فَوَسَّلَتْهَا الْجِيُوشُ ، وَفَتَحَ النَّاسُ الْأَبْوَابَ ، فَدَخَلَ الْقَوْمُ عُنُودَهُ ، وَقَبِضَ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ وَعَلَى بَنِيهِ وَعَبِيدِهِ ، وَاسْتَخْرَجَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ وَذَخِيرَةٍ ، وَأَزْعَجَ مَعَ ابْنَيْنِ لَهُ إِلَى إِشْبِيلَةَ . وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ ، لَمَّا بَعُدَ مِنْ بَطْلَيْوَسَ ، أَنْزَلَ وَأَمَرَ بِالنَّاهِبِ لِلدَّوْتِ ، فَسَأَلَ أَنْ يُقَدَّمَ ابْنَاهُ قَبْلَهُ لِيَحْتَسِبَهَا ، فَكَانَ كَذَلِكَ . وَقَتِّلَ الْجَمِيعَ صَبْرًا ، وَذَلِكَ فِي أَخْرِيَابِ سَنَةِ ٤٨٨ . وَكَانَ قَدْ اشْتَخَصَ وَلَدَهُ الْمُلقَّبَ بِالنَّصُورِ إِلَى حِصْنٍ سَائِحٍ لِيَتَحَصَّنَ بِهِ ، وَجَعَلَ عِنْدَهُ ذَخِيرَتَهُ .

## أيام المنصور بن المتوكل عمر

### ابن الأفطس بحصن شانجش

وَلَمَّا انْصَلَّ بِهِ مَا جَرَى الْقَدَرُ بِهِ فِي وَالِدِهِ وَأَخَوَيْهِ الْقَضَلِ وَسَعَدَ أَيُّ عُمَرٍ ، وَجَهَ إِلَى إِذْفُونَشَ بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، وَدَخَلَ - زَعَمُوا - فِي دِينِهِ ، وَصَدَرَ مَعَهُ إِلَى بِلَادِهِ ، بَعْدَ أَنْ تَقَفَّ الْحَصَنَ بِرِجَالِهِ . وَانْتَهَى أَمْرُ بَنِي الْأَفْطَسِ .

وَقَدْ رَافَقَ الْوَزِيرَ أَبُو مُحَمَّدٍ بَنَ عَبْدِوَنٍ عَظِيمٍ مُلْكِهِمْ ، وَنَازِمٍ سِلْكِهِمْ ، بِقَصِيدَةٍ اشْتَبَهَتْ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ قَتِيلٍ ، وَأَشَارَتْ إِلَى مَنْ غَدَرَ مِنْهُمْ وَخَتَلٍ ،

تَكْبِيرُهَا الْمَسَامِيعُ ، وَيَعْتَبِيرُهَا السَّامِعُ ، وَهِيَ ١ : [ البسيط ]

تسرُّ بالشيء لكن كفي تغرُّ به كالأيام تار إلى الجاني من الزهر

١ . لَيْتَ الْقَصِيدَةَ مُورَدَةً هُنَا بِتَمَامِهَا ، إِذْ نَقَصَ مِنْهَا الْآيَاتُ السَّعْءُ الْأَوَّلُ . رَاجِعْ نَفْسًا فِي « فَلَاذِ الْغَيَانِ » ( ص ٣٨ - ٤٠ ) ، وَفِي « الْمَعْجَمِ » لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِنِيِّ ( ص ٥٣ ) ، إلخ .

كَمْ دَوْلَةٌ وَلَيْتَ بِالنَّصْرِ خَدَمَتَهَا لَمْ تَبْقَ مِنْهَا وَسْلٌ ذَكَرَاكَ مِنْ خَيْرِ هَوْتِ بَدَارًا وَفَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ وَأَتْبَعَتْ أَخْنَهَا طَسْمًا وَعَادَ عَلَى وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي الْهَيْثَاتِ مِنْ يَمْنٍ وَمَزَقَتْ سِبْأً فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ وَأَنْقَذَتْ فِي كُلِّ نَيْبٍ حَكْمَهَا وَرَمَتْ وَلَمْ تَرُدَّ عَلَى الصِّلِيلِ صَحْتَهُ وَدَوَّخَتْ آلَ دُؤْيَانَ وَجِيرَتَهُمْ وَأَلْقَتْ بَعْدِيَّ بِالْعِرَاقِ عَلَى وَبَلَّغَتْ بَزْدَجَرْدَ الصِّينِ وَاخْتَرَلَتْ وَمَزَقَتْ جَعْفَرًا بِالْبَيْضِ وَاخْتَلَسَتْ وَأَمْرَقَتْ بِجَبَّيْبِ فَوْقَ فَارَعَةٍ وَخَاصَصَتْ شَيْبَ عُمَانَ كَدَمًا وَخَطَطَتْ وَأَجْزَرَتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عِبْرًا بِخَارِجَةٍ وَمَا رَغَتْ لِأَبْنَى الْيَقْظَانِ صَحْبَتِهِ وَفِي ابْنِ هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمُصْطَفَى حَسَنِ فَبَعْضُنَا قَاتِلٌ مَا اغْتَالَهُ أَحَدٌ وَعَمِمَتْ بِالطَّبِي فَوَدَى أَيُّ أَنْسٍ وَأَنْزَلَتْ مُضْغَبًا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ وَلَمْ تَرَاقِبْ مَكَانَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا

ولم تدع لأبي الذببان قاضيه ليس اللطيم لها عمرو ينتصر وأظفرت بالوليد بن يزيد ولم تُبقِ الخلافة بين الكاس والوتر ولم تعد قضب السقّاح نابذة عن راس مروان أو أشياعه الفجر وأسبلت دمعاً الروح الأمين على دمٍ بفتح لآلِ المصطفى هدير وأشرفت جعفرًا والفضل ينظره ولا وفّت بعمود المستعين ولا وأوتقت في عراها كلّ معتدٍ وروعت كلّ مأمون ومؤنن بني المظفر والأيام ما يرحل سحاً ليومك يوماً ولا حملت من للأميرة أو من للأعنة أو من للبراعة أو من للبراعة أو دفع كارتة أو ردع آرتة وبع السباح وبيع البأس لو سلما سقت ترى الفضل والعباس هامية ثلاثة ما رأى السعدان مثلهم ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا ومر من كل شيء فيه أطيبه من للجلال الذي عمّت هابته أين الإباء الذي أرسوا قواعده أين الوفاء الذي أصفوا مشارعه كانوا دواسي أرض الله منذ ناوا

من لي ولا من لهم ان عطّلت سنن وأخفت ألسن الآثار والسير من لي ولا من لهم إن أغضت عن ولم يكن وردها يدعو الى صدر على الفضائل إلا الصبر بعدهم سلام مرتقب للأجير منتظر يرجو عسى وله في أخنها أمل والدهر ذو عقب شتى وذو غير أنبتنا هذه القصيدة لمناسبتها لغرض التأريخ .

### ذكر مدة بني صمادح الامراء بالمرية

قالوا : كان جدّهم محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عبيدة بن شريح بن حرمة بن تميم بن المغضب بن شبيب بن الدعان بن سعد بن أشترس الواقع والده على نجيب ؛ عرفوا بأمتهم . كذا أثبتت نسبهم ابن الصيرفي . وثبت في « كتاب المغرب » اسم جدّهم أبا يحيى بن أحمد بن صمادح ؛ فيظهر أن هذه الاسماء الثلاثة متأخرة عن عبد الرحمن هذا الذي ذكر ابن الصيرفي ومُتصلة به .

وكان جدّهم ، حسباً ذكر ابن حيّان إذ قال : أبو يحيى بن أحمد صاحب مدينة وشقة وأعمالها ؛ وطلعت نباهته في أيام المؤيد هشام ؛ ثم أكّد له ذلك سليمان بن الحكم ؛ فنشئ له الوزارة ، وأمضاه على عمله . وكان أول أمره ممائلاً لابن عتّه منذر بن يحيى ، يُظهر موافقته ، وبكاتبه حدة بما لا شيء فوقه ؛ ثم تكشفاً بعد مضي سليمان ، ونحاراً على ملك وشقة ؛ فعيّز ابن صمادح عن منذر لكثرة جنيعه ، وسلم له البلد ، وفر بنفسه . وأمّا ابنه معن ، فتجنّ نذكره .

## ايام معن بن صمادح

قالوا : لما قُتِلَ زُهَيْرُ الْفَتَى بظَاهِرِ غَرْثَاطَةَ عَلَى يَدَيْ بَادِرِ بْنِ حَبُوسٍ أَمِيرِ ضَرْهَاجَةٍ ، حَسِبَا يَأْتِي ذِكْرُهُ ، وَصَارَتِ الْمَرْثَةُ دَارُ 'مَلِكِهِ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ بِلْتَنَسِيَّةٍ ، حَسَدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَنَافَسَهُ فِيهَا صَارَ إِلَيْهِ 'مُجَاهِدٌ' مَوْلَى سَلَفِهِ ؛ فَتَحَرَّكَ إِلَى بِلَادِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مَشْغُولٌ بِمَا نَفَلَ الدَّهْرُ مِنْ تَرْكَةِ زُهَيْرِ الْفَتَى ؛ فَخَرَجَ مُبَادِرًا إِلَى اسْتِصْلَاحِ 'مُجَاهِدٍ' ، وَاسْتَخْلَفَ بِالْمَرْثَةِ صَهْرَهُ وَوَزِيرَهُ مَعْنُ بْنُ صَادِحٍ هَذَا ؛ فَكَانَ شَرٌّ مُسْتَخْلَفٌ بِدَارِ 'مَلِكٍ' ؛ فَلَمْ يَكُنْ يُوَارِي عَبْدِ الْعَزِيزِ وَجْهَهُ حَتَّى خَانَهُ الْأَمَانَةُ ، وَطَرَدَهُ عَنِ الْإِمَارَةِ ، وَنَصَبَ لَهُ الْحَرْبَ ؛ وَفَازَتْ بِهَا قِدَاحُهُ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا مَلِكُهُ ، وَخَلَفَهَا مِيرَاثًا لِبَنِيهِ بَعْدَهُ . ثُمَّ هَلَكَ . وَأَقَامَ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ أَبُو يَحْيَى .

## ايام محمد بن معن بن صمادح المعتصم بالله

قال المؤرخ : فارتقى ذروة الخلافة ، وتلقب من ألقاب الخلفاء بالمعتصم بالله وبالرشيد .

قال ابن بسام : ولم يكن أبو يحيى هذا من ملوك الفتن في شيء فإنه أخلد إلى الدعة ، واكتفى بالضيق من السعة ، واقتصر على قصر يمينه ، وعلق يفتنه ، وميدان من اللذة استوى عليه ، وبرز فيه ، غير أنه كان رخب الفناء ، جزل العطاء ، حليماً عن الدماء والدهاء ، طافت به الآمال ، واتسع في مدحه المقال ، وأغلبت إلى حضرة الرجال ، ولزمه فحول من الشعراء كأي عبد الله بن الحداد ، وابن عبادة ، وابن الشهيد ،

وغيرهم . وكانت بينه وبين ملوك الطوائف فتون مبيدة ، غلبوه عليها ، وأخرجوه من سجنه إليها مكرهاً ، لم يكن مكانه منها يمين ، ولا فتحة يمين .

ولما ملك يوسف بن تاشفين أرض الأندلس ، وعزم على خلع رؤسائها ، ونازلت المعلات غرناطة ، أمر الأمير يحيى بن واسين منهم بمحاصرة المرثية ، والتضييق على المعتصم ؛ فطال به الحصار ، وتبلكت حصونها وجيائها ؛ فلم يبق بيد المعتصم غير لها . وضاعت بها الأحوال ، وشرع أهلها في الفرار . واعتل المعتصم ، ونزل به الموت أثناء محاصرتها ؛ فذكروا أنه نظر إلى جارية عند رأسه تبكي عليه ؛ فقال لها : [ المتقارب ]

توفقت بدمعك لا تقنه فبين يديك بكاء تطويل

وأوصى ولده ولي عهده معن الدولة أن يتسك بقصة المرثية ما أقام ابن عبّاد ممتسكاً بإشبيلية ؛ فإذا أفضى أمره إلى خلعته ، فليعب البحر بأهله وولده إلى الجزائر جزائر بني تونغتا ؛ وقد كان راسل صاحب الجزائر ، ووجه إليه أحمد بن عبد العزيز بن عيشون من أهل بلدته ؛ فوصل إلى المنصور بن الناصر بن علثاس ، وهو يومئذ بالقلعة ، فخطب إليه جواره والتحول إليه ؛ فتلقاه بالرحب والسعة ، وخيره في أقطار بلاده . ثم توفي المعتصم بن صمادح في ربيع الآخر من سنة ٤٨٤ . ولما اتصل موته بالمعتصم ابن عبّاد ، قال : « رجل استصحب حال سعدة من قصره إلى قبره ! كان الموت كأساً بيده ؛ فحين استطابها ، تجرّعها ! »

وذكر الفتح المعتصم ببعض ما يوجب الانصاف لشأنه ؛ فذكر أحياناً كتبها إليه ابن عمار ، وقد طال مقامه ضيفاً لدينه ، ومجوباً بسحاب يديته ، وهي :

١ راجع « الفلاحة » ( ص ٤٩ ) .

٢ أورد الفتح هذه القطعة والتي تليها في « فلاح المغان » ( ص ٥٠ ) .

### [ مجزوء الكامل ]

ب واضحاً فضح السحابة ب مجود في معنى السراح  
ومطابقاً يأتي وجوه الجدة من طرق المزاج  
أسرفت في بر الضياء ف فجدة قليلاً في السراح  
فوقع له محبياً ، ومن فراقه إياه كثيراً :

يا فاضلاً في شكره أحل المساء مع الصباح  
هلاً رفقت بهجتي عند التكلم في السراح  
إن السراح بعدكم والله ليس من السراح

### أيام معز الدولة بن المعتصم بالله

أي يحيى بن ضادح

ولما توفي المعتصم ، أقام معز الدولة بصوب ويصعد ، ويعمل النظر  
في امثال وصية أبيه ، فجعل يدي غرضه في نقل زوجته بنت مجاهد إلى  
دانية ، وينزل أسبابها إلى المدينة ، ليكون أقرب إلى الإيساق في البحر .  
فلما كمل ما أرادته من ذلك ، وافاه اليقين بتغلب المرابطين على ابن  
عباد وخروجه عن ملكه ، فأمر رجاله بنقب السور خارج باب مومى  
إلى دار الصنعة ، وركب بن اختص به في قطعة ، وحمل المال والمتاع  
في ثنتين ، وأحرق باقي الأجفان خشية الانتباذ ، فأمن عاديتهما ، ونزل  
بالجزائر على البعث وطائر السن ، إلى أن هلك بها . وانقضت أيام بني  
ضادح .

### ذكر أيام بني المنصور محمد بن أبي عامر

وكان هؤلاء البقاياء العماريون ولد المظفر والمنصور من نخطام  
الهالك عند ثورة عبد الجبار ، وسلمت لبعضهم دنيا عريضة . ولما استقر  
الأمر سليمان بن الحكم مدته الأولى ، تقرب منهم ، واجتلب صنائعهم ،  
وأذن في مواراة ثلث عبد الرحمن بن أبي عامر ؛ فبولغ في التنويه به  
أقصى المبالغ ، وأعلن النوح لها ، وأقامت العارية لها المآتم الملوكية .  
وبرز الطغفلان ابن العم محمد بن المظفر وعبد العزيز بن المنصور ،  
وأستقهما لا يجاوز سبع سنين ؛ فكانا تحت رعي ، إلى أن اختل أمر  
سليمان بن الحكم بعودة عدوها وقاتل أبيها محمد بن عبد الجبار إلى  
قوطبة ؛ فخرج عبد العزيز عنها ، وتأذن الله سبحانه بتجده ملك كبير  
لعبد العزيز منها بشرق الأندلس ، دام سنين عديدة .

### دولة محمد بن المظفر عبد الملك بن محمد

المنصور أبي عامر بن أبي عامر الملقب بالمعتصم

قال ابن أبي الفياض وغيره : كان محمد جميلاً سخياً . وكان يوم وقعت  
الآفة بدولتهم صبيّاً صغيراً من نحو سبع سنين . واستقر بالثغر في كنف  
مؤدبر بن يحيى ؛ ثم انصرف إلى كورة حبان ؛ فظهر ببعض أخوانها ،  
وضم إلى نفسه الرجال ، مستعيناً على ذلك بأموال عظيمة خلصت لأمه ، كانت  
تهداه بها ، إلى أن ظهر أمره . فلما استقل خير أن الفتن العمري  
بقلعة أريولة ومروسية ، ونازعه الموفق مجاهد العماري صاحب دانية ،  
وأسيحت مجاهد عليه الهزيمة ، عجز عن مقاومة مجاهد ؛ فخطب محمد

ابن المظفر يدعوه إلى ملك ما بيده ؛ فأسرع إليه ، وملكه من أريولة ومرومية ، وخرج له عن الأمر ، وصار في جملة من بين يديه . ثم فسد ما بينه وبين خيران ، وتغير له حتى حذره خيران على نفسه ؛ ففر عنه ، وفقد المروية ؛ فاحتل بها ليلة الرابع عشر لربيع الآخر من سنة ٤١٢ . ثم تحرك منها إلى مرومية ، محارباً لمحمد المعتصم ؛ فألح عليه حتى أخرجه عنها في السادس لربيع الأول من سنة ٤١٣ بعد ها . وذلك أن محمداً أضع الحزم ؛ فخرج عن المدينة ، وقد داخل خيران من أهل مرومية رجلاً يعرف بميرة بن الفضل ؛ فسد الباب دونه ، وضبط المدينة باسم خيران . ولما علم محمد أنه لا طاقة له بخيران ، فر عنها ، ولحق بمجاهد ؛ فكان عنده مدة . ثم توجه إلى البلاد الغربية من جهة الأندلس ؛ فاستقر بمحصن دارة ، وها توفي من جدرى أصابه ، في ليلة الجمعة من ليلتين خللتا من شهر رمضان سنة ٤٢١ .

وأخبر الإمام أبو محمد بن حزم أنه ، لما أيقن بالموت ، دق جوهراً عظيماً كانت قيمته ما لا نهاية له ، لثلاً يتمتع به أحد بعده . فانقض أمره على هذه السبيل . وهو من شرط كتابنا ، إذ كان ممن يبيع قبل الاختلام ، من ملوك الإسلام ؛ وكذلك ابن عمه الآتي ذكره .

## أيام المنصور عبد العزيز بن الناصر

عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر

قال أصحاب التاريخ : كان الموالي العامريون عند ذهاب مجاهد كبيرهم عنهم ، قد أسندوا أمرهم إلى مشيخة منهم ، وتشاوروا في ارتقاء أمير من أنفسهم ، يعترفون له ؛ فانفقوا على ابن مولا محمد عبد العزيز هذا ،

لميثاراً له على ابن عمه محمد بن عبد الملك ؛ وكان محمد مقيماً بقرطبة ، وعبد العزيز بسر قسطنطة ؛ فليحق بيلكسية ، واستقبله الموالي أفواجاً ، ينفعون له بالطاعة ، وقلدوه رياستهم سنة ٤١٧ .

وكان عبد العزيز هذا من أولادهم لرحمه ، وأحفظهم لقرابته ، قد ابتغى الله رحمة للمؤمنين من أهل بيته ؛ فأوام ، وجبر كبيرهم ، ونعش فقيرهم طول مدته ، إلى أن بلغ من ذلك مبلغاً أعيا ملوك زمانه . وخاطب لأول حينه الخليفة القائم بن حمود بقرطبة ، ولاحظه بهدية حسنة ، وذكره بدمام سلفه ؛ فقبله ، وسأه ذا السابقتين ، ولقبه المؤتسن . فتوطد سلطانه . واشتبل على خدمته أربعة من الكتاب كانوا يُسمون الطبايع الأربعة ، وهم : ابن طالتوت ، وابن عباس ، وابن عبد العزيز ، وابن التاكروتي كاتب رسائله ؛ ولم تزل حاله تسوء حتى اتصل بوزارته ؛ فنال جسيماً من دنيائه . وكان له من جهة سلفه للأموعة ملوك النصراني حظه انتفع به ، عند ما نازعه الأمر مجاهد جاره بدانية ، وضيق عليه ؛ واستظهر بجيوش النصرانية في أخبار يطول شرحها .

وفي أيام عبد العزيز هذا ، كانت الواقعة على المسلمين ببطرتة ، حسبا هو مشهور . وطالت مدة عبد العزيز إلى سنة ٤٥٢ ، وتوفي في ذي الحجة منها . وعهد بالأمر إلى ولده عبد الملك .

## أيام عبد الملك بن عبد العزيز

ابن عبد الرحمن بن أبي عامر

ولما هلك عبد العزيز ، اجتمع أهل دولته على ابنه عبد الملك ، وهو صبي لم يبلغ الحلم ؛ فهو من شرط كتابنا فيمن يبيع قبل الاختلام من ملوك الإسلام . وقام له بالأمر كله كاتب والد المدبر لدولته

بن عبد العزيز المشهور مع معرفتيه بابن كرويس الفراهيدي ؛ وكان موصوفاً بالرجاحة ؛ فأحسن معونته ، وتولّى تهذيبه ؛ واستقر أمره ؛ ورعى هذا الكاتب الشهير مذكرات الدولة في عهد الملك مكان شهره وضيافته ابن دثون المأمون ، إذ كان صهر عبد الملك أبو امرأته المساهم له في مصاب أبيه ، المعين له على سد ثلثه ، الذائد عنه كل من طمع فيه .

## ذكر أيام الدولة المنذرية

قال ابن حبان : كان منذر بن يحيى رجلاً من عراض الجند ؛ وترقى إلى القيادة آخر دولة ابن أبي عامر ؛ وتناهى أمره في الفتن إلى الإمارة . وكان أبوه يحيى من الفرسان عتير النباه ؛ فأما ابنه هذا فكان فارساً شقيق الفروسيّة ، خارجاً عن حدّ الجهل ، يتبسك بطرف من الكتابة الساذجة ؛ وأما عذاره ، فالنار برأس اليقاع ؛ من أفحش عذاره بيشام المؤيد موثى ليعلمه ؛ ولم يقتصر على عذاره حتى غزاه في عقر داره ، وأزله عن مريزه ، وأسلمه لحقه ، وباع دماء أهل قوطبة عشيرته . وعاد يثلبها لمحمد بن سليمان أميره ، عندما استجار به في تكبته ؛ فقتله ، وهو ضيفه ؛ فجاء به صليبا مشهورة ، لم تغسلها معذرة ، إلا أنه كان كريماً ؛ وهب القصد مالا عظيماً ؛ فوفدوا عليه ، وعمرت بذلك حضرته برفاهة ، فجلست أيامه ، وهتف المشايخ بذكوره . وكان الأول وانيته قد ساس نصيب الفرائجة ؛ فحفظت أشرافه إلى أن مضى بسببه .

وفي سنة ٤٣١ ، قتل منذر بن يحيى ، فقتله رجل من بني عبدة يعرف بعبد الله بن حكيم ، دخل عليه ، وهو غفل في غلالة ، ونس عند

إلا بعض ختانيته ، وقد أكتب الفاسح كتاباً ؛ فقرأ خصيلان من بين يديه إلا خادماً منهم قتلته عبد الله مع منذر مولاه . ووقع رأس منذر ، وأخرج له الوقت ، وفعد في موضعه ؛ وقد ركب من خطبة التغرير مركباً لم يجسر عليه عاتك قتلته ؛ أسقطت فتكته كل فتك في الإسلام ، لوثبه على كمنك جوفاً قصيره وبين يديه أزيد من مائة رجل سوي نسائه ؛ قام بين الجبيع كالأسد الوراء ؛ فأبلسوا وبتوا ؛ فلم يكن من أحد منهم مدافعة . وأرسل من حينه عن القاضي والمشيخة ؛ فدخلوا عليه ، وهو قاعد على فراش منذر ، وهو زميل في دمايه إلى جانبه ؛ فوصف أنه لما جرى في سبيل الإصلاح والشدة لسلطانهم ، وأظهر الدعاء أولاً لابن هود ، فأرؤوه قبول ما وصفته ، وتفرقوا عنه ، وكتبتهم متألفة عليه ، إلى أن ثاروا به وقاتلوه ؛ فخرج من باب بظهر القصر ، ونجا بفاخير ما استبل عليه من ذخائر آل منذر ؛ وحق بحسن روطه أحد معاقيل سرقسطة المنيع ، وقد كان أعداه لنفسه ؛ فأقام به برصد الفينة جهده ؛ وحمل معه أخوين لمنذر قتيلاه ، وأب المنيرة بن حزم وزير منذر ، وعيّرهم مقيدين ؛ فحبسهم عنده يطالينهم بالأموال . ونهب القوم قصر سرقسطة إثر خروجه حتى قلعوا ممره ، وطسوا أثره . وبادر ابن هود ؛ فتملك سرقسطة سنة ٤٣١ .

وقال ابن حبان فيه : كان قد ساس عظماء الفرائجة ؛ فحفظت أطرافه ، إلى أن مضى بسببه ، ولعلاه مسدود لا تعرف فيه ؛ وبلغ من استالت الطوائف النصرانية أن جرى على يديه ويحضرته عقود مصاهرة بعضهم ؛ فقرضته الأنيسة ، إلى أن ألتوت به نسيه ؛ فاعترف الناس برأيه . ولم يأت بعده من أسمة مسده . واشتد منذر على قواد تلك الثغور ؛ فاستوسقت له الأمور . واستكتب عادة من الكتاب النباه ، وقصد أكابر الشعراء . وفيه يقول أبو عمرو بن كراع

قصيدته، لما صرف إليه وجهه، وقدم عليه سنة ٤٢٨ هـ، وهي: [الكامل]

بُشِّرَ الْكَ مِنْ طُولِ التَّحَلُّ وَالسَّرَى  
مِنْ حَاجِبِ الشَّمْسِ الَّذِي حَجَبَ الدُّجَى  
فَجَرَى بِأَنْهَارِ التَّدَى مُتَجَرِّا  
نَادَيْتَ نَحْيَ عَلَى التَّدَى ثُمَّ اعْتَلَى  
لَبَّيْكَ أَسْمَعَنَا نِدَاكَ وَدُونَنَا  
نَوْهُ الْكَوَكِبِ مُخَوِّبًا أَوْ مُمِيطًا

منها:

فَسَرَيْتُ فِي حَرَمِ الْأَهْلِيَّةِ مُظْلِمًا  
وَشَعِبْتُ أَفْلَادَ الْفَوَادِ وَلَمْ أَكْدُ  
سَتْ تَسْدَأُهَا الْجِلْدَةُ مَغْرِبًا  
طُعْنُ الْفَنِّ الْقَفَرُ فِي غُولِ الدُّجَى  
يَطْلُبُنَّ لِحْجَ الْبَحْرِ حَيْثُ تَقَاذَفَتْ  
هَيْمٌ وَمَا يَبْغِينَ دُونَكَ مَوْرِدًا  
مِنْ كُلِّ نَضْوٍ إِلَّا لَمْحَبُوكِ الْمُنَى  
بَذَنَ قَدَتِ مِثْلَ دُمَاءِ نَحْوِهَا  
تَحَرَّتْ بِنَا صَدْرَ الدُّبُورِ فَأَنْبَطَتْ  
وَصَبَتْ إِلَى نَحْرِ الصَّبَا فَاسْتَخْلَصَتْ  
خَوْصَ تَقْنُخِنَ بِنَا الْبُرَى حَتَّى ائْتَتْ  
نَذَرَتْ لَنَا أَنْ لَا ثَلَاثِي رَاحَةً  
وَتَقَاسَمَتْ أَنْ لَا نَسِيغَ حَيَاتِهَا  
لَهُ أَيُّ أَهْلِيٍّ بَلَعَتْ بِنَا  
بَلْ أَيُّ غُصْنٍ فِي ذَوَاكَ هَصَرَتْ  
وَرَفَلْتُ فِي خِلْعِ السُّومِ مُهَجِّرًا  
فَعَذُوتُ مِنْ حَذْوِ الثُّرَيَّا مُنْظَرًا  
وَحَدَا بِهَا حَادِي النَّوَاءِ مُشْتَرًا  
وَتَرَكْنِي مَأْلُوفَ الْمَعَاهِدِ مُقْفِرًا  
أَمَاجِهُ وَالْبَرِّ حَيْثُ تَنْكَرًا  
أَبْدَأْ وَلَا عَنْ بَحْرِ جُودِكَ مَصْدَرًا  
يُزْجِيهِ نَحْوُكَ كُلُّ مَحْبُوكِ الْقَرَا  
يَبْقَائِهَا فِي كُلِّ أَفْقٍ مُنْخَرًا  
قَلَقَ الْمَضَاجِعَ نَحْتِ جَوِّ أَكْدَرَا  
سَكَنَ اللَّيَالِي وَالنَّهَارَ الْمُتَبَصِّرَا  
أَشْلَاوَهُنَّ كَيْشَلِ أَنْصَافِ الْبُرَا  
بِمَا ثَلَاثِي أَوْ ثَلَاثِي مُنْذَرَا  
دُونَ ابْنِ حَبِيٍّ أَوْ غَوْتِ قَعْدَرَا  
يُبْنَاكَ يَا بَدْرَ السَّمَاءِ الْمُفْجَرَا  
فَجَرَى فَأُورِقَ فِي يَدَيْكَ وَأَثْمَرَا

١ راجع بعض هذه القصيدة في «الذخيرة» لابن بشام (ج ١/١، ص ٥٦ - ٥٨).

فلئن صفا ماء الحياة لَدَيْكَ لِي  
ولئن خَلَعْتَ عَلَيَّ بُرْدًا أَخْضَرَا  
ولئن مددتْ عَلَيَّ ظِلًّا بَارِدَا  
وكفى لِمَنْ جَعَلَ الْحَيَاةَ بَضَاعَةً  
لَهْفَانُ لَا يَرْتَدُّ فِي أَجْفَانِهِ  
أَبِي لَا تَذْهَبْ بِنَفْسِكَ حَسْرَةً  
فلئن تَرَكْتَ اللَّيْلَ قَوْفِي دَاجِيًا  
ولقد وردتْ مِيَاهُ مَا رَبِّ حَقْلَا  
ونظمتْ لِلْفَيْدِ الْحَسَانَ قَلَانِدًا  
وحللتْ أَرْضًا بُدِّلَتْ حَصْبَاوُهَا  
وَلَتَعْلَمَنَّ الْأَمْلاكُ أَنِّي بَعْدَهُم  
وَرَمَى عَلَيَّ رِدَاءَهُ مِنْ دُونِهِمْ  
ضربوا قِدَاحَهُمْ عَلَيَّ فَفَازَ بِي  
مِنْ فَكٍّ طَرْفِي مِنْ تَكَالُفِ الْفَلَا  
وكفى عِتَابِي مِنَ الْأَمِّ مَعْدَرَا  
ومسائل عِيتِي الرِّفَاقِ وَوَدَّه  
وبقيتُ فِي لَجِجِ الْأَمَى مُتَضَلِّلَا  
كَلَّا وَقَدْ آتَسَنْتُ مِنْ مُوَدِّ هُدًى  
والحارثَ الْجَفْنِيَّ مَنُوعَ الْحُمَى  
وَحَطَّطْتُ رَحْلِي بَيْنَ نَارِي حَاتِمِ  
ولقيتُ زَيْدَ الْحَيْلِ تَحْتَ عَجَاجِهِ  
وعقدتُ فِي يَمَنِ مَوَاتِقَ ذِمَّتِهِ  
فَبِمَا شَرَفْتُ إِلَيْكَ بِالمَاءِ الضَّرَى  
فلقد لبستُ إِلَيْكَ عَيْشًا أَعْتَبَرَا  
فلنكم صليتُ إِلَيْكَ حَرًّا مُسْعِرَا  
ورأى رِضَاكَ بِهَا رَخِيصًا فَاسْتَبْرَى  
إِلَّا تَذَكَّرَ عِبْرَتِي فَاسْتَعْبَرَا  
عن غُولِ رَحْلِي مُنْجِدًا أَوْ مُغْوَرَا  
فلقد لقيتُ الصُّبْحَ بِعَدَاكَ أَزْهَرَا  
واسست خِيَلِي وَسَطَ جَنَّةٍ عَبَقَرَا  
من تَاجِ كِسْرَى ذِي الْبَهَاءِ وَقَيْصَرَا  
ذَهَبًا يَرُوقُ لِنَاطِرِي وَجَوْهَرَا  
أَلْقَيْتُ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جُوفِ الْفَرَا  
مَلِكٌ تَخَيَّرَ لِلْعُلَى فَتَخَيَّرَا  
من كَانَ بِالْقِدْحِ الْمُعْلَى أَجْدَرَا  
وَأَجَارَ مِنْ طَرْفِي تَبَارِيحَ الشُّرَى  
وتذممتُ مِمَّنْ تَجَمَّلَ مَعْدَرَا  
لو تَنَبَّذَ السَّاحَاتِ رَحْلِي بِالْعَرَا  
وعدلتُ عَنْ سُبُلِ الْهُدَى مُتَحَيَّرَا  
وَلَقَيْتُ يَعْزُوبَ فِي الْقُبُولِ وَحَيْبَرَا  
بِالْحَيْلِ وَالْأَسَادِ مَبْذُولَ الْفَرَى  
أَيَّامَ يَقْرِي مُوَسِّرَا أَوْ مُعْسِرَا  
تَكْسُو غَلَاظُهَا الْجِيَادَ الضُّمَرَا  
مشدودة الأسبابِ مُوَثَّقَةَ الْعُرَى

القناة من الشفاف ، جنح إلى الاستقرار ببلنسية ، إلى أن لحقته بها الحادثة . فأسير وبقي عند العدو "مدة" . ثم سنى الله خلاصه بقلعة الطمع فيه لذهاب ذات يده ؛ فلقى بشاطبة ؛ ثم عاد إلى بلنسية ؛ فأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٠٧ هـ ؛ وقد نيف على التسعين سنة . وكان - رحمه الله - فصيح القلم ، ظريف التوقيع ، خفيف الروح ، عذب النادرة والفكاهة ، حسباً يظهر ذلك من كتابتي « الفلاذ » و « المطمح » .

### ذكر شيء من حديث ابن عبد العزيز

وكان الوزير أبو بكر بن عبد العزيز أحد رجال الكمال بالأندلس ، وعين بلنسية التي بها تبصر ، ولسانها الذي تسهب به وتختصر . وكان طاغية الرؤوم ، الممارس لرؤساء أهل الأندلس بكثرة مداخلتهم إياه في أمر بلادهم ، يقول إذا جرى ذكره : « رجال الأندلس ثلاثة ! » ، فبعد فيهم ابن عبد العزيز . ولما فر المتوكل بن المقتدر بن دنثون عن طليطلة ، وسوغها لصاحب قشتالة ، لجأ إليه ببلنسية ؛ وقد كان بها وزيراً لأبيه ؛ فكفقه وقام بأمره . وكانت آثار ابن عبد العزيز على الجملة جميلة ؛ وكان ثانياً لأبي الحزم بن جهور وشيهاً له في الجهة الشرقية ؛ حمل جهته على سداد ، وقام بها بحال الاستبداد ؛ فطاول الحبال والآكام ، وقتل السيوف بالأفلام . وكانت وفاته ببلنسية في العشر الأواخر من جمادى الأخيرة سنة ٤٥٦ هـ . وأخبار ابن عبد العزيز شهيرة ، وأدابه في الشهرة الشمس في الظهيرة .

### أيام القاضي أبي أحمد بن حجاج

#### رئيس بلنسية

وهو ثالث القوم : ابن عبد العزيز وابن طاهر ، وفي غظمهم . وكان قاضي حضرة بلنسية ؛ وله فيها الأصالة الماحدة ، الناطقة بالقدم الشاهدة . وكان قد سيم إضافة عدو الله الكنيطور ببلنسية وسومه أهلها خطئة الحسف وسيم الذل . وضاق صدره بحفيد ابن دنثون المنتقل إليه بعد تمكن النصارى من طليطلة ؛ فقوي بمكان دولة اللثوثيين ، وانتل على أيديهم كشف الميعة والخروج من ذل الكنيطور متعبد أهل بلنسية وحالب ضروع جباياتها بصرامته . فاستدعى محمد بن عائشة قائد يوسف بن تاشفين ؛ فوجه إليه جمعاً من المرابطين ، وبرز الناس إلى لقائه .

وفر عند ذلك حفيد ابن دنثون من قصره ، وثار البلد به ؛ وغير عليه ؛ فقتل بأمر القاضي ابن حجاج ، كما تقدم . وتمت بمقتله الرئاسة في البلد لابن حجاج ؛ فرتب الأجناد والخدمة ، واستشعر أهله الملك ، وعين الألقاب ، وحذا حذو ابن عباد بإشبيلية ؛ فلم تساعده الأيام .

وخاطبه عدو الله الكنيطور ، هنيه على ما نهي له ، وفي قلبه من استظهاره بسطان لثوثية النار المضرة ؛ وأخذ يعرض له بالحسنة التي اكتسبها في شهر صومه من قتل سلطانه ، ويطلب إليه بالأطعمة التي كانت له بحصون بلنسية ، انتهت رجاله في حال الحادثة . فراجع أن البلد لأمر المسلمين يوسف بن تاشفين ، والأطعمة قد انتشبت . فكتب إليه الكنيطور ، يقسم بمحرجات أيمان دينه ألا يروح عن بلنسية حتى يظفر به ، وبأخذ ثار ابن دنثون . وخاطب من يجاوره من أهل



وَحَطَّطْتُ بَيْنَ جَفَانِهَا وَجُفُونِهَا  
تِلْكَ الْبُذُورُ تَتَابَعَتْ وَخَلَّفَتْهَا  
وَلَقَدْ سَمَوْتُ وَلَادَةً وَسِيَادَةً  
أَهْدَى إِلَى شَعَفِ الْقُلُوبِ مِنْ أَهْوَى  
وَمَشَاهِدِ لَكِ لَمْ تَكُنْ أَيَّامُهَا  
لَا قَبْتَ فِيهَا الْمَوْتَ أَسْوَدَ أَدْهَمًا  
وَلَوْ اجْتَلَى فِي زِيٍّ قَرْنِكَ مَعْلَمًا  
يَا مَنْ تَكْرُمٌ بِالتَّكْبِيرِ قَدْرُهُ  
وَالْمُنْذِرُ الْأَعْدَاءَ بِالْبُشْرَى لَنَا  
مَا صُوِّرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ وَحَتَّى يَرَاكَ اللَّهُ فِيهِ مُصَوَّرًا

وعلى ما تقرَّر من قَتْلِ مُنْذِرٍ أَكْثَرُ الْحِكَايَاتِ ؛ إِلَّا أَنْ حَاجِبَ  
« الْمُغَرَّبِ » ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ فِي سَنَةِ ٤٣٨ هـ حَدِيثَ آلِ الْمُنْذِرِ ؛ فَقَالَ مَا  
نَصُّهُ : وَذَلِكَ أَنَّ أَمْرَ سَرَفِ سُلْطَةِ كَانَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ التَّحِييِيَّيْنِ يُسَمَّى مُنْذِرٍ  
ابْنِ بَحِيٍّ ؛ فَكَانَ مِنْ قُوَّادِ الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ ، وَمَاتَ فِي أَمَدِ الْفِتْنَةِ ؛ فَوُتَّ  
مُلْكُهُ ابْنُهُ بَحِيٍّ بْنُ مُنْذِرٍ ؛ وَكَانَتْ سِنُهُ فِيمَا ذُكِرَ تِسْعَ عَشْرَةِ سَنَةً ؛  
فَنَسِمَى بِالْحَاجِبِ مُعِزُّ الدَّوْلَةِ ؛ فَاحْتَقَرَهُ بَنُو عَمِّهِ ، وَتَوَاطَعُوا عَلَى قَتْلِهِ  
مَعَ كَبِيرٍ مِنْهُمْ كَدَخَلَ يَوْمًا لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ ؛ فَضَرَبَهُ بِسِكِّينَ فِي صَدْرِهِ ، كَانَ  
سَبَبَ مَوْتِهِ . وَخَرَجَ هَذَا الْقَاتِلُ ؛ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ بَنُو عَمِّهِ ، وَوَلَّوهُ أَمْرَهُمْ ؛  
وَكَانَ عَاهِرَ الْفَرَجِ ؛ ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى النِّسَاءِ الْحَمَامِ ؛ فَانْكَرُوا  
فَعَلَّهُ . وَقَامَ عَلَيْهِ أَهْلُ سَرَفِ سُلْطَةِ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ ؛ فَخَرَسَ فَارَدَ نَفْسَهُ ،  
وَأَقَامَ أَهْلُ سَرَفِ سُلْطَةِ دُونَ أَمِيرٍ ؛ فَبِعَثُوا إِلَى سُلْجَانَ بْنِ هُوْدٍ ؛ فَوَلَّوْهُ  
عَلَى أَنْفُسِهِمْ ؛ فَبَقِيَ أَمِيرًا إِلَى أَنْ مَاتَ .

فَلَنْ كَانَ مَا ذُكِرَهُ صَحِيحًا ، فَيُظْهِرُ أَنَّ مُنْذِرَ بْنَ بَحِيٍّ وَلَّى بَعْدَهُ وَلَدًا

لَهُ أَوْ أَخٌ سَمِيَ لِأَبِيهِ . فَجَرَتْ عَلَيْهِ الْحَادِثَةُ الشَّبِيهَةُ بِالْحَادِثَةِ عَلَيْهِ ؛ وَإِلَّا ،  
فَهُوَ وَهُمْ مِنَ الْمَوْرُثِ . وَالْمَشْهُورُ فِي نَوَازِ الْأَنْدَلُسِ وَمُلُوكِ الطَّوَانِفِ إِذَا  
هُوَ مُنْذِرُ بْنُ بَحِيٍّ .

### ذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ حَدِيثِ بَنِي طَاهِرٍ بِمَرْسِيَةِ

وَكَانَ هَذَا الْبَيْتُ بِمَرْسِيَةِ بَيْتِ أَعْلَامٍ ، وَحَمَلَتْهُ سَيُوفٌ وَأَقْلَامٌ . فَلَمَّا  
تَفَرَّقَتِ الْجَمَاعَةُ بِقَرْطَبَةٍ ، وَجَرَتْ الْحَادِثَةُ عَلَى الدَّوْلَةِ الْعَامِرِيَّةِ ، وَلَجَأَ فِتْيَانُهَا  
إِلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْتَقَرَّ مِنْهُمْ خَيْرَانِ الْعَامِرِيُّ بِمَرْسِيَةِ ، ثُمَّ اتَّزَعَجَ  
عَنْهَا حَسَبًا يَنْبِيئِينَ فِي مَوْضِعِهِ ، تَغَلَّبَ عَلَيْهَا الرَّئِيسُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ  
طَاهِرٍ ؛ وَكَانَ صَدْرَ زَمَانِهِ ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ فِي بِلَاغَتِهِ وَبَيَانِهِ ؛ فَأَجْرَى  
أُمُورَ بَلَدِهِ ، وَذَهَبَ فِيهَا مِنَ الْعِزِّ إِلَى أَمَدِهِ ، مُسْتَعْنِيًا بِوَفَائِرِ نَشِيهِ ،  
وَسَائِرٍ مِنَ الْحَزَنِ فِيهَا عَلَى مَذْهَبِهِ ، إِلَى أَنْ فَسَدَتْ بِهَا حَالُهُ مَعَ جِيرَانِهِ ؛  
فَحَسَدُوهُ ، وَمَوَزَدَ الرَّدَى أَوْرَدُوهُ ، وَخَاطَبُوا الْمُعْتَبِدَ عَلَى اللَّهِ مُحَمَّدَ  
ابْنَ عَبَّادٍ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ وَزِيرَهُ ابْنَ عَبَّادٍ ، وَابْنَ رَشِيْقٍ قَائِدَ عَسْكَرِهِ .  
وَنَارَ الْبَلَدُ عَلَى ابْنِ طَاهِرٍ ، وَتَغَيَّبَ عَلَيْهِ ؛ وَاسْتَوَى ابْنُ عَبَّادٍ عَلَى  
مَرْسِيَةِ . وَسَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الْقِيَامَ بِهَا عَلَى الْمُعْتَبِدِ ؛ وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْجَيْشَ ،  
وَخَاطَبَ ابْنَ رَشِيْقٍ فِي شَأْنِ الْوُثُوبِ بِهِ . فَتَوَصَّدَ غَيْرَتُهُ ، وَقَدْ خَرَجَ عَنْ  
مَرْسِيَةِ ؛ فَمَلَكَهَا ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ بِهَا إِلَى نَفْسِهِ ، حَسَبًا لِقَدَمَتِ الْإِشَارَةِ  
إِلَيْهِ . وَتَنَازَعَتْ فِي هَذِهِ التَّقْلِبَاتِ الْخُرُوجُ مِنَ الْإِعْتِقَالِ لِابْنِ طَاهِرٍ ؛ فَلَحِقَ  
بِابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ جَارِهِ بَيْتَنَسِيَّةً ، وَهُوَ أَيْضًا كَبِيرٌ ذَلِكَ الْقَطْرِ ، وَعَيْنُ  
الْأَعْيَانِ ، وَالْمَشَارِ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ .

قَالَ الْقَتْنُحِيُّ فِي « الْقَلَانِدِ » : « وَعِنْدَمَا خَلَصَ مِنْ ذَلِكَ الشَّقِّ ، خَلُوصًا

١ راجع « القلاند » ( ص ٥٧ ) .

الحصون ، الذي لا طاقة له . يستبِدُّ الأقوات للمحنة .

ثم كاد الكنسيطور عدو الله ابن جعاف ، وخدمه ، وداسلته في إقامة أوداه وتوطيد ملكه : إذا صرف اللثمونييين وأزعجهم ، إنَّه يسوع استبداده بالملك ، ويقيسه مقام ابن دنون ، ويقايل عنه من يريده ؛ وكان استنقل القوم وضاق بؤنتهم ؛ فعزل . وعند ذلك استنصر في النصيق عليه ؛ فعظم الغلاء ، وتضاعف البلاء ؛ واستصرخ بأمير المسلمين يوسف ابن تاشفين ؛ فبعث إليهم جيشاً عظيماً ، أتيح للكنسيطور عليه الظهور . فأيقن الناس بالهلكة .

واشدُّ عليه كَلْبُ العدو إلى أن استأمنوه لأنفسهم . وخرج إليه ابن جعاف ، وأحكم معه العتد ؛ ودخل العدو المدينة في جمادى الأولى من سنة ٤٨٧ . ونجسرت إليه جيوش المسلمين ثانية ؛ فما أغلقت وفازت بها قدامه . ولما تكثرت فيها ، سام أهلها سوء العذاب ، واستخلص أموالهم ، وأذاقهم وبال أمرهم بما هو معروف . واعتقل القاضي أبا المطرّف جعفر ابن جعاف ، وعم بالثكنة جميع قرابته وأهلته ، وطلبه ببال تحفيد ابن دنون . فلما استصفى جميع ماله من ظاهر وباطن ، أمر بإضرام النار . وسبق القاضي أبو المطرّف يوسف في قيوده بين أهله وولده ؛ وقد حشر الناس من أهل الملتين . وقال الكنسيطور للملّا : « ما جزاء من قتل أميره عندكم في شرعكم ؟ » فصموا ؛ فقال : « أما نحن ، فجزاؤه عندنا الإحراق ! » وأمر به وبجملته إلى تلك النار ؛ وقد لفت الوجوه على المسافة البعيدة . فخرج المسلمون والنصارى ، ونشروا إليه في ترك الأطفال والعبيد ، إذا لا ذنب لهم ؛ فأستغفرت الرغبة بعد جهنم ومسددة . واحتفر للقاضي أبي المطرّف حفرة ، وأدس فيها إلى حجرة وسوي التراب نحوته وضمت إليه النار . فلما لفت وجهه قال : « اسم الله الرحمن الرحيم ! » ثم ضمها إلى جسده ؛ فاحترق . رحمه الله . ولم يكن

غضب عليه إلا لاجتهاده في طلب النصر ، ودفعه وإنه بالمطاوله ، رجاء في استنساك البدة للإسلام ، واستبقاء الكلمة فيها .

وعند بعد إحراقه إلى الجلطة من أهل بلكنسية ؛ فتقهم بحال تفرقهم بين سجون الرجال منهم والنساء ، يجاوب عراخهم أمام المحنة ، حتى استأصل جميع ما عندهم . وجعل الناس في الضغط أسرة على طبقاتهم . وهلك في التفاف خلق كثير منهم - رحمه الله - في أعزبات السنة .

## ذكر شيء من أخبار بني رزين

قال ابن حبان : وقد ذكر أبا مروان بن رزين الملقب بحسام الدولة : كان جدّه هذيل بن خلف بن لبّ بن رزين صاحب السهلة ، موطنة ما بين الثغرين الأعلى والأدنى من قرطبة . وكان من أكابر براب الثغر ، ورث ذلك عن سلفه . ثم ساء لأول الفئمة إلى اقتطاع عمته . والإمارة بجماعته ، والتشبه بجاره إسماعيل بن دنون في الشرود عن سلطان قرطبة . فاستوى له من ذلك ما أراد هو وغيره ، إلا أنه كان مع تعزّزه على هشام ، لم يخرج عن طاعته ، ولا وافق مُنذراً وأصحابه على القائل عليه ، إلى أن ظفر سليمان بهشام المؤيد المخلوع أخير القوم بقرطبة ؛ فسلك مسلكهم . ورضي منه بذلك سليمان ، وعقد له على ما في يده لعجزه عنه . وغرّاه منه مُنذِر بن يحيى ، ورضع فيه ؛ فأجره منه منعة معقله ، وسو من بهرة الفئمة أكسبه وقته . ونحطته الحوانث بقوة تسعده ؛ واقهر مع ذلك على غلبته المرسوم بولاية والده . وترك التجاوز حرا . والامتداد إلى شيء من أعمال غيره . فاستقام أمراءه ، وغشّ بداهه وبنوا بعدد جمهور الثوار بالأندلس لمدة الحياة .

وليس في بلد التغر أخصب بفعة من سهلته المنسوبة إلى بني كزير  
سلفه ، لاتصال عبارتها . فكثير ماله إذ ناعى جاره وشبيهه إسمايل بن  
دنون في جمع المال ، وفاقسه في خلال البخل وفرط القسوة . وكان  
شاباً جميل الوجه ، حامي الأنف ، غليظ العقاب . صار إليه أمر والده  
منبعث الفتنه ، وهو فتى ما اجتمع وجهه ؛ فأنجده الصبا على  
الجهالة ، وقواه الشباب على البطالة ؛ فبعد في الشرود شأوه ؛ ولم يحالف  
أحداً من الأمراء على أداء الإتاوة ، ولا حظي امرأة الفتنه منه بسوى إقامة  
الدعوة فقط ، إلى أن مضى بسيله . والأخبار متتابعة بجبهله وفظاظته ،  
حتى زعموا أنه سطا بوالديه وتولى قتلها بيده . وكان بارع الجبال ،  
حسن الخلق ، أرفع الملوك همة في اكتساب الآلات ؛ وهو أول من  
بالغ في الأندلس في شراء القينات المشهورات ؛ فكانت سائرته أرفع  
سائر الملوك بالأندلس .

وتصير أمره إلى الحاجب ذي الراسيتين أبي مروان عبد الملك بن كزير  
ابن هذيل حسام الدولة ؛ وعندئذ احتفل بمجدهم ، وبلغ النهاية في  
الإشراف نجدهم .

ذكره القتيبي في « الفلاند » فقال : ورث الرياسة من ملوك أعدوا  
مؤازرهم ، وشدوا دون النساء مأزورهم ، لم يتوشحوا إلا بالحنائل ، ولا  
جنعوا للبأس إلا في أعين الصبا والحنائل ، وركبوا الصعاب فذللوها ،  
وابتغوا سبباً للنجوم حتى انتعلوها ؛ فلكوا الملك بأيديهم وعقلوه من  
النجدة بقيد . وكان ذو الراسيتين منتهى فخارهم ، وقطب مدارهم .  
وأما شعره ، فأخبر الكاتب أبو جعفر بن سعدون أنه أصبح يوماً  
بحضرة ولده رشح ، وللربيع على وجه الأرض فرش ، وقد صقل الغمام  
الأزهار حتى أذهب غشها ، وسقاها فأروى عطشها ؛ فكتب إليه :

١ راجع « الفلاند » ( ص ٥١ - ٥٢ ) .

[الطويل]

قد ينالك لا بسطيمك النظم والنثر  
فأنت ملك الأرض وانفصل الأثر  
مرينا نذاك العمر فاهل صيباً  
كما سكبت وطفاء أو فتق الزهر  
وجاء الربيع الطلق بندى غضارة  
فحيثك منه الشمس والروض والنهر  
وما منهم إلا إليك اتبأوه  
جيبك والحدود المتمم والبشر  
خلا منك دهر قد مضى بعبوسه  
فلما أتت أيامك ابتسم العسر  
فبشرت آمالي بملك هو الوركى  
ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر  
فأجابه :

إليك فلولا أنت لم ينظم الدر  
ولا التام في مدح نظام ولا نشر  
إذا قلت لم ينطق فصيح مدرّب  
ولا ساع في سبع غناء ولا زمر  
لك السبق كم روضت من عاطل الربي  
وحللت من سحر وقد حرم السحر  
ولما ملكك القول قسراً وغنوة  
أطاعك جيش النظم وانتمر النثر  
فلا نخل إلا ما تقول بديهة  
ولا خمر ما لم تأت من فمك الحمر

وكبا به فرسه يوماً ، وقد ركب منصداً ؛ فسقط سقطه أو هكت  
قواه ، ودعته إلى ملازمة مشواه ؛ وبلغه أن أحد حساده شتم بوقعته ،  
وسر بصرعته ، فقال :

[البيط]

إني سقطت ولا جبن ولا خور  
وليس يدفع ما قد شاءه القدر  
لا يشرق حسودي إن سقطت فقد  
يكبو الجواد وينبو الصارم الذكر  
هذا الكسوف يرى تأثيره أبداً  
ولا يعاب به شمس ولا قمر

١ راجع « الفلاند » ( ص ٥٤ ) .

## ذكر بني قاسم أصحاب مدينة البنت

منهم نظام الدولة عبد الله بن قاسم الفهري. ولم تول في أيديهم من أول الفتن. وكان أول من تأثّل بها، وبني الرياسة لقومه بسببها، عبد الله هذا المذكور، إلى أن هلك سنة ٤٢١. ثم ولي بعده محمد ابنه الملقب بيمين الدولة؛ واستمرت أيامه فيها في جيلة نوار الأندلس وأولي طوائفها إلى سنة ٤٣٤. ثم ولي بعده ولده أحمد بن محمد بن عبد الله، الملقب بعزيز الدولة.

قال أبو مروان بن حيان عند ذكره: وألقاب سلفه مياسم مهولة لمن حفظه من الدنيا عدة حربه، تحيط عينه بها من فوق مراقبته؛ فهلك هذا الفتى بمرقبته الشاهقة ولم يمل له بعد أبيه. وكان موته في رجب من هذه السنة. فنصب أصحابه بعده ابنه صبيحاً ابن سبع سنين أو نحوها، يسمى محمداً، وسماه بالإمارة مكانه، وتخطوا بها عمومته، إذ آثره بها شيخ دولتهم المسمى بقاسم، جد هذا العلام أبو أمه؛ ودبر الأمر باسمه شهوداً ليلبقي النعمة على ابن ابنته المؤثر، إلى أن يدرك؛ فأنتف عنه ابن محمد من ذلك، وواطأ في السر جماعة من أصحاب أخيه على الوثوب بقاسم هذا، وإزالة أمر ابن ابنته، والكون مكانه، خوفاً على ما في أيديهم. فتهبأ له ذلك، فجا بلفغي، آخراً هذه السنة. ووثب بقاسم؛ فقيده وحبه. وصرف الصبي ابن أخيه إلى حجر أمه، ونكحها. فاستصلح إلى والدها المحبوس في يده، وخلص عنه، وأعادته إلى حاله مع أخيه صهر الأول. وقام بالإمارة مقام أبيه هالكاً؛ فانظمت له سريعاً. واستصلح إلى الملوك حولته، ونسب نظام الدولة؛ فانصلت ولايته.

وقلت: هؤلاء الرؤساء أشهر ممن كان على إثر انقراض الدولة الأموية من رؤساء الطوائف بالأندلس، ما بين متناهي الخلافة، مجاري كبار الملوك في اتساع الحطة، وكثرة الجباية، وتوفر الجيش، وانتشار الشهرة، واحتفال المباني والآثار، واستخدام الكتاب والشعراء، ومحاوره العلماء، واختيار القضاة الفضلاء، كني بني عبّاد، وبني هود، وبني دنون، وبني الأفتطس، وبني منذر، وبني جهور، من أخذان السداد والعافية، ومن أمثالهم بني أبي عامر.

وكان على عهد هؤلاء جيلة لم تبلغ هذا المدى في الشهرة، ولا برزت في تميدان الذكر. منهم: ابن أبي الحجاج الشثياطي، القائم بمدينة لاردة.

ومنهم: أبو الأصبع بن مزين، وموسى أخوه؛ وكان أبوهما قاضي شلب وحضون العرب، تسمى أحدهما بالمظفر، وانفرد بالأمر دون أخيه، إلى أن غلب عليه المعتضد سنة ٤٤٣؛ فكانت مدتهم تسعاً وثلاثين سنة.

ومنهم: أبو عيسى بن الجون، صاحب قلعة عبّاد السلام من الشعير قرب وادي الحجار.

ومنهم: سعيد بن أحمد بن كنفل الجسائي، المنتزعي بقلعة سقورة المنية من أطراف حيان.

ومنهم: عبد الحميد بن منشور الدائيري. ومنهم: يحيى بن غرّان الدائيري المنتزعي بصخرة ابن الشرف المسماة بقرايش، على باب قرطبة. والدائيري والدواير عبد أهل «أندلس» الصعلبيك الذين يثرون في الحصون، فيقطعون الطرقات ولا يعطون طاعة.

ومنهم: ابن بطال، صاحب حصن الشوط من مويطة كنوك العرب.

ومنهم : المعروف 'بابن أخي حصّاد ، صاحب القلعة المنسوبة إليه  
وسط كورة سدّونة ؛ إلى عددٍ كثيرٍ شقّ علينا ذكرهم مع عدم  
الشهرة ، وضؤلة الشأن .

ومنهم : عبد العزيز البكريّ أبو مصعب ، صاحب شلّطيش ؛  
استمرّت حاله في رفاعه من العيش لرضى أهل بلده به ، إلى أن تحرّك إليه  
ابن عبّاد ؛ فرأى أبو مصعب أن ليس له قدرة على مدافعتيه ؛ فخرج عنها ،  
وانتقل إلى قرطبة بأهله وولده .

ومنهم : أبو نصر بن يحيى ، المتسمّى بالحاجب ، ولي بعد أخيه بنواحي  
لبلة وولبة وجبل العيون ؛ وكان رخيّ البال ، صالح الأحوال ، إلى  
أن أخرجه عنها ابن عبّاد . وكانت مدة بني يحيى خمساً وأربعين سنة .  
وقد مرّ ذكر ابن عبّاد وابن كرشيق . ونحن نذكر بعد هؤلاء من  
أمكن ذكره من موالي الملوك العامريين .

ذكر من تيسر

## من ملوك الموالي الامويين والعامريين

### أبام الفتى خيران العامري

نقول : انتهت الشهرة في هؤلاء الممالك العامريين إلى الأمير خيران  
بعد انقراض الدولة العامرية . وكان من تخطّته المتألف عند خلع هشام ،  
واستبداء سليمان بن الحكم على قرطبة ، وقتل من قبض عليه منهم .  
وأشجاء الفرار له عن الحفرة . وكان قد نال بباب هشام الرئاسة والقيادة  
على الصقلب ، والمشاركة في جباة الفحول النابئين عن الدولة ؛ فخلص من  
الحفرة مفلتاً ، بعد أن تضمّر بها وخفي مكانه ؛ وقد اتصل به انتزاع

أصحابه بشرق الأندلس ؛ فذهب إليهم عن توديع . وأبت له هيئته  
الانقياد لأحد من رؤسائهم ، إذ كان ، منذ صباه وفي دار سلطانه ، أشبههم  
أبناء جنسه نفساً ، وأغلاهم هيئة . فاستقرّ مصحّباً بن أخرجه من  
طرف كورة ثدّميير ، وكتب إلى جماعتهم من تحله ، يحبرهم بذهبه في  
التزول بمكانه بينهم وبين عدوهم من البرابرة ، ساداً لتغرّم ، ويسألهم  
الإعانة على ذلك ، حتى يذودهم عن كورة ثدّميير . ففعلوا . واستقرّ خيران  
بذروة أريولة ، وهي مثل في الحصانة والمنعة ؛ وأقبل إليه ثوابت الفئنة  
من الدابرة والصعاليكة ، أقدم بهم على الكثير ، وزاولّ جسام الأمور ؛  
فاعتلى قديمه ، واشتهر أثره إلى أن استولى على الجبهة .

ووجه إليه صاحب قرطبة موسى بن مروان بن حديّر ، وكان في  
الصرامة والجرأة آبه . وكانت بينه وبين خيران وأصحابه وقعة أجلت  
عن أمر موسى بن حديّر ، وقتل أصحابه ، ونصر خيران نصرّاً عزيزاً  
اعتلى به . ثم تغلب على مرسية ؛ فكشف جمعه . ثم صرف وجهه إلى  
طلب المرسية معقل الأندلس ؛ وكان بها أفلح الصقلبي من هؤلاء  
رجل جلف شديد العتوّ والجهالة ، مفرط النخوة ، لا يحسن التفرد  
والاستقلال بنفسه ، قد ذهب به العجب كلّ مذهّب ، ورأى لنفسه  
الفضل على سائر جنسه بالشيوخوخة وقديم الملكة . فاستهان الناس ؛  
فتعباً له خيران في جيشه من مرسية غرة المحرم سنة ٤٠٥ ؛ فنازلته ،  
ودخل المدينة ، وتغلب على القصة ؛ فقتل أفلح وولده ، وحاز ما  
وجد فيها من مال وعدة ؛ وهتف في رعيتها بالأمان ، واتخذ المدينة  
وطناً نزه بوجاله وماله ، واستخلف على ما انصرف عنه ، وعول على  
المرية ؛ فأحسن ضبطها ، وحصن قصبتها ، وسدّ عورتها ، إلى أن  
صيرها في الحد الذي هي اليوم فيه ؛ فلا يرّام التعالئ بها . واتخذها  
قاعدة لسلطانه ، وحدل إليها أموال عمّله ، وعدل في سيرته ، ورقق

برعيته ، واستوسع قلباً يليها من الأعمال ، وضبطها مع نفسه الأول بجيشه ورجاله . واستعان على تدبيره بوزيره الشهير الداهاء والرجاحة أبو جعفر أحمد ابن عباس بن أبي زكرياء ، إلى أن قال بصفته فوق ما قاله 'مجيل' قلم من صفة ملك ، حسباً هو مشهور .

وجرت بين خيران وبين 'من' 'بجاوده من أمراء صنهاجة بكورة الشيرة حروب' ؛ فلم يفلتوا من صرمة .

وله بالمترية الآثار الخالدة ، والحنات الشهيرة . فهو الذي أوصل إليها الماء ، وبني الحمة العجيبة . وفي أيامه بلغت من العبارة والقوة وفشو الصنائع ما هو مشهور . وكان مذهباً في الجود قصداً ، لم يشتهر بكرم ولا وسيم بلوم . وكان أغلب خلال الخير عليه كدهه وشجاعته وحصافته ؛ اجتمع له إلى شجاعة النفس جودة الرأي وحسن التدبير ؛ فكان يجري أكثر عمله في حروبه على المكث والتدبير والمخادعة ؛ وهو رأي أولي المعرفة بها من ملوك الخزمية . وكان مذهباً مع جلالة شأنه الحفص من حاله ، والقصد في أسائه ؛ فما كان يتسنى في شيء مما يتنافس فيه أملاك زمانه من ملوك الفتنة ، إلا ما كان من وصفه بالخليفة والفتى الكبير .

وإياه مدح شاعر الأندلس أبو عمرو أحمد بن كدر أج القسطلبي صدر سنة ٤٠٧ ، يصف محنته في ركوبه البحر إليه ببنييه ؛ وهي :

[الطويل]

لك الخير قد أوفى بعهدك خيران ، ويشترلك قد آواك عز وسلطان  
هو النجم لا يدعى إلى الصبح شاعداً ، هو النور لا ينعى على الشمس برهان  
إليك سحناً فلذلك تهوي كأنها ، وقد أغرت من مغرب شمس غرمان

١ : أوردها ابن بناء في « النخبة » ( ج ١ ) ص ١٧٤ - ١٧٥ .

على البحر الخطير إذا هبت الصبا  
موائيل ترعى في كذاها موائلا  
وفي كطي أسبال الغريب غرائب  
يركدن في الأحشاء بحر مصائب  
إذا غيض ماء البحر منها مذبذبة  
وإن سكنت عنها الرياح جرى بها  
يقطن وموج البحر والهمل والدجى  
ألا هل إلى الدنيا معاد وهل لنا  
وهبنا رأينا مغلهم الأرض هل لنا  
وصرف الردى من دون أدنى منازل  
تقسمن السيف والحيث واليلى  
كما اقتسمت أخذائهن يد النوى  
ظعان ، عمران المعاهد متغير  
فإن غربت أرض المغرب موطنى  
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي  
فإن بلاداً أخرجتني لعتل  
سلام على الإخوان تسليم آيس  
ولا عرفت خلأت دار خليل  
ويا رب يوم بان صدع سلامه  
نودعهم شوقاً بشجر كيشل ما  
ويصدع ما ضم الدواع تنفرت  
إذا شرق الحادي بهم غربت بنا

ترامى بنا فيها شير وثهلان  
كما عيادت في الجاهلية أوثان  
سكن شغاف القلب شب وولدان  
تريد ظلاماً ليها وهي نيران  
بدمع عيون تكتريين أشجان  
زفير إلى ذكر الأحبة حنان  
تسوج بنا فيها عيون وآذان  
سوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان  
من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان  
تباهى إلينا بالسرور وتردان  
وشطت بنا عنها عصور وأزمان  
فهم للردى والبتر والبحر إخوان  
لهن وقعر الأرض منهن عمران  
وأكرني فيها خليط وخيلان  
وأجزلت البشرى علي خراسان  
وإن زماناً خان عهدي لخوان  
وستقياً لدهر كان لي فيه إخوان  
غفا رسمها منها غفا ونسيان  
بصدع النوى أفلاك قلبي إذ كانوا  
أجابت خفيف السهم موائلا  
كما انتشبت تحت العواصف أغصان  
نوى يومها يؤمان والحن أحيان

فلا مؤنس إلا شهيق وزفرة  
فيا عجباً للصبر منّا كأننا  
قضى عيشهم بعدى وعيشي بعدهم  
وجوه نثأت في البلاد قبورها  
وما بليت في التوب إلا تجددت  
ومنها :

هم استخلفوا الأحباب أمواج لجة  
أقول لهم صبراً لكم أو عليكم  
فلا قنط والعسر للبشر غالب  
ولا بأس من روح وفي الله مطمئن  
ستسون أهوال العذاب ومالكاً  
متى تلتخطوا قصر المربة تنزلوا  
وتستبدلوا من موج بحر شباكهم  
تقلد سيف الله عنا بحقه  
وحلى بناج العز مفرق نجت  
وبالخير فلاح وبالخير عائد  
له الكربة العراء عن كل شارد  
بكل كسي عامري يقوده  
حليهم بيض الصوارم والقنا  
ترآك حزب الغي فيهم فأقبلوا  
فأي حقور قليت أي أعين  
عيونها كادوا العلى بعنائها  
فهم في سبيل الرشد والغي عيان

ومنها :

فلكو نشير الأملاك يومك فيهم  
ولتو رد في المنصور روح حيان  
وناذيت للنجاء أبناء ملكه  
جبال إذا أرسيت حومة الوعى  
يقودهم داع إلى الحق مجلب  
كتائب بكل كسب بتصر كقطرت  
هو السيف لا تراب أنك سيفه  
حيالك قد أحييت متسا شائلا  
ونالك أسراراً وفاداك معلماً  
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ  
قليله ماذا أنجبت منك عامر  
وفاة منّا أهل يئت رمتهم  
وكلهم يزهى على الشمس في الضحى  
وقد راد أبناء السبيل وسيلة  
فما قصرت بي عن علاك شفاع

واعتل تخيران بالمربة أشهراً يقيم رسته للناس ابن عباس بن أبي  
زكرياء ، إلى أن توفي بها ليلة الجمعة ثلاث خلون من جمادى الأولى  
سنة ٤١٩ . وكانت مدة ولايته بها أربع عشرة سنة . وصار الأمر إلى  
زهير الفتى .

## أيام الفتى زهير العامري

ولما توفي خيران، اجتمع أحمد بن أبي زكرياء بأهل العقد والخل، وعرفهم بموت خيران، وبأنه قدم أخاه زهيراً. قال: فرضي الناس. وكان زهيراً فاضلاً، شهماً، داهية، سديد المذهب، مؤثراً للأناة، عالي الهبة. وكان خيران قد استقدمه، وهو أمير بمرسية من قبله، ورشحه لمكانه؛ فقام بالأمر أحمد قيام يوم الجمعة لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ٤١٩. ودامت مدته عشرة أعوام ونصفاً.

وله بالمرية آثار جميلة: هو الذي بنى المسجد الجامع بها، وزاد فيه الزادات من جهاته الثلاث ما سوى القبلة. وكان يشاور الفقهاء، ويعمل بقولهم. وامتدت أطناب ملكته من المرية إلى قرطبة ونواحيها، وإلى شاطبة وما يليها إلى بياسة إلى الفج من أول ملطينة.

ودبر أمر قرطبة منفرداً به أيام الفتنة والاستغناء عن الخلافة؛ وسكن قصرها يوم الأحد لحس بقين من شعبان سنة ٤٢٥. ودام سلطانه عليها خمسة عشر شهراً ونصف شهر، إلى أن فسد ما بينه وبين باديس بن حبوس من الحليف القديم؛ وراسلته معاتياً ومستدعياً تجديد المحالفة؛ فسارح زهير نخوة؛ قد ضيع الحرزم، واعتز بالمعجب، ووثق بالكثرة، أشبه شيء بمجيء الأمير الضخم إلى عامل من عماله، قد ترك رسم الالتقاء بالنظرأه، وأعرض عن ذلك كله. وأقبل؛ فتجاوز الحد بين العمليين من غير إذن باديس؛ وصير الأوعار والمضايق خلفه. ولما وصل إلى غرناطة، خرج باديس في جمعه، وقد أنكر اقتحامه عليه، وعده حاصلاً في قبضته؛ وبدأه بالجميل والتكريم، وأوسع عليه وعلى رجاله في القبرى والقصيم، بما يمكن اغترارهم؛

ووقعت المناظرة بين زهير وباديس؛ فنشأ عارض الخلاف لأول وهلة، وحمل زهير أثره على التشطط. فعزم باديس على لقائه؛ فتهياً، والحائز لا يشعر، وقطع في الطريق خلفه قنطرة لا يحيد له عنها، وغاداه عن تعبته محكمة. فدهش زهير وأصحابه؛ لكنه أحسن تدبير النبات، وقام. فنصب الحرب وثبت في قلب العسكر؛ وقدم خليفته هذيل بوجه أصحابه الموالي العامرية، وعرف صنهاجة أنهم الحماة والشوكة، ومتى خضدوا، لم يثبت من وراءهم؛ فاختلفوا بهم، واستند القتال. فحكم الله لأهل الطائفتين من صنهاجة، ليثري قدرته. فانهم زهير وأصحابه، وتقطعتوا؛ وعمل السيف فيهم؛ فمزقوا، وقتل زهير، وجعل مضرعه. وغنم رجال باديس من المال والخزائن والأسلحة والعدة والحلية والعلمان والحيام ما لا يحاط بوصفه.

وكانت وفاة زهير يوم الجمعة عقب شوال من سنة ٤٢٩ بقرية الفتنت من خارج غرناطة. واتصل خبر هذه الواقعة بأهل المرية؛ فضبطوا بلدهم، وأسندوا أمرهم إلى شيخهم أبي بكر الرميبي؛ فضبط المدينة إلى أن كاتبوا عبد العزيز بن أبي عامر المتقدم الذكر؛ فجاءها من بكنسية، حسباً ذكر في أسنیه.

## أيام أبي الجيش مجاهد العامري

ومجاهد العامري هذا، صاحب دانية والجزائر الشرقية، ذو الأخبار الفخمة والوقائع الشهيرة.

قال أبو مروان: كان أبو الجيش مجاهد يباين سائر الملوك في زمانه بجلال من الفضل، من أشعها العلم والمعرفة، اللذان لم يكن في



الأحرار ولا في الموالي أثبتت قديماً منه فيها ، يكاد يربي على متقلدتها من أكابر العلماء في وقته ، لاسيما علم العربية ؛ فإنه تحقق به ، إلى ما يتصرف من علم القرآن قراءته ومعانيه وعريبه وتفسيره ، قد عني بطلب ذلك من صباه إلى اكتماله ؛ فكان في النهاية من البصر به . وجب من الكتب ما لم يجتمع أحد من نظرائه . وأتت إليه العلماء من كل صقع ؛ فاجتمع بفناؤه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، كأبي عمرو المقرئ ، وابن عبد البر ، وابن معمر اللخوي ، وابن سيده ؛ فشاع العلم في حضرته حتى فشا في جواربه وغلبانه ؛ فكان له من المصنفين عدة يقومون على قراءة القرآن ، ويشاركون في فنون من العلم ، يجادلونه بها ويشرّفون دولته . ومنها التقدّم في الفروسيّة والحدق بتعانيها ؛ فلم يك في ملوك الزمان فارس يعدله سكتلاً ولباقةً ورواءً وهيباً ، وحسن عمل في السلاح ، وتقليلاً له ، إلى حدق أبواب الثقافة والرمابة ، وتذقيق لمعانيها .

وتسمى ، أول انتزاعه بالجزائر ، بذي الوزارتين خطيبه التي رفاة إليها بعض ملوكهم . وكان شديد الوطأة على رعيته ؛ سام أهل الجزائر الخسف ؛ فسقطا بوجههم ورواسيهم ، وألزم قلوبهم الرهب ، لما خافهم على دولته ، بغريب من التعبد والسياسة ، حتى لقد حظّر عليهم رماكهم السامية ، وكانت عمدة أموالهم ؛ فكتبها منعونة ؛ فلا تكاد الرمكة تنتج مهرأ حتى يكتب على ربه بنعته ويلزمه تربيته والقيام عليه إلى أن يصلح للرياسة ؛ فيقبض منه عند ذلك ، ويعطى منه خمسة دنانير كراهيم ، لا يزداد عليها في وقت ، ولا يبرأ منه إن نَقَّ إلا ببرأة من نِقته . ولقد قطع أذن رجل لقطعه أذن مهر ، طلب التشوية بخلفه .

وأكثر التخليط في ذات أمره ؛ فطوّرا ناسك مخيت ، متبرأ

من الباطل كله ، منقطع إلى الجدة وأهله ، لا يستريح إلا إلى جرة ، يقرأه ودفتر يطالعه ، أو عالم يذاكره ؛ وتارة لا يأنس بشيء من الجدة ، ولا يعرف غير البطالة واللغو . وكان مذهبه في الجود قسداً ، لم ينهيك فيه ، فيعزى إليه ، ولا كره عنه ، فيوصف بضده ؛ فأعطى وحرم وجاد وبخل ، ووضع الأشياء مواضعها ؛ فكأنه نجا من عبدة الذم . وكان مع أدبه وعلمه أزهة الأمراء في الشعر ، وأشكرهم على منشدته ، لا يزال يتعقبه بنقده ، كاشفاً عن لفظه أو شبهة أو سرقه أو إحالة ؛ فأفصرت الشعراء لذلك .

وغزاً - رحمه الله - إلى سرذانية جزيرة الرّوم ، وهي عظيمة ، مسيرتها ثمانية أيام ، وفيها ملوك أربعة من قبيل صاحب الأرض الكبيرة ؛ اقتحمها في مائه وعشرين مركباً حمل فيها ألف فارس ؛ ففتح أرضاً جليلة ، وضرب على بعض ملوكها جزية ، وتجاوز حده ؛ فاخطف مدينة واسعة شرع في بنائها ، وانتقل إليها بأهله وولده ، بعد أن غنم وسبى ما لا يأخذه الحضر ، إلى أن كسد في زمانه السي ، وخست فيه الأمان . وتداعى عليه ملوك الأرض الكبيرة واستجاشوا . وبلغه من أشرم ما لا يطيقه ؛ فعزم على التحول إلى محله ، والقفول إلى دار ملكه بدانية وميورة ؛ فأعجله العدو عن ذلك ، وقطع به . فكانت عليه وقعة شنيعة ، وظهور ما سبغ بميله ؛ فقتل من أصحابه وجنوده عالم لا يحصى ، وملكوا أسطوخته ، واستنقذوه ، واستولوا على حريمه ، وفيهم نساؤه وبناته وعلي ولدته وجود أمه النصرانية ، افتدي بعضهم سرياً ؛ وتأخر البعض كولدته علي ؛ فإنه وقع في سبهم صاحب الألمانين ، وهم أمه من الفرنجة تلي الصقالية ، بسبع أن دارعة مغاللتهم ثمانون ألفاً . فاحتبس به للباهة ، وأعتيا على والده فداؤه ؛ وقد بذل فيه عشرة آلاف ، إلى أن خلاص بعد زمن طويل . ولم يخلص

من أسطوله أجمعه إلا خمسة مراكب وأربعة قوارب ؛ وكان شحنة الأسطول المفلول من سبى سرذانية يوم ظهور العدو عليه ثمانية آلاف فارس .

وكان مجاهد قد نصب بجبل ملكه خليفة دعا الناس إليه ؛ وهو الفقيه أبو عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي المدني ، أعد من أزعجته الفئنة من رجال الأشراف بقرطبة . وكان في عدد الفقهاء المشاورين بها ؛ فنصبه خليفة ، وأخذ له على الناس البيعة في جميع عمله بدانية وميورة وغيرها ، وسماه المنتصر بالله ، وأثبت أسسه في سكرته وفي أعلامه ؛ وذلك في أول سنة ٤٠٥ ، وخلفه بدار ملكه . فلما عاد منكوباً من غزوه بسرذانية ألفاه قد استبد ، وداخل الناس ، وعمل على إبادته ؛ فبادر المعيطي عند وصوله إلى الساحل ، وهو ذاهل عنه ، وهجم عليه ، وأقامه عن مجلسه ، وقبض عليه وعلى من شابعه من أصحابه ، وتسلم منه سلطانه ، وعاتبه في سوء ما كفاه به ، وعده عليه يده ؛ فاعترف له بهومه به ، وقال : « بلغني ما أخذتته بعدي من العتب بالناس ، والاستئثار بالفتى ، والمجاهرة بالمعاصي ، فلم يسعني انتظارك ، وأردت قبض يدك عن ظلم العباد ؛ وعلى ذلك بآيعتني ، ولا هوادة لك عندي ! » أو كلاماً هذا معناه . فاحتكمه ، وصيره في البحر إلى أرض العدو ؛ فأنزله ببجاية ؛ واستقر عند البرابرة بها معلماً لصيبيهم ، لا يرفع رأساً إلى الدنيا . وطاولته هناك الحياة إلى أن هلك بعد مدة . وأصبح خبره للناس عبرة .

ولما هلك مجاهد الموفق ، قام بالأمر بعده ولده علي بن مجاهد المسبى بإقبال الدولة .

### أيام علي بن مجاهد إقبال الدولة

وكان مجاهد - رحمه الله - قد تم له افتكك من أسر له من بناته ونسائه وأخواته في مدة قريبة ، إلا والدته ، وكانت نصرانية ؛ فاختارت أهل ملتها ؛ وتبعنها أختها ؛ فأعرض عنها ، وأقام على ولده ؛ وكان يومئذ واحد وسبعة سنين ، إلى أن تها فكاكه سنة ٤٢٣ ؛ ووصل إلى جزيرة ميورة ، ثم إلى دانية ، وهو فتي كاهل ، يتكلم بلسان الروم الذين ربي فيهم ، ويتزيى بزيهم ، ويقول بقولهم . فعرض عليه والده الإسلام ؛ فقبله ، وحسن إسلامه ؛ وختنته ؛ فأصابه من ذلك مرض شديد . وبدت المجاهد فيه مخالب الشجاعة ؛ فتوكل بإرهاقه وتأديبه ، وألحقه بربة أخيه الأصغر المرشح لأمره ، وعول عليه دونه في قود جيشه ؛ ثم قلده الأمر من بعده ، صارفاً إياه عن ولده حسن فكان لهذا من الموقعة على أخيه ، ما ظهر أثره قبل انصرام حوله . وقد داخل حسن ابن عباد في أمر الوثوب عليه ، ووجه غلاماً من غلسمانه شجاعاً على سبيل الزيارة . ووقع اتفاقهم على الفتك بعلي عند خروجه من صلاة الجمعة ؛ فلما أمضى عزمه ، دهش ؛ فلم يجتهد عليه ، وأصابته المديّة يده ؛ فقبض على يده ؛ وأراد الغلام العبّادي أن يطعنه ؛ فنشب الرمح في الحائط لضيق المكان . وثاب لعلي بن مجاهد رجاله ؛ فقتل الغلام ، وفر حسن بن مجاهد راحضاً . واستبل الجريح بعد أيام ، واستقلاً بأمد أنه . طالت أيامه . وصاهر أمراء وقته على بنات له كن آية في الجمال .

وكان تاج الشعب في أبواب الجبابة والاكنتساب ؛ فلقد ذكروا أنه وجه إلى مضر مركباً ضخماً مملوئاً طعاماً عام المجاعة المضروب بها المتل

في البلاد عام ٤٤٦ ؛ فعاد إليه تملؤاً مالا وذخيرة . وجرى بينه وبين جاره وصهره ابن هود ما يطول شرحه ، حتى استولى على بلاد كانية . ثم حاصره بها إلى أن سأل أن يسلمه في نفسه وولده ، وينزل له عن القصر ، تاركاً لياه بفرشه وزينته . فكان ذلك في سنة ٤٦٨ . ونقلته إلى سرقيسطة ، وأقطعته إقطاعاً يؤنه ويقيم أوده . فكان آخر العهد به .

## ايام الاميرين مبارك ومظفر العامريين

### وَحَبَرُ حَيَاةِ الصَّبِغِ العامري

كان هاذان الفتيان قد ترقيا من وكالة الساقية ببلنسية إلى ملك الحضرة ، وإقامة رسوم السلطان بها لأنفسهما على أفنخهم الوجوه . وظهر من سياستهما وتعارفهما صيحة الألفة طول حياتهما ما فانا به في معنهما أشقاء الأخوة وعشاق الأحبة ، إذ نزلنا معاً بقصر دار الإمارة ، مختلطين تجتمعهما مائدة واحدة من غير تمييز في شيء إلا الحرمة خاصة . وكان التقدم لمبارك في المخاطبة برسوم الإمارة ، لفصل صرامة ونكراء كانتا فيه ، قصر عنها مظفر بدمامة خلقة ، وانخطاطه لصاحبه في سائر أمره ، على تحليته بكتابة ساذجة وفروسيّة . فبلكا الغاية من اقتناء الأسلحة ، والآلات الملوكة ، والحيل المفريات ، ونفيس الحلي والحلل ، وإشادة البناء للقصور . واشتمل هذا الرأي على جميع أصحابها ومن تعلق بها من وزرائها وكتائبها . ولم يعرض لهما عارض انتفاق ، بتلك الآفاق ؛ فانغمسا في النعيم على قعر رؤوسهما ، حتى انقض أمرهما .

ومن الذي يدل على ما ذكر من اشتراكهما في السلطان الاشتراك الذي لا مزبته فيه لأحدهما ولا انفراده دون صاحبه ، وهو من غرائب

ما اتفق لهما ، قول أبي عمرو بن دراج ، مدحهما : [الطويل]

أنورك أم أوقدت بالليل ناركا لباغ قراك أم لباغ جواركا  
وربكا أم عرف المجامر أشعلت بعود الكباء والألوة ناركا  
ومبسك الوضاح أم ضوء بارق حداه دعاهي أن يجود دباركا  
وطرّة صبح أم جينك سافراً أعرت الصباح نوره أم أعاركا  
وأنت أجرت الليل ، إذ هزم الضحى كتابه ، والصبح لما استجاركا  
فللصبح فبا بين قرطيك مطلع وقد سكن الليل البهيم خماركا  
فيا لنهار لا يغيظ ظلامه وبيا لظلام لا يغيظ نهاركا  
ونجم الثريا أم لآل تقست بينك إذ ضبختها أم يساركا  
بسلطان حسن في بديع محاسن يصد القلوب النافرات نفاركا  
وجند غرام في ضلوع صباية تقلدن أقدار الهوى واقتداركا  
هو الملك لا يلقس أدرك شأوها مداك ولا الزباء شقت غباركا  
وقادمة الجوزاء راعيت موهناً بحر هواك أم توسمت داركا  
وطيفك أسرى فاستثار تشوئي إلى العهد أم سوقي إليك استناركا  
ومرتد أنفاسي إليك استطارها أم الروح لما رد في استطاركا  
إذا الحظ بمن علم الكتاب حداك لي أم القلک الدوار مجمي اذكاركا  
وكيف كنت الليل وجهك مظلماً أشعرك أغشيت السنى أم شعاركا  
وكيف عسفت البید لا في طعائ ولا شجر الخطي حف شجاركا  
ولا أذن الحي الجبيع برحلة أراح لها راعي المخاض عشاركا  
ولا أزيحت خوص المهارى مجيبة صهيل جياذ يكتنفن قطاركا  
ولا أذكت الركبان عنك عيونها حذار عيون لا ينمن حذاركا  
وكيف وضيت الليل ملبس طارق وما ذر قرن الشمس إلا استناركا

وكم دون رجلي من بروج مشيدة  
وقد زارت حولي أسود نهامت  
وأرضي سيول من خيول مظفر  
بحيث وجدت الأمن جنت بالنا  
هلمي إلى سيفين والحد واحد  
هلمي إلى طرفي رهان قدما  
هلمي إلى قطبي نجوم كئيب  
وحي على دوحين مد ناهما  
وبشارك قد فازت قداحك بالنا  
شريكان في صدق المنا وكلاهما  
هما سبعا دعواك يا دعوة الهدى  
وسلا سيوفاً لم تل تلطي أذى  
ومنها بعد مدح كثير :

ولست ببدع حين قلت لهمي  
فلك صدق العزم آية غرة  
وبا تخلص التسويف قومي فأعندني  
فد آت إعطاء النوى صفقة الهوى  
وبا ستر البيض النواعم اعلمي  
ودونك أفلاذ الفؤاد فشري  
صرفت الكرى عنها بفتيق السرى  
فلن وجبت للمعربين وجوبها  
وإن خلع الليل الأصائل فاخلعي  
إلى الملكين الأكرمين عذاركا

بلنسية مثنوى الأمانى فاطمي كنوزك في أعطانها وادخاركا  
سينيك زجري عن بلاه نسيته إذا أصبحت تلك القصور قصاركا  
وأظفر سعي بالرضى من مظفر وبوركا لي في حسن رأي مباركا  
وحمداً يميني قد غملا بالنا وشكراً يساري قد حوت بساركا  
وقل لساء المزن إن شئت اقلعي وبا أرضها إن شئت غضي بحاركا  
ولا توحشي يا دولة البأس والندی مساهك من نورينها وابكاركا

واختص بهذين الرئيسين من كتاب الحضرة ، الذين ضاقت عنهم  
بسبب الفتن ، طائفة من الفضلاء البلغاء ، لو كيد الذمام المستحكم  
في دولتهم ، كأبن التاكروتي وابن مهلب وابن طلائوت : رتبهم في  
دولتهم مرتبة مشيخة الوزراء بقرطبة ، فكانا يرجعان إليهم في الرأي  
والمشورة والتدبير . ومضت أمورهما ومن معها خارجة عن طاعة  
صاحب قرطبة وغيره ، وادعة لدعوته . وآثروا ما آثره الناس من  
التفرّد بقطعتهم ، وجروا مجرى من حولهم من ملوك الأطراف في  
استكفاف أمراء الفتن إلى آخر أيامها .

قال المؤرخ : وكان موت مبارك منها بانه ركب يوماً من قصر  
بلنسية ، وقد تعرض له أهلها مستغيين من مال افتراضه ؛ فقال :  
« اللهم ! إن كنت لا أريد إنفاقه فيما يعم المسلمين نفعه ، فلا تؤخر عقوبي  
يومي هذا ! » وركب إثر ذلك ؛ فلما أتى القنطرة ، وكانت من  
خشب ، خرجت رجل فرسه من أحدها فرمى به أسقلها ، واعترضته  
خشب ثانية شذخت وجهه ، وسقط الفرس عليه ؛ ففاضت نفسه ، وكفاهم  
الله أمره . وثار العامة بهم ؛ فانتهبوا القصر ، وقتل مظفر .  
وانقضت أيامها .

وأما خيرة الصيقل ، فتأثر بشاطبة ، وهي المتعقل النبع ؛ فدبر

مبارك الخيلة عليه ، كما ينفرد بإمارة الجماعة دونه . وكان تسمية السخاء أغلب الخلال عليه ؛ فأحبته الرجال وأملوه ؛ واستقر عند اقراض الدولة العامرية بشاطية ؛ فامتنع بها ، ودبر أمره . وانتفق أن اجاز ببنسبة مبارك أحد المذكورين ؛ فتلقاء مبارك ، وبالغ في إكرامه ، ودعا إلى طعامه ؛ فأجابه مطمئناً ، وأكل عنده ؛ فذكروا أنه دس له سماً في بعض ما أكله ؛ فانصرف إلى شاطية فد أنكر نفسه ، واستعز به وجهه ، وهلك إلى أيام قليلة .

وتفرّد نائبه عبد العزيز بن أفلح السلطاني بضبط القلعة وتديبر أمر من فيها من الجند . وكان له المخطط إلى مبارك ؛ فلم يهجه ، وقنع منه بذلك ، وخلّاه على حاله ، إلى أن تصير أمرها بعد ذلك إلى يد مجاهد العامري . واشتد سلطان مبارك بتلك الجهة ، واستضم الرجال . ولادّ به لبيب الصقلبي العامري ، صاحب طرطوسة ، وقد طمع فيه منذر بن يحيى ، وواصل استخراجه ؛ فخرج إليه بنفسه في نحو خمسمائة فارس من نقابة الجندين ؛ فظهروا على منذر وهزموه هزيمة شنيعة ؛ وقتل ابن عمه وصفيّه محارب بن عيسى التحيي . وانصرف مبارك على إثر ذلك إلى بكنسية ، وقد استفحل أمره ، وملك جماعة الموالي ، ودنوا له ، إلى أن كان من هلاكه ما ذكر .

وهؤلاء نهباء مقتسمي الملك من بعد الجماعة بالأندلس ، وكبار الماليك العامرية . ونحن نذكر بعدهم من أمكن من مشاهير الرؤساء من الطائفة المغربيّة المسماة عند مؤرخي الأندلس بالطائفة البربرية .

### ذكر المشاهير من رؤساء الطائفة البربرية

وقد تقدّم ما كان من اختصاص كل واحد من رؤساء القبائل الغريين

بالأندلس بوطن من أوطانها عند مظاهرة سليمان بن الحكم وتغلبهم على الجماعة . ونحن الآن نذكر منهم كلاً على انفراد ، ونبدأ بكبيرهم زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي .

### دولة بني زيري بن مناد الصنهاجي

قد تقدّمت الإشارة إلى ما كان من قدوم زاوي بن زيري بن مناد على باب بني أمية ، وما كان من حرص الحكم بن عبد الرحمن على لحاق أصناف المغاربة وفتح باب القبول عليهم في ذلك ، وما كان من اعتدال ابن أبي عمير في هذا القرض وعمله بالاحتياط فيه ، وتخلّي ابنه المظفر عبد الملك بعده فيه ، لأمر فرغ عنه مسبب الأسباب سُجّاته . فكان ممن ورد على الأندلس على عبد الملك بن المنصور من رؤساء الصنهاجية وأبناء ملوكها بالتخوم الإفريقية والحدود القبلية زاوي بن زيري وقومه ، جالياً أمام صولة باديس بن المنصور بن بلقين بن زيري ، لأسباب تذكّر عند ذكر ملوك صنهاجة إن شاء الله .

وخبر نلقه وقدمه وإيجاب حقه شهر . فلما انشقت العصا باقراض الدولة العاجرية ، ونالت البرابرة والقبائل المغربية بدولة ابن عبد الجبار الإخافة والحل للثغرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة ، اضطروا إلى الانجماع والانحياز والذيادة عن أنفسهم ، والتفوا على سليمان بن الحكم ، وزحفوا به إلى قرطبة ، وكشفوا الوجوه في مناصب جميع أهل الأندلس ، وهم منهم بمنزلة نصف المعشار أو أقل ، شأن المولى على الموت ، الباني على تقوية الحياة . ولم تزل الوحشة تعظم ، والثغرة تغلظ ، والعداوة تتأكد ، حتى لم تبق بقية ترجى ، ولا مهادنة تلتقى . وخربوا الأندلس تخريباً لم يقتصر على المال دون البلاد دون الأنفس ؛ فتروها كأنها

أُطْلِفَتْ بِغَانِيَا النَّارِ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَاحِبُهُمْ بِقَرِّ الْخِلَافَةِ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ زِمَامُهُ ، وَحُلُكُمِهِمْ يَرْجِعُ نَقْضُهُ وَإِبْرَامُهُ ، طَلِبُوهُ بِالْبِلَادِ الَّتِي يَحْرُزُونَ بِهَا أَوْلَادَهُمْ وَحَرَمَاتِهِمْ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى فَوَائِدِهَا فِي حَاجَاتِ أَقْوَانِهِمْ ، إِذْ لَا يَأْمَنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ غَالُوَ الْبَلَدِيِّينَ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ . فَكَانَ زَاوِي ابْنُ زَيْرِي مَنْ اسْتَأْثَرَ بِكُورَةِ الشَّيْوَةِ وَجِيَانِ .

### أَيَّامُ زَاوِي بْنِ زَيْرِي بْنِ مَنَادِ الصَّنَهَاجِيِّ

بُكِنَتْ أَبَا مَتْنِي . وَكَانَ لَتِنَتْ الْحُرُوبِ ، وَفُلَّ الْوَقَائِعُ ، وَوَجَلَ الْقَبِيلُ قَاطِبَةً دَهَاءً وَحَزَمًا وَحَصَافَةً وَنَشْرًا وَصَبْرًا وَإِقْدَامًا وَرَأْيًا . وَكَانَ لَهُ فِي حُرُوبِ أَبِي يَزِيدَ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادِ الْحَارِجِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُعَيْدِ اللَّهِ الشَّيْمِيِّ بِإِفْرِيْقِيَّةِ غَنَاءٌ كَبِيرٌ ، إِذْ كَانَتْ قِبَائِلُ صَنْهَاجِيَّةٍ مُتَقَلِّدَةً آرَاءَ الشَّيْعَةِ ، مُخَالِفَةً لِقِبَائِلِ زَكَاةٍ فِي انْخِيَاظِهِمْ إِلَى الطَّائِفَةِ الْأُمَوِيَّةِ لِنَحْقِ جُلَّ مُلُوكِهِمْ يَوْمئِذٍ مِنْ آلِ تَخَزَرُ بَوْلَاءِ عِمَّانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - . وَكَانَتْ الْحَرْبُ بَيْنَ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَقِبَائِلِ زَكَاةٍ مُتَّصِلَةً بَيْنَ غِلَالٍ وَسَجَالٍ ، إِلَى أَنْ انْتَقَلَ مُلْكُ الشَّيْعَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَأَسْتَدَّ الْمُعْزِيُّ مِنْهُمْ أَمْرَ الْمَغْرِبِ إِلَى بُلُقَيْنَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ زَيْرِي بْنِ مَنَادِ الصَّنَهَاجِيِّ ، إِذْ لَمْ يَرْجِعْهُ فِيهِ غَيْرُهُ عِنْدَهُ ؛ وَوَصَّاهُ بِمَا يَفْعَلُهُ فِي أُمُورِهِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ أَلَّا يَرْفَعُ السِّيفَ عَنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ ، وَلَا الْمَغْرَمَ عَنْ الرِّعْيَةِ ، وَأَنْ لَا يُولِي الْأَمْرَ أَحَدًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ، إِذْ يَرَوْنَ أَنَّهُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ ؛ فَامْتَنَلُ بُلُقَيْنَ أَمْرَهُ ، وَوَضَى بِهِ وَلَدَهُ . فَلَمَّا تَصَيَّرَ الْأَمْرُ إِلَى بَادِيَسَ بْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ بُلُقَيْنَ الْمَذْكُورِ ضَائِقَةً أَعْضَامُهُ وَأَعْصَامُ أَبِيهِ ؛ فَلَمْ يُعْطِهِمْ مِنْ نَفْسِهِ الضَّيْقَةَ . وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ قَتَلَ فِيهَا عَمُّ أَبِيهِ مَآكِسَنَ بْنَ زَيْرِي بْنِ مَنَادِ . فَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ لَانْتِصَابِهِمْ بَيْنَ عُدُوِّ زَكَاةٍ وَسُلْطَانِ قَوْمِهِمْ .

فَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ زَاوِي ، وَجَازَ صُحْبَتَهُ إِلَيْهَا ابْنَتَا أَخِيهِ مَآكِسَنَ : حُبَاسَةَ وَحَبُوسَ . وَتَلَقَّاهُمُ الْمَنْصُورُ بِكُلِّ بَرٍّ ، وَتَرَحَّبَ وَفَرَّ جَزِيلًا . وَكَانَ ذَرْعُهُ يَتَّبِعُ لَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا يَتَسَلَطُونَ عَلَيْهِ فِيهِ مِنْ قَتْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْحَقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَكُونُوا يَبْلَاغُهُمْ بِعَرَفُونَهَا ؛ فَكَانُوا بِذَلِكَ تَحْتَ مَوْجِدَةٍ وَأَحْقَادٍ كَامِنَةٍ عَلَى الدَّوْلَةِ وَأَهْلِهَا . فَلَمَّا انْتَشَبَ الْعَصَا ، ذَهَبُوا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ . وَكَانَ مَا تَقَدَّمَ بِهِ الْإِلْمَاعُ مِنْ لُبِقَاعِ زَاوِي بْنِ زَيْرِي بِجَيْشِ الْخَلِيفَةِ الْمُتْرُكِّ بِظَاهِرِ بَلَدِهِ غَرْطَاةٍ ، وَاسْتِيلَاثِهِ عَلَى مَحَلَّاتِهِ ، وَعَزَمِهِ عَلَى الْانْصِرَافِ إِلَى بَلَدِهِ . وَكَانَ وَقُوعُ ذَلِكَ عَلَى عَهْدِ الْمُعْزِيِّ بْنِ بَادِيَسَ ، بَعْدَ إِذْنٍ مِنْهُ لَزَاوِي ؛ وَقَدِمَ بَلَدَهُ عَلَى رَغْبَةٍ وَبِرٍّ فِي قَوْمِهِ إِلَى أَنْ هَلَكَ هُنَاكَ . فَكَانَ خُرُوجُ زَاوِي مِنَ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٤٢٠ .

وَتَمَسَّكَ بِجَلَّ سُلْطَانُهُ مِنْ كُورَةِ الشَّيْوَةِ ابْنُ أَخِيهِ حَبُوسَ بْنِ مَآكِسَنَ ، يَسْعَى مِنْ كَبِيرِ قَطْرِ الْبَيْرَةِ وَفَقِيهِهِ ، ابْنُ أَبِي زَمَيْنَ ، إِذْ قَصِدَ بَعْدَ تَوَدُّعِ زَاوِي بْنِ زَيْرِي بِمَرَّسَى الْمُنْكَبِ إِلَى حِصْنِ آسَرِ . وَقَدْ كَانَ حُبَاسَةُ أَخُوهُ قَتَلَ فِي الْفِتْنَةِ بِقَرْطَبَةٍ .

### دَوْلَةُ حَبُوسَ بْنِ مَآكِسَنَ بْنِ زَيْرِي بْنِ مَنَادِ

وَلَمَّا ثَبَتَ قَدَمُ حَبُوسَ بْنِ مَآكِسَنَ بِغَرْطَاةٍ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٤١٤ ، اسْتَظْهَرَ عَلَيْهَا بِجِبَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَجَبَةً وَافِرَةً مِنْ قَبِيلِهِ ؛ فَبَنَى مُلْكًا شَامِعًا ، وَغَلَبَ نَظَرَاهُ ، وَاسْتَوَى عَلَى كُورَتَيْ جِيَانِ وَقَبِيرَةٍ وَمَا فِي دَنِّهِ ، وَحَمَى رَعِيَهُ مِنْ سَائِرِ الْمُتَسَرِّينَ بِجَوَازِهِ . وَاتَّصَلَتْ أَيَّامُهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٤٢٩ . وَوَلِيَّ بَعْدَهُ الْأَمْرَ ابْنُهُ بَادِيَسَ .

## دولة باديس بن حبوس بغرناطة وما إليها

وكان تَصَيَّرُ المُلْكُ إلى باديس بن حبوس بتسليم له من أخيه بلقيش ابن حبوس سَقيقه . ولَقِبُ باديس : أبو مَنَاد . وتسمَّى المُنظَرُ بالله ، الناصر لدين الله . وتناهى أمره في الجلالة ؛ وأدْعَتْ له الأعداء ، وانضافت إلى إيمانه البلاد ، إلى أن ملك كُورَة رُبِّه وَقَدْسَمَرِن . وعَظُمَتْ حَيَاتُهُ ، وضخم أمره ، وتعددت جيوشه . وأُنِيحَ له الظهورُ على زُهَيْرِ القَتَى أمير المَرِيَّة ، حساباً في ذكر زُهَيْر ؛ فحصل من ذلك ما لا كفاة له .

ومن كلام ابن حبان قوله : وأما أرفعُ أملاك البرابرة في هذا الوقت شأنًا ، وأشدُّهم سلطانًا ، وأكثرهم رجالًا ، وأوسعهم أعمالًا ، فباديس بن حبوس من سلطان صنهاجة ومُستَخدِمِ الكثير من قبائل زَنَاقَة ، المُتَنَدِّ سلطانَه اليوم على ما بين أطراف كُورَتَي بَسْطَة وجَبَّان ، إلى بابي مالقة وإسنيجة ، وما تحت ذلك من إقليم قُرْطُبة ؛ أُملى النصر العزيز على الأعداء إملاءً واختياراً ؛ فلبسه بغياً واستكباراً ؛ وأسأء الانتقام ، ولم يُغَلِ العُتْرَة ؛ وأخذ بالظُّنَّة ، وأسرف في العقوبة ، وشدَّ يَدَا العَصِيَّة ، وتقلد الحَيَّة الجاهليَّة ، واستأثر بالقسوة والجبريَّة ؛ فأسلَف في ذلك كله أخباراً مأثورة .

واستولى على دولة باديس كاتبه الإسرائيلي ابن تغرالته ، ثم وَلَدَهُ يوسف بعده ؛ فكانت يده أمواله ، وبعين لحظه أحواله ، وبجرأى ومستنع منه أفعاله الخفية وأقواله . وكان قد نشأ لباديس وَلَدُهُ المسمى بلقيش ؛ فرشحه لولاية عهده ، ولقبه سيف الدولة ؛ وكان مُنَحَرَفاً عن اليهودي المذكور ، مُتَكَبِّراً استيلاءه على المُلْك ، وتنوُّجه باليهود من قومه ، وانطلاق يده على المسلمين . ولا يزال يبعث فيه إلى أبيه بالتَّنهيه

إلى اليهودي وتبادر به إليه عُيُونُهُ في القصر وجَوَاسِيسُهُ ؛ فأعمل الحيلة على بلقيش باستدعائه إلى مجلس شراب احتفلَ له ، وسقاه كأساً مُمَرَّ قضي منه نخبه .

ولما بحث باديس عن أمره ، صرف الإسرائيلي التهمة إلى طائفة من فتيان ولده وجواريه وقرايته ، عاثَ فيهم باديس قَتْلًا وإبادةً ؛ فقرؤا عنه ، وفسدت له قلوبهم ، وخبت ضائرهم . وعَظُمَ استيلاء اليهودي وزير باديس ، إلى أن طرق جأه الاعتلال ، وأسرع إلى حاله الاختلال ، وكثرت فيه الأقوال . ورمى بِمُدَاخَلَةِ ابن صَبَاحِ صاحب المَرِيَّة في تَصْيِيرِ مُلْكِ باديس إليه .

وحَفِظَت القصيدة المنسوبة إلى المتوَلَّى العايد أبي إسحاق الإلبيري - رضي الله عنه - التي يقول فيها مخاطباً باديس ، ومُحَرِّصاً على اليهودي : [ المتقارب ]

ألا قُلْ لصِنْهَاجٍ أجمعين بُدورِ الزمان وأسدِّ العَرِينِ  
مقالة ذي مقه مشقِّ بعدُ النصيحة زُلْفَى ودين  
لقد زلَّ سِدِّكم زَلَّةً تقرُّ بها أعينُ الشامتِينِ  
تخيَّرَ كاتبه كافرًا ولو شاء كان من المؤمنِينِ  
فعزَّ اليهودُ به وانتخوا وتاهوا وكانوا من الأرذَلِينِ  
ونالوا مناهم وجازوا المدى وقد جاز ذاك وما يشعرون  
فكم مُسْلِمٍ راهبٍ راغِبٍ لأرذلِ فردٍ من المُشركِينِ  
وما كان ذلك من سعيهم ولكنَّ منَّا يقومُ المعِينِ  
فهلأ أقتدى فيهم بالأولى من القادة الحيرة المتعِينِ  
وأنزلهم حيث يستاهلون وردَّهم أسفل السافلينِ  
وطافوا لَدَيْنَا بأفواجهم عليهم صفارٌ وذلٌّ وهون

ولم يستخفوا بأعلامنا ولم يستطيلوا على الصالحين  
أباديس أنت امرأة حاذق تُصيبُ بظنك مرمى اليقين  
فكيف نحبُّ فراخ الزنا وقد بعَّضوك إلى العالمين  
وكيف استنمت إلى فاسقٍ وقارنته وهو بئس القرين  
وقد أنزل الله في وجهه 'يحذر من صحبة الفاسقين  
فلا تتخذ منهم' خادماً وذُرهم إلى لعنة اللاعنين  
فقد ضجَّت الأرض من فسقهم وكادت غيد بنا أجمعين  
وكيف انفردت بتقريبهم وهم في البلاد من المبتدئين  
على أنك الملك المرتضى سليل الملك من الماجدين  
وأن لك السبق بين الوري كما أنت من جلَّة السابقين  
ولمني احتلت بفرناطة فكنت أرام بها عابئين  
وقد فسوها وأعمالها فمنهم بكل مكان لعين  
وهم يقبضون جباياتها وهم يخبصون وهم يقبضون  
وهم يلبسون ربيع الكسا وأنتم لأوضاعها لابسون  
وهم أمناكم على سرهم وكيف يكون أمناً خؤون  
وبأكل غيرهم درهماً فيقصي ويدنون إذ يأكلون  
وقد ناهضوك إلى ربكم فما يُنكرون وما يُنكرون  
وقد لابسوك بإسجارهم فما تسمعون ولا تبصرون  
وهم يذبحون بأسواقنا وأنتم لإطريفيهم آكلون  
ورحمهم قردهم داره وأجرى إليها غير العيون  
وصارت حوائجنا عنده ونحن على بابه قائمون  
ويضحك منا ومن ديننا فلنا إلى ربنا راجعون

ولو قلت في ماله أنه كالك كنت من الصادقين  
فبادر إلى ذبحه قربةً وضح به فهو كبش سمين  
ولا ترفع الضغط عن رهطه فقد كنزوا كل علق ثمين  
وفرَّق عراهم وخد ما لهم فأنتم أحق بما يجمعون  
ولا تحسبن قتلهم غدره بل الغدر في تركهم يعثون  
فقد نكثوا عهدنا عندهم فكيف نلام على الناكثين  
وكيف تكون لنا هبة ونحن خمبول وهم ظاهرون  
ونحن الأذلة من بينهم كأننا أسانا وهم يحسنون  
فلا ترض فينا بأفعالهم فأنتم رهين بما يفعلون  
وراقب إلهك في حربه فحيزب الإله هم المفلحون

فتار بهم صنهاجة؛ وقد تيقنوا لإعراضه عنه وعمله على نكته؛  
وزحفوا على داره. وقد تبعته العامة؛ فافتحموها، وانتهبوها. وأخفى  
اليهودي نفسه في بيت ملثان فحماً، وسود به وجهه وتكر؛  
فأخترجوه، وقتلوه، وصلبوه على باب المدينة. وقتل في هذا اليوم آلاف  
من اليهود؛ وذلك في سنة ٤٦٩ و قبل سنة ٤٦٥.  
وولي بعده حفيده عبد الله، ابن ابنه بلقين الذي اتهم اليهودي  
بقتله بالسُّم.

#### دولة عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس

ولما توفي باديس بن حبوس، انتفق خدام دولته وأشياع قسيسه على  
تقديم عبد الله بن بلقين؛ فأخذوا له البيعة على الناس، ولقبوه المظفر  
بالله، الناصر لدين الله، وعدلوا إليه عن عمه ولد باديس، الكاين بولاية



من أبيه بسيرة جيتان ، وذلك لما رأوا به من سوء سجيته وانهاكته  
واجترأ به على سَفْكَ الدماء .

وكان عبد الله هذا منذ ولادته الأمر صبيّاً صغيراً ، لم يقارب الحلم ؛  
فهو لذلك ممن يشتمل عليه شَرُطُ كتابنا ممن يبيع قبل الاحتلام من ملوك  
الإسلام . وغرناطة إذ ذاك حافلة بالأعلام ، وصدور الإسلام ، وحملة  
السيوف والأقلام . وانفرد بتربية عبد الله وتدريب ملكه الوزير سِمْجَاة  
الصنهاجي ؛ فاستقلّ سياسته . وكان باديس قد جعل أخا عبد الله تميم بن  
بلقين بالقة ؛ فجرت أمورهم على سبيل من السداد وحسن السيرة . وطمع  
ابن عبّاد فيما بأيديهم حين بلغه مهلك باديس ؛ فحشد واستكثر ، ووصل  
إلى غرناطة ، وابتنى على سَنَةِ فواسخ منها حصناً لتجديد رابطته فيه ،  
مضيقاً على من بالحضرة ؛ فلم يحلّ بطالع لا ضلال سِمْجَاة بالأمر وضّبه  
لأطراف الملك . وكان سِمْجَاة حازماً ، شديد السطوة ، مرهوب  
العقاب ، جواداً ، شجاعاً ، فاضلاً ؛ ذكر عنه العَرَنَاطِيُّونَ أنه اشتدّ في  
منع اتخاذ الخسر ، وجعل بإزاء ذلك القتل غرامة لم يحلّ عقدها ولا نسخ  
حكمها ؛ فبينما طائفة من أبناء الأعيان وصدور الطليعة أولي الوجوه  
الحسان على راحة لهم بحجة المصلّى القديم خارج القصة ، إذ أظلمهم  
سِمْجَاة فجأة ؛ فسقط في أيديهم ، وأيقنوا بالهلكة ؛ فابتدره قبل  
الوصول إليهم فتى منهم ؛ فأنشده :

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْمُصَلَّى نَسْتَقِي وَجَنَاحَ الْعَشِيِّ فِيهِ جَنُوحُ  
إِذْ أَنَا سِمْجَاةٌ بَتَّالًا رُدُّوا فِي الشَّرْقِ مِنْ تَجْلِيهِ نُوحُ  
فَطَفِقْنَا نَقُولُ بَعْضُ لِبَعْضٍ أَغْبُوقُ شَرَابِنَا أَمْ صَبُوحُ

قال : فبخل سِمْجَاة ، وأنش الصي ، ووعده بالإحسان ، وانصرف من  
طريقه ، إغضاءً وتغافلًا . ولم يزل سِمْجَاة يدبّر أمر عبد الله والسعود

تساعده ، والأمر ينوء به ساعده ، إلى أن بلغ عبد الله ، وأراد الاستبداد  
بجالة ؛ وضاقت سِمْجَاة ؛ فرحل عنه إلى كنف جاورهم صاحب المربية ،  
وقد مهد لنفسه عنده فاستقرّ لديه مجال ثروة وغناء . وأقام عنده إلى  
آخر عمره .

وكان عبد الله بن بلقين جباناً ، مُعْتَمِدُ السيف ، متكسلاً عن الحيل ،  
زاهداً في النساء ، مَوْصُوفاً بالضعف ؛ لكنّه يكتب ويشعر ويتحدث  
فيما تحدث فيه الطليعة . وقت على ديوان بخطه أُلْفَه بعد تخلّعه بمدينة  
أغمات ، وقرّر في أحواله والحادثة عليه بما يستظرف من مثله :  
أنتحقني به خطيب المسجد بأغيات - رحمه الله .

ولما اجتاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس من بعد الوقعة بملك النصارى  
يوم الزلاقة ، سارعاً في خلع رؤساء الأندلس ، وبادئاً منهم بعبد الله  
حفيد باديس ، وقد حرّكه إليه إغراء طائفة من خدامه لحقت به ،  
واتصلت به عنه الاستعداد واتخاذ البلاد وتجديد الأسوار ومراعاة  
صاحب قشتالة ( وتجنّس عليه تجنّس الذئب على المعزى ، حسباً يتمثل  
به الناس ) ، إذ قال لها متسبباً لأكلها : « شَمْرِي ذَنَبِكَ ؛ فَإِنَّكَ  
تَحَرَّ كِي عَلَيَّ بِهِ ! » قالت : « وأي ذنب لي يفعل ذلك ؟ » فقال لها :  
« أَوْ تَكْذِبِي بِنِي يَا فَعَّالَة ! » وثب عليها ، فأكلها ؛ فوجه الجيش إلى  
منازلته ؛ وقصده بنفسه ، وتبادر إليه الرعايا معلّنين بطاعته .

ولما رأى اختلال حاله ، ونكول أهل بلده عن الدفاع عنه ، استشار  
صنائمه ؛ فأشاروا له بالخروج إلى الأمير يوسف ، والإلقاء باليد إليه ؛ فكان  
ذلك ؛ فتلقاه هو وأمه على فرسَين من المدينة ؛ فترجل عبد الله ،  
وسأله العفو ؛ فغفا عنه ، وأمره بالركوب ، فركب ، والنقت به الحيل ؛  
فأنزل في مضرب عَيْنَ له . وأمر بثقاف القصر ، وخاطب أهل البلد بما  
أرضاهم من ضمان العدل والرفق وإفاحة الخير والذب عن الحوزة . وكان

لأشهر  
تخلع عبد الله بن بلقين حفيد باديس يوم الأحد عشرة ليلة تطلت من شهر رجب سنة ٤٨٣.

### أيام تميم بن بلقين بن باديس بن حبوس

وكان باديس قد جعل تميمياً هذا بالقة من عمله لتظن رجل من شيوخ صنهاجة لصغره ، إلى أن بلغ ، واستبد ، وتسمى بالمنتصر بالله . وكان شهماً ، شديد المرأة ، بعيد الاعتدال ، سيئة الملكة في الرعية . وهو الذي صنع ثرياً الفضة بمسجدها ، وهي باقية إلى اليوم ، إلى أن غلبك يوسف بن تاشفين غرناطة ، واتصلت به الشكوى بتيمم من أهل مالقة . وورد في شأنه على الأمير أبو المطرف الشنقي وغيره ؛ فرفع حكمه وأكتبه بسبب الشكايات . ونمي عنه أنه أطلق لسانه عند القبض عليه في جهة السلطان ؛ فضضه بإجلاله إلى السوس ، وأسكن أخاه عبد الله بمدينة آغمات ، إلى أن عفا عن تميم ؛ فسكن بمرآكش حتى مات بها سنة ٤٨٨ . فانقضى أثر باديس وعقبه على هذه السبل . والبقاء لله وحده !

### أيام شيخ زنانة

### محمد بن عبد الله الوردسني البرزالي

وكان هذا الرئيس يلي باديس من ملوك البرابرة في جلاله الشأن وقوة السلطان ، بقية أمراء البرابرة المستقلين في هذه الفينة وأعظمهم شأنًا في الدهاء والرجولة ، وأبصرهم بتدبير العساكر ، وأربطهم جأشاً على الخطوب المثقلة . وكان مشهوراً بذخيرة عتيده من صامت المال ، لم يزل يجمعها حائطاً

لها باليخل الشديد ، واستظهاراً بها على الخطب العتيد . وكان قدوم هذا البيت من زنانة القاطنين بأرض المتريلة والزواب الأسفل لعهد لحاق جعفر بن علي أمير الزواب بباب بني أمية ، إذ كان هذا البيت صديقاً له وظهيراً ؛ فبنى بهم المكان من بعده . ولما هلك جعفر ، أقاموا جنداً على عادتهم إلى حين وقوع الفينة المعروفة ؛ فكشفوا في الحرب عن أعضادهم ، واستقر قرارهم بمدينة قمر مونة وإسبجة والمدور ، وغلبوا على هذه البلاد . وكانت بينهم وبين جيرانهم من هذه الجهات حروب وخطوب يطول الكلام إن استقصيناها . وتوفي رئيسهم هذا محمد بن عبد الله عن جنتهم من قبيل نجيب ، وخزير من الطعام ، لم يجمعه أمير قبيلة في الفينة . وصار أثره إلى ولده إسحق .

### أيام إسحق بن محمد بن عبد الله بقرمونة

ورأس إسحق بعد مهلك أبيه ، وهو في حد الكهولة . كان مشهوراً بالحزم والكفاية والبأس والفروسيّة ، يتحلّى بشعبة من شعب الكتابة ، ويضبط شيئاً من الحساب ، ويقرأ الدفاتر القريبة . وهو دون أبيه محمد في القسوة والفظاظة ، وأذنب منه في قراط العصية . وكلاهما على ذلك موصوف بالعمّة والزاهة والبعد عن آفات الملوك الشائنة ، مع اشتغاريهما بالنكوب عن الجماعة واعتقادهما بمذهب الناكرين من فرق الإباضية الخوارج ، يستأثران بذلك هما وقومهما من بني برزال ؛ أعمالهم وأقوالهم في ذلك معروفة . هذا كلام ابن حيّان .

ولم تزل الحروب بينهم وبين جيرانهم من قبائل بني تميم وكورة موزور والمعتضدين بن عباد إلى أن ضاقت أحوالهم بقرمونة ، واضطروا ؛ فكتب رئيسهم العزيز بن إسحق بعد هلاك إسحق ، في خبر طويل ، إلى

ابن دثون أن يعطيه قَرْمُونَة وأنظارها ليمكّن من نكابة عدوه ابن عباد منها ، على أن يعطيه المأمون بن دثون عوضاً في بلاده الجوفية . فاتفقا على ذلك ، وخرج العزيز بن إسحق من قَرْمُونَة إلى الحصن المذكور ؛ وقبض رجال ابن دثون [ ما في المدينة . وبعد ذلك خاطب المعتضد بن عباد بن دثون ] في السرّ يقول له : « إن قَرْمُونَة قريبة من بلدك وبعيدة من نظرك وبلادك . فاصرفها إليّ ، وأجعل يدي مع يدك على نملك قرطبة حتى أصيرها لك . » وكانت قرطبة أمنيّة ابن دثون عمره ؛ فأجاب إلى ذلك ، وتوثق منه ، وأخلى له قَرْمُونَة ، فشحنها ابن عباد بالأطعمة والرجال ؛ ولم يفر لابن دثون بشيء مما ارتبط إليه . وجرت بينهما من الأحاديث في أمر قرطبة ما تقدم ذكره في اسم ابن جهوز . ولم يستقل العزيز بن إسحق بالمدن لضعفه وضيقه ؛ فتلاشى وانقرض أثره .

#### خبر سائر رؤساء الطائفة البربرية

وهذان البيتان من هذه الطوائف المتغريبة كانا أشبه بالملوك والأمراء . ويستوي من بعدهما من أمراء البرابرة في الحال منهم بئس أبي شور بن أبي قرّة بن دوناس البقرتي ، أمير الفريق من بني بقرن المتغلبين على كورة تاكرنا لأول الفتن . وكان جسوراً ، جشعاً ، مقداماً ، عطشاً من كل خلة ندل على فضيلة ، عزيز الجانب ببأس رجاله ووعورة رجاله وحصانة قلاع ، شارعاً في الذّات ، لا ينق درهماً أحداً ، على دأبيه في الباطل ، فوق طوقه .

ومنهم : عبدون بن خزّون الرنداجي أمير بني إرنيان ؛ وبطونهم

١ هنا وقع إسقاط جتر في جميع الأصول لتكرار عبارة « ابن دنون » : وقد سكتنا الحثل سبباً للمعنى .

من القبائل الزناتية المتغلبين على كورة سذونة لأول الفتن ، النازلين بقصبة قلشانة ؛ قام بسلطانه وراثة من والده أحد أكابر البرابرة المتأثرين لما خرجوا عن الجماعة ؛ وهو فتى كميث أنيث مكر ، عطل من الفضائل ، لا تضاف إليه منها خلّة صالحة ، إلا أنه رفق بقومه وأخذ عفوهم ؛ فاستقاموا له .

ومنهم : محمد بن نوح بن أبي تزيدي الدمري ، صاحب كورة مؤزور وراثة عن أبيه وجده ، فتى غر ، حديث عهد بالإمارة ، جاهل ، جندي ، خلّو من الفضائل ، موصوف بكيس وليانة .

قلت : وجميع من ذكرنا زاحمهم المعتضد بن عباد بنكب العز والصبر والسلطنة ؛ فأرداهم تارة بالقهر والغلبة ، وتارة بالحيلة . وكان في آخر أيامه قد صرف وجه السياسة إلى استألتهم بالصلوات والمودة ، إلى أن وجه إليهم في الزيارة ليتجمل بهم في إعداده ؛ فأنوه في أحسن زي وأفخيم أبهى . وقد كانت تكررت زيارتهم له أفذاذاً قبل ذلك ؛ فجاؤوا إليه مباهين في نحو مائتي فارس من رؤساء قبائلهم ؛ فأكرمهم ، وأمر بتطيب الحمام لهم ، وحملهم إليه عبيده ؛ وهم الثلاثة الأمراء المذكورون : أبو شور ، وابن نوح ، وابن خزرون . فلما دخلوا الحمام ، وقعدوا بإزاء حوضه ، أمر فبشي عليهم خلف دفة الحمام ؛ ولما فترغ من البناء ، أمر موقد النار بالزيادة والإحراق ؛ فالتهب الحمام ، ولم يجدوا مخرجاً منه . فكان آخر العهد بهم . وأقام ذلك الحمام عطشاً إلى آخر أيام العباديين . وجه العساكر إلى بلادهم ؛ فاحتوى عليها . ونزل باقهم إلى إشبيلية ؛ فصاروا من رجاله .

ولم يبق له معانيد إلا ما كان ممن بشدونة وأركش ؛ فإن أمير محمد بن خزرون كان قد تخلّف عن دعوة ابن عباد ؛ فزادهم في استئصالهم ، وبني عليهم حصناً شدة بالحيل والرجال ؛ وضاق عليهم أمرهم ؛ فطارخوا

على باديس بن حبوس ، وانتفقوا على أن يعطوه قلعة أركش وجميع ما بأيديهم من بلاد سُدُوتة ، ويبيع منهم طعامهم المختزن بسوم معروف ، على أن يعطيهم باديس بلدًا يسكنونه تحت كنفه . فتم ذلك ، وبعث معهم عسكرياً ضخماً . وخرج بنو إرنيان بأموالهم وحرهم ؛ فكانت جملة دوابهم نحو خمسمائة بغل . وكان بنو إرنيان قطعة كبيرة ؛ فلما أبعدوا عن القلعة التي خرجوا منها نحو عشرين ميلاً ، عارضهم ابن عباد بفحص شلب ؛ فوقع الحرب ؛ فلبجأوا إلى ربيعة كانت قريباً منهم ، وحطوا ألقاهم إلى الصباح . وكان ابن عباد قد أكن لهم كنيئاً ؛ فلما حيت الحرب ، خرج عليهم الكين ، وطبوك هادرة ، وأعلامه خافقة ، وخيله متناسقة ؛ فلما رأوا ذلك ، سقط في أيديهم ، وضعت قلوبهم ؛ وثاب الظفر لابن عباد ؛ فزهمهم ، ولم يمن في اتباعهم . وهلك في هذه الحرب أكثرهم ، إذ قاتلوا على أموالهم وحرهم حتى أبيدوا . وقُتِلَ أميرهم محمد بن خزرون بعد أن أمر غلامه بقتل امرأته لأنها كانت لطيفة المحل من قلبه ؛ فطعن بالرمح ، وهي راكبة ؛ فسقطت ؛ وفعل ذلك بأخيه . وقُتِلَ قائد باديس الذي كان معهم ، وركب السيف أعناق من معه . ودخل ابن عباد قلعة أركش وسائر بلاد سُدُوتة ، واتصل بنظره إلى آخر بلاد غرب الأندلس ، وقتل ، واستأصل شاة القوم ؛ فلم يبق بالأندلس منهم باقية . فسبحان الحي الذي لا ينقض شأنه ، ولا يبيد سلطانه !

قلت : وهذه جبهة من رؤساء الطوائف ونواب البلاد بالأندلس من بعد انقراض الدولة الأموية ؛ وعلى حين استقرار الدولة المرابطية ، وتغلب سلطانها الأمير يوسف بن تاشفين ، خلا الجو من جميعهم . وكان فيهم الفاضل ، والمعلوم ، والمجهول ، كما يكون فيمن كثير عدده ،

واختلف في السير مقصده . ولا شيء أشبه بالدول كلها ضُمَّت ، وتفرقت كل منها واختلفت ؛ وفي أول أمرها قبل أن تكون وقعت ، بالأرض المتخذة بالمقاتي والخضر ؛ والنوار فيها بمنزلة العشب الناجم ، والبقل الناجم ، الذي يُعَدَم عند قوة الفلاح ، واضطلاحه ، وقيامه على الأرض ، واتصال مباشرته ، وإزالة ما يشوش المزروع من العشب الغاصب ، ومن الحشيش الناصب ؛ فإذا اشتغل عنه لضعف ، أو مرض ، أو قلة ذات يد ، ألقي غالباً على الأرض ، مُهْدِكاً للفلح ، مُبِيداً للمال ؛ فلم تدع الدولة ذات القليل والدين الأصيل منها شيئاً مذكوراً ، بعد أن سَفِيَت الدنيا بهم كهُوراء ، ولقي الإسلام بهم وبالأوثبوراء . ولا حول ولا قوة إلا بالله !

### ذكر تصيير أمر الأندلس إلى ملوك لمتونة

المدعوين بالمرابطين ، على سبيل الإشارة والإلماع

لورود الكلام فيهم بحلته من دار ملكهم بالمغرب إن شاء الله تعالى ؛ وذكر ما آلت إليه الحال بالفتنة ، واقتسام أمراء الطوائف أقطار الأندلس .

ومن لدن تفرقت شمل الإسلام ، واشتقت عصاه ، وتبددت كبريائه ، لم يكن همّ عدو الإسلام إلا استرجاع البلاد والأقطار ، واستضافة العَمَالات ، وافتتاح القلاع ، والاستيلاء على الثغور ، وتارة في سبيل المشاركة والاستجارة ، وتارة في سبيل المسالمة والمشاركة ، وتارة بالغلاب والمنازلة . وقد وقع من ملوكهم التكاثر والتنافس ؛ فصاحب قشتالة وليون يضم ما جاوره . وطوبه طي السجيل ؛ وصاحب برجلونة كذا في الأصول ، وفي تصحيف ظاهر .

يسري فيما يليه سري النار في الهشيم . وحسبك أن هشام بن الحَكَم ، وهو  
سلالة الأبيّة وبقية الدين والحشمة ، والبعيد المترس من الدينيّة ، خرج  
في أبهم فتنته ومحنته ابن عبد الجبار تسليمًا على مائتي موضع ، وحازها  
العدو ؛ وحينئذ موته بالحرّة إلى نصره ؛ ولم يفعل ؛ ثم سلك من بعده  
سبيله إلى أن استولى على طليطلة وما إليها سنة ٤٧٨ . وحسبك بها فجعة  
وأعظم بها مصيبة ! وملوك الأندلس في غررتهم ساهون ، وعن عواقب  
الإسلام لاهون ، حسبًا قال أبو الحسن بن الجندب يمدح الأمير يوسف :

[ البسيط ]

في كل يوم غريب فيه مُعْتَبَرٌ نلقاه أو نلقانا به تخبر  
أرى الملوك أصابتهم بأندلس دوائر السوء لا تبقي ولا تذر  
قد كنت أنظر لها والشمس طالعة أو صبح للقوم في أمثالها التظنر  
ناموا وأمرى لهم تحت الدجى قدر هوى بأنجهم خسفًا وما شعروا  
وكيف يشعر من في كفته قدح يحذو به ملهياه الناي والوتر  
صمت مسامعه من غير نغمته بما ترق به الآيات والصور  
تلقاه كالفجل معبودًا بجلسه له خوار ولكن حشوه خور  
من حوله كل مغتر وما علموا ان الذي زخرقت دنياههم غرر  
فقل لمن نام : أصبحت انتبته فلتد مضى بك الليل نجبا وانقضى السحر  
وانظر إلى الصبح سيفا في يدي ملك في الله من جنده التأيد والظفر  
يرعى الرعايا بطرف ساهر يظير كما رعاها بطرف ساهر عمر  
ردوا موارد قد أوردتهم حنقا بها الأنام ولكن ما لكم صدر  
كأنني بكم قد صيتم سرا وما لكم في الوري عين ولا أثر  
أمانكم قبل موت سوء فعلكم وكيف بالذكر أن لم تحسن السير  
وإلى هذا العهد ، لم يبق إلا نفس خافت ، وعديم النصير بالمغرب

لتبديد الكلفة واقتسام أبدي الثوار إياه ، من ملوك الحزريين ،  
والزنتيين ، والبرغواطيين ، والأزداجيين ، والمدرايين ، إلى أن  
شاع في المدينة خروج اللثمنيين من الصحراء ، واستيلائهم على المغرب ،  
وأنتها دعوة مبنية على دين متين وتأسيس ببقته ، وأنه إسلام جديد ؛  
فحدثت إلى سمته العيون ، وصرفت إليه الوجوه ؛ ثم ارتفع إليه الصراخ ؛  
ثم أعلت الإشارات ؛ ثم مدت الأيدي ، إلى أن كان من تنفس المختق  
بجاورة ملك لثمنة ما كان ؛ فانتعشت برهة ، وأقامت مدة .  
فسبحان من يقول : إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا  
يَرْجِعُونَ .

قلت : ولما استولى ملك قشتالة إدفونش بن فرديز على  
مدينة طليطلة ، دار ملك الروم ، وعلى الثغر الجوفي ، وانتظمت له  
البلاد ، وقد كان أخوه ثانيه وأبوه فرديز قبله ، راض له ذلك  
بما ألقى بكل كفه على صاحبها يحيى بن دثون الملقب بالمأمون سنة ٤٩٥ ،  
ونازله ، وألح عليه ، وضعف أمر المسلمين حتى لم يتقدروا إلا على التحصن  
والاحتجار ؛ وكان من شأن الطاغية أن يترك المسلمين بأحوال الموضع  
الذي قد قصده ، ويخليهم وما يريدونه من معاشهم ؛ فإذا كثرت  
الغلات ، استكثر من الاحتشاد ، وفرض على رعيته أمما من الفلاحين لضم  
الأقوات ؛ فيحاول منها ما كان المسلمون يستفيدونه لأنفسهم ، وينقل  
ذلك على ظهور محلاته ورعيته إلى ثغوره المجاورة لبلاد المسلمين لبيعها  
محلاته عند الحاجة لذلك ؛ وضرب الجزية عليهم بما شاء . فلما هلك فرديز ،  
وولي ابنه ثانيه ، ذهب الناس في إجراء عادته من المال ؛ فقال : « إنما  
كان ذلك المال لفرديز ، وهو ثابت أبدا حسنة ؛ لا يزول ؛ وإنما

١ في الأصل : « إدفونش بن شانه بن فرديز » ؛ وهو خطأ من المؤلف ، لأن إدفونش  
السادس كان ولد فرديز ، وشانه كان أخاه شقيقه ؛ فصححنا النص الأصلي للضرورة .

نصالحكم على ما يختص بي ! « فأضعف العدد . ثم هلك شانه ، وولي بعده إذفونش أخوه هذا ؛ فسار بسيرة أخيه ، وأضعف العدد . فكانت الرعايا تتحمل هذه الأموال زيادة إلى أموال الجباية المستقضاة بالعنف ، التي يُقيم منها ملوكهم ما يختص بهم . فضعف الاعمار ، وخلصت الديار .

وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التجاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات ، والعشائر المتغايرات . فلم تتصل لهم في الله يد ، ولا نشأ على التعااضد عزم ، ولا توجه ، إلى الاستكثار قصد ؛ إنما كان وكدهم في الناس المحلل من وده ، ولبراز الفضل من حظوته ، والتنفق عنده ، والترافع إليه ، والاستظهار به ؛ وقد قعد للضرب بينهم والمفاصلة ، وأطل بذروة التغلب والحكم ، مفتوح البعد ، مقبول المزايدة واجتلاب الفائدة ، إلى أن استولى على طليطلة كما قلنا . فأفترط في التعاطف ؛ وحق له ذلك بما استروحه من استرجاع ما حازه الفتح الأول . وعرض عليه شيعته يومئذ أن يلبس التاج ، ويعد عادة من سلف من ملوكهم في القديم ؛ فأرجاهم بذلك إلى أن يستولي على دار ملوك المسلمين بقرطبة ؛ وقد حسب ذلك حاصلًا في يده ، وواقعًا في مدته .

ثم مال على جهة ابن عباد كبيرهم ، يحصل شوكته ، ويحطب مملكته ، ويطرق حماه ، متناهيًا في الوعيد ، متراميًا إلى المرمى البعيد . ووصله رسوله اليهودي المعين لقبض الضارب ، وتجريع المسلمين كؤوس المصاب ؛ فنزل بظاهر إشبيلية في موكب من فرسان سلطانه ، وكتاب ديوانه ؛ وأبرز له المال ، فلم يرض عيابه ، وأقدم أن مولاه لا يقع في السنة المقبلة إلا بالياد ؛ وجمع بلسان الصولة ما ساء ابن عباد . ولما شغل إليه كلامه ، لم يملك زمام نفسه ، وأمر بالقبض عليه وعلى من

معه ، وأنفذ الأمر بقتل اليهودي وأسرى من معه . وبذل في نفسه أموالًا خطيرة ؛ فلم يصغر إليه ، وشفى منه نفسه . ثم خاطب ملك النصارى بشرح له عذره ، وقد آسف به لا يقبل العلاج ، ولا يعرف الصلاح . وقام له الإذفونش في ركائبه ، وصرف عزمه إليه .

وقد كانت الأخبار اتصلت بخروج الأمير يوسف بن تاشفين من الصحراء في أمة جديدة الإسلام ، شديدة الاعتزام ، مظهرة للقيام بالحق ومجاهدة من زاغ عن الشريعة ، وأنه قد طوع المغرب ، ورد الكليمة في أكثره واحدة ، كما قلنا . فترجح لديه استدعاؤه والاستصراخ به والتطرح عليه ، وعرض ضرورة الإسلام على دينه وامتناعه . واستشار أوليائه في ذلك ؛ فقال له ولده الرشيد ما معناه : « حاول الأمر بجهدك مع النصارى ، ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك ويشتت الشمل . فالتاس من عليكت ! » فقال المعتمد : « يا ولدي لأن أموت راعيًا بالمغرب خير عندي من أن أرُد الأندلس دار كفر ؛ فتكون العنة علي من المسلمين أبد الدهر ! » فقال : « يا أبت افعل ما أراك الله ! » فخاطب المعتمد يوسف بن تاشفين غرة جمادى الأولى من سنة ٤٧٨ ، يستأذنه في القدوم عليه لتقرير أحوال الأندلس .

ولما ورد عليه الخطاب ، جمع عليه قومه وأخوته ؛ فقال لهم : « ما ترون في هذا الأمر ؟ » فقالوا : « هذا الرجل قد استنصر بنا على عدو الدين ؛ ووجب علينا وعلى كل مسلم نصره ! » وقد كان اتصل به من فضلاء الأندلس عبد الرحمن بن أسباط ، وخدمته ونصحه في أحوال أهل الأندلس ؛ فاستشاره ؛ فقال له ابن أسباط : « الأمر لله ولكم ، غير أن عندي ما نلقيه إليكم : وهو أن الأندلس منقطع بعمر منه المسلمون ، ويعمر باقيه الروم . فإن جزت إليها وحصلت في حكم أهلها ، لم يكن لك شيء في نفسك . وهذا الرجل الذي انتصر بك لم يتقدم بينك وبينه

ما بوجب الحجل منه . فاستناب إليه بأن الجواز لا يمكنك إلا أن يتخلى لك عن الجزيرة الخضراء ؛ تجعل بها رجالك وأجنادك وعدتلك ، ويكون منها الرجوع إلى وطنك بيدك متى شئت ! » فشكره على ذلك ، وأجاب المعتمد بأذن له في الوصول إليه ويعلق إجابته بما ذكر . فجاز إليه المعتمد سنة ٤٧٨ ، بأسطول الأندلس جوازاً فضماً ، اختار لمصاحبه في سفره الخواص والأعيان ؛ واستخلف ولده الرشيد بإشبيلية ؛ وشيعة الناس إلى محل ركوبه البحر .

وفي ذلك يقول شاعره ، بل بعض شعرائه ، عبد الجليل بن وهبون في قصيدته التي أولها :

عزم تجدد فيه النصر والظفر وفكرة خمدت من دونها الفكر  
عساك خلّت حباب الماء من زرد تعود الخوض فيه طيرفك الأثير  
أو قلت في المدح خمران مفرقة تحارب الجيش أو مصقولة بت  
هي البسالة الا انها شرف تنفي الحذار وبما يؤثر الحذر  
لا تحمل الدين والدنيا على غرر فليس مجيد في أمثالها العرر  
ان كان نوبك مختصاً بلباسه فقد تعلق من أذبالك البشر

فلما قضى غرضه مشدود اليد بعنده ، معلق الآمال بإنجاز وعده ، وقفل إلى بلده ، تخلى عن الجزيرة الخضراء بما فيها من هبة وأنعام ، وعلوفة وطعام ؛ وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٩ .

### دولة الامير يوسف بن تاشفين بالاندلس

ولما اجتاز الأمير يوسف بن تاشفين إلى الأندلس ، لقي طاغية الروم ، وأوقع به وقعة الزلاقة ، منسوبة إلى موضع اللقاء من أحواز بطليوس . ثم أعاد بعدها إلى المغرب . ثم أجاز ثانية ، ونازل حصن

ليسط من كثرة تدمير ؛ وتعدر عليه فتحة ؛ ففقل إلى بلاده المتركة شية ، وقد وجد على ملوك الأندلس ، وانتههم بالإغراض في أقره . وداخلة الناس في شأنهم ، ودست إليه السعيات بهم ؛ فأعاد الجواز ثالثة سنة ٤٨٣ ، وشرع في خلعه . فتم له ذلك ؛ فتوفي سنة ٥٠٠ ؛ وولي بعده الأمر ولده علي .

### دولة الامير علي بن يوسف بن تاشفين

#### بالأندلس

فتجددت له بيعة أهل الأندلس . وشرع في الجواز إليها أخريات تلك السنة ؛ فباشر أمورها ، ورثب أحوالها ، وهلك الطاغية في السنة الثانية لولايته ؛ فتمهدت البلاد . ثم أجاز البحر ثانية ؛ ففتح مدينة طلبيرة ؛ ثم أجاز ثالثة ، ونازل قلنرية ؛ ثم قفل عنها وأجاز رابعة لإصلاح الأمور بقرطبة ؛ وولى ولده تاشفين غرناطة ؛ وصنع الله له في الجهاد الصنائع الجميلة والآثار الكريمة . ثم استدعاه في سنة ٥٣٣ ؛ فولاه عهده . وتوفي الأمير علي سبع خلون من رجب سنة ٥٣٣ .

### دولة الامير تاشفين بن علي بن يوسف

#### بالأندلس

واستقل الأمير تاشفين أمر الأندلس بعد موت أبيه ، بما دهمه من حروب المهدي واستيلائه على المغرب ؛ فلم يلتق إلى الأندلس رأساً . وجاء القدر ، من إتيان الهزائم عليه وتكثب السداد إياه ، بخلاف ما جرى به الأمر أيام إمارته وجهاده بالأندلس ، ليضي الله أمره ، إلى

أن هلك في السابع والعشرين لرمضان سنة ٥٣٩ هـ . وعادت هيف إلى أدبائها،  
وتفرقت الكلمة إلى شاتها، ولقحت جدو الثوار، وأصبحت الأندلس  
دار البوار . والله كره القائل :

إذا غاب الهزبر الوردي يوماً أخذو الفسكات والنفس البيسة  
ولم يجرم القريسة مستطيلاً تراحت الذباب على القريسة

## ذكر من كان في أخريات دولة المرابطين

### الشمعونيين من الملوك والرؤساء والثوار

وتعددت الثوار والمنتمون في أعقاب هذه الدولة ، مثل ابن وزير ،  
شيخ أهل غرب الأندلس ، وأبي محمد سدراني ، ويوسف البيطرونجي ،  
الثائر بلبله ، وليد بن عبد الله صاحب سننرين ، وأبي القمّر بن عزووز  
صاحب شمرش ، وابن عياض الأمير بشري الأندلس ، وعلي بن عيسى بن  
مينون صاحب قادس ، والوهبي الثائر بلبله ، ومحمد بن علي بن الحجام  
صاحب بطليوس ، وأحمد بن حجر ، والشكياتي ، وميرين الداير ،  
ومحمد بن المنذر . وكل واحد من هؤلاء له خير ودولة على قدره  
وقدر عمله وما مد الله له فيه من عمل غيه أو رُسده . وإن جئنا نتبع  
هذه الأشياء ، خرجنا عما أردنا . فلنقتصر على طائفة فوق هؤلاء في  
الشهرة ، مثل حديث ابن قسي باختصار .

### أيام أبي القاسم بن قسي مدعي الهداية

كان ثورة هذا الرجل أوّل ثورة بالأندلس في أعقاب الدولة الشمعونية ؛  
وتسمّى بثورة المردين ، إذ كان هذا الرجل شيخاً من مشايخ الصوفية ،

المسمّى أتباعهم بغرب الأندلس بالمردين . وقدره في تلك الطريقة  
معروف ؛ وله كتاب « خلع الثعلين » وغيره . وكانت هذه الطائفة قد  
كثرت يومئذ بغرب الأندلس ، لاسيّما بمدينة شلب ؛ وكثرت نحوهم  
في الكتب التصوفية وموضوعات الغلاة من الباطنية ، والكلف برسائل  
إخوان الصفاء وأمثال ذلك . وانتشر هذا الرأي بشاب ولبله ونظر  
مرثلة ، وهي بلد أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسي ؛ وكثرت جمعهم ،  
وقع الحديث بهم ؛ وحذروا صاحب الدولة ؛ فتفرقوا . واستقر جد  
نخلتهم بالمرية ؛ وكان بها رئيس هذا الشأن ودخلته ، والمشهور فيه  
الشيخ أبو العباس بن العريف . فأعلم علي بن يوسف بذلك ؛ فوجه عن ابن  
العريف وأبي الحكم بن برجان نظيره في الحلة وغيرها من أمثالهما ؛  
فقرّبهم . وكانت وفاة الشيخين بمراكش سنة ٥٣٧ هـ .

وكان أبو القاسم بن قسي هذا في زمان فناءه وشيخته مشرفاً بشلب  
من عمل إشبيلية ، إلى أن أظهر ، وتصدّق بجميع ماله ، وتطوّف على  
الأندلس ، وابتنى رابطة بقرية جلّة من قرى شلب ، كان يجمع بها  
دائرته التي دارت بها على الأندلس دائرة السوء ؛ وأدعى الولاية ، وتسمّى  
بالمهدي ؛ وكثرت مخاريفه . واشتهر عنه أنه حج من ليلته ويناجي بما  
شاء ، وينق من الكون . وتنازع الناس إليه بالرحيل ؛ وانصل به أقوام من  
أهل البيوت والأجناد ، منهم ابن وزير الذي ذكرنا ، وابن عنان فارس  
وجه يابرة ، ومحمد بن المنذر من أهل شلب ، ومحمد بن عمر ، وعبد الله  
ابن أبي حبيب ، وأمثالهم من أعيان ذلك الصقع الغربي . واللمتونيون في  
أثناء هذه الحال قد انقطعت عنهم مواد الغرب بما دهمه من فتنة المهدي ،  
وأجفوا بالناس بسبب اجتياح جندهم بالأندلس . وتعاملت عليهم الناس ،  
وتوفرت دواعي الشنات بفترة الخوف ، واستهدفوا الخلع ، وكثرت  
التعدي في الطرقت والدوائر في السبل ، والفنك بالرفق . وأوعز أبو



القاسم بن قسي إلى أحد من طائفته أن يتهز القُرصة في حصن مُشَقُّوط ؛ فاهتبل الغرّة فيه ، وتغلّب عليه في شوال من عام ٥٣٨ . وبأذنه المرابطون بجيّهته قبل أن يستعيد ؛ فأنزله منه وقتلوه .

وكان ابن قسي 'بغالط' أصحابه ، ويقول : « إثمنا مثله كالفجر الكاذب ؛ وبعده يطلع الفجر الصادق ويصبح النهار ! » ثم خاف ابن قسي عند القبض على المذكور ؛ فخرج إلى جهة مرثلة من حصون العرب بكرة سُدُونة ؛ فاستقر عند قوم يعرفون ببني السنة ؛ وكان من أصحابه رجل يسمى محمد بن يحيى ويعرف بابن القابلية ؛ وكان فريداً كهره صرامة ودهاء وشجاعة وبلاغة ، رسائله مشهورة وفصاحته مذكورة ، رمى به عرصه وجعله سيف ثورته وعصده دولته وتغلّبه ، وعينه لعدو مرثلة ؛ فخرج إليها من المكان الذي اختفى فيه ابن قسي بقرية الجوزة من قطر مرثلة في سبعين رجلاً من المريدن . وكان قائد حصن مرثلة قد واعد رجلاً من أهلها على الإتيان إليه في الليل برشوة على حال استتار من أهل الحصن ، وقدم الوصاية بذلك إلى بوابه ؛ ونمى إليهم الخبر ؛ فأوهبوا باتخاذ رفقة صعد بها بعضهم إلى الحصن ، ولم يشك صاحبه أنها رفقة ميعاده الحيث ؛ ففتح الباب . واقتحم القوم الحصن ؛ فملكوه . وبأذنه محمد بن القابلية إلى تسكين الناس وضبط الحصن . وزحف إليه المرابطون بتلك الجهة ؛ فلم يغنوا شيئاً ، وارتحلوا بعد تخريب قطر مرثلة . وداعته عامة ما يجاورها إلى الثورة ؛ فقام أهل بائرة ملتفتين على ابن وزير عميدهم . وتوجه ابن قسي إلى مرثلة ؛ فاحتل بقصبتها المنيعه غرة ربيع الأول عام ٥٣٩ ، وبث للجن عقيدته ، ونسب إماماً ، وكتب إلى البلاد يندب الناس إلى الثورة على المرابطين . واتصل به الأشجار ، وأجزل العطاء من غير عمل ولا خراج . وكان إذا أعطى ، يحنو يده من غير عدد ؛ وكان أصحابه يقولون للناس إن المال يتكوّن عنده إذا فرغ .

ومن النوادر في ذلك أن رجلاً من البادية قال لبعض أصحابه ، وقد أعطاه : « عجباً لهذا المال الذي يصل الإمام من السماء كيف عليه طابع المرابطين ؟ » ولم يكن عليه طابع غير ذلك . ونقل له هذا الحديث ؛ فكان آخر العهد بذلك الرجل .

ثم إن بعض أصحاب ابن قسي اختلفوا عليه ، وفسد ما بينهم وبينه ؛ فنارعه ابن وزير بشلب ، وأخوه بباجة ، وصرفوا الدعوة إلى ابن حمدين بقرطبة ، وقد دعا إلى نفسه ، وتسمى بالقاضي الخليفة ، حسباً يذكّر . فعزم ابن قسي على اللحاق بأمير المؤمنين ؛ فخطب الأمير عبد المؤمن ابن علي ؛ فلم يجد عنده قبولاً لتعاليه في الخطاب عليه ؛ وجعل الخطأ لنفسه بوصف الهداية بضاعة القوم ؛ فأعاد واعتذر ؛ وتجرّك في عقبها . فكان لقاؤه بإياه في ربيع الآخر من عام ٥٤٠ . وتحفى عبد المؤمن به ، وأكرم وفادته . ثم انصرف إلى الأندلس بعسكر الموحدن ، وهو أول عساكرهم وبأكورة تغلبهم ، حسباً يأتي ذكره .

ثم إنّه ، لما اضطربت الأحوال بالدولة المؤمّنية بالماسي مدعي الهداية في دولتهم ، وانتفض عليهم كثير من البلاد ، رجع عن دعوتهم ؛ ولم يكن إلا أن تاب أمرهم وقتل الداعي القائم عليهم باسمه . فتورط بما جناه من القطيعة ، واضطر إلى مداخلته صاحب قلْمُريّة من النصارى المعروف بابن الرنق ، وألطف مهاداته ، ووصل التعلّق بمجبه على كيدن أمثاله من الثوار ؛ فقبل صاغيته ، وبعث له بفرس من مراكبه وترس ورمح .

وتوقع أهل شلب عائدة هذه المداخلّة ؛ فنظروا لأنفسهم في الإراحة منهم ؛ فشغلوا ولده الحسين بن أحمد بن قسي بنزّه أعدوها له ؛ فأقْبى بعضهم برجل مكتوف كأنه قبيض عليه من الدائرة والأشوار ، واستأذنوا على مقدّم الحرس ؛ فعندما دخل إلى البلد يستأذن في أمره ،

اقتحمت الطائفة الحِصْنَ ؛ فقتلوا أحمد بن قَسِيٍّ ، ورفعوا رأسه على الرمح المَهْدَى من قِبَلِ الروم . واستلَّ ابنُ المُنْذِرِ بِشَلْبَ إلى أن صيرها إلى مُلْكِ الموحِّدين ، في خيرٍ يطولُ شرحُه .

وكان قَتْلُ المذكور في جُمادى الأولى من سنة ٥٤٦ . وخَبَرُه يقتضي طولاً . وما صدر عنه من الرسائل في مخاطبة أهل الأندلس ، وما تَضَيَّعت من المخارق والدعوى المذكور . ومن شعره في عَرَضٍ ما كان بسبيله :

[الطويل]

إذا صفر الاصفار جافى فلإنما يميءُ بهولٌ ما يمرُّ وما يحلي  
وسهراً ربيعٍ فيهما كلُّ آيةٍ وعند جُمادى ينقضي أمدُ الخليل

ومن شعره وكان يقول : « أنشدني رَبِّي في المنام ! » : [الكامل]

أوددُ على قوسِ العلى أوتارَه وارتمِ العدا بسهامها العقارَه  
وأنفض يدَيك بِشَلْبِ مفتاحِ البلا د المنجات وأمهسا المختارَه  
ويكون ذاك إذا نكثت العدا وتملأت قننُ الجبال نصارَه

ولما تُقِدَّ عليه قوله في نصارى « نصارَه » ، غضب ، وقال : « كذا قال لي : قُلْ نصارَه ! » فضى على هذه السبيل .

### أيام أحمد بن حمدين الأمير القاضي بقرطبة

وهو أحمد بن محمد بن أحمد التَّغْلِبِيُّ . دخل الأندلس جَدُّهم في طالعةٍ بَلِيحٍ ؛ فنزل بآغُه ، وبها تناسلهم . وفي القضاء بعد أخيه بقرطبة سنة ٥٢٩ ؛ وعزله الأميرُ عليُّ بن يوسف . فلما ثارت العامة بقرطبة ، واستطالت الأيدي لضعف قاضيا إذ ذاك أحمد بن رُشد ، اضطُرَّ أبو جعفر بن حمدين إلى الخروج للناس لردع العامة وتسكين الثائرة . وكان سَهْمًا ، مجيش في صدره

الأمير الذي برز فيه ؛ فظهر يومئذٍ ، وفرَّ ابنُ رُشدٍ مُسْتَعْفياً عن القضاء . وتعطَّلت الأحكام بقرطبة أَرْبَعًا من سنة ، سَخَطًا من الأمير على أهلها . ثم أذن لهم في اختيار قاضٍ ؛ فانفقوا على ابنِ حمدين هذا سنة ٥٣٦ ؛ فاستمرَّ على القضاء إلى سنة ٥٣٩ . وثارت العامة بوالى البلد الرئيس أبي عمر اللِّمْتُونِي ، وخلعوا دعوةَ الملتئمين ، وانتفقوا على مُبايعة القاضي أبي جعفر ابنِ حمدين ؛ فبايَعَه الخاصةُ والعامةُ بالمسجد الجامع من قرطبة خامسَ رمضان من سنة ٥٣٩ المذكورة ؛ وسكن قَصْرَ الخلافة ، وتسمَّى بأُمير المسلمين وناصر الدين . وزحف إليه أحمدُ بن عبد الملك بن هود ، المستقرُّ عند صاحب قَشْنَالَة حسباً وقع ذكره في دولة بني هود ؛ وكان قد أسنَّ ، وبلغ زمن الشيخوخة عند العدو ؛ فأقبل إلى قرطبة بُدَاخلة العامة ؛ وفرَّ عنها بعد اثني عشر يَوْمًا . وعاد إليها ابنُ حمدين من مستقرِّه ببعض الحصون ؛ فاستقام له الأمرُ ودَوَّنَ الدواوين ، وجنَّدَ الأجناد ، ورسم الخَطَطَ ، وخاطَبَ العُصاة بالأندلس ؛ فاستقلُّوا ببلادهم ، واعترفوا ببيعتِهِ .

واستمرت أيامُه أحد عشر شهرًا . ثم دَبَّرَ مُستاده المكيدهَ عليه ؛ فكتبوا إلى يحيى بن غانية عَمِيْدِ العصابة اللِّمْتُونِيَّة ، وهو بدار مُلْكِهِم إشبيلية ؛ فتحرَّك إليهم في جُمادى الآخرة من عام ٥٤٠ . وبرز ابنُ حمدين إلى لثائِه ؛ فالتقى بأحوازِ إِسْتِجَّةٍ ؛ فكانت على ابنِ حمدين الهزيمة ؛ اتَّبَعَه ابنُ غانية ؛ فدخل قرطبة في الثاني عشر لشعبان من السنة . وفرَّ ابنُ حمدين إلى بَطَلِيَّوسَ ؛ فأجاره صاحبها . ثم تدرَّج إلى أن لحق بِحِصْنِ أُنْدُلُوسَ المجاور لقرطبة . وتحرَّك ابنُ غانية إليه ؛ فنازَلَه ، وواصل حصاره نحوًا من شهر ، إلى أن استصرخ ابنُ حمدين طاعةَ الروم ، ووَعَدَه بِأَطْمَعَةٍ ؛ فحَتَّ إليه السيرَ وتخلَّصه ؛ وقتل ابنُ غانية إلى قرطبة . وأخذ ابنُ حمدين أثرَه بالنصارى ؛ فدخلها عاشرَ ذي الحِجَّة من عام ٥٤٠ . واعتم على ابنِ غانية بالمدينة بعد أن عاث الروم في شَرْقِيَّهَا بما هو معلوم ؛ فذكروا أنه في

مدة محاصرة الطاغية لابن غانية بقرطبة اتصت الأخبار بصاحب قشتالة بما كان من جوائز جيش الموحدين إلى الأندلس، وظهور دعوتهم بإسبيلية؛ فاقضى رأيته ورأي أرباب الشورى من قومه أن يستقي ابن غانية، ويهادنه، وينصحه سداً في وجه التوم؛ فتحدث بينه وبين ابن غانية المحاوراة، وتم له العرض على شروط من مال وبلاد التزمها له ابن غانية؛ وأقنع عنه.

وانصرف ابن حمدين خائباً في ظل صاحب قشتالة؛ فأقام بمحصن فرتجلوش، وقصد عبد المؤمن بن علي؛ فأقبل عليه، وأحسن وعده، واستعجل الرجوع من عنده؛ فاستقر بمالقة، وقد ثار بها حليفه وصيه أبو الحكم بن حسون قاضياً، واستجمع بها، والتف بصابته. ونهض إلى قرطبة؛ فبان وهله، وأخفق مسعاه؛ فعاد إلى مالقة إدراجه. وساعد ابن حسون بها على محالفة الموحدين؛ ف دعا إلى نفسه.

وتوفي ابن حمدين بمالقة في التاسع عشر لرجب سنة ٥٤٦؛ ودُفن بقبلي مسجدها. ولما استولى الموحدون على مالقة، نبشوا لحدّه وصلبوه، وهو بحاله لم يتغير بعد عشرين شهراً. وزعم بعض المؤرخين أن المنجيين في زمانه حكموا على مولده بأنه يضل؛ وكان الحديث بذلك فاشياً بين أعدائه بقرطبة؛ فصدقته الأيام، لكن بعد وفاته - تجاوز الله عنه!

### أيام أبي الحكم بن حسون الأمير القاضي بمالقة

وهو الحسين بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الكلبي بن حسون؛ اشتهر بكنيته.

قال ابن خيمس في تاريخه: كان أبو الحكم قد نشأ على مبع سلفه

من الوجهة والنباهة، وعلو المكانة، وشرف الذات، وبعد الصيت، وطلب العلم. وولي القضاء بمالقة عند عمى قاضيه أبي محمد الوحدي سنة ٥٣٨. ثم دعا إلى نفسه لمسا تكاثبت القضاء؛ واستبد، وحصر اللئيميين بالقصبة، إلى أن أنزلهم منها بعد ستة أشهر. وتلك القصبة، وانتقل إليها، وتسمى بالأمير، وأقام سالماً طريقة القضاء مع الإمارة؛ وقلد أخاه أبا الحسن جيشه، ولأه بلكة قرطمة وما إليها. وله بخارج مالقة من الآثار ما يشهد بجلالة قدره.

والتح عليه من مجاوره من المرابطين بأنشقة وغيرها؛ فواصلوا الغارات عليه حتى ألجأه ذلك لاستدعاء جيوش الروم؛ ولزمه المال؛ فأضاق الرعية بما كرهوه لأجله، وشروعوا في التدبير عليه؛ فدخلوا رجلاً سلباً من خدامه، كان قائد الرجال ببابه، يعرف باللوشي، وتواعدوا معه على يوم معلوم ثاروا فيه؛ وتقلب المذكور على الأبواب، وملك القصبة. وسد ابن حسون على نفسه في القصر، وقاتل عنه؛ فلما أيقن بالهلكة، وقد قتل أهل البلد أخاه عند الهيج والثورة، ذهب إلى قتل من بداره من بنياته، غيره عليهم؛ فامتنع منه في العرف والبيوت؛ واشتد الأمر؛ فأطلق النار في كئبه وذخيره؛ فأحرقها؛ ثم شرب سماً؛ فلم يفعل فيه؛ فتذلق رُمحاً وتحامل على سنانة إلى أن خرج من ظهره؛ ولم يجهر عليه. ودخل القصر؛ فوجد مشحطاً في كفيه، مجود بنفسه؛ ثم مات ليومين. وكان ذلك في يوم السبت الحادي عشر من ربيع الأول عام ٥٤٧. وصليت جثته، وحمل رأسه إلى مرآكش.

واستولى الموحدون على مالقة بعده؛ فبيع بنياته وأهله؛ وتسرى بعضهن حيلة من أهل الدولة. كتب الله لنا حسن العاقبة!

## أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز بيلنسية

ولما استقل ابن حنيد بن قرقبة ، ثار الناس ببلنسية ، وخلصوا اللشونيين ، واجتمعوا إلى القاضي ابن عبد العزيز بها ؛ فالتزم بينهم بعد نفاذ وتوقف لم يستع إلا القيام بالأمر . وقد كان اللشونيون لجأوا إلى معقل شاطية ؛ فاحتشد ابن عبد العزيز ، وتأهب لنزولها ؛ فكان ذلك يوم الجمعة الثامن عشر من شوال سنة ٥٣٩ . ولما ضاق بأهل شاطية الحصار ، وأغورزهم الغوث ، اهتبل الغيرة عبد الله بن حمو بن غانية ؛ فخرج في طائفة قليلة من أنجاد قومه ، وتعرف بذلك ، واتسيع أثره ؛ فتجأ وحده ، وقصد الساحل . فذكروا أنه صانع صياداً للحوت ببعض آلتيه ، وركب جفثته ؛ فأوصله إلى أحواز المرسية ؛ فقصدها القائد محمد بن ميمون صاحب الأسطول وصنعة الملتئين ؛ وقد كان وقى لهم ، وامسك بدعوتهم ؛ فجهزه إلى مدينة ميورة ؛ فألحقه بأبيه حمو بن غانية . ومن هنالك تأملت ميورة العصابة الميورية التي تعب فيها عبد المؤمن .

وقلتك ابن عبد العزيز شاطية ، وانضاف إليه لقتت وما إليها ؛ فضحمت جملته ، واتسعت طاعته ، إلى أن ضاقت جبايته ، وكرهته رعيته ؛ فثار له الحاد في الخامس والعشرين من ادي الأولى سنة ٥٤٠ ؛ فصارهم إلى الليل ، وترأس من السور ؛ فذهب لوجهه . وتلاعت به الأيام إلى أن توفي مشرفاً بمرأكش سنة ٥٧٨ .



## أيام عبد الرحمن بن رشيق بمرسية وما إليها

قد تقدم ذكره من حديث ابن رشيق وابن عمار ؛ وهو أن المعتد ابن عباد ، لما وجه إلى مرسية وزيره محمد عمار ، عندما دخلت في طاعته ، فتملكها وتقبض على ابن عبد الرحمن بن طاهر أميرها ، خالف المعتد ، واستقل بنفسه ، وفر ابن عمار إلى ابن دنون . فلما شرع ابن عباد في مطالبته ، وشكا أثره إلى الأمير يوسف بن تاشفين ، وقد جاز إلى الأندلس المرة الأولى ، بادر ابن رشيق بتصير المدينة إلى طاعة الأمير يوسف ، وخطب له بشارها ؛ فلم يسع ابن عباد المراجعة ، ولا فصل يوسف بن تاشفين الخط ؛ فلما قفل إلى مرأكش ، انتهز ابن عباد استكانة الطاغية ، وتحرك طمعه فيما بيد ابن رشيق . فحشد من بعلاته ، واستكثر ، واحتفل ، واستضاف من بقرطة من جيش ولده ، وأعمل السير مورياً بغزو حصن ليط من حصون النصارى المجاورة لمرسية ، ونزل بساحة ابن رشيق ؛ فاحتفل ابن رشيق في بيته وضيافته ، وجاهره بالاستبداد ؛ ولم يلقه ؛ فتلوم المعتد أياماً . ولما يس منه ، رحل عنه ، بعد أن قنع منه بضريبة يؤد بها إليه مسانحة ، وخيل يجهزها إليه عند الحاجة . وأقام ابن رشيق بمرسية . فلما جاز يوسف بن تاشفين في المرة الثانية ، ونزل حصن ليط من حصون الروم بجهة مرسية ، وحضر عنده أمراء الأندلس ، شكا ابن عباد بن رشيق . وحضر ؛ فاحتج عن نفسه . ووجب الحكم لشرعي عليه ؛ فامر بوسادته إلى ابن عباد ؛ فأنفذه في حكم التقاف إلى لورقة . وانتزى قرايته وأهله بحصون مرسية ؛ فانقطعت الميرة ، وساءت حال المحلة ؛ فأقلعت . وثقل ابن رشيق إلى الإعتقال بإشبيلية ؛ فبقي بها إلى أن دخلها الملتزمون على ابن عباد . فخرج من نقاه .

## أيام الامير القاضي أبي عبد الله بن أبي جعفر

بمُوسِيَّة

وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الحشيشي . وكان من أهل البيوت الكبيرة بمُوسِيَّة ، استقضى بها ؛ ثم تقلد رياستها عندما أقام ابنُ حمْد بن بقرطبة في أواخر سنة ٥٣٩ ؛ ف ضبط الأمور بمُوسِيَّة ، مشارِكاً فيها لقائدها المعروف بالتُّغري . وتغلَّب على أربوطة وجهائها . فلما تمكَّن من أمره ، قبض على التُّغري ، وقد ضاق وسعه عن مُداراته ؛ ف كبل استبداده وظهر على أموال اللُّثونيَّين ، استعان بها . ولما ثار ابنُ أضْحَى بغرناطة ، واستعصى عليه أمرُ المُلتَمِين بقصبتها ، استصرخ ابنُ أبي جعفر هذا ، ووعدَه بما أطمعه ؛ فتجرك نحوه في عسكرٍ وأفرج ينيف على أُلُفِّي فارِس ، فيهم أعلامُ فقهاء الشرق وكتّابهم وشُعراهم . وكانت بينه وبين جُيوش اللُّثونيَّين المُضهرين إليه وقعةٌ عظيمةٌ بظاهر المدينة ، صدقت فيها عليه الهزيمة يوم الجمعة ثلاث خلون من شهر ربيع الأول عام ٥٤٠ . وذكر بعضهم أنه كان لا يثبت على الظُّهر ، فيسقط عند الركض ؛ وسعه بعضُ الجند يحاطبُ طَبَّالاً ، يقول له : « اضرِب الطبل ؛ فإنَّ فيه مهابة ! » فكان الجندُ بعد ذلك يعبثون بقوله . وحزَّ رأسه وأدخل المدينة . وانقضَّت حاله هذه .

## أيام أبي أمية أحمد بن عاصم الامير القاضي

بأَرْبُؤَلَة

وهو أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن سعيد بن عاصم ،

٢٥٨

أحدُ الرؤساء الحُسياء ، أولي السِّلَف والنباهة ، المتداولُ للقضاء ثم الإمارة ؛ قام بولاية بِلْدَه للعهد المذكور ، وقصده الناسُ ، وامتدحوه وأشادوا بذكره ، حسبما يظهر من شعر أبي بكر بن حُبَيْس في مدحه في القصيدة الشهيرة التي يصفُ فيها الصيد والجوارح ، التي أوَّلها : [ الطويل ]

يعزُّ بك الإسلامُ والدين والفنَّحُرُ وتخدمك الأقلام والبيض والسمُرُ

وهي شهيرة . واتصلت الولاية في عقبه ، إلى أن تغلَّب الروم على بِلْدَه في الدولة النُصْرِيَّة . ودخل غرناطة من ولده الرئيسُ أبو الحسن خيَجيل ؛ وكان مجالساً للسلطان بغرناطة ، غريبُ الزِّي والوفار ، حَسَنَ الخطِّ ، جميلُ الرِّواء . وكانت وفاته بغرناطة مُسَبِّحاً سنة ٧٠٦ .

أيام القاضي

## المتأمر يوسف بن عبد الرحمن بن جزري

رأس في الفتنة بجزيرة ؛ وهو المدعوُّ بالرئيس أبي الحَكَم ؛ وكان عنده حِظٌّ من الطُّبِّ وخطُّ حَسَنٌ . توفِّي سنة ٥٨٩ . وعندي أن القاضي المتأمر بها غيره .

## أيام الامير أبي عبد الله محمد بن سعد الجذامي

ابن مَوْدَيْش ، أمير شرق الأندلس

كان أبوه سَعْدٌ إميرٌ إفراغة وما والاها من ثغور شرق الأندلس . وكان ما تقدَّم به التعريف من مُنازلة ابن رُدْمير بإفراغة ؛ وأحان الله الطاغية في منأخيه بظاهرها على يد يحيى بن غانية ، بعد أن

٢٥٩

أسفى عليها ؛ فظهر من سعد - رحمه الله - في ذلك اليوم وقبلة من الصبر وحسن البلاء ما اشتهر به ذكره وعلا صيته .

ثم إن محمداً ولدته هذا أخب في هذه الفتنة ، وأوضع بما كان من مصاهرته ابن عياض ؛ فأعد السير إلى محل كثورته 'مرسية' وما إليها ؛ فملكها في العشر الوسط من جمادى الأولى سنة ٥٤٢ . فلبثت قدومه في الرئاسة ، وخلص له ضائر الجند للملازمة الطبيعية . وصاهر إبراهيم بن هبشك ، أول تزوجه ، على بنت إبراهيم . فاستقام الأمر ، وتمت المعاضدة . وبادر بتوجيهه إلى الطاغية ؛ فعقد سلماً على ما بيده من البلاد : حسن مناب صهره ابن هبشك فيه ، ونجحت ساطته . فأمن الشرقي ، ورغب أهل الحصون والقلاع في طاعة ابن سعد ؛ فعظم أمره ، واشتهر ذكره . وخطب مسالمة عدو الله بترجيلونه ؛ فتمت كذلك الأربعة الأعوام على ضريبة مائة ألف مثقال حشمية .

فلما صفا له الشرقي ، ثار عليه من أضاده بني هلال يوسف بن هلال بجيضم مطرنيش ؛ فأقام سوق الفتنة على بلنسية ، وأخذ حصن الصخيرة ، وقلع مورثلة ، وأوقع ابن مرديش وقيعة انهزم ابن مرديش بها . ثم استرجع ؛ وساعده الجند في جريدة جهزها ببعض الأطراف للضرب على مورثلة ، موضع يوسف المذكور ، وافقت الباس متوجهاً في نحوئصته إلى بعض الحصون ؛ فتملكته أسيراً . وأمر به إلى مورثلة ، وأمر بمخاطبة زوجته في التخلي عن الحصن وإلا نزعته عنه ؛ فلم يصدق الوعد ؛ ففقيقت عنه بعود من الأرض ، بعد أن تملكها .

فكان محمد بن سعد غريب السيرة في الثوار ، وكان عظيم القوة في نفسه ، شديد الأمر في ترمكيب بانيته ، أصل الشهامة والنروسة ، يُنادم كبار الأبطال ومشاهير الفرسان ومساءير الحروب ؛ فيعاقبهم الحزم ،

ويُعاطيهم الكأس ؛ ورثها هزة الارتياح ؛ فأفضل حتى بانية شرابه وفرش مجلسه ، وانهمك ؛ فكان يراقد أزيد من مائتي جارية تحت لحاف واحد . ومال إلى اتخاذ زي الرثوم ، من اللباس الضيق ، وكوب البراذن الهماليج ، واتخاذ السروج الضخمة القرايس . واستعان بهم على تدبيره ، ورثب منهم أعواناً وجنداً ، أفرده لهم بمزنيه منازل فيها الخانات والبيع . واضطروا إلى المال ؛ فتخيف الرعية بكل وجهه من وجوه الجور ، واستكثر من القنالات ، ورسم بدائع من المكوس ، وقرر في المواشي عدداً يلزم المثلين ، وفرض على الأدم والبقول والحبوب معارن ثقيلة تغارب أصول الأثان .

وتحرك محمد بن مرديش إلى بلاد الموحدون ؛ فتغلب على جيان وأبدية ، وطاعت له يئاسة ؛ ونازل قرطبة ؛ ثم إشبيلية عام ٥٥٤ . وألح بالضرب على قرطبة حتى لجأ لمحاول الفلاحة إلى حرث منزله بداخل الحاضرة . وتملك مدينة إسنجة ؛ وحاول له داير يعرف ابن تراجيل عدو قرمونة ؛ فتملكها . وجهز إليه الموحدون الجيش ؛ فقرأ من الحصن لقصبتها ؛ فخيّم بإزائها ، واستنزل الموحدون من قصبتها على حكمه .

وفي جمادى الأولى من عام ٥٥٧ ، وجه صهره القائد أبا الحسن بن هبشك إلى محاصرة غرناطة ؛ فدخلها ليلاً . وامتنع الموحدون بقصبتها ؛ فعرض عليه ضروب الحرب ، وتحرك إليها السيد أبو سعيد ابن الخليفة بجيش من الموحدون ، ومعه والي إشبيلية أبو محمد بن أبي حفص ؛ فكان اللقاء بظاهر غرناطة بالموضع المعروف بمزج الرقاد ؛ فانهزم الموحدون أقبس هزيمة ؛ وتمادى الحصار بمنزلة قصبة غرناطة . وتجدد العزم على تجهيز جيش الموحدون لإصرار من بها ؛ فكان كذلك ؛ فتوفرت العساكر بمالقة . وتسامع بذلك ابن مرديش ؛ فأمد صهره بنفسه . ووصلت الجيوش الموحدية ؛ فاضطربت . فدار من بظاهر غرناطة ، وببنت جيش ابن

مردنیش ؛ فانهم مع الفجر من تلك الليلة ؛ فلم يثن عتائاً ؛ وكان الموحدون أملاً بالهجرة . ثم أخذ أمر ابن مردنیش في الإذبار ؛ فكانت عليه للموحدين هزيمة . بفتح السين يوم الجمعة السابع من ذي حجة عام ٥٦٠ ، ونازلوا مرسية ؛ ثم أقبلوا عنها .

وفسد ما بينه وبين ابن همشك بسبب ابنته الكاتبة نعتته ؛ فاختل أمره . ومال ابن همشك إلى الموحدين . وتوالى عليه الحصار ، وأذركه الجهد ، ولزمته الشكاية . ففرض عليه عقب انصرافه من منزلة جزيرة شمر ، بادر إليها بعد إقلاع السيد عنها ، وعجز عن قناتها ؛ ففكر إلى مرسية ؛ فتوفي عاشر رجب من عام ٥٦٧ . واستوفت طاعة الموحدين بالشرق ، وشملت دعوتهم .

### أيام يوسف بن هلال صهر ابن مردنیش

كان يوسف بن هلال صهر الأمير شجاعاً حازماً ، أخطأه الأمير محمد ، وصاحبه ، وجعل لتظيره حصن مطريشة ومواقع كثيرة . وفسد طاعته ؛ فقبض عليه ، ونكبه ، وعنف به ، واستخلص ما كان لتظيره ، وتركه . فأعمل الحيلة ، ولحق بمورثلة ، وثار بها ؛ وعاقده صاحب برجلونه على نصير ما يملكه إليه ؛ فأعانه بجيل من النصارى ، لم يزل يضرب بها ويوالي الضرب على بكتسية ، وبشجي أهلها . وقتل الصخرة والصخرة وغيرهما ، وأوقع بابن مردنیش وقبعة انهزم ابن مردنیش فيها . ثم استرجع ابن مردنیش ، وساعده الجدي في جريدة خيل وجهها ببعض الأطراف للضرب على مورثلة الموضع المذكور ؛ فلقبت بالبأس ابن هلال متوجهاً في نحو بطنه إلى شنتبيطور ؛ فقبض عليه وسبق إلى ابن مردنیش ؛ فأمر به إلى مورثلة ، وطلبه بإخلاها ، وإلا نزعته

عنه ؛ فأبى ذلك . فأمر ابن مردنیش ؛ فأخرجت عنه البيعة بعد . ثم قرب من مورثلة وطلب بإخلاء الحصن ؛ فدعا بزوجه وقتلها بإخلاء الحصن أو تخرج عنه الأخرى ؛ فحصل على التكذيب ، ولم يجبه أحد ؛ فأخرجت للحين عنه الأخرى . وسبق إلى شاطبة ؛ فبقي بها إلى أن مات سنة ٦٤٣ . وقد تكرر بعض حديثه .

### أيام المتأمر إبراهيم بن أحمد بن مفرج بن همشك

وكان جد إبراهيم مفرج أو همشك نصرانياً مقطوع أحد الأذنين ، أسلم . وكان معروف الشجاعة ؛ إذا رآه النصارى في الحرب ، قالوا : « همشك ! » ومعناه : هذا مقطوع الأذن . وكان إبراهيم ذليلاً بالأرض وفارساً نبذاً ، خدم مع النصارى ، وتقرب إلى ابن غانية بقرطبة ؛ وسافر رسولاً بين ابن حمدين وبين ملك قشتالة ، إلى أن تمكن من الانتزاع بحصن شقوبش ؛ ثم تغلب على شقورة ، وقتلها . فغلظ أمره ، وسأوى محمد بن مردنیش ، وداخله حتى عقد معه صهرًا على ابنته ؛ فاتصل له الرياسة والإمارة . وكان سيفاً لصهره ، مستلطاً على من عصاه ، إلى أن فسد ما بينهما . وخدم الموحدين آخر أيامه ؛ فكان أدعى الأسباب إلى خروج الأمر عن ابن مردنیش . وكان إبراهيم بن همشك جباراً ، قاسياً ، فظاً ، غليظاً ، عظيم الجرأة والعبث بالخلق ، يجرهم بالنار ، ويطرحهم من الشواهيق ، ويفصل أعضاءهم بحال الحياة . رآه بعض الصالحين في النوم وسأله عما فعل الله به ؛ فقال له :

[ البسيط ]

من ضره العيث في الدنيا بخلة من يصور الخلق في الأرحام كيف يشاء  
فليصبر اليوم صبري تحت بطشته مغلاً ينطوي جبر الغضا فرشا

وكان قدومه على مراكش أوائل عام ٥٧١ هـ؛ وأُسْكِنَ مَكْنَسَة ؛ ثم هلك بها عن قريب من هذا التاريخ .

## أيام أحمد بن ملحان

### بَوَادِي آش

وكان أحمد بن محمد بن مَلْحَان الطائي الواديّ مشهوراً بالكفاية ، مُضْطَلَعاً بِالْعَمَلِ . فلما دعا ابن حَمْدَن إلى نفسه ، واقتدى به غيره ، ثار بَوَادِي آش ، وتلقّب بالْمُتَأَيَّد بالله ، وحصّن القَصْبَة ، وأخذ بالحزم ؛ ولم يَكِلْ أَمْرَهُ إلى غيره . وخاض به الفتنة خوض الجرّاة ؛ فأثى على كثير من الأَنْفُس والأَمْوَال ، واقتنى كثيراً من المال والذخيرة ، واستعان على غناه بالفلاحة وإثارة الحرث . فكان أَغْنَى أَهْلَ زمانه . وظهر على كثير من بَجَاوِرْ بَلَدِهِ كمدنية بَسْطَة ؛ وبها اليوم له عَقَبٌ . واستخدمُ جُمْلَةً من مشاهير أَهْلِ الْعِلْمِ والأدب ، كَأَبِي بَكْر بن مُطْفَيْل ، وأَبِي الْحَكَم هَرُودُس . ودخل في طاعة المُوَحِّدِينَ لما ضيق به ابن سَعْد وطمع فيما بيده ؛ وكان خروجه إليهم عنها سنة ٥٤٦ هـ . واستُعْمِلَ بِمَرَاكُش في استغال البَحِيرَةِ وَبِنَائِهَا وإجراء مائِهَا . وَنُكِّبَ ؛ وَجَرَتْ عليه مِحْنَةٌ استهلكَت ما بيده . وتوفي بِمَرَاكُش على هذه السبيل .

فهذا ما حضر من مشاهير التُّوَارِ بِأَعْقَابِ دَوْلَةِ اللِّمْتُونِيِّينَ على الاختصار .

## ذكر تصيير أمر الأندلس

إلى ملوك آل عبد المؤمن المتدعوين بالمُوَحِّدِينَ ، على سبيل الإلماع والإحالة ، إذ الكلام فيهم يستوفى عند ذِكْرِهِمْ كَوَلْتُهُم بِالْمَغْرِبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

قُلْتُ : ولما اضطرب أمرُ المرابطين من مُشْتَوَةِ الْأَنْدَلُسِ ، وضعفوا ، وكثرت الفِتَنُ والتُّوَارُ ، واغتم العدوُّ ذلك ، فاستولى على البلاد ، واشتهر ظهورُ الدَّوْلَةِ الْمُؤْمِنِيَّةِ والطائفةِ التَّهْدِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ ، وافتتحو دارَ الْمَلِكِ مَرَاكُشَ ، واستأصلوا أَرْبابَ الْأَمْرِ ، تَعَلَّعَتْ أَمْالُ الْمُسْلِمِينَ بِهِمْ ، واستصرخهم النَّاسُ ، وثاروا بين يديهم من المرابطين ، سوء جوارٍ وَجِبًّا في الإدالة وتَبَدُّلِ الْمُلُوكِ ؛ وَقُلْ أَنْ رَأَوْا أَيْالَهُ أَنْشَعَ أَوْ أَجْرَى فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ مِنْ لَشْتَوَةِ . فَأَجَابَهُمْ صَاحِبُ الدَّعْوَةِ الْأَمِيرُ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ جَيْشَهُ لِنَظَرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَرْزَازِ الْمَسْوُوفِيِّ فِي شُعْبَانِ مِنْ سَنَةِ ٥٤١ هـ .

## دولة الامير أبي محمد عبد المؤمن بن علي بالاندلس

ولما أطاع عبد المؤمن بن علي الكثير من البلاد الأندلسية بجهة الغرب : لإشبيلية ، ومَرَرِيشَ ، وَلِبَلَّةَ ، نُحِرْكَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ عَامِ ٥٥٥ هـ . واحتلَّ بِجَبَلِ الْفَتْحِ فِي الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ . ووفد عليه أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَنْشَدَتْهُ الشُّعْرَاءُ . وفي ذلك يقول أبو عبد الله بنُ صَاحِبِ الصَّلَاةِ :

[الطويل]

تَلَأَلَا مِنْ نَوْرِ الْخِلَافَةِ بَارِقُ أَضَاءَتْ بِهِ الْأَفَاقُ وَالْبَلِيلُ غَاسِقُ



وأثرت الدنيا به فكأنما من البشر في كل الجهات مشارق  
وفي ذلك يقول أبو عبد الله الرضائي، شاعر الأندلس في وقته، قصيدته  
الشهيرة التي وصف فيها جبل الفتح، وهي:

لوجئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور  
من كل زهراء لم ترفع ذوابتها ليلا لدار ولم تثبت لغرور  
فيضته القدح من نور النبوة أو نور الكرامة تجلو ظلمة الزور  
ما زال يقضها التقوى بوقدها صوام هاجرة قوام كريجور  
حتى أضاءت من الإيمان عن قبس قد كان تحت رماد الكفر مكفور  
نور طوى الله زناد الكون منه على سقط إلى زمن المهدي مذخور  
وآية كإيالة الشمس بين يدي غزو على الملك القيسي مندور  
با دار دار أمير المؤمنين بسفح الطود طود العلى بورك في الدور  
ذات العبادين من عز وبملكة على الأساسين من قدس وتطهير  
ما كان بانك بالوافي الكرامة عن قصر على مجمع البحرين مقصور  
مواطىء من نبي طالما وصلت فيها الخطا بين تسبيح وتكبير  
حيث استقلت به نعلاه بوركتا فطيت كل موطوء ومعبور  
وحيث قامت قناة الدين ترفل في لواء نصر على البرئين منشور  
في كف منشور البردين ذي ورع على التقى وصفاء النفس مفظور  
يلقاك في حال غيب من سريره بعالم القدس مشهود ومحطور  
تسم الفلك من شط المجاز وقد نودين: يا خير أفلاك العلا سيري  
فسرني يحملن أمر الله من ملك بالله منتصر في الله منصور  
تومي له بسجود كل تحركة منها ويوليه حمداً كل تصدير  
لما تسابقن في بحر الزقاق به تركن شطيه في شك وتحير

أهز من عطفه انشاء مسرور أم خاض من لجه أحشاء مذخور  
كأنه سالك منه على وشل في الأرض من بهج الأسياف منطور  
من السيوف التي دانت بسطوته وقد رما نار هيجاه بتسوير  
ذي المنشآت الجواري في أجرتها شكل الغدائر من سدل وتضير  
أغرى المياه وأنفاس الرياح بها ما في سجاياه من لين وتعطير  
من كل عذراء حبل في ترائبها ردعان من غير ورد وكافور  
تخالها بين أيدي من مجادفها يغرفن في مثل ماء الورد مبخور  
وربما خاضت التيار طائفة كأنها عبرت تحتال عاتمة  
حتى رمت جبل الفتحين من كتب في زاخر من ندا ينسأه معصور  
له ما جبل الفتحين من جبل معظم القدر في الأجيال مذكور  
من شامخ القدر في سجايه طلس له من الغيم جيب غير مزور  
معبراً من ذراه عن ذرا ملك مستطر الكف والأكناف بمطور  
تمسي النجوم على تكليل مفرقه في الجو حائمة مثل الدنانير  
وربما مسخته من ذوابها بكل فضل على فوده مجدور  
وأردد من ثناياه بما أخذت منه معاجم أعواد الدهاير  
محنك حلب الأيام اسطرها وساقها سوق حادي العير للعير  
متيد الخطو جوال الخواطر في عجب أمرته من ماض ومنطور  
قد واصل الصمت والإطراق مفتكراً بادي السكينة مغبر الأساير  
كأنه مكن مما تعبّره خوف الوعدين من دك ونسيير  
أخلق به وجبال الأرض واجفة أن يطعن غداً من كل مخدور  
كفاه فضلاً أن اتأب مواطئه نعلا مليك كريم السعي مشكور

مستنشقاً بها ريح الشفاعة من ثرى إمام بأقصى الغرب مقبور  
ما انفك أملٌ أمرٍ منه بين يدي يوم القيامة محترم ومقدور  
حتى تصدئ من الدنيا على رمق يستبجز الوعد قبل النفخ في الصور  
مستقبل الجانب الغربي مرتقباً كأنه باثٌ في جو أسير  
لبارق من حسام سله قدراً بالغرب من أفق البيض المشاهير  
إذا تألق قبساً أهاب به إلى شفى من مضاع الدين موتور  
ومنها

ما عن في الدين والدنيا له أرب ألا تأتى له من غير تعذير  
ولا رمى من أمانيه إلى غرض إلا هدى سهمه نجح المقادير  
حتى كأن له في كل آونة سلطان رق على الدنيا وتسخير  
يميز الجيش ملتقاً مواكبه من كل مثلول عرش الملك مقهور  
من الأولى خضعوا قسراً له وصغوا لأمره بين منهي ومأمور  
من بعد ما عندوا دهرآ فما تركوا إذ أمكن العفو ميسوراً لمعسور  
بقية الحرب فاتوها وما بهم في الطعن والضرب سباء لتقصير  
ومنها

إذا صدعت بأمر الله مجتهداً ضربت وحدك أغناق الجاهير  
لا يوهن لتقليل أخو سبب من الأمور ولا يركن لتكثير  
فالبجر قد عاد من ضرب العدا يلبساً والأرض قد غرقت من فور تنور  
وإنما هو سيف الله قلده فموضع الجدة منه جد مشهور  
والشمس إن ذكرت موسى فما نسبت فتاه يوشع قماع الجبابير

ولما قضى وطره من إصلاح أحوال الأندلس والنظر في مهماتها  
وحسن عيانتها ، وقدم أولاده بقواعد الأندلس ، قفل عنها إلى مراكش .

لتوطيد ملكه ؛ وقد انتحل به ما أوجب ذلك . فتوفي ... رحمه الله  
ليلة الخميس عاشر جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ . وعهد إلى ولده يوسف

### دولة الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي بالاندلس

وكان ملكاً كبيراً ؛ جاز إلى الأندلس ، واستخلص بلاد سغد بن  
مردينش ، وفتح حصن يبلج من حصون الرُّوم . وانصرف إلى المغرب  
بعد أن قرأ أمور الأندلس . ثم جاز في سنة ٥٨٠ ، وتنازل مدينة  
ششتين ؛ فأصيب بجراحة من قبل حامية النصارى لم تخطبه ؛ فكانت  
منها وفاته بحلة غزاة ، ليلة الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة ٥٨٠ .  
وقام بأمره ولده يعقوب .

### دولة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن

#### بالأندلس

وكان ملكاً جليلاً فاضلاً ورعاً . فتح البلاد الإفريقية ، واستخلص  
ميورة ، وأوقع بطاغية الرُّوم الواقعة العظمى المنسوبة إلى الأراك ؛ بلغ  
عدد القتلى بها ثلاثين ألفاً . وواصل العدو وعقد السلم . واستأن الله  
به في ربيع الأول سنة ٥٩٥ . وولي بعده ولده الناصر .

### دولة محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف

#### بن عبد المؤمن بالأندلس

وكان ملكاً كبيراً . فتح ميورة ثانية من يد الميورقي . ونحرك

بن إفريقيا؛ فدوَّخها ومهدّها . ثم قفل إلى الأندلس . وعظمت نكابة العدو . والتقى بذلك النصارى مغلوب أبيه يوم الأرك ؛ فكانت على المسلمين الهزيمة الكبرى المنسوبة إلى العقاب . ولم تستقل الأندلس بعدها العشرة ؛ وكانت يوم الإثنين الثامن لصفر من سنة ٦٠٩ . وجاز إلى المغرب ، واحتشد ، واستكثر ، ولم يشق غايته ، وعزم عزماً لم يتقدّم لمثل ذلك قبّله ، إلا أنَّهُ الذاهر قطع عليه أمّلكه . فتوفي في شعبان من سنة ٦١٠ . ولم يعد بعدهم إلى الأندلس أحد من ملوك الموحّدين ، إلى أن انقرضت أبنائهم . فينبغي أن نقف عنده ، ونستوفي من بقي من أملاكهم بوضع ذلك من الكلام في ملوك المغرب . فليستظره هناك من أرادّه .

## ذكر الثوار والطوائف والمتملكين

### من بعت دولة الملوك آل عبد المؤمن بالأندلس

قلنت : وقد كانت أيدي هذه الدولة المؤمّنية أنفتت الأرض من عشب الثوار ؛ فلم تترك منها عيناً إلا صيرته أثراً ، ولا حبراً إلا ردّه خبيراً . وانفتت الأمّة على كعوة واحدة . ثم إنهم ضعفوا واختلّوا ؛ ولو شاء الله ، ما اختلفوا . فثارت الثوار ، وكثرت الغوَّار ، واشتعلت للفتن النار ، وضوّت البلاد طي برود الكفار . فكان على آخر هذه الدولة منهم من يذكّر .

## بقية اخبار بني مردينش بشرق الأندلس

ولما أفرط الأمر بظهور محمد بن سعد بن مردينش ، ووقعت بينه وبين الموحّدين الحروب المشهورة ، أجاز البحر الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد

المؤمن إليه سنة ٥٦٧ ؛ وكان قد قسّد ما بين ابن سعد وبين خدامه وكثير من قرابته ؛ فاضطرب أمره . وكان قد أركب النصارى ، واجتاح لهم مالا ضاقت عنه جبايته . وفرّ عنه أخوه الرئيس أبو الحجاج بن سعد ؛ ففسد فكره وساء ظنه ، وأوقع بوزرائه . فهلك بمرض الذبول في رجب هذا العام .

وتولّى الأمر بعده ولده أبو القمّر هلال بن محمد بن سعد ، وبادر بالتخلّي عن مرسية ، والإذعان للأمير أبي يعقوب بالطاعة . فوجه الأمير أبو يعقوب إلى مرسية السيّد أبا حفص أخاه . وقدم هلال بن محمد لمشيية مستهل رمضان من السنة . فذكروا أن الأمير محمد بن سعد لما يش من نفسه ، وعلم بتصير ملكه إلى الموحّدين ، أشهد على نفسه بإبضاء يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده وأهله ، ورغب منه في قبول ذلك . وجلب إليه ولده بعد موته ؛ فرق لهذا القصد الأمير أبو يعقوب ، واهتز لرعي هذه الوسيلة ؛ فتزوج ابنة أبي عبد الله بن سعد ، وخلط أهله بنفسه . وأورثهم ذلك ملك البلاد الشرقية زمناً غير يسير . وكان إعراسه بينت ابن سعد ليلة السبت الخامس لربيع الأول من سنة ٥٧٠ ؛ وولع بها ، وتغلّبت عليه حتى كان الناس يضربون المتسل بحب الخليفة للزوّاء المردينشية . واتفق لقومها من البيعت بسبها ما لم يتفق لثائر فلا تخالف ملك من إعادته إلى ملكه . فأنفذ تقديم الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردينش على بلنسية وجهاتها ، وقدم غانم بن محمد ، ابن أخيه ، على أساطيل العدو بسبته . وأمسك هلالاً بحضرته أمير الرتبة لديه .

## أبناؤنا الأمير

### أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش وبنه

واستقرت ولاية الرئيس أبي الحجاج بالبلاد الشرقية مدة حياته إلى أن هلك في سنة ٥٨٢ . وتختلف مجلة من الولد الرؤساء . فمنهم : أبو الحسبات مدافع ، وأبو الظفر غالب ، وأبو الحارث سبع ، وأبو سلطان عزيز ، وأبو ساكن عامر ، وأبو محمد طلحة . هؤلاء رؤساء وشهروا بالبلاد الشرقية في أخريات دولة الموحدين . فلما انشقت العصا من لدن وفاة المستنصر ، خاضوا في الفتن مع الخاضعين ، واستقرت الرئاسة في أبي جميل زيان بن أبي الحسبات مدافع بن الرئيس يوسف بن سعد . وكان مدافع قد استشهد سابقاً ، وفي حياة أخيه أبي السلطان عزيز بن سعد صاحب جزيرة شقر . فلما أزمع السيد أبو زيد عبد الرحمن بن يعقوب الخروج عن بلنسية ، والاعتصام ببعض معاقلها ، ليكون أفندراً على ضبط أمره ، وامتنعت عليه ، وألجأه الاضطراب إلى اللحاق بصاحب أرغون ، بادر الرئيس أبو جميل ببلنسية من مستقره يومئذ بمدينة أبدة ؛ فدخلها يوم الإثنين السادس والعشرين لصفر سنة ٦٢٦ ؛ وسكن القصر ؛ وأخذ البيعة لنفسه أول ربيع الأول من السنة ، داعياً للقبائمي ببعدها . ثم دخلت دانية في بيعته ؛ فاتسع عمله ، ورحبت ساحته ؛ وتلك في رجب من هذه السنة حصن قرطبة ، ودخلت جنجالاً في بيعته . فضخم ملكه ، واشتهر جهاده ، إلى أن كانت عليه الواقعة بأبيته من ظاهر بلنسية ، هلك فيها من المسلمين ما لا يحصى إلا الله ؛ وكتب عليهم عدو الشرق ، ويسوا من نصره أهل الأندلس وأهل المغرب ؛ فتعلقوا ببيعة الأمير أبي زكرياء بنونس ، واستصرخوه ، وأطمعوه بفتح

الشرق . وصدر من الاستنصار المنظوم في ذلك القصيدة الشهيرة من نظم الكاتب أبي عبد الله بن الأبار التي أولها : [ البسيط ]

أذكرك بحيلك تحيل الله أندلساً إن السبيل إلى منجاة كرسا  
حسباً يأتي في اسم الأمير أبي زكرياء بحلته إن شاء الله . ولم يصل جوابه وإمداده إلا والطاغية قد نازل بلنسية ، وذلك يوم الخميس خامس رمضان من سنة ٦٣٥ . وواصل عدو الله جاقمه ملك أرغون منازلة بلنسية ورمتها بالمجانيق وشدة القتال ؛ وما زال المسلمون تنقص أعدادهم ، والنصارى تتوارد أمدادهم ، إلى أن نفذت الأقوات ، واستولى الجوع ، وضعفت القوى ، وأكملت الجلود والزفوق . وبلغ الكتاب أجلك ؛ فكانت المروضة على إسلام البلد ، والخروج عنه في الرابع عشر لصفر من السنة ، بعد سنة المنازلة . وخرج الأمير أبو جميل والشهود ؛ وعقد الصلح بعدها على دانية وقلية . وكان الرزء على المسلمين في أخذ بلنسية عظيماً ، والخطب فيها ألياً . وفي ذلك يقول القاضي أبو المطرف بن غيرة : [ الكامل ]

ما بال دمعك لا يني مدراره أم ما لقلبك لا يقر قراره  
أللوعة بين الصلوع لطاعين سارت ركائبه وسطت داره  
أم للشباب تقاذفت أوطانه بعد الدنو وأخلفت أوطاره  
أم للزمان أتى بخطب فادح من مثل حادثة خلت أعصاره  
بحر من الأشجان عب عبابه وارتج ما بين الحصى زخاره  
في كل قلب منه وجد عده أسف طويل ليس نخبو ناره  
أما بلنسية فتوى كافر حفت به في عقرها كفساره  
زرع من المكروه حل حصاده بين العدى وغداة ليج حصاره  
وعزبة للشرك جعجج بالهدى أنصارها إذ خانه أنصاره

فَلَمْ يَكُنْ تَلْبَسُ بَعْدَ غَزَاةِ الْعَدَى  
أَنْوَارُهُ أَوْ كَيْفَ يُدْرِكُ نَارُهُ  
مَا كَانَ ذَلِكَ الْبَصَرُ إِلَّا جَسَّةً  
لِلْجَسَنِ تَجْرِي نَحْتَهُ أَنْوَارُهُ  
طَابَتْ بِطَيْبِ نَهَارِهِ أَصَالُهُ  
وَتَعَطَّرَتْ بِنَسِيمِهِ أَشْجَارُهُ  
وَتَأَلَّفَتْ أَوْقَاتُهُ وَتَفَتَّحَتْ  
أَرْجَاؤُهُ وَتَفَتَّحَتْ أَنْوَارُهُ  
أَمَّا السَّرَارُ فَقَدْ عَدَاهُ وَهَلَ سَوَى  
قَهَرِ السَّمَاءِ يَزُولُ عَنْهُ مِرَارُهُ  
قَدْ كَانَ يَشْرِقُ بِالْهَدَايَةِ لَيْلُهُ  
فَالآنَ أَظْلَمَ بِالْظُلَامِ نَهَارُهُ  
وَدَجَا بِهِ لَيْلُ الْخُطُوبِ فَصَحَّه  
أَعْيَا عَلَى أَبْصَارِنَا إِسْفَارُهُ  
إِيَّاهُ أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ وَإِنَّهُ  
نَبَأٌ يَرْجِعُ لَوَعْنِي تَذْكَارُهُ  
عَاطِيَتِي ذَكَرَ الْجَلَاءِ وَإِنَّهُ  
لِجَلَاءِ أَنْسِيٍّ إِذَا أَنْتَ أَخْبَارُهُ  
وَقَدَحْتَ زَنْدَ أَمْسٍ لَهُ بَيْنَ الْحَشَى  
عَمَلٌ تَلَاقَى مَرْخُهُ وَعَفَارُهُ  
وَلَقَدْ نَطَقَتْ بِقَضَى الرَّدِّ الَّذِي  
رَأَتْ نَضَارَتُهُ وَطَابَ نَضَارُهُ

وَلَمْ يَطْلُ الزَّمَانُ بِالشَّرْقِ أَنْ أَنْهَارَ ، وَأَجَابَ الْكَفَّارَ . فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ  
بَيْنِي وَمَرْدَنِشَ . فَهَمَّ بَيْنَ قَتِيلٍ شَهِيدٍ ، وَمُنْتَقِلٍ مِنْ ثُوْنُسٍ إِلَى لِيَالَةِ  
التَّوْحِيدِ .

## إيام ابي بكر عزيز بن ابي مروان بن خطاب

### مُؤَسَّسِيَّة

وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَدْرَ الْبَلَدَةِ ، وَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي أُمُورِ الْعَقْدِ  
وَالْحَلِّ . وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالنَّسْكِ ، وَأَوَّلِي التَّقْوَى وَالْبِرِّ ، كَثِيرَ  
الْحُشُوعِ ، مَعْرُوفَ الْحَيَرِ ، كَثِيرَ الصَّدَقَاتِ ، مُشْتَغِلًا بِالْعِبَادَةِ ، مَلَاذِمًا  
بَيْتَ اللَّهِ . ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ الْمُسْلِمَ عَلَى مَنْ لَمْ يُضِفْهُ اللَّهُ إِلَى عَبْدِيَّتِهِ مِنْ  
بَنِي آدَمَ اسْتَنْزَلَهُ ، لِقَبُولِ الْإِمْرَةِ بِرُسِيَّةٍ وَمَا إِلَيْهَا ، مَعَ قَطْعِ صِيِّ الْمَهْدِ

وَرَضِيعِ الشُّدْيِ بِسُوءِ عَقْبِي مِنْ يَتَحَمَّلُ ذَلِكَ يَوْمئِذٍ . فَقَامَ بِالْأَمْرِ ، وَهَجَرَ  
الْمَسْجِدَ ، وَنَشَبَ بِالْمُلُوكِ ، وَسَبَحَ فِي بَحْرِ الْخَوْضِ عَلَى كَثْرَةِ الْمَنَازِعِ ،  
وَعَدِمَ الْمَالَ ، وَكَلَبَ الْجُنْدَ ، وَقَلَقَ الرِّعِيَّةَ ، فَكَانَتْ وَلَايَتُهُ فِي الْمَحْرَمِ  
مِنْ سَنَةِ ٦٣٦ ؛ وَبَيْعَتُهُ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي الْمُنْطَرِفِ بْنِ عَمِيرَةَ سَهِيرَةً .

وَلَمْ يَقُمْ بِالْأَمْرِ حَتَّى قَعَدَ . وَكَانَتْ عَلَيْهِ لِلنَّصَارَى وَفِيعَةَ لَمْ يُحْكِمُ فِيهَا  
الْمَصَافَ ، وَلَا عَرَفَ الْقِتَالَ ، فَبَلَكَ فِيهَا جِيلَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْهَنْتْ  
الْبَلَدَ ، وَكَرَّهَتْهُ إِلَى أَهْلِهِ . وَفِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٣٦ ،  
اسْتَدْعَى أَهْلُ 'مُرْسِيَّةِ الْأَمِيرِ' أَبَا جَبِيلَ بْنَ مَرْدَنِشَ ؛ فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ  
طَوْعًا . وَهَاجَتِ الْعَامَّةُ ؛ فَدَخَلَ قَصْرَ ابْنِ خُطَّابٍ ، وَانْتَهَبَتْ مَا فِيهِ عَلَى  
اخْتِلَافِهِ مِنْ فَرَسٍ وَثِيَابٍ وَأَنْيَةٍ وَمَالٍ . وَفُيِّضَ عَلَيْهِ ؛ وَبَقِيَ مُعْتَقِلًا إِلَى  
أَنْ قُتِلَ بَعْضُ زَوَايَا الْقَصْرِ لَيْلَةَ الثَّلَاثَةِ الْمُوفِي عَشْرِينَ لِرَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٣٦ .  
وَأُخِذَتْ بِهَا الْبَيْعَةُ لِلْأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا صَاحِبِ ثُوْنُسَ ؛ وَانْتَضَمَتْ لَهُ الْبِلَادُ  
الشَّرْقِيَّةُ . فَمَضَى عَلَى هَذَا السَّبِيلِ .

## إيام الرئيس ابي عثمان سعيد بن حكم الاموي

### يَمْرُوقَةُ

كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ طَبِيعَةِ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ . وَتَلَوَّنَ بِهِ الدَّهْرُ ،  
وَجَالَ الْأَنْدَلُسَ وَإِفْرِيقِيَّةَ بَرْهَةً . ثُمَّ دَخَلَ جَزِيرَةَ مَمْرُوقَةَ مُشْرِفًا بِهَا .  
ثُمَّ نَالَ بِهَا الرِّيَاسَةَ لَمَّا افْتَرَقَتِ الْكَلِمَةُ وَاخْتَلَفَ أَمْرُ الْمُوَحِّدِينَ . وَحَسَّنَ بِهَا  
تَدْيِيرَهُ ، وَعَلَا قَدْرَهُ ، وَأَعْظَمَتَهُ الْمُلُوكُ . وَكَانَ بَعِيدَ الْمَهْمَةِ ، اجْتِلَابًا لِأَهْلِ  
الْعِلْمِ ، وَاصْطِنَاعًا لَهُمْ ، وَافْتِكَاسًا لِمَنْ تَحَصَّلَ مِنْهُمْ رِبْدُ الْعَدُوِّ . وَلَتَدْيُهُ  
حَظُّ جَزِيلٌ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَقَرَضِ الشَّعْرِ وَحُسْنِ الْخَطِّ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ  
شَدِيدَ الْقَسْوَةِ وَالْعِقَابِ ، مُسْتَهْنَأً بِالذَّمِّ .

حدثني الشيخ السري أبو الحسين التلمساني، وكان عمه أبو عبد الله البرقي كاتباً لابن حكيم بمنزلة، قال: كان من سيرته أن يقتل الناس عقاباً على شرب الخمر. وكان قد اجتمع المحدث ابن مفلح للرواية عنه وسأع كتاب البخاري عليه؛ اغتم ذلك لئيه. قال: فينا الكتاب يقرأ إذا أتى إليه برجل قد شرب الخمر؛ فأمر به؛ فضربت عنقه. قال: فطوى ابن مفلح الكتاب، وحلف أن لا يسلم عليه منه حديث؛ وقال: «حفظك الله! تطلب رواية السنة وتصحيحها، وتعدى حدود الله هكذا! والله! لا سمعت مني حرفاً أبداً!» فقال: «يا فقيه! هذه الجزيرة كثيرة العنب، والناس يشربون الخمر بها ويسكرون؛ فيضيعون الاحتباس؛ فيظهر علينا العدو!» فقال له: «هذا شيء لا يخلص عند الله! لم تترك الشريعة شيئاً من موازين صلاح الدنيا والآخرة إلا أعطته حقاً!» وانصرف عنه. ودامت ولايته بمنزلة، مقصوداً من الفضلاء والأدباء، حسبا يظهر من ترسيل أبي المطرف وابن الجئان وغيرهما، نحواً من خمسين سنة، إلى أن توفي في حدود عام ٦٨٠. وورث رياسته بعده ولده أبو عمر.

## أيام أبي عمر حكم بن سعيد بن حكم الأموي

### بمنزلة

وكان أبو عمر أفضل من أبيه في دماثة الخلق، والعفة عن الدماء والأبشار، والاجتناب للعظام، مع حسن الخط، ورواية الحديث، وقصر الشعر، إلا أنه لم يستقل استقلال أبيه، ولا نبض نهضته. فانصرفت أطباع العدو البرجيلوني المجاور لثغره إلى تلكه؛ ففر له ذلك، ونفذ قدر الله فيه، سنة ٦٨٦. فاستولى على الجزيرة، وأجلى عنها

المسلمين. وخلق أبو عمر بسيرة، وقد رفع إليها رمة أبيه، بعد أن كان نزل بالمنزلة. ووصل إلى غرناطة، وأقام بها أياماً تحت جارية أميرها.

وحدثني من رآه وروى عنه من شيوخنا أنه كان رجلاً قويم السمات والمهدي، جميل الرواء، عظيم الوقار والتودد. وله أولاد كالنجوم جمالاً وساماً. وكان نساؤه وخدماه يلبسون عفاؤ حمراء منسدة عليهم في زي غريب. وركب البحر هو، وبنوه ذكورهم وإناثهم، وحاشيتهم، قاصداً تونس؛ وقد بذر بها والده ذماماً وأثمل له حظوة. فعدا عليهم البحر بأحواز الجزائر جزائر بني مزغنة. فزعوا أن صاحب المركب عزم عليه في ركوب الثاني الذي يبيع المركب، وقد انتفى فيه الأعزّة عليه؛ فقال له أبو عمر: «ومن معي؟» فقال: «لا سبيل إلى ذلك فلتنعن بنفسك! فهو الذي تقدر عليه لك!» فرجع إلى الطائفة حيث بنائه وكرامته، وسد غلقها عليهم وعلى نفسه؛ فلم ينج منهم أحد - نفعهم الله بالشهادة! - وكان ذلك في أخريات العام المذكور أو في العام بعده.

وليس الكلام في منزلة من شرط الأخبار الأندلسية؛ ولكنها أنسب إليها منها إلى غيرها، إذ لم تزل راجعة إليها، وتابعة لأحكامها؛ فهذا وجه المساعدة، كما أضيف صليته إلى إفريقية.

## دولة السلطان محمد بن يوسف بن هود الجذامي

وهذا الرجل هو الذي تعين صاحب الأندلس من بعد انقراض دولة الموحدين، وملك مرسية وقربطبة وإشبيلية وقرطبة ومالقة والمريّة وما إلى ذلك، بالاجتماع وافتراق، وانتزاعاً من أهلها عليه وسفاح. وكان يدعى بأمير المسلمين، ويلقب من الألقاب السلطانية

بالمَنَوَكَل على الله . وكان يَنْسَبُ إلى المُسْتَعِينِ بن هُود الذي تقدَّم الحديث في دولته . ولأجل ذلك ، يقول أبو عبد الله بن مُرْج الكُتْل من قصيدة يمدحه بها :

فَتَحَتْ بِلَادَ اللَّهِ دُونَ مَشَقَّةٍ وَمَا عَرَفَتْ أَرْبَابَهَا حَادِثًا نَكْرًا  
وَلَا بُدَّ مِنْ فَتْحِ الْبَقِيَّةِ عَاجِلًا وَيُعْجِلُ لِلْأَشْيَاءِ خَالِفَهَا قَدْرًا  
وَكَمْ زَهْرَةٌ فَتَحَتْ وَهِيَ كَامَةٌ وَلَمْ تَجْنِرْ غَيْرَ الْبَيْضِ مِنْ فَتْحِهَا زَهْرًا  
أَمْثَلَ ابْنُ هُودٍ أَخِيذًا بِتَوَاتِهِ وَمَنْ كَانَ مَوْتُورًا فَلَا يَدْعُ الْوَتْرًا  
وَإِنْ كَانَ مَنصُوبًا فَإِنْ مَحْدَأَ بِصَارِمِهِ الْهِنْدِيَّ قَدْ رَدَّهُ قَهْرًا  
وَنَادَى عَلَى مُلْكِهِ تَقَهَّقَرِ مُدَّةً وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ فِي مُدَّةٍ أُخْرًا  
فِيُوشِعُ رَدَّ الشَّمْسِ فِي جَرَانِهَا وَمَا بَعْدَتْ نَوْرًا وَلَا نَقَصَتْ قَدْرًا  
قَضَى رَبُّهُ أَنْ يَمْلِكِ الْأَرْضَ آخِرًا فَقَدَّمَهُ فَضْلًا وَأَخَّرَهُ عَصْرًا  
وَكَمْ آخِرٌ قَدْ جَاءَ بِالْفُضْلِ أَوَّلًا وَهَلْ تُجْعَلُ الدُّنْيَا سِوَاءَ مَعَ الْآخِرِ  
فِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ كَوْنَهَا وَمَا صَحَّحَتْ إِلَّا أَوَاخِرَهُ الْعَشْرًا

وكان شجاعاً ، كريماً حَيِّثاً وَفِيّاً ، متوكِّلاً عليه ، سليمَ الصدر ، قليلُ المبالاة بالأُمور ، محدوداً ، لم ينصر به جيشٌ ، ولا وفق له رأيٌ ، لغلبة الحفَّة عليه واستعجاله الحَرَكَات ونشاطه إلى لقاء الأعداء من غير كمال استعداد . وكان خروجه من مُرْسِيَّة نَاصِعَ رَجَبِ سنة ٦٢٥ ، وظهوره بالصُّخُور من جهاتها في نَفَرٍ يسيرٍ من الأجناد . وكان الناسُ يستشعرون ذلك ، ويرتقبون ظهورَ طالِبِ الأَمْرِ اسْمُهُ مُحَمَّد ، وَاِسْمُ أَبِيهِ يُوسُف ؛ وهي العِلَّةُ المَحْرُكَةُ بعده لمُحَمَّد بن يوسُف بن نَصْر بن الأحمر . وجرى على الناس بسبب ذلك في زمنِ المُوَحِّدِينَ امتحانٌ سَقِيَ به قومٌ مَن وافقَ هذا الاسمَ أسأؤهم أو أساءَ آبائهم . وقُتِلَ بسبب ذلك شَخْصَانِ من أهل جَبَّان .

ويُقال إنَّ شَخْصًا مَن يَنْتَحِلُ علومَ الحَدَثَانِ لَقِيَ ابْنَ هُود ؛ فامعن النظر إليه ، وسأله ، وقال له : « أَنتَ سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ ! فَاظْطُرْ لِنَفْسِكَ ، واطْلُبْ كَامِينَ سَعْدِكَ ! وَأَنَا أَذْلكُ عَلَى مَنْ يَقُومُ بِأَمْرِكَ . فَاَنْهَضْ إِلَى الْمُقَدَّمِ الْعُشْتِيِّ ! » وكان الْعُشْتِيُّ رَجُلًا صُلُوكًا ذَاعِرًا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، وتحت يده جماعةٌ من أنجاد الرجال وسباع البراز ، قد اشهر أمرهم . فنهض إلى المُقَدَّمِ الْعُشْتِيِّ ، وعرض عليه الأَمْرَ ، فارتبط معه على أن يُوَكِّلِيهِ قِيَادَةَ الْأُسْطُولِ بِالْأَنْدَلُسِ ، إِذَا تَمَّ لَهُ الْأَمْرُ ؛ وقال : « نَسْتَفْتِحُ الْأَمْرَ بِمُفَاوَرَةٍ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ بِأَسْمِكَ وَعَلَى سَعْدِكَ ! » ففعلوا ، وجلبوا كثيراً من الغنم والأمرى . وانضاف إلى ابن هُود طوائفٌ من مِثْلِ هَؤُلَاءِ ، وبابِغُوه بالصُّخَيْرَاتِ ، كما ذَكَرَ ، من ظاهرِ مُرْسِيَّةِ .

وأوقع به جيشُ المُوَحِّدِينَ وشُرَّه . ثمَّ ثَابَ إِلَيْهِ نَاسُهُ ، وعدل إلى الدِّعَاءِ لِلْعَبَّاسِيِّينَ ؛ فتبعه اللُفِيْفُ . ووصله تقليدُ المُسْتَنْصِرِ الْخَلِيفَةِ بِنَعْدَاد . فاستبصر الناسُ في كَعُوثِهِ ، وشاعَ ذِكْرُهُ ، وملك القواعد . ووفى للْعُشْتِيِّ بِعَهْدِهِ ؛ فولَّاهُ أُسْطُولَ إِسْبِيلِيَّةِ ، ثمَّ أُسْطُولَ سَبْتَةِ مُضَافاً إِلَى لِمَرَّتِهَا وما يرجع إليها ؛ وثار به أهلُهَا بِعَدَاها وخلعوه ، وفرَّ أَمَامَهُمْ فِي الْبَحْرِ وخفي أثره ، إلى أن تحقَّقَ استقراره أَسِيرًا فِي الْبَحْرِ بِغَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ؛ ودام أمره زماناً ؛ ثمَّ تَخَلَّصَ فِي سَنَةِ الشَّيْخُوخَةِ ، ومات بِرِبَاطِ آسَفِي .

وَجَرَّتْ عَلَى ابْنِ هُودِ هَزَائِمٌ شَهِيرَةٌ وَوَقَائِعٌ مَذْكُورَةٌ ؛ وأوقع به السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بن نَصْر ثلاث مرَّاتٍ آخِرُهُنَّ سَنَةَ ٦٣٣ أو ٦٣٤ . وكان اللقاءُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُأْمُونِ إِدْرِيسَ أَمِيرِ الْمُوَحِّدِينَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٦٣٥ ؛ فَهَزَمَهُ الْمُأْمُونُ هَزِيمَةً كَبِيرَةً ، ولَاذَ مِنْهُ بِمُرْسِيَّةِ ، وامتنع بها ، إِلَّا أَنَّ الْمُأْمُونِ شَغَلَهُ أَمْرُ الْفِتْنَةِ الْوَاقِعَةِ بِمَرَاكُشَ ؛ فَضَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهَا ، وَثَابَ الْأَمْرُ لِابْنِ هُودِ ؛ فَدَخَلَتْ فِي طَاعَتِهِ الْمُرْسِيَّةُ ، ثُمَّ غَرُنَّاطَةُ ، ثُمَّ مَالَقَةُ .

رجل الإيمان حتى يحببكم لله ورسوله !» وجاء في الحديث أن العباس دخل على النبي صلى الله عليه وسلم - فخفض النبي - صلى الله عليه وسلم - صوته ؛ فقيل له : « يا رسول الله ، رأيناك خفضت صوتك لما دخل العباس ! » فقال : « إن جبريل أمرني أن أخفض صوتي عنده ، كما أمركم أن تخفضوا أصواتكم عندي . » وفي الحديث : إن جبريل - عليه السلام - هبط على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليه قباء وعبامة أسودان ؛ فقال له : « يا أخي ! ما هذه الصورة التي ما أراك هبطت علي في مثلها ؟ » فقال له : « شعار ولدتك عمك العباس . وليأتين على أمثك زمان يعز الله فيه الإسلام هذا السواد ، وسيلكون الأبيض والأحمر ، والأصفر والأخضر ، والحجر والمدر ، والصفاء والمنجر ، والسرير والمنبر ، والدنيا إلى المحشر ، والحلافة إلى المنشر ! وعليهم تقوم الساعة ! »

والحمد لله الذي اجتنى من هذه الدوحة العباسية الشماء ، والشجرة الطيبة الهاشمية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، إماماً ألقى ولاءه في القلوب والأرواع ، واسترعا ، فوجدته لأمنه خير راع ، وأوضح للناس من اعتقاده ووجوب طاعته سناً قويمًا ، وجعله كما قال عز وجل : « وكان بالمؤمنين رحيماً » ، سيدنا ومولانا إمام المرسلين ، وخليفة الله في الأرضين ، ووارث الأنبياء والمرسلين ، والمفترض الطاعة على الخلق أجمعين ، الممنون بإياله المقدسة على العالمين ، مولانا أبا جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - ، إمام تحلت أجياد المنابر بجواهر شريف دعوته ، وترصعت نيجان المآثر بلاقي معدنيته وحسن سيرته ، ونزلت السكينة على العباد والبلاد بالسكون تحت وارف ظلال رأفته المقدسة وذمته ؛ فالتاس وادعون في كنف عمير مكارمهم وعواطفهم ، والحلائق راتعون في رياض جسم مواهبهم وعوارفهم . فأدام الله أيامه الزاهرة دوماً يخلق أبواب الأعوام وهو جديد ، وجعل

دعوته القاهرة مقرونة بالدوام والتخليد ، إلى يوم الوعيد . ولما انتهى إلى علومه الشريفة - زادها الله شرفاً وقُدساً - ما عليه مجاهد الدين ، محمد بن يوسف بن هود ، من سلوك سنن الطاعة المؤسس بنياتها على تقوى من الله ورضوان ، والتزام شروط الولاء الذي هو علامة متانة الدين وكمال الإيمان ، والتصدي لمقارعة الناكبين عن محجة الحق والهدى ، والتجرد لمراقبة من حاد عن السنة والإجماع اللذين بهما يسترسد ويهتدى ، اقتضت آراؤه الشريفة المقدسة النبوية الإمامية الظاهرة الزاكية المجدة المعظمة المكرمة المستنصرية - زادها الله جلالاً متألقي الأنوار ، وشرفاً رفيع المنار ، واقتداراً نجوب جياده جنوب الآفاق والأقطار - أن يغلده أمر جزييرة الأندلس وما يجري معها من الولايات والبلاد ، ويُسَوِّغَهُ ما يفتتحه من ممالك أهل الشرك والعناد ، تقليداً صحيحاً شرعياً ، وتسنوياً صريحاً إمامياً ، وإنعاماً يصفو عليه لباس فخاره الفضفاض ، وتصفو لديه موارد مواهبه النيرة الحياض .

وقد أمره - صلوات الله عليه - بأوامر نهديه إلى سبيل الرئاد ، وتحظيه برضى الله الذي هو أنفع الذخائر في الدنيا ويوم يقوم الإشهاد ، وما توفيق أمير المؤمنين بالألله : عليه يتوكل وإليه ينيب !

أمره بأن يدرع شعار تقوى الله الذي هو خير لباس ، ويستشعر خيفته التي لجعل له كما قال عز وجل : « نوراً يمشي به في الناس » ؛ فإن تقوى الله تعالى هي المنجاة لمن توردهاوي الآثام والعصيان ، والسبب الذي ينعم به من كان من العناية الأزلية بكان ؛ قال الله تعالى : « وتزودوا فلن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب . » وأمره أن يجعل كتاب الله تعالى منارة يرجع إليه في حل المشكلات ، ومضباحاً يستضيء برأشه في الأحكام المشتبهات ، فإنه الفرقان الفارق بين الحلال والحرام ، والنور الساطع الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه



وفي سنة ٦٢٧ ، تحرك بقضل شهامته في جيوش عظيمة من المسلمين لإخراج ماردة ، وقد نازلها العدو وحاصرها ؛ ولقي جيش العدو بظاهرها وطاغيتها ؛ فلم يأن - زعموا - حتى دفع بنفسه العدو ، ودخل في مصافه ؛ وفقده الناس لما غاب عنهم ؛ فلم يرجع إلا وقد انهزموا مدبرين . وكانت خزينة شنيعة . واستولى العدو على مدينة ماردة يومئذ .

وفي سنة ٦٢٩ ، تلك إشبيلية ، ولئى عليها أخاه الأمير أبا النجاة سالماً الملقب بعماد الدولة . وتلك مائة وعشرون سنة عام ٦٢٥ . وفي شوال من هذه السنة ، جنح إلى طاعته الرئيس أبو زكرياء وأبو عبد الله ابنا الرئيس أبي سلطان عزيز بن أبي الحجاج بن سعد ، وخرجا عن طاعة ابن عمهما الأمير أبي جليل ، وأخذوا له البيعة على ما بأيديهما .

وفي سنة ٦٢٩ ، فتح الجزيرة الخضراء عنوة ؛ وقد كان انضم إليها بقايا المغربيين ؛ فأجازهم إلى المغرب ، وصح له تلك الأندلس ، وأطاعته سبته ؛ وملك رباط الفتح يسلاً أليماً .

وفي أوائل العشر الوسط من شوال ، ورد عليه الخبر ليلاً بقصد العدو جهة وادي آش ؛ فأسرى ليله ، ولحق العدو على ثمانين ميلاً ؛ فاستأصله السيف ، ولم يفلت منه أحد . وفي سنة ٦٣١ ، وردت عليه الهدية والتقليد من المستنصر العباسي ببغداد . وفري على الناس كتابه بصلّى العيد من غرناطة بموافقة اجتماع من الناس لطلب العيث واستساقته . وكان الأمير ابن هود يومئذ لايساً السواد ، والراية السوداء بين يديه ؛ فنزل المطر يومئذ ، واستبشر الناس . وكان يوماً مشهوداً وصنعاً غريباً . وأمر بعد انصرافه أن يكتب عنه بتلك الألقاب التي تضمنتها الكتاب المذكور إلى البلاد .

ونص الكتاب ، وكانت العلامة فيه بعد ثلاثة أسطر أو نحوها :

« توكلت على الله الواحد القهار ! الحمد لله خالق الإنسان من صلصال

كالخار ؛ ومالك أرمته الأفضية والاقدار ، ومكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار ، المتعالي بوجدانيته عن الأشباه والأنظار ، المتنزّه بكبريائه عن تنثيل الأوهام وتكثيف الأفكار ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ! سبحانه ! هو الله الواحد القهار !

والحمد لله الذي اختار محمداً - صلى الله عليه وسلم - من أطيب قرين نصرأ وأرومة ، وأزكاها أصلاً وجرثومة ، وأكثرها خؤولة وعمومة ، ابتعثه والكفر قد ظهر فنيقه والشرك قد قامت سوقه ، والضلال قد استطارت بروقه ، والشيطان قد استظهر حزبه وفريقه ؛ فصدح بالحق وأظهره ، ودحض الضلال ودمره ، ورفع لواء الإيمان ونشره ، وأمات الباطل وأقبره ، وأحيا الدين الحنفي وأنشره . فصلّى الله عليه ، وعلى آله الذين رفعوا منار أوامره المثبته ؛ وعلى صحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، صلاة دائمة متصلة غير منقطعة ، ما وخذت قلوب براكب ، وأضحك الروض بكاء السحاب ؛ وعلى عمه ابن عبد المطلب خير الأعمام ، وكافل الأيتام ، وحاحب الرّمز والمقام ، والمخصوص بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، المستنزل ببركته أنواء الغمام ، عن جذب العام ، ومن قال في حقّه سيّد الأنام ، محمّد خاتم النبيين - عليه أفضل الصلاة والسلام : « يا عمّ فيكم النبوة والخلافة لا ينازع فيها منازع إلا أكبه الله لوجهه . ولا يزال الأمر في ولدك حتى يسلموه إلى عيسى بن مريم . » وقال - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً . فمنازلي الجنة نجاهين ، وعني العباس بيننا مؤمن بين خليلين ! اللهم اغفر للعباس وولد العباس ومحبّبي ولد العباس مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر لهم ! اللهم احفظه في ولده وأخلفه فيهم واحفظ ذريته من كل سوء واعزهم بعونك وتصرك ما بقي منهم باق ! » وقال - صلى الله عليه وسلم - : « يا عمّ لا يدخل قلبك

سبل السلام . قال الله تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ » .

وأمره أن يعمل بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - في مصادر أموره وموارده ، وبإجماع المسلمين في جميع مناحيه ومقاصده ، فإن اتباع السنة يؤسده إلى منهج الحق وسبيله ، والإجماع يوضح له معاني كتاب الله وأحكام رسول الله . قال الله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .

وأمره أن يكثر من مجالسة الفقهاء والعلماء ، وأرباب الديانة الصالحة ، ومشاورة العقلاء الألباء ، فإن مجالسة العلماء لقاح الخواطر ، ومعاشرة الصالحين فيها رادع عن اتباع الأهواء وزاجر ، ومشاورة الألباء تقدر بها زفاد التوفيق في النواهي والأوامر . قال الله تعالى : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ » .

وأمره بأن يحسن السيرة في رعيته ، ويسكنهم أرحب كنف من حنوه وشفقته ، ويساوي بينهم في مجالس نظره وحكومته ، ولا يفرق في التفاضل بين القوي والضعيف ، ولا يميز بما يقتضيه العدل والإنصاف بين المشروف والشريف ، ويقوي الحكام على ما يوجب الشرع ويقضيه ، ويأمرهم بإقامة القسط الذي يحبه الله ويرضيه . قال الله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » .

وأمره أن يقدر ، في جميع أموره تصفاته ، ويحسب حساباً ، بما أمره الله تعالى في كتابه المكنون ، الذي لا يمسه إلا المطهرون ، من قوله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

وأمره أن يعتسب في مجاهدة الكفار الملعين ، وأحزاب الشيطان المشركين ، ما أمر الله تعالى به في قوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » ، وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » ، وقوله تعالى : « وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » .

فليكن مجاهد الدين هذه المراسد مقتدياً ، ولناهج أوامرها المطاوعة مقتفياً ، فإنه إذا اتبع هداها ، وأمثل مراسمها واحتذاهها ، وتمسك بعصم طاعة من أوجب الله عليه وعلى الخلائق اعتقاد مقروض طاعته ، وطوق أعناقهم بالتزام شروط موالاته وعبوديته ، سيدنا ومولانا خليفة الله في أرضه ، والقائم بسنة دينه وفرضه ، أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين - فازت قداحه ، وتضاعفت من أقسام السعادة الراهنة متاجره وأرباحه ؛ فإن ذلك عند ذوي الديانات المنتبة أحكم الأوامر وأوثق العرى ، والذخر الذي يجده كل موفق مسعود يوم يجد كل نفس ما عملت من خير خضراً ، إن شاء الله . وكُتِبَ في العشر الوسط من ذي القعدة سنة ٦٢٩ هـ .

وصلى عن الديوان العزيز ، وهو المعبر به عن رتبة اللبيب عن العباسي من الأعجام في ذلك التاريخ : « عن الديوان العزيز الشبوي أرفع منازل السعداء الفائزين منزلاً ، وأحسد مقامات الأبرار المتقين تمهيداً وتأثلاً ، وأسسى حضرات السعادة الراهنة بقاعاً وقلاعاً ، وأضفى جلايب المواهب الأزلية مدارع وحللاً ، وأرحب مواطن العنايات الإلهية التي لا يبغي ذو الديانات المنتبة عنها حوالاً ، وأعظم حيازة فضيلة قوله عز وجل : « فَأُولَٰئِكَ لَسَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى » ، هو ما أضفى الأمير ، الإصطفاه الكبر ، الأجل المربط المشاعر الغاري مجاهد الدين مجد

الإسلام، جعل الأمان، تحكيم الدولة، عز الملة، معين الأمة، فخير الملوك، قاميع المستعركين، قاهر الخوارج والمستعركين، زعيم الجيوش، شرف الأمراء، قاتل الخوارج، أطال الله بقاءه، وأدام علوه، ونعمته باعتقاد وجوبه موارد خنوص مستعديده، وأوضح بسلوك منتهجه آثاراً صدق يقينه ومحض تعبده، واحتوى على قصبات رهان التوفيق بلزوم لاحب محبته وقوي جده، ونور الله تعالى أرجاء عقيدته الصالحة بأنواره التي هي علامة كمال توفيقه ووفور ريشده، من طاعة من لا يقبل تعالى إلا بطاعته الإعمال، وموالاة من موالاته عنوان استمرار السعادة والإقبال، وتباعة من تباعته ذخيرة نافع يستظهر به كل ذي حظ عظيم في الحال والمآل، ومخالصة من

[ هنا وقع بياض في جميع النسخ الموجودة من هذا التأليف ]

وماله إلى مدينة ثونس، ثم إنه استواب بن لدته من فرسان النصارى وحذر منهم التغلب على ما بيده؛ فـ "فدس" - زعموا - إلى الأمير الغالب بالله يشير عليه بمطالبتة وحصاره؛ ففعل وبأذن إليه ونازلته أياماً عدة. وتردد بينهما أبو عبد الله بن مهيب حتى أحكم الشروط، ونازل إليه ابن الرميمي؛ وخلق بثونس بعد ذلك. وعرفني بعض الشيوخ من أهل المريّة أن السلطان، لما دخل المريّة، جاز ابن الرميمي البحر في جفن أعدّه لذلك؛ فلم يشعر به إلا وقد أنفذ في البحر، بعد أن أحرق ما يخاف انتبأه به من الأجفان، والقصد أن ابن الرميمي استقر بثونس وتأنل بها؛ وبها حثام ينسب إليه اليوم. وتغلب الغالب بالله على المريّة بعده؛ وذلك في وسط سنة ٦٣٥.

### ذكر الخلاف بين ابن نصر وبين بني اشقيلولة

وقد ذكروا أن الغالب بالله كان له صهر من أهل بلدته، يماثل له، يعرف بابن اشقيلولة: ظاهره على أمره، ووقع بينهم اتفاق على قسمة ما يتحصل لهما من الملك. فلما استقر بفرناطة، زعموا أنه عرض على صهره الأمر؛ فقال له: «أنا أمي، لا أكسب! وعزك عزتي وملكك ملكي!» فأسكنه بالقبصة، وقدمه على الجيش، إلى أن توفي الرئيس أبو الحسن؛ وخلف ولدين: إبراهيم أكبرهما، والرئيس أبا محمد يتلوه؛ فصاهرهما السلطان على ابنتيه: مؤمنة وشمس؛ وهما إذ ذاك محضرتة، والرئيس أبو إسحاق أكبر الولدين قد استحق رتبة والده. ثم أولد الرئيس أبو إسحاق من بنت السلطان ولدين: علياً وعبد الله؛ فولاهم السلطان مدينة وادي آس وما إليها. وولد للرئيس أبي محمد (بعد أن كان السلطان ولأه مائة لوفاة أخيه السلطان بها، وهو إسماعيل بن يوسف بن نصر أبي الرئيس أبي سعيد، إذ لم يكن له في الوقت ولد بسد مسده؛ وكان ولده الرئيس أبو سعيد صبيّاً صغيراً) أولاد أربعة: علي، ومحمد، ويوسف، وفرج.

واستمرت الأحوال وطاعتهم مستقيمة، وأمورهم تحت نعمة جدهم جارية، إلى أن كبر ولد السلطان وولي عهده؛ فنافس المذكورين، وقلق بهم؛ وحذروه وأنفوا من غصه واحتضامه؛ فأظهروا الامتناع برادي آس ومالقة على عهد جدهم السلطان، وما عدلوا عن تمويهه، ولا استبدوا بنقش سكتة ولا تقديم قاض، إلى أن هلك السلطان الجدي، وصار أمره إلى ولده الذي نفروا عنه. فعظمت الفتنة، واشتدت المحنة، وكثر الخلاف؛ ونازلهم؛ واستعانوا عليه بالنصارى، وكشفوا الوجوه في

مُعْصِيَتُهُ . وَكَثُرَ بِسَبَبِهِمُ الثَّوَارُ بِضَمِّ التَّاءِ وَأَنْتَقِيزَةً وَلَوْشَةً ، إِلَّا أَنَّ السُّلْطَانَ ، لَسَعَى ذُرْعَهُ وَوَفُورَ دَهَائِهِ وَكَثْرَةَ مَالِهِ ، اضْطَلَعَ بِذَلِكَ كُلَّهُ .

وَكَانَ مَا تَقْدُمُ الْإِلْمَاعُ بِهِ مِنْ إِجَازَةِ السُّلْطَانِ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يُوسُفَ إِلَى الْجِهَادِ ، فَاسْتَجَنَ بِهِ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءُ ، وَتَعَلَّقُوا بِحُرْمَتِهِ ، وَبَادَرُوا بِفُرْسَانِهِمْ وَرِجَالِهِمْ إِلَى خِدْمَتِهِ وَجَمْعِهِمْ ، وَالسُّلْطَانُ عَدُوَّهُمْ تَجَلَّسَهُ بِالْجَزِيرَةِ ، فَيَجْهَدُ . وَلَمَّا عَظُمَ عَلَيْهِمْ ، وَطَلِبُوهُ لِلْمُبَارَاةِ ، كَانَ الرَّؤُومُ فِي الْحَقُوقِ الْمَجْجُودَةِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً بَيْنَ السُّلْطَانَيْنِ إِلَى الْوَحْشَةِ فِي الْحَالِ .

وَلَمَّا تَكَرَّرَ التَّلَاقُ فِي حَرَكَاتِ الْجِهَادِ ، وَأَمَكَّنَ السُّلْطَانُ ابْنَ نَصْرٍ الْخُرُوجَ عَنِ الشُّكُوفِ فِيهِمْ ، وَقَرَأَ لِأَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَتَوَقَّعُ الْوَطَنُ مِنْ أَجْلِهِمْ ، فَتَنَكَّرَ عَلَيْهِمْ تَنَكُّرُ رَاسِمٍ ، وَأَشِيرَ عَلَيْهِمْ بِرَدِّ مَالِقَةٍ إِلَى دَعْوَتِهِ وَالتَّمَسُّكِ بِمُجْدَمَتِهِ ؛ وَكَانَتْ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ خَالِيَهُمْ حُرُوبٌ أَجَلَّتْ عَنْ قَتْلِ فَرَجٍ مِنَ الْأَخْوَةِ الْأَرْبَعَةِ ؛ فَانْخَرَفَتْ أُمُّهُ أُخْتُ السُّلْطَانِ عَنْ أَخِيهَا بِسَبَبِهِ انْخِرَافًا لَمْ يَسْتَصْلِحْهَا بَعْدَهُ ؛ فَارْضَوْا بِالْخُرُوجِ عَنْ مَالِقَةٍ لَعَبْرَةٍ لِعِلْمِهِمْ بِمَوْفِعِ ذَلِكَ مِنْ نِكَابَتِهِ ، وَانْتَقَلُوا إِلَى سَكْنَى مَعْقِلِ قِصْرِ طِمَّةٍ بِجَبَلَتِهِمْ . وَنَصِيرَتِ الْمَدِينَةُ إِلَى السُّلْطَانِ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ أَبِي يُوسُفَ ؛ وَقَصِدَ إِلَيْهَا ، وَأَعْجَبَ بِهَا ، إِذْ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي الدُّنْيَا ظَرْفًا وَحَضَارَةً ؛ وَأَقَامَ بِهَا عِيدَ النَّجْرِ : أَجْمَلَ مَا سَمِعَ بِمِثْلِهِ مِنْ عَامِ ٦٧٥ .

وَكَانَ وَصُولُهُ إِلَيْهَا سَادِسَ شَوَّالٍ مِنَ الْعَامِ ؛ ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا ، وَقَدْ اسْتَحْفَظَ عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ تَحَلِّيِّ الْبَطْنَوِيُّ ؛ وَكَانَ أَخُوهُ طَلْحَةَ مُسْتَقِرًّا فِي خِدْمَةِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ ، أَتِيئًا لَدَيْهِ ؛ فَدَاخَلَ أَخَاهُ عُمَرَ فِي صَرْفِهَا عَلَى السُّلْطَانِ ، وَتَعَوَّنِيهِ إِذَا مَنَّا بِالْمُسْكِرِ . وَنَمَّ لَدُنْكَ . وَبَادَرَ عُمَرُ بِالْقَبْضِ عَلَى خِدَامِ السُّلْطَانِ ؛ وَمِنْ جَمَلَتِهِمُ الرَّئِيسُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَشْقِيلُولَةَ ، كَانَ قَدْ احْتَالَ عَلَيْهِ عُمَرُ قَبْلَ ذَلِكَ وَاعْتَقَلَهُ ؛ وَصَرَفَ الدَّعْوَةَ إِلَى صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ فِي السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ لِمُضَانٍ مِنْ سَنَةِ ٦٧٧ ؛

وَبَادَرَهَا فَأَحْكَمَ صَبْطُهَا ؛ وَانْتَقَلَ عُمَرُ إِلَى الْمُنْكَبِ ؛ وَمَا زَالَ السُّلْطَانُ يَجَاوِلُ بِهَا أَمْرَهُ وَيُسَالِمُهُ حِينًا ، وَيُجَارِيهِ حِينًا . وَنَازَلَ حِصْنُ تَشَاوُبَانِيَّةٍ ، وَرَمَاهُ بِالْمَجَانِقِ ، إِلَى أَنْ اشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى عُمَرَ ؛ فَأَظْهَرَ الْإِنَابَةَ ، وَطَلَبَ مِنْ يَقْبُضِ الْحِصْنَ ؛ فَوَجَّهَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ أَحَدَ بَنِي عَمِّهِ وَبَنَدًا يُرْفَعُ فِي ذُرْوَتِهِ ، فَقَبِضَ عُمَرُ عَلَيْهِ ، وَأَقْسَمَ أَنَّهُ ، إِنْ رَمَى عَلَيْهِ حَجَرًا ، لَيَطْرَحَنَّ الرَّئِيسَ مِنَ السُّورِ ؛ وَاسْتَعَانَهُ ، فَرَّقَ عَلَيْهِ وَأَقْلَعَ عَنْهُ ؛ وَقَدْ ضَاقَ بِهِ ذُرْعُهُ . وَوَالَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُلَاطَفَتُهُ ، وَأَكْتَدَ طَبْعَهُ ، وَعَقْدَ لَهُ عَلَى بَيْتِهِ ، وَاسْتَدْعَاهُ إِلَى الدَّخُولِ بِهَا . فَلَمَّا قَارَبَ الْحَضْرَةَ ، أَغْرَى بِهِ أَعْدَاءُ خُؤُولَتِهِ مِنْ بَنِي رَحُو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَتَلَقَّوْهُ ، وَقَتَلُوهُ . وَأَرَاخَهُ اللَّهُ مِنْهُ . وَكَانَ عُمَرُ بْنُ مَحَلِّيٍّ أَحَدَ أَفْرَادِ الرِّجَالِ وَحَزَمَتِهِمْ ؛ أَخْبَارُهُ مَشْهُورَةٌ ، وَنَوَادِرُهُ مَأْثُورَةٌ .

وَشَرَعَ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي اسْتِدْعَاءِ النَّصَارَى لِسَدِّ بَحْرِ الزَّقَاقِ وَنَزُولِ الْحَضَرَاءِ ؛ فَتَزَلَّهَا الْعَدُوُّ ثَامِنَ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ ؛ وَكَانَتْ بِهِمُ الْوَقِيعَةُ الْبَحْرِيَّةُ عَلَى أَيْدِي الْأَسْطُولِ الْغُرْنِيِّ وَالسَّبْتِيِّ . وَأَقْلَعَ الْعَدُوُّ عَنْهَا بَعْدَ الشَّهْرِ خَائِبَ السَّعْيِ . وَأَجَازَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ الْبَحْرَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَتَشَتَّتَ الْوَحْشَةُ الْعُظْمَى ؛ فَجَهَّزَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَلَدَهُ إِلَى الضَّرْبِ عَلَى بِلَادِ ابْنِ نَصْرٍ ؛ وَنَازَلَ مَرْبِلَةَ وَحَاصَرَهَا ، وَرَمَاهَا بِالْمَجَانِقِ ؛ وَجَازَ بِنَفْسِهِ ؛ فَنَازَلَ مَالِقَةَ ، وَقَدْ صَارَ أَمْرُهَا إِلَى الرَّئِيسِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَهُوَ غَلَامٌ . وَكَانَتْ عَلَيْهَا حَرْبٌ عَظِيمَةٌ بَلَغَتْ فِيهَا حِمَلَاتُ الْجَيْشِ الْمَرِينِيِّ إِلَى أَنْ صَادَمَتِ الْأَسْوَارَ رُؤُوسُ الْحَيْلِ ، وَأَعْدَرُوا بِاعْتِرَاضِهَا دُونَهُمْ . ثُمَّ رَمَى سَهَابُ بَنَدِ الْإِسْطُولِ بِهَا رَمًى يَوْمًا إِلَى الْحَضَرَاءِ . وَنَادَتْ الْأَيَّامُ بَيْنَ حَرْبٍ وَسِلْمٍ وَحِيلَةٍ وَإِذْعَانٍ .

وَصَرَفَ السُّلْطَانُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ نَصْرٍ وَجْهَهُ إِلَى اخْتِيَارِ الرُّؤَسَاءِ الْأَشْقِيلُولِيِّينَ ، وَالْإِرَاحَةِ مِنْ بَقِيِّ بِلَادِهِ مِنْهُمْ . وَقَدْ كَانَ الرَّئِيسُ أَبُو

إسحاق شيخ بنينهم لحق بنين بالقة منهم ؛ فخرجوا له عن حصن قمارش ، وأفر دوة فيه ؛ وهو معقل الأندلس الذي لا يرام ؛ وكان الملوك من بني حشود وغيرهم قد قدروا قدره واتخذوا به مساكن تناسب الملك . ولم يزل الرئيس أبو إسحاق إلى أن هلك ، وانتقلت طاعة قمارش إلى ولدته بوادي آش ، بضبطه لهم ثقة من خواصهم يعرف باین الراي ؛ فاحتال السلطان عليه بذاخلة رجال من حرسه خمسين ، بذل لكل واحد منهم خمسين ديناراً من الذهب ؛ فثاروا به ، وبأدركهم الجيش ؛ فكان أملاك به ؛ وبعد ذلك حصنه بما هو عليه إلى اليوم .

وصرف السياسة إلى من بقي منهم بوادي آش ؛ فالآن لهم جارية ، وسوغمهم سلمه ، والى عليهم إحسانه وبره ، حتى غرهم بذلك ، وظنوا سلامة صدره ، وركنوا إلى جيل اعتقاده ؛ وعند ذلك جدد السلثم مع صاحب قشنتالة ؛ وهم مع السلطان خالهم بأحسن أحوالهم من الرضى والألفة . فعقد على بلكدم الصلح ، وأدخلهم في جبلته ، وهم يغتبطون بذلك ، ولا يستريبون به ، حتى إذا كمل ، بعث إليهم ، وأخبرهم بعقد البيعة لولده ، وطلبهم بالانتقال عن مدينتهم إلى حضرته ، وفسح لهم الوعد في مجال كرامته ورعايته ؛ فبادروا بالركون إلى ملك قشنتالة ، وطلبوا الرجوع لبلدتهم ؛ فأجابهم بتعذر ذلك وعدم إمكانه ، إذ بلادهم قد انتظمتها معاقد السلطان ، وأن إيواءهم نكت للسلثم والعهد . فسقط في أيديهم ، وعجزوا عن المال والطعام الذي يصادرون به عدوهم ، ووجهوا رسولهم إلى ملك أرغون ؛ فصرفهم ، واعتذر ببعث الثقة وتوسط بلاد قشنتالة دونهم .

وحشد السلطان أهل البلاد لمنازلتهم ؛ فلجأوا إلى القيام بدعوة ملك المغرب ، وكتبوا له البيعة ، ووجهوا إليه رسولهم ، وهو إذ ذاك بمرآكش ؛ وجرت في ذلك بين السلطان أمير المسلمين وبين صاحب

الأندلس لمحاورة أجملت عن تعويضهم من وادي آش بقصر كئامة . وانتقلوا إليه بأموالهم ورجالهم وأهلهم في أوائل عام ٦٨٧ . ولما استقرت وادي آش بيد أمير المسلمين بالمغرب ، جعل فيها ثقتهم . ولم يمر زمن غير كبير حتى خدع عنها ذلك الثقة وانصرف إلى سلطانه ؛ ففطره في الطلثة ؛ فضربت عنقه .

ولما استقر هؤلاء الرؤساء بالمغرب ، حذرهم السلطان ابن نصر على ملكه ، وتوقع إغراءهم به من صاحب المغرب وعودتهم إليه ؛ فاستدعى حينئذ الطاغية إلى سد فرصة المجاز بطريف . فكان نزول الطاغية بها في أوائل شهر جمادى الأولى من عام ٦٩١ ؛ وقتلها العدو حسبا هو معروف . وشق الخطب على المسلمين ؛ وساءت النفوس ؛ وندبت الشغرة . ولولا خوف الإطالة ، لأطنبتنا في هذه الأمور . وهذا المختار من التعريف بخلاف هؤلاء القوم كاف إن شاء الله .

### حديث امتسالك بني الحكيم برندة

ولما حدث ما وقعت إليه الإشارة في أمر طريف ، وعبر السلطان صاحب الأندلس البحر مستقيلاً من دنته ، وعاد إلى الأندلس لتجديد الجهاد ، ومنازلة طريف ، واجتماع الأيدي على استرجاعها ، وجاز السلطان أمير المسلمين أبو يعقوب البحر عام ٦٩٣ ، تخلف السلطان عن مباشرة طريف ، معتزلاً بمرض أصابه ؛ ووجهه بالجيش ولده ؛ فتلوم بالقة ؛ وطال على الجيش المربني الأمد في محاصرة طريف ، وظهر عدم المساعدة والكل عن الإعانة ، وأظلم الأفق ؛ وأقنبت أجفان العدو لشد بحر الزقاق . فأجملت الحال عن انصراف أمير المسلمين الملك المربني عن الأندلس ورفضها ؛ فجعل أمر رندة إذ ذاك إلى الوزيرين الأخوين أبي زكرياء

وأبي إسحاق ابني أبي القاسم بن الحكيم، وسُوِّغَتْ لهما . ولما طالبَ السلطانُ ابنُ نُصْرٍ بصرهما ، أبوا ذلك ، واستمسكوا بها ؛ فأمر جيشُ مالتة بالضرب عليها . ووقعت بها الفِئْنة في البلادِ العَرَبِيَّةِ ، وتنادت الحالُ إلى أوائلِ عام ٦٩٥ . فلما أَعُوْزَتْ السلطانُ الحيلةُ ، داخلَ أخاهما الوزيرُ القائمُ بأمرِ وَلَدِهِ بَعْدَهُ ؛ وكان يومئذٍ متولِّيَ كِتَابَتِهِ ؛ فأخذوا لأنفسهم مُشْرُوطاً عامَّةً لمصلحة القطر ، وشاملةً للكافةِ من أهله : منها أن لا يلي بلدهم أحدٌ من قرابة السلطان ، وأن لا ينزلَ غَايِرُ من المَعَارِيَةِ بدار من دُورِ المدينة ، وإسقاطُ التبعات . وتمكَّنَ منها السلطانُ مُنْتَصَفَ مُجَادِي الثانية من سنة ٦٩٥ .

## خبر انتزاع الرئيس أبي الحجاج بن نصر

### بَوَادِي آش

وفي عام ٧٠٢ ، اقتضى النظرُ تأخيرَ الرئيس أبي الحجاج ، صَهرَ السلطان أبي عبد الله ثالثِ الأمراءِ الصَّرِيحِينَ وَزَوَجِ أَخْتِهِ ، عن مدينةِ وَادِي آش لِأَمْرِ نَفْسِهِ عَلَيْهِ إِذْ ذَاكَ بِحَضْرَتِهِ ؛ فركبَ طينه ، وأسرعَ اللحاقَ بها ، وبَقَصَبَتِهَا نَفْسُهُ ؛ فكان أَمْلَكَ بِأَمْرُهَا . ولما شاعَ قَصْدُهُ وتوجُّهُهُ إِلَيْهَا ، استركبَ الجيشُ لِمُبَادَرَتِهِ . وكتبَ له عَهْداً يَضمُنُ تقريرَها وتَسْتَيْ أَغْرَاضَهُ خَوْفَ اسْتِعَالِ الفِئْنة . ولما شرعَ في الامتناع ، عند وصوله ، فطن أهلُ البلدِ لما يريدُ ؛ وقد لدغوا من جُحْرِ النفاق الذي استأصلَ أموالَهم وأنفسَهم زَمَنَةَ القريبِ العَهدِ ؛ فبادَرُوا إِلَيْهِ ، وأحاطوا به قَبْلَ استعداده ؛ فتملَّكوه عَنوةً ، وقبضوا عليه ؛ ولم يصلِ الجيشُ إلَّا وقد قضي فيه الأمرُ ، وأُوصِلَ بالقيودِ إلى بابِ السلطان ؛ فأمرَ ابنُ عَمِّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بنَ أَحَدِ المعروفَ بالرئيسِ العَرُوسِ ، صَهرَ السلطانِ أيضاً ، بضربِ عنقه بيده ، ابتلاءً

لطاغِيهِ ومَكْرُوهاً حَبِيبَ إِلَيْهِ ، إِذْ كَانَ السلطانُ مُنْجِرَ فَاغِنٍ قَرَابَتِهِ . فبُضِيَ على هذا السبيل .

\*\*\*

وفي أثناء هذا المَرَجِ ، وهيجانِ هذه الفِئْنة ، وانفرادِ كُلِّ يَدٍ بِمَا مَلَكَتْ ، استولى العدوُّ على مدائنِ جَلِيلَةٍ ، وقِلَاعِ حَصِينَةٍ مَنِيعَةٍ ، وثغورِ شَرِيفَةٍ ، وَعِمَالَاتِ نَصِيْبَةٍ ، ورُبُوعِ أَهْلَةٍ ، وأطرافِ بَعِزِّ الإسلامِ الذي وطئها شَاهِدَةٌ ، مثلَ مدينةِ قَلْبَهْرَةٍ ، وَأَنْتِيْشَةٍ ، ومَدِينَةِ سَالِمٍ ، والمدينةِ البَيْضَاءِ مدينةِ سَرْفُسْطَةٍ ؛ ثُمَّ ، في مَدَّةٍ بَعْدَهَا ، على مدينةِ طَلَيْطَلَةٍ ، وكانت من الأَنْدَلُسِ محلَّ المَرَكُزِ من الدائرة ؛ ثُمَّ بِطَلَيْتُوسَ ، وبِلَنْسِيَّةِ ، ومَيُورَقَةٍ ، وسَنْتَرِينَ ، وَأَشْبُونَةَ ، وطَبِيرَةَ ، وَلَبْلَةَ ، وَجَبَلِ العُيُونِ ، وكُورَةَ بَاجَةَ ؛ ثُمَّ ، في مَدَّةٍ بَعْدَهَا ، على أُنْدَةَ ، وبَيْتَاسَةَ ، وبَابُورَةَ ؛ ثُمَّ ، في مَدَّةٍ بَعْدَهَا ، على عَهْدِ ابْنِ هُودِ الأخيرِ ، على نحوِ خَمْسِمِائَةِ بَلَدٍ مِنْهَا سَاطِيبَةٌ ، ودَانِيَّةٌ ، ومَارِدَةٌ ، والكَرْسُ ، ثُمَّ ، في مَدَّةٍ بَعْدَهَا ، بينَ تَنَازُعِ ابْنِ هُودٍ وَابْنِ نُصْرٍ ، على قَرْطُوبَةٍ ، وإِسْبِيلِيَّةٍ وما إِلَيْهَا ؛ ثُمَّ ، في مَدَّةٍ بَعْدَهَا ، من يَدِ ابْنِ نُصْرٍ الأوَّلِ ، على مُرْسِيَّةٍ وَجَبَّانَ وَلَوَرْقَةٍ ، ومُشْرِيشَ . ولمْ تَبِعْ هذه الأُمَمَاتُ من بَنَاتِ ، وهُنِكَتْ من حَرَمَاتِ ، وتركَ الإسلامُ من عِيونِ وَجَبَّاتٍ ! وفِجَا أَدْرَكْنَاهُ ، على قَلْعَةٍ يَحْصِبُ من بعدِ أَطْيَبِيَّةٍ ، ووُيْرَةَ ؛ ثُمَّ الجَزِيرَةَ . ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ! وَمَنْ اعتقدَ أَنَّ هذه البَقْعَةَ الأَنْدَلُسِيَّةَ ، التي لاذَ بها العدوُّ ، فَنَسَفَهَا نَسْفاً وَلَقَّهَا لَقّاً ، كَسَوَاهَا من بِيَقَاعِ الأَرْضِ جَمَلاً وَنُضْرَةً ، وَانْفِصَاحاً وَنِعْمَةً ، وَتَشْيِيداً وَمَنْعَةً ، وَنَاساً وَحَيَوَاناً ، وَخَلِيقَةً وَخُلُقاً ، وَعَادَةً وَزَيْباً ، وَنَبْلاً وَإِدْرَاكاً ، وَصَنَائِعَ وَأَنْقَاباً ، وَبَاساً وَشِهَامَةً ، وَظَرْفاً وَلَطَافَةً ، فَقَدْ ظَلَمَهَا حَقَّهَا وَبَجَسَهَا وَزَنَبَهَا ! والشَاهِدُ الصَّلَاتِ والمَوْضُوعَاتِ ، وما صُتِفَ في العُلَمَاءِ مِنَ الطَّبَقَاتِ ، وما نُقِلَ عن مَوَاقِفِ الحُرُوبِ ، وما نُدَوِّنَ من

المنظوم والمنثور . فوا أسفي عليها من معالِمِ أعلام ، ومغاني إيمان وإسلام !  
يجبر الآن سواهدُها عن الغائب ، وراهنها عن الغابر ؛ كما قال :

[ الطويل ]

كبرِدِ الباني قد تقدم عهدُه . ورفعته ما شئتَ في العين واليدِ  
لطف الله بما بها من بقيَّة !

رجعَ التاريخ إلى تسبِّحه من ذكر أمراء بني نصر

### دولة الامير ابي الوليد اسماعيل بن فرح بن نصر

وقد تقدّم تصويرُ الملكِ إليه من أبي الجيوش نصر بن محمد ، وانصرافه إلى وادي آش سَخْلَوْعاً . واستقرَّ الأمرُ في يده . وفي خامس عشر شهر المحرم من عام ٧١٥ ، أظهرَ السلطانُ نصرُ المَخْلَقَةَ لطائفةٍ حلفت به من قرابته وخُدّامِ أبيه ؛ فكشف عن وجه المُنَابَذَةِ ، وأبدى ناجذَ الشرِّ . ونحرَّكَ السلطانُ أبو الوليدَ ، فنازله في أوائل صَفَر من العام ، وأقام محاصراً إياه خمسة وأربعين يوماً . ثم قفل إلى حضرته . واستدعى نصرُ جيشَ النصارى ، وأمرهم يومئذٍ راجعاً إلى ابن السلطان سَاجِسْجَه بن إِذْفُونَشْ كافلاً لابن أخيه . وخرج جيشُ السلطان من غرناطة إلى التضييق على وادي آش . وانتفق وصولُ الطاغية إلى أحوازها بجيشه واستصحاب ميرة طعام لتقويتها من بلاده ؛ وخفي على المسلمين أمرُه إلى أن كان اللقاء مُكافِئَةً بوادي قَرْوَنُونَةَ من أحواز وادي آش ؛ وقد عبر المسلمون إلى العدوَّ تَهْراً صَغَباً . وكانت على المسلمين الهزيمة المشهورة ؛ واعترضهم الوادي ؛ فكانت بهم الدبرة ؛ فاستلحم منهم سبعمائة فارس . وامتألت الأندلس حزناً وصراحاً .

وتغلب العدوُّ الحين على حصن قَنْبِيل ومُنْتِمَاس وبَجَاج . ونحرَّك

في العام بَعْدَه إلى أحواز الحَضْرَاء ؛ فأفسد الزرع ، واكتسح المواشي ، وشمرَ لاستيصال المسلمين ، إلى أن أجمل الله صُنْعَه للإسلام ؛ فتحرَّك الطاغية ، وعنه دون جُوان كثيرُ النصارية وولَدُ السلطان الجند ؛ فنزلوا المَرْج من غرناطة . واجتمع المسلمون لمُدافعتهم ؛ فمنحهم الله النصر عليهم ظهرَ يوم الإثنين السادس من جمادى الأولى . وقتلَ في الهزيمة أميرهم جُوانَ وبِطْرُه ؛ واستولى المسلمون من دوابهم وأمتعتهم وأسبابهم على ما يعي الحصر . وغزوا ... رحمه الله ... إلى سَرْتَنَش من بلاد الروم القريبة من حَضْرته ؛ فدخلها عنوةً ، وأعمل فيها السيف ، وقفل ؛ فاحتلَّ الحَضْرَةَ يوم السبت الرابع والعشرين من شهر رجب عام ٧٢٥ .

ولثالث يوم دخوله ، فك به ابن عمه محمد بن إسماعيل ، أخو الرئيس أبي سعيد بن إسماعيل بن نصر ، فتكتته الشُّعَاء التي قدَّمَ بِمِثْلِهَا العهدُ جرأةً وإقداماً ؛ فطرح نفسه عليه وهو مارٌّ بين السَّاطِئِينَ إلى تحلِّ السلام عليه ، والوزيرُ بين يديه ، وضربه بَحْجَرٍ كان مُلصَقاً بذراعه مُعَدّاً لذلك ، قد تولَّى له شجده يومئذٍ الشيخ أبو الحسن بن كِمَاسَةَ المتأخَّرُ الحياة إلى اليوم ، حسباً يعرف الناس . وعندما سقط السلطان ، اختلط أصحابُ الرئيس الغادرِ سيوفهم ، وتعاونوا بها الوزير ، وقد كُرَّ لصيحة السلطان ؛ فاشتغلوا به ، بخلال ما رُفِعَ السلطانُ من بين أيديهم واحتُملَ إلى منزله ؛ فظنُّوا به السلامة ونظُّلوا ؛ فتشيلَ منهم جملةٌ علَّقت رؤوسهم بسور القلعة . وفجعوا الإسلام من السلطان برجلٍ مؤثِّرٍ للجدِّ صحيح القصد من أهل الخير والبرِّ - رحمه الله ! وولي الأمر بَعْدَه ولدهُ محمد .

### دولة محمد بن اسماعيل بن فرح بن نصر

بوع له يوم توفي أبوه ، وهو صَبِيٌّ صغيرٌ ، سنُّه نحو تسع سنين ؛ فلم

يختلف عليه يومئذٍ أحدٌ ؛ وبأدرَ إلى تبعته الفتناء والمُلُتَاء والصُلُحَاء والفضلاء وأهل الجهاد وكَوَافُ البلاد ، وجميعهم يومئذٍ موفور ، وشأنهم في الخير مشهور . وهو أولُ من يُويعَ من هذا البيت الثَّوريَ بِجَالِ الصغر وحدائة السن ؛ وهو ممن أُمِّلْنَا الكتاب بسببه ممن يُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .

وكان على عهد تبعته عمه حاضراً بِجَالِ الاكتهال وبقيته بينهم وافرة الرجال ؛ وكان هذا الأمير وافرأ مدركاً ؛ فولى خُدَّامَ أبيه كفالته وتديروا أمره والذب عنه . وثار عليه عمه ، وثارَعه الملك بمظاهرة شيخ الغزاة إياه ، حسباً يُدَكَّر : وهو أن الشيخ أباسعيد عثمان بن أبي العلى ، لما تصير الأمر إلى الولد ، وناب عنه وكيل السلطان الفقيه العدل محمد ابن أحمد المحروق مُصْطَنَعُ الشيخ ، احتقر الدولة ، وسامها إعمال عَزَّيه وإفادته أمره وقبول شفاعته . ووقع التوقف في بعض ؛ فعلن الموحدة به والعتب عليه ؛ وقطع أن صاحب الدولة لا بُدَّ أن يقصد منزله لاسترضائه ، فيتصرف فيه على حكمه . ولما حذر ذلك الوكيل ، أوعز إلى الرجال بالحمراء أن تضرب على يده ، وتمتعه في سبيل نصح السلطان عن الخروج من معقله ؛ فزادت الموحدة . وأظهر الشيخ الانصراف عن الأندلس ، وهو لا بطرق الإمكان لتسويغ ذلك . فلما عسكر بظاهر البلد ، اغتمت غضبه وأمر أن يمنع من دخول المدينة رجاله . وقدم على الغزاة يحيى بن عمر بن رَحُو بن عبد الله بن عبد الحق نَظِيرَه ؛ فلم يسع الشيخ إلا التصميم إلى مرسى المَرِيَّة ؛ وشرع منها في مخاطبة ملوك الجِهَات التي يقصدها بِجُمْلَتِهِ . فتناقل الكل عن قبوله . وكان وصوله إلى مرسى المَرِيَّة في الثامن عشر لصفر من عام ٧٢٧ .

وفي الحادي عشر من جمادى الأولى ، داخل أهل حصن أندراش من عمَلِ المَرِيَّة ، وهو قطر الجبابة ؛ واستدعى عم السلطان الذي صرف

بعد بئعه ابن أخيه إلى تليسان ؛ فوصل إليه وبأبَّعه . وتوجه ولد الشيخ إلى صاحب قشتالة ؛ فحرَّكه إلى جهة رُنْدَة ؛ فاستولى على حصن ووبرة وما إليه من الحصون . وغنام جو الفتنه ، وما أعدّه ملوك بني نصر للشدائد من عُدَّة . وكانت بين جيش الحضرة وبين المذكور موافقات هلك فيها ولد الشيخ . وفصل الحطة ما كان من قتل الوكيل صاحب الأمر بتدبير أمر سلطانه عليه ، وقد قهره وأجلى عنه طائفة مُخْتَصَّة من مالِك أبيه ؛ فاغتاله ، وقد كحل دار الجدة ، يفارضها في المهيمات على عادته ، مملوكان حدَّان ممن أغفَى منهم ، هَجَمَا عليه وقتلاه بين يدي الجدة العجوز ؛ وذلك عشيَّ اليوم الثاني من محرم سنة ٧٢٩ . وقد كانت السلَّمُ ثَمَّت بين الفريقين في رمضان من السنة قبله .

وصرف العم إلى تليسان ، يوسع من استدعاه ذمّاً ؛ واستدعى الشيخ إلى رسمه من الحطة ومكانه من الخطوة ، ثاني يوم الكائنة ؛ فأقام الرسم إلى حين وفاته في ذي القعدة سنة ٧٣٠ . فثبت الأمر في يده ، وخيب الله سعي من بغى عليه ، إلى أن ترعرعَ وظهر ؛ فكان مثلاً في الفروسيَّة . وعبر البحر قاصداً باب السلطان الجليل ، واليد الملوك وكبير السلاطين ، المولى المقدس أبي الحسن ، مُسْتَضْرِحاً على عدو الإسلام ، ومُسْتَدْعِياً إلى جهاد عبدة الأصنام ؛ فتلَّقاه بما هو معروف من الفضل والبهر ، وخلق المجد ، والنائل المغم ، والصلات الشاذة عن الحضر ، بين المال والدبر ، والجاد الغر ، والسلاح المكلل بالدُرِّ ؛ ووصل يده ، وأعجبه ولده . ونازل جبل الفتح ؛ ففتح الله له . وبأدره العدو قبل أن يعلق أصل الإسلام في زابه ، ويستقر نضله في قرابه ؛ فتوجه بجيش المسلمين إلى إصراخه ، وبذل الأعمال الصالحات في خلاصه ، وحاول العدو حتى أفلع عنه ؛ ففازت يد الإسلام به .

فلما تم ذلك ، دبّر بنو أبي العلى لإدريس بن عبد الله ، وقد ساءهم ما كان



من غدره خدامه ، وعيشوا أخاه يوسف لمكانه ؛ واختاروا بعض أغلاليه للإجهاز عليه ، ليروؤوا من أمره . وحين تم ذلك ، تعرضوا له أثناء طريقه قافلاً الى مالقة في بعض أساطيله ؛ وقد وصل إلى الوادي المنسوب إلى السقائين برسم ركوبه ؛ فأوقفوه به بضعة وادي السقائين يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر ذي الحجة عام ٧٣٣ . وبقي ... رحمة الله عليه ورضوانه ... خلل ما فرغ من كتيبة أخيه ، منظر وحاً مُعَرَّئ من ثيابه ، مسلوباً إلا من فضل الله وثوابه . ثم عطفوا عليه ، فاحتلوه ، ودفعوه بمالقة ؛ وما صلوا عليه ولا غسلوه . وفي ذلك يقول شيخنا القاضي أبو بكر بن سيرين ... رحمه الله :

تَئِنَّ أَبْكِي لِمَتِ غَادِرُهُ فِي ثَرَاهُ مَلَقَى وَقَدْ غَدِرُوهُ  
دَفَنُوهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا غَسَلُوهُ  
إِنَّمَا مَاتَ يَوْمَ مَاتَ شَهِيداً فَأَقَامُوا رَسْماً وَلَمْ يَقْصِدُوهُ

ولما فرغوا من قتله ، وإحكام غَدْرِهِ وَخَتْلِهِ ، بَدَتْ لهم سبائات ما عملوا ، وعلموا من قبيح صنيعهم ما جهلوا ، وعن العواقب ذهلبوا ، لما أمهلوا ؛ واجتمعوا بعد أيام من دفن أشلائه ، وحطّ علائه ، وكفروا نعمه وآلائه ؛ فحشدوا صفات دينه بالظفر ، وكتبوا فيه عقداً بالكفر ، شهد فيه جملة من أعلامهم ، ونفقت سم المداد في رفته أساود أعلامهم ؛ ولم يقنعوا بعد الكلام الرغبة إلا بكلوم كلامهم . أعظم الله أجره ، كما أعظم نحره ، وضاعف ثوابه ، كما طهر من زورهم أثوابه ! فلتقد عبر البحر لغير غرض ، إلا ما كان من إقامة جهاد مُفْتَرَض ؛ ولتقد ارتكب في خلاص الجبيل بنفسه الذنبة الخطر ، حتى قضى منه الوطر ؛ ولتقد أظلم شهر الصوم حياه الله بتعصيه ونصرته ، وهو إذ ذاك يسكن بالقصر خارج حضرته ؛ وكان مخروراً مزاجه ، يوديه احتراق

الفصل واهتياجه ؛ فكانت الصبية تتصل مرافقهم من لدان العنصر ، بين البلد وبين القصر ؛ فكلما سيعوا النداء ، أشاروا بالأثواب ، لين يرميتهم من تلك الأبواب ، فيبادروا إليه بالماء وقد قارب الثوت ، وسافهت حياته الموت ، من غير أن يستهل عليه قضاء اليوم ، ولا الرخصة في الصوم ، وإن بلغ عذر المجهود ، وخان العهود ، فقد أظهر الحكيم العدل للخصم والشهود ، وأحكم الحاكمين ، وأسرع الحاسين .

وكان على عهد بيعة ، وعقد صفته ، أعلام مشاهير ، فخر القضاة ، كقاضي الجماعة أبي بكر بن مسعود المبحاري ، الدين بشالة ؛ وابنه قاضي الجماعة بعده أبي يحيى ؛ والقاضي المسن أبي جعفر الشاطبي ؛ والقاضي الأصيل أبي عثمان بن مسعدة ؛ والقاضي البقية أبي الفرج الوادياني ؛ والقاضي الحاج أبي جعفر بن قعنب ؛ والقاضي أبي عبد الله بن العريف ؛ والقاضي أبي بكر بن الزبير ؛ والقاضي أبي محمد بن زكرياء ؛ والقاضي الوزير أبي عامر بن ربيع ؛ والقاضي أبي الحسن بن الزبير ؛ والقاضي أبي الحجاج بن أبي الأخوص ؛ والقاضي أبي الحسن بن أبي العيش ؛ والقاضي أبي عمر بن منظور ؛ والقاضي الشهيد أبي عبد الله بن بكر ؛ والقاضي الحبيب أبي عبد الله بن عياش ؛ والقاضي الفقيه أبي بكر بن منظور ؛ والقاضي المؤرخ أبي بكر بن عبيدة ؛ والقاضي الحاج أبي محمد السفري ؛ والقاضي المترابط أبي عبد الله بن عبد الوهاب ؛ وقاضي الجماعة أبي جعفر بن برطال ؛ وصدر القضاة أبي البركات بن الحاج ؛ والقاضي أبي إسحاق بن شعيب ؛ والقاضي أبي عبد الله الرعياني ؛ والقاضي أبي عبد الله بن حداسم ؛ والقاضي أبي عبد الله بن جابر .

ومن الخطباء والصلحاء والصوفية والفقراء والمنقرئين والعلماء ، مثل الشيخ الإمام القيّاطي ؛ والولي أبي إسحاق بن أبي العاصي ؛ والشيخ العايد أبي عبد الله الساجلي ، والخطيب الصالح أبي جعفر بن الزيات

البَلَنْسِي؛ والخطيب أبي بكر الطنَّجالي؛ وأبي محمد بن أبي المجد الأَرْجُونِي؛ والخطيب أبي عبد الله بن العَرَبِي؛ والخطيب أبي علي الفَرَشْتِي؛ والخطيب ابن شُعَيْب المَرَبِي؛ والفَرَشْتِي الرُّنْدِي؛ وأبي الأصْبَغ البَسْطِي؛ وأبي عبد الله البَيْهَقِي المَفْهَمِي؛ والفقير البَارُونِي العَرَمِي؛ وأبي عبد الله الطَّرَسُونِي، وشيخ البَيَّازِين ابن غَالِب حَمِيد أبي أحمد الوَلِي؛ وإمام الشاذِلِيَّة أبي عبد الله العَنْجَسِي، وعيسى بن عُذْرَة الأَنْدَرُسِي؛ وأبي علي بن المَحْرُوق الصُّوفِي؛ وأبي الحسن بن المؤدِّن المُرَادِي؛ وأبي عبد الله بن الفقيه العَرَفَاطِي؛ وأبي عبد الله بن الفَخَّار التَّحَوِي؛ والمحدث أبي الجُبَّار السَّاحِلِي، وأبي محمد بن سَلْمُون شَيْخ التَّصَوُّف الحَلَقِي، وأبي عبد الله بن الصَّبَّاح مَنبُوع بَوَادِي القَطَر الأَنْدَلِسِي، ومُتَيْن من العُدُول المشَاهِير، وأعلام الجَاهِيَر، نَضِيقُ عن إعادهم السُّطُورُ المكتوبة، والأوراقُ المجلوبة.

ومن شيوخ الكُتَّاب المُتَبَرِّزين في علوم الآداب، المخصوصين بالحِكْمَة وقَصْل الخطاب، مِثْل شَيْخنا أبي الحسن بن الجَبَّاب؛ وشَيْخنا الشريف القاضي أبي القاسم الحَسَنِي؛ وشَيْخنا أبي بكر بن شَيْبَرْن؛ والشَيْخ أبي بكر ابن المُرَّابِط؛ والوزير أبي بكر بن ذِي الوِزَارَتَيْن ابن الحَكِيم؛ والقاضي الحَضِر ابن أبي العَافِيَّة؛ وأبي إِسْحَاق بن جَابِر؛ والشَيْخ أبي جَعْفَر بن صَفْوَان؛ والوزير أبي عبد الله بن عَاصِم؛ والمُتَمَلِّق أبي عبد الله اللُّؤْسِي؛ وكاتب الجَيْش المحدث أبي الحسن التَّلَمِيسَانِي؛ وصاحب الأَشْغَال المحدث أبي القاسم بن هَمَّان المَالَقِي؛ والوزير أبي عبد الله بن المَحْرُوق الأَشْعَرِي؛ ما منهم مَقْبُورٌ على البَيْعَة بغِلْبَة قَبِيل، ولا مُجَبَّرٌ على اقْتِحَام سَبِيل، ولا مدَّعِي ضرورة، ولا مُسْتَحْفَظ تَقِيَّة مشهورة، ولا مُهَاجِرٌ بدينه عن بَقْعَة مهجورة. وعمُّ الوَلَد المُنْبَاح حَاضِر، وإلى سَخْنة عينه نَاطِر؛ والقَرَابَة صَامِتُون، وفي قَسَمَة الله بَاهِتُون؛ وكافِلُ الوَلَد جَرِيحٌ مُجْبُول،

وعَلِجٌ مُجْبُول، ومُؤَثَّقٌ مَهْبُول؛ والرَّيْعُ مَاهُول، والقَوْلُ مَقْبُول، وسَنُّ الوَلَدِ غَيْرُ مُجْبُول. وما تَمَّ إِلَّا تَرَاخُمٌ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَهَذَاكَ فِي ابْتِغَاءِ الْحِسْبَةِ أَوْ فِي الْهَوَادَةِ، وَتَمَسُّكَ بِالْعَادَةِ، وَتَسْلِيمٌ فِيمَا ظَهَرَ لَوَلِيٍّ الْأَمْرِ مِنَ الْإِرَادَةِ. فَتَمَسَّ نَبَسَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِإِنْكَارِ بَيْعَةِ صَبِيٍّ صَغِيرٍ، أَوْ نِيَابَةِ حَاجِبٍ أَوْ وَزِيرٍ؛ فَقَدْ عَمَّوْا وَصَمَّوْا، وَحَصَرُوا بِرِيعِ الْإِنْصَافِ فَأَعْرَضُوا وَمَا أَلَمُّوْا، وَمَا سَوَّوْهُ لَغَيْرِهِمْ ذَمُّوْا؛ وَلَمْ يَكْفِرْ مَبَايِعَةَ الصَّبِيِّ غَيْرَ الْبَالِغِ وَلَا الْفَرَشْتِيَّ الْمَرْفُوعِ فِي الذَّرَاعِ، الْمُسْتَعَدُّ بِهِ لِلنَّوَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْقِرَاعِ؛ وَتَقْدِيمِهِ لَمْ يَسْتَوْفِ لِلْعِلْمِ زَمَانًا، وَلَمْ يَعْرِفْ بَعْدُ خَتَانًا، حَتَّى قُتِلَ ظُلْمًا وَعَدُوًّا، وَأَشْهَدَ فِيهِ بِالْكَفْرِ زُورًا وَبُهْتَانًا، وَجَلَا الْعَوَارُ عَلَى الْأَقْطَارِ، وَخَلَدَ الْعَارُ فِي الْأَسْطَارِ، وَلَمْ يَسْتَزِقِ بَعْدَ الْفَصْلِ، وَتَحْكِيمِ النُّصْلِ، وَاقْتِدَى بِالضَّمِّ الْبُكْمَ، وَأَشْرَّ ثَبُوتُ الْمَوْجِبِ إِلَى أَنْ فَرَّغَ مِنْ الْحُكْمِ. اللَّهُمَّ لَا تَفْضَحْنَا بِالْأَلْسِنَةِ الشَّارِدَةِ، وَالْأَلْسِنَةِ الْمُتَشَكِّرَةِ لِلْحَقِّ الْجَاهِدَةِ، وَاجْعَلْنَا بَيْنَ اسْتِعَانِ بِكَ عَلَى هَوَاهُ، وَاشْتِغَالِ بِشَأْنِهِ عَنْ شَأْنِ سِوَاهُ! وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَاتِلِ:

[الكامل]

لِمَارْجِعٍ لِنَفْسِكَ فَانْتَهَبْ عَنْ غَيْبِهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ  
لَا تَنْتَهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وَمَنْ قَوْلَ شَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ، فِي رِثَاءِ السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ: [الرمل]

استَقْلًا وَدَعَايَ طَائِفًا بَيْنَ الْمَعَانِي  
وَانْعَمَا بِالْصَبْرِ إِنِّي لَا أَرَى مَا تَوَانٍ  
قَضِي الْأَمْرَ الَّذِي فِي شَأْنِهِ تَسْتَفْتِيَانِ  
وَمَضَى حَكْمُ إِلَهٍ مَا لَهُ فِي الْحُكْمِ ثَانٍ  
مَاتَ يَوْمَ السَّلْمِ قَعْمًا مِدْرَةَ الْحَرْبِ الْعَوَانِ

١ أورد ابن الخطيب هذا الشعر أيضاً في النعمة البدوية (ص ٨٥ - ٨٨).

يا خليلي أعيننا  
 واذكرا سابعة النعم  
 واذا حلتنا بر  
 ما علمنا غير خير  
 لا نبالي ما سمعنا  
 غير ما قالوا اعتقدنا  
 وغداً يجمعنا المبر  
 ورضى الله هو المط  
 وأخو الصدق لعمرى  
 وهوى النفس عناء  
 وعلى البغضاء بطوى  
 ربأبي والله استلا  
 لفتى ما كان بالو  
 يزوج الماء نجيعاً  
 ليس بالهيابة الـ  
 أبيض الوجه تراه  
 أي سيف لضراب  
 ذو نجار خزرجي الـ  
 ذكره قد شاع في الار  
 لا تراه الدهرة الأ  
 عن صهل الخيل لا يد  
 إن ألمت هبة طا

يصدع الليل بقلب  
 يا لها من نصبة لو  
 وشباب عاجلوه  
 لم يجاوز من سنيه الـ  
 دوح الاقطار غزواً  
 حكموافيه الظبي الـ  
 ان يكونوا غادروه  
 تشرب الأرض دماً منـ  
 ونحييه بتسليـ  
 فالمعالي اودعته  
 وغواذي المزن يرضع  
 ضاع سرح الثغر لما  
 وأعبر الأسد الور  
 عاطياني أكؤس الحز  
 حمله دون صلاة  
 أو ما كانوا له يد  
 لا تهنئوه فما كا  
 عجباً والله من ابـ  
 بتأهدبها إليه  
 ذلك جهدي ان احسا  
 ويقال الرشع موجو  
 وعهود الناس شتى

وهي النعمة حقاً  
 ائتمد يا فارس الحية  
 والمعالى تطلب الثا  
 وهي الأرحام لا تذ  
 أنت من رحمة غفياً  
 وهو مو في الخصم انشا  
 والذي أفضى قبيحاً  
 سلم الله على من  
 وجزاه بجهاد  
 ربنا أنت خير  
 ويداك الدهر فينا  
 ومجال العفو رحب  
 فتعمدنا برحمى  
 واجمع الشمل على أمة  
 شكرها في كل أن  
 ل فغير الله فان  
 ر ونأني بالأمانى  
 سى ولو بعد زمان  
 ر الخطايا في ضمان  
 ء وزاناً بوزان  
 حظك عض البنان  
 فيه ذو جهل لحاني  
 جاء منه بيان  
 نجفيات الجنان  
 بالتدنى مبسوطان  
 والرضى غرض المجاني  
 وقبول وأمان  
 ضل حال في الجنان

## دولة يوسف بن اسماعيل

### ابن قنرج بن إسماعيل بن نصر

رني ساحة قنرج أغرة برازي السفائين من ظاهر الجزيرة الحضراء ،  
 عقب إقلاع ملك قشتالة عن الجبل ، بجواركة أخيه . وانتمى الناس على  
 بيعته . وكانت سنة يومئذ قد توسطت من المراهقة ، إلا أنه لم يظهر ذلك  
 بعدد عليه لحائه وسكنه ببيت الحرة الصالحة أمه ؛ وعلمت النعمة

والترف على بدنه . فلما تصير له الملك ، تبين فيه ظهور ذلك المعنى  
 باتخاذ أم الولد .

وكان لأول أمره كثير الصمت والسكون ، لا يتناول شيئاً من  
 مله ، ولا يفيض في غير أمور قصره ، ولا يمتطي اختياره إلا في  
 مائدة طعامه داخل باب قصره ، وبين من يلزمه من صيته ، إلى أن  
 استقل ، ونهض بالكل منته ، وعظمت حنكته ، وتوفرت تجربته  
 ثم استمل علي ، وسني يومئذ قريبة من سنة . فأستند إلى جميع أمره ،  
 وفرغ لي من تدييره ، واستراح إلى بصره وجهه ، وسفرني إلى ملك  
 المغرب في مهم أمره . وبلغ من لطف منزلي لديه ما يبلغ مثلي من  
 مثله . وهذا الباب الكريم المترني اليوم من الأعلام الذين باثروا تلك  
 الحال من يتررها ، متعجباً مما يتيها بباب ملك تخدم ، أو يسوغه  
 سلطان لذي مقام معلوم .

حدثني صدر الشرفاء وعلم المجلساء أبو القاسم بن قاضي الجماعة أبي  
 علي الحسن بن يوسف الحسي ، قال : سألت مني الحاجب أبو عبد الله بن  
 أبي عمر ، وهو من تخدمة السلطان المرحوم أبي عثمان ، جلد بين العين  
 والأنف ، أن تجري بين يدي سلطاناً حديثاً غريباً باثراً من غرائب  
 حظوتك عند سلطانك مما شاهدته عند السفارة إليكم ؛ فاستطردت الكلام  
 إلى أن أتممت بك . قال : ففطن السلطان أبو عثمان لغرضنا ؛ فأخذ ينحني  
 على الجميع من خديم وتخدم ، ويشكر الإخلاق بالرتب وإمهال الأذب ،  
 جارباً من عكس الغرض بما اختاره من المذهب .

وكان السلطان أبو الحاجب - رحمة الله عليه - من جلته الملوك فضلاً  
 وعقلاً واعتدالاً ؛ وباشر بنفسه الواقعة العظيمة بطريق ، مواسياً لأمير  
 المسلمين ملاقي التمهيد في سبيل الله ؛ وقصد نصره ؛ فحسن القول عنه لذلك ،  
 ولقيت أيامه شدة لتملك العدو قلعة يحصيه الجزيرة الحضراء . ثم

تَوَفَّاهُ اللهُ عَلَى يَدَيْ تَمْرُورٍ هَجَمَ عَلَيْهِ بِالْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مِنْ حِمْرَانِهِ . وَفَدَّ  
خَفِي مَكَانَهُ ، يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ عَامِ ٧٥٥ ، فِي الرِّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الصَّلَاةِ ؛  
فَطَعَنَهُ بِسِكِّينَ كَانَ قَدْ أُعْزِيَ بِشَحْنِهَا وَعِلَاجِهَا . وَقُبِضَ عَلَيْهِ ؛  
فَاسْتَفْهِمَ ؛ فَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مُخْتَلَطٍ ، وَقُبِّلَ . ثُمَّ أُحْرِقَ بِالنَّارِ .  
وَاحْتُمِلَ السُّلْطَانُ إِلَى مَنْزِلِهِ ؛ فَلَمْ يَسْتَقِرَّ إِلَّا وَقَدْ قَضَى — رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ .  
وَوَلِيَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ .

## دولة محمد بن يوسف

### ابن إسماعيل بن فتوح بن نصر

بُويعَ صَبِيًّا لَا أَثَرَ فِيهِ لِإِنْبَاتٍ ، وَلَا حَرَكَةَ تَدَلُّ عَلَى بُلُوغٍ ، إِلَّا أَنَّ  
سَيِّئَ سَارِعَةٍ فِي زَمَنِ الْمُرَاهِقَةِ عَلَى الْمُعْتَادِ لِبَعْضِ الْأَرْبَةِ ، وَقَاصِرَةٍ عَنْهَا فِي  
بَعْضٍ . وَنَمَتْ لَهُ الْبَيْعَةُ فِي حِفْلِ مَشْهُودٍ ، وَجَمَعَ لَغِيْرِهِ غَيْرَ مَعْبُودٍ ؛ فَلَمْ  
يُخْتَلَفْ عَلَيْهِ إِثْنَانٍ . وَبَيَعَتْهُ مَشْهُورَةٌ ، مِنْ إِمْلَاقِيٍّ ؛ اتَّصَلَ خَبَرُهَا  
بِالسُّلْطَانِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ أَبِي عِيْنَانَ ؛ فَאוْجِبَهَا وَغَبِطَ فِيهَا ، حَسَبًا تَكَبَّتَ بِهِ فِي  
كِتَابٍ « رِيحَانَةُ الْكِتَابِ » وَغَيْرِهِ . وَتَمَشَّتْ أَيْامُهُ عَلَى أَمٍّ مَا يَكُونُ مِنَ  
الْأَمَانِ ، وَخَضِبَ الزَّمَانُ ، إِلَى الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ الصَّوْمِ سَنَةِ ٧٦٠ .  
وَكَانَ التَّغْلِبُ عَلَى دَوْلَتِهِ الْأُولَى ، وَاسْتَوْلَى عَلَى الْأَمْرِ أَخُوهُ إِسْمَاعِيلُ ،  
حَسَبًا تَبَيَّنَتْ مِنْ كُتُبِنَا : فِي كِتَابِ « الْإِحَاطَةِ » وَ « الْمُنْجَةِ الْبَدْرِيَّةِ »  
فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ مَنْ أَرَادَهُ .

## دولة اسماعيل بن يوسف

### ابن إسماعيل بن فتوح بن نصر

وَكَانَ فِي وَسِيمًا ، حَسَنَ الْخُلُقِ ، مُنْحَطِّطًا فِي لَذَائِهِ ، لَا اسْتِنَارَةَ غَيْرَ  
النَّجِيَاءِ بِصَحْبَتِهِ . اسْتَجَلَبَ لَهُ الْحِظُّ قَرِيبَهُ ، وَحَفِيدَ عَمِّ أَبِيهِ ، وَزَوْجَ  
أُخْتِهِ ، لِيَجْعَلَهُ سَبَبًا لِحِظِّهِ ؛ فَتَمَشَّتْ الْأُمُورُ بِاحْتِدَاءِ السَّيْرِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، إِلَّا  
أَنَّ هَيْبَةَ الْأَمْرِ السُّلْطَانِيَّ ارْتَفَعَ حِجَابُهَا ؛ وَوَقَعَ التَّحَاوُدُ وَالشُّنَّانُ بَيْنَ  
السَّبَاعِ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ . وَأَحْكَمَ صِهْرُهُ الْمُتَوَثَّبُ بِاسْمِهِ التَّدْبِيرَ عَلَيْهِ ،  
وَنَذَرَ بِهِ ؛ فَأَكْذَبَ الْخَيْرَ شَأْنَ أُولَى الْعَدْرِ الَّذِينَ بَلَغَ الْإِدَالَةَ مِنْهُمْ  
الْكِتَابَ ، وَصَمَّتْ آذَانَهُمْ أَنْ يَدْخُلَهَا الْعِتَابُ ؛ وَشَدَّتْ الْأُمُّ يَدَهَا مِنْ  
زَوْجِ ابْنَتِهَا عَلَى السَّرَابِ الْفَرَّارِ ، وَالزَّبَقِ الْفَرَّارِ ، مَقْدَارِ النَّاقَةِ ، وَمَعْدِنِ  
الْجَنُونِ وَالْحِمَاقَةِ . فَهَجَمَ عَلَيْهِ بِجِلِّ سَكْنَاهُ ، وَأَحَاطَ بِهِ ، وَقَدْ اهْتَبَلَ غِرَّتَهُ ،  
وَهُوَ مُتَبَدِّلٌ فِي بَعْضِ قُصُودِهِ مَعَ شِرْذِمَةٍ لَا تُدَافِعُ عَنْهُ ؛ وَاعْتَصَمَ بِبِرْزُجٍ  
فِي الْقَصْرِ . ثُمَّ أُلْقِيَ بِيَدِهِ طَامِعًا فِي الْعُودِ إِلَى التَّقَافِ الَّذِي أَلْفَهُ . فَلَمَّا  
دُهِبَ بِهِ إِلَيْهِ ، أَشَارَ الدَّائِرُ بِقَتْلِهِ ؛ فَقُتِلَ ، وَقُبِّلَ مَعَهُ أَخٌ لَهُ صَغِيرٌ  
اسْمُهُ قَبِيْلُ ؛ وَذَلِكَ فِي عَشِيٍّ لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ عَامِ ٧٦١ .  
وَوَلِيَ بَعْدَهُ الْمُتَوَثَّبُ عَلَى مُلْكِهِمْ .

## دولة محمد بن اسماعيل

ابن محمد بن فرج بن إسماعيل بن نصر

واستقر الملك بيد ابن عمهم هذا ، مُعْمِلُ التوثب والمنقذ على العظيمة ، أشبه الناس في خلقه وسيوته بمحمد بن عبد الجبار المتوثب على دولة هشام بن الحكم وهادم الدولة العامرية ، حسباً شهيداً به التاريخ . وكان هذا الفتى مقداماً ، شاطراً ، بريئاً من التزمت ، خالطاً نفسه المتعابر ، آخذاً بإياها بطريقة الفتيان والحرافسة ، سخي اليد ، مهذب الخلق ؛ أنشكه السلطان أبو الحجاج بنته لمرغب المحل من القرابة خاصة ، مع الغض عن العيوب . وهلك السلطان ؛ فثاله خيول وإقتضاة جميلة عن التدبير على ولده ؛ فأعانتته حظية السلطان أم ولدته المعدول عنه يوم الولاية ، المسماة برينهم . وكثرت غفلتنا عن الاحتياط على المال ؛ وخزائنه يومئذ جعل سكنتى السلطان لتظفر هذه المرأة ؛ فرزأت منه ما صيرتته في سبيل التدبير ؛ وأحكم هذا الصبي الصهر أمره بمداخلته كل منصرف عن الدولة ، أو حسود من حساد الله بالنعمة ، أو مستطيل للمدة أو مطول بالولاية ، أو مترجع من العزلة ؛ وداحل مشايخ المدينة وأعيان الحضرة ؛ فلم يبق إلا حاطباً في حبله ، ومحرضاً له على فعله ، مكللاً للعافية وجهلاً بغييات الفتنة ، كآته عرض عليهم نصير الأمر إلى عبد الملك بن مروان ، أو إلى أبي جعفر المنصور ، أو هشام الرضى .

أما من بعدهم وجبة وسوءة من بعدهم ، معلقاً على الأمور قسطاً دينه ، يقول له بلسان حاله أو مقالته : ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة لأهل الله ! بل بينهما ما بين الحرام والحلال ، والرشد والضلال ! فتسور

القلعة بالرجال ، تحكيمياً لذلك ، ليلة الثامن والعشرين من رمضان من سنة ٧٦٠ . وفر الموثب به محمد ، إذ كان خارج القلعة ؛ فليق بوادي آس ؛ ثم اتصل بالمتغرب . وتم له الأمر إلى أن استخلصه لنفسه ، ولم يقصر فيه في اجتهاده .

وأناح الله له وقعة على النصارى بظاهر وادي آس يوم السبت التاسع عشر لشهر ربيع الأول سنة ٧٦٣ ، لم يتقدم العهد بمثلها لمثله ، نيف الأسرى فيها على ألف ومئين ، فيهم الكيبار والقرسان الدارعة ، أدخلوا الحضرة في الجبال ، تضيق عنهم الطريق والقضاء العريض ؛ فاستولت الأيدي على أسلحهم ؛ وكان صنعاً لا كفاء له ، تسببت عنه موجدة صاحب قشتالة ؛ وحرّضه على استدعاء عدوه من المتغرب لما فرغ الله عنه من أمره . ولما أجاز إليه البحر ، واستقل عدوه برندة ، اضطرب أمره ، واقتضى رأيه الفائل اللحاق بصاحب قشتالة في طائفة عديدة بمن خاف على نفسه وتوقع من طالب الأمر المطالبة بذنبه ؛ فكان ذلك من غير عهد اتخذته لنفسه ولا ذمام أسلفه ليقضي الله فيه قضاءه ؛ فلم يرجع قصده ؛ وتقبض عليه وعلى من معه ، مخالفاً في ذلك لرأي قومه ، وقتله بيده ، بعد أن مثل به بطليطة من ظاهر إشبيلية ، ثاني رجب من السنة . وألحق به طائفة تنخلها من صحابه ، وأمر سائرهم ، واستخلص ما كان عند الجميع من ذخيرة . وانتهى أمره على هذا السبيل . وعاد بعده الأمير أبو عبد الله مخلوعه إلى دار ملكه .

## دولة محمد بن يوسف

ابن إسماعيل بن فرج بن نصر

وكان قد أعمل الحركة من مدينة رندة إلى أحوار مالقة ؛ فبسر الله له

أزرها ، إذ كان قد استظهر بالطاغية ، وحصل بسببه على جملة من حصون المسلمين ، خاس الطاغية فيها بعثده ، وأمسكها لنفسه . فسهل ذلك مع قضاء الله دخول مالمقة . وعند ذلك ، أزمع عدوه الفرار من دار ملكه ؛ واتصل به الحبر . فأعمل السير إلى الحضرة ، وعاد إليها زوال يوم السبت لموفي عشرين جمادى الثانية من سنة ٧٦٣ . فاستقرت بها قدمه إلى الآن . واشتعلت الفتنة بين صاحب قشتالة وبين أخيه ، بما أوجب الهدنة وأن ظهر المسلمون على طائفة من بلاد العدو في سبيل إعانة بعضه على بعض ، بما هو معروف .

واختصصت بموازرتة ومظاهرتة على أمره ، وبذل الجهد في نصحه ، والغيرة على دينه ، وجميل ذكره ، تارة بالعقاب ، وأخرى بالكتاب ، إلى أن ترجع عزمي على الهجرة ، وإعمال الرحلة ؛ وأنا أجرد فصلًا أقرر فيه حالي ، ليكون من اتصل به الحبر بعدي ، أو شك في قصدي على عهدي ، حاصلاً على اليقين من أمري ، والبيئة من عذري ، حتى لا يبتوء بإثممي ، ولا يفسد اليد في ظلمي ؛ وإن فعل كئنت قد خرجت عن العهدة بالبيان ، وعولت في المثوبة على الرحمان ؛ وأنا أقسم بالله أنني لا أنعمد في الجور طريق البهتان ، على أن المتجاوز في مثلها يفضحه قرب الزمان ، ومباشرة المعاصر لهذا الشأن ؛ فنقول :

أما حديث ما لي بباب هؤلاء الأمراء من سلف ، وفي دولتهم من حظ ، وإلى ملكهم من وسيلة ، وفي أبوابهم من تجيلة ، فقد تضمن ذلك مع شهرته كتاب « الإحاطة » وكتاب « المباحير الطيبة » في المفاخير الحطبية . ولما صار الأمر إلى هذا الرجل باستدعاء إشارتي ، وأمسكت يده للناس يومئذ بإذلاً في تثبيت إرثه جهدي ، بلغت الخطوة منتهاه ، والدرجة التي تؤمل بأبواب الملوك إلى الآماد وأقصاها ، إلى أن وقع الكياد على الدولة . وكان ما هو معلوم من تسوؤ القلعة وتحويل الحالة ؛ وكئنت

لئلا يئس ساكنها بقصر ابتنته بالشرعية القديمة من شرقي المدينة ، كئنت أسكنه أكثر فصول السنة ؛ وكان الشيخ مولاهم رضوان العبد الصالح بالقلعة مقيمياً لرسم حفظ الأمانة ، والسلطان منتقل إلى جنته خارج البلد في سبيل الراحة . فلما استولى المتوئب على دار الملك بن معه من رجال الكرية ، قصد دار الشيخ ؛ فقتله . وأخرج الأمير ؛ فأجلسه . واتصل الخبر بأخيه السلطان ؛ فلقق بوادي آش . وتعيّل إلى المحل الذي بيت فيه ثقات الولد القاهر بدار الملك ؛ فاستصحبني إليه بأمانة . فابتدأ الأمر في من حيث وقف أبوه ، إذ كان يشاهد لطف تحلي منه وترفعي عن حظ الخدمة في مدة أخيه بعده ؛ والصبي مغلوب على أمره ، وللعصابة الدلية الصرف في ملكه ؛ فرأبهم تحلي منه ، وقالوا : « إننا كان هذا الكدح المعتند والخطر المتركب لأن يجعل الملك ثانية في يد هذا الرجل ، يأخذ مثلاً ثار دولته ، ويقضي حسيمة سلطانه . » فقرروا له . وقد امتنع أخوه بوادي آش ، وأجاره أهلها أنني أحطب في حبله ، وأعمل الحيلة في جبره . وتقبض علي ، وانتهب قليل ما يعلم لي وكثيره ، وتافهه وخطيره ، وأعمل التدبير في الإراحة مني ، والاحتياال في تسيب هلاكي ، مع أن ألتطاف الله لم تخلي حال الشدة من توفيل اعتقال ، وتخلص جفوة مقال .

وجرت بين صاحب الدولة وبين المتصير إليه ملك المتغرب يومئذ السلطان المولى المقدس أبي سالم - رحمة الله عليه ورضوانه - المفاوضة في استجلاب المستقر بوادي آش إلى المتغرب بقصد ابتغاء الهدنة ، ورفع الفتنة . فلما تم ذلك ، جعل الحديث في أمري عمدة ، والإشارة بخلاصي ؛ وبعث الله لي من حيث لا أحسبه في الكون حيداً وحيمة ؛ فم بعد لجاج ، وإثارة عجاج ؛ واستخلصني الله . فكئنت عني بنان النكبة ، وفئحت بالفرج أفضال الشدة . وكان قدومي على السلطان أولى الناس

بزفتي ، وصحة رسوله الخلق باعترافي وشكري ، وخرجت لا أملك  
إلا نفسي ، وفضل ربي ملطوفاً بي ، باستصحاب أهلي ووَلدي ؛  
وقد مُت عليه ثلثو المخلوع وكلانا مطوق المَن . وانشدته يومئذ القصيدة  
المشهورة ، محرّضاً له على نصر من قصد بابَه ، واعتمد جناحَه ، والمتشوّز  
يومئذٍ قد جَمَعَ الدنيا بما حَمَلَتْ ، وأُشْيَخَ المغرب وأعلامه قد  
اجتمعت واحتفلت ؛ وهي :

سلا هلّ لديّنا من مخبّرةٍ ذكرُ وهلّ أعشب الوادي ونمّ به الزهرُ  
وهلّ باكر الوسمي داراً على اللوى عفت آيها إلا التوهّم والذكرُ  
أقول فيها :

أقول لأطعاني وقد غالها السرى وآنسها الحادي وأوحشها الزجرُ  
رويدك بعد العسر يُسران أبشيري بإحجاز وعد الله قد ذهب العسرُ  
ولله فينا سرٌّ غيب وربّما أتى النفع من حال أريد بها الضرُ  
وإن تحنّ الأيام لم تحنّ النهى وإن يجذل الأقوام لم يجذل الصبرُ  
فقد عجمت عوداً صلياً على الرديّ وعزماً كما تخفي المهندة البترُ  
وإن عركت مني الخطوب مجرباً نقاباً تساوى عنده الحلوى والمرُ  
إذا أنت بالبيضاء قررت منزلي فلا اللحم حلّ ما حيت ولا الظهرُ  
زجرنا بإبراهيم برء هومينا فلما رأينا وجهه صدق الزجرُ  
بمنتخب من آل يعقوب كلّما دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجرُ  
تناقلت الركبان طيب حديثه فلما رأته صدق الخبر الخبرُ  
ندى لو حواها البحر لذّ مذاقه ولم يتعقب مدّه أبداً جزرُ  
وبأس غداً يرتاع من خوفه الردي وترفاً في أثابه الفتكة البكرُ

١ راجع القصيدة بنماها في « الملحّة البدرية » ( ص ١١٠ - ١١٣ ) .

أطاعته حتى العضم في قن الربا وهشت إلى تأميله الأنجم الزهرُ  
ومنها :

قصدناك يا خير الملوك على النوى لتصفنا ممّا جنى عبدك الدهرُ  
كففتنا بك الأيام عن غلوائها وقد رابنا منها التعسف والكبرُ  
وعُدنا بذلك المجد فانصرم الرديّ ولُدنا بذلك العزم فانهزم الذعرُ  
ولما أتينا البحر يرهب موجه ذكرنا نذاك العمر فاحتقر البحرُ  
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها فإيمانه لغو وعرفانه نكرُ  
ووصفك يهدي المدح قصداً ثوابه إذا ضلّ في أوصاف من دونك الشعرُ  
ومنها :

وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه مهبط ومن عليك بلمس الجبرُ  
غريب يرجى منك ما أنت أهله فإن كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخرُ  
ففز يا أمير المسلمين بيعة موثقة قد حلّ عقدتها الغدرُ  
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا بيا لمرين جاءه العزّ والنصرُ  
مرامك سهل لا تؤودك كلفة سوى عرض ما أن له في العلى خطرُ  
وما العمر الا زينة مستعارة ثردّه ولكنّ الثناء هو العمرُ  
ومن باع ما يقى بياق مخلص فقد أنجح المسعى وقد ربح التجرُ  
وهي طويلة ؛ اختصرتها لطولها وشهرتها .

ثم ترجع لدّي السكون إلى العافية ، والتمتع بالبقية ؛ فجنحت إلى  
السكنى بمدينة سلا ، حيث طنبت الحرمة رواقها ، وأقامت الحسنة بسبب  
الضريح المقدس . أسواقها ؛ تفرقني عني بها النعم ؛ ويصطنعني المجد والكرم ؛  
فلا أعدّ من عسري إلا أيام مقامي بها ، وسكنائي فيها ، تفرغاً إلى ما  
أريده من دنيا وآخرة . وعافية شاملة ، وجنّة عاجلة ؛ وصاحبي يقوم



العزيم في شأني وبقيت ، ويقرب ثم يبعد ، ويستحني إلى صحنه ، ويجعلني عبدة في وجهه ؛ فلا يجد في بقية ، ولا لمطاردة الأمل قبلة مسكة ، إلا ما كان من رأي وإشارة ، وإهداء نصيحة .

وراضاني أخيراً على الناس عهدي ، واقتضاء حظي بالقدوم عليه ، أن جبر الله كسره ، ورد أمره مع ولده ، وانصرف إلى طبيته التي سقرت ليلة وحشتها على صاحب اللطائف الحفي ، بعد أهوال تشيب لها الذوائب ، وتذل للعدو الدين تهون عنده المصائب ، وقاني الله موافقها ، وكفاني مخازيها . لم يزل يغطي بها ، ويقرر عناية الله في الصون عنها .

وما راعني إلا كتاب المستولي على دولة المغرب عمر بن عبد الله بن علي - رحمه الله ، وكانت تأكده بيني وبينه الصبغة ، وتوثقت من رغبه وبره العقدة بها ، يخبرني بما انتهى إليه أمره بغرناطة ، ويرى ما عندي في زيارته والوصول إليه مع ولدي ؛ فعزمت على الوفاء بعهده ، وأسرعته إلى قصده ، بعد أن قررت عند المذكور وبين يدي سلطانه عزمي على تعجيل الأوبة ، وعكس على إسرار العودة ، وترك الأهل والولد تحت جناح الحرمة ، والجوار المريني الوافي بالذمة . وقدمت عليه بغرناطة مع الولد قدوم الطبيب على المريض المشفي على الموت ، القاطع بالقوت ؛ وقد دالت الدولة في أمه لبس فيها إلا مذنب بقول أو عمل ؛ والمال معدوم ، وبناء الملك مهذوم ، والألقاب قد ذهبت رؤسها ، والأحوال قد تغيرت صفاتها ، والدنيا قد اختلفت مألوفاتها ، والخدام المتغلبون على الدولة قد سفكوا الدماء واتبعوا الحسائف وأطاعوا المطامع بحيث عادت الثورة ، فلولاً دفاع الله كانت القاضية . فسمرت لإصلاح القلوب وسد الحسائف ، وتأنيس الشارد وتأمين الخائف ، وإرضاء الجند وتوفير المال ، ومحاولة عدو الدين . وقد اقتضيت خطه بالسراح إلى أمد معلوم حل ؛ فتقلني إلى غيره ، واستدرجني بسواه ؛ وقد عادت مع

ذلك عوائد العافية ، وفلنحت على الأندلس أبواب الخير والخيرة ؛ فصورقت الملوك ، واطردت الفتوح ، ودرت المنوح ، واستقامت الأمور بما يعرفه الحاضر لهذا العهد ؛ فلا يسمعه جحد ، ويعرفه من الكتب في الزمن الآتي من أوقعت عليه مطالعتة .

وفي كل آونة وساعة ، وأثناء كل فقر وخلو ، بعد أن كبر الولد ، واستراح من هم الحرص الخلد ، أخطب نفسي ؛ فنقول لها : « يا مشؤومة ! أما تشعرين لما نزل بك ، حملت هذا الكل على ضعفك ، وأوسعت هذا الشغب في فكرك ، وعمرت هذه الخطوط خط ربك ، وتعرضت لأن تسخطي الطالب المنوع بجنيته ؛ وتسخطي المعطي بما يرى أنك قد منعت من الزيادة في عطية ؛ وتسخطي الأجنبي بالقبول على عدوه ، والمبطل إلى ضده ، وبالإعراض عن صديقه ؛ وتسخطي الجاني بإفاد العقوبة في جنايته ، والمجني عليه بالتقصير عن عرضه الذي يقتضيه شفاء نفسه ؛ وتسخطي الجيش باختباره وعرضه ، ومنع المدفوع إليه في غير حق ؛ وتسخطي الرعية باستقصاء الجباية وأخذها بالإعداد لعدوها في الشدة ، من تحصين ثلثة ، وإعداد عدة ، واختزان ماء أو قوت لشدة ؛ وتعاين طلاب الولايات إذ يحا منها ربع عدهم ، وأنت مضطرة إلى مطل عدة ، وارتقاب مداولة ؛ وتعاين الأهل والقراة والولد بمنع الأيدي والعدل في الشهوات ، وسد أبواب الشفاعات ؛ وتعاين خاصة السلطان بالانفراد به دونهم ؛ وتعاين الملوك المجاورة بالتوقفت في أغراضهم التي يصعب قضاؤها ، ويضر بالدولة إمضاؤها ؛ وتعاين ولده السلطان وحظيته ، فليكل منهم مطلب يختص به ، وطور مثلك بعيد عن التهم فيه والافتيات على صاحب الدار ؛ وتعاين السلطان بعدله في الشهوات ، والقيام دونه دون كثير من الأغراض ، ومخالفة أمرى بحظيره بحسب الهوى من الخدام ، وتقريعه في باب إفساد الأموال ،

إذ لا تعطيه بسبب الدولة عليه والتوبة له والأمن من بإرادته الحق الذي يجب له بعد أن علت السن وكبر الولد وتأثّل العزّ . »

وهذا كله بعض من كلّ ، وقليل من كثير ؛ فلا نجد عنه حجة ، ولا شيء عنه مدافعة . وصيرت أنظر إلى الوجوه ؛ فالمسح الشرّ في نظرائها ، وأعتبر الكلمات ، فأثبت الحسائف في لغاتها ؛ والصبغة في كلّ يوم تستعك ، والشر يتضاعف ، ونعمة الولد تطلق لسان الحسود ، وشيع الكلاب المظيفة في تهيج حسائف النور الجائعة والأسود ؛ والأصحاب الذين تجمعهم المائدة كلّ يوم وليلة يقتنون في الأطراء والمديح ، وتحسين القبيح ، والمحاللات في الغي ، والتقرب بالسعي ؛ أنظر إليهم يتناقشون الإشارات بالعيون ، والمغازاة بالهفون ، والمخاطبة بالغوز ؛ فإذا انصرفوا ، صرّف الله قلوبهم ؛ فقلّبوا الأمور ، ونقلوا العيوب ، وأفسدوا القلوب ، وتعلّثوا بالأحلام ، وقواطع الأحكام .

وكشئت وصلّت من المعترّب ، ولي ورد من الليل ، ووظيفة من الذكّر ، وحظ من الخير ، ضايقني في ذلك كله فضول القول والعمل ؛ فهجرت السبحة ، وطلّقت الورد ، وماطلت الفرض بوقته ، وعمرت الزمان بما لا يغني عني من الله من شيء ؛ فلا متعة بالمطعم لاختلال الصحة ، ولا بالنساء لذهاب الشبيبة وضيق زمان الراحة ، ولا باللباس لتبدل الكبرة ، ولا في اكتساب المسال لضعف الأمل ؛ ولم أك قطّ - « كسب ساعة » - رداً سرفاً إليه همة ، ولا عملت عليه ، ولا في الوطن فضل يوصل إليه ، وصرّت أسهر الليل ، وأتوقع الشرّ ، وأقِف الدنيا موقف المتوقّف في تلقّي السلاح بمنّة وبسرة ، ولا حصول مع هذا كله إلا على قوت مكدود ، ولا يعوز في قرية ، ولا يفقد بين أمّة . وأنزل الله عز وجل عليّ حبال العجز والكسل ، وسقوط الأمل ، وتوقع الشرّ ، وفساد الفكر ، وجمع المطالب كلها ، والآمال بأمرها ،

والغايات بأجمعها ، في حصول راحة ، وتمتني خلوة ، وقطع ما بقي للعمر من برهة في دار أمن وخلو من شغب .

وصيرت أنخيّل ذلك ، وأمثّل الفوز والحصول عليه كما يتخيّل جنون بني عامر الظفر بلسي والافراد بها ، من غير نظر لمهوى بردي ، ولا سبّع يعتدي ، ولا وادٍ يغرق ، ولا نارٍ تُحرق ، عسى المهوى ، واحتجاب النسي ، وتأميل السمي ؛ كأنّ سعر الراحة رخيص ، ومطلب الخلاص لا يعثر عليه تخيص ، ولا يتعين بين يديه تخيص . وسبحان الذي يقول : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ » . فألحقت على السلطان ، تارة أطالبه بإنجاز وعده ، والوفاء بعهده ، واقتضاء مضمر خطه ، وتارة بالعسل على اكتساب بغضه ، والجفاء الذي يحلّ عقدة اغتباطه ، ويذهب الحظ من باطنه ؛ بلغت في ذلك بالقول والعمل إلى ما لا يبلغه محكم من عقله ، ولا محافظ على نفسه ، وهو يحمل ذلك كله في جنب المظاهرة بي على أمره ، وعليّ به بحلّي من الصيانة لمثلكه ، والنظر بعين الأبوة لأهله وولده ، إلى أن لم يبق بيني وبينه إلا أن يذهب الفشر وينكأ الفرح .

وثاب لي النظر بإزمار الفرار عنه ، ومصانعتي بين يدي ذلك بالتأني له والاعطاط في هواه ؛ وشرعت في عقد السلم مع العدوّ لسينين ، ورثبت الأمر ترتيب الأبناء للبينين ، ورجوت إحسان الله لي « والله لا يضيع أجر المحسنين » ؛ وقلّت : « أحج نفسي ، وأقضي قرضي ، وأستغلّ الناس بعيزي ، وأكون بعد ذلك محكماً من أمري ! » فاقضيت من المولى المقدّس أبي فارس عبد العزيز - رحمة الله عليه - ، وقد اتّصل بي فضيل دولته ، وطهارة نشأته ، واعتدال طريقته ، عمداً بخطّة من ي فيه المشاركة في أغراض من إقامة تحت حرمة ، وإعانة على حجّ وزبارة ، ومبالغة في شفاعته أو تسويغ قفول

بى الأندلس، بن سبته وعودة .

وتبشر اللاحق ببلاده ، والحصول بجبل القنح من إبلاته ، والجواز  
بى سبته غرة جمادى الأخيرة من سنة ٧٧٣ في أسطوله ونحت أفضى ما  
يؤمن من يره ، وفارقت الأهل والمال والولد والجاه الذي بلغ  
الأمد لا الدنيا ثانية ، نعتاضها من المطلقة ، ولا خدمة نستأنفها عوض  
تلك المطرحة ، ولا لفرار أمام جناية ، ولا لفتكة في مال جناية ، ولا  
لنفوت معقل لعدو الملة ، ولا لسفك دم يطلبي بنبعة ، ولا لحيانة  
في أهل ، ولا لسعي على ملك ، نرى إلى الله من ذلك كله ! إننا نلخص  
قصدنا بعد نبخله في الفرار إلى الراحة ، والتفادي من حبل الكلفة ،  
والاشتغال بما يعني ؛ لكن في ظل العافية ، ونحت سحب التعمية وذممة  
الحرمة . نسأل الرقيب على ما في القلوب ، إن كنت قد سأتبني في ذلك  
شائبة ، أن لا يمتنعني بالبقية ، ولا يمين علي بحسن الخاتمة .

لكن لم يخل هذا كله من انقياد على القدرة ، وغرور بالحول  
والقوة ، وتحكم على الله في تحسب العاقبة ؛ فوقع فيه التقيص ما لم يفقد  
فيه الاضطراب من رب العزة ، ولا عدمت إقالة العثرة وحسن الكفاية .  
وكانت النية صرفة الوجه إلى مدينة سلا حتى أبلغ النفس ريقها ،  
وأخطب لأفكاري هدوها . ثم أمدد اليد إلى غرة الهجرة ، وأمرع في  
الرحلة ؛ فاتصل بي ، وأنا بطنجة ، كتاب ولدي ، وقد استوحشوا ،  
ورأيتهم استبحاش السلطان ، وتوقعوا الإغراء بهم ، وتطرق الشر إليهم ؛  
فصرفت وجهي إلى الباب العزيمي في سبيل استخلاصهم ، وقدمت عليه  
بتليمان في التاسع عشر لرجب من السنة . فلقيتني بإيلى بحسبه وشرف  
مذهبه من إركاب الحاشية ، ورفق الحجة ، ورعي الوسيلة ، ودنو الجلسة ،  
وإجراء النعمة ، وبادر إلى طلب الأهل بإعمال بنانه ، بحسب ما رسمته  
من العبارة ؛ وتلقى رسوله بمن فترت عنه ما يرق له ذو النفس الحرّة ،

ويؤثره مبتغي الوسيلة من إرسال العبرة ، واستفطار الفرقة ، وتقدير ما  
كان لي في قلبه من المحافظة والمودة ؛ واعتوف ببراءتي في وطنه من  
النبعة ، وصرف الأهل والولد قاضياً للحاجة ، مقدراً في الطريق  
بنية الجارية .

وشرعت عند ذلك في الحركة إلى وجهتي الحجازية ؛ فعلق لي الوعد  
بنوحيه الربعة ، والشروع فيما يخص ذلك من العزمة ؛ فأخذت في تقدير  
الإقامة ، وانتظار ركوب الرحلة . وبلغ الجبر هذا الاختصاص والاصطفاء ،  
والمرتبة على الجلساء ، وإعمال التواء هذا الباب السامي العلاء ؛ فعجز منه  
الصبر عن تحمل الغيرة ؛ وارتفع ، وحكم المسئلة ، وقطع بأنني بنيت في  
الباب المربني على الخدمة . وكثرت عليه في جهتي كئيب السعاية ، بمن  
جلا عن وطنه من القرابة ، وقرّر عنده مبالغة ولده فيه بالإذابة ؛ وأعمل  
من لذيته من الخدام الذين خلاهم الجو مبني ، ومرحت حجلهم بعد  
رحيل صقري أقصى القدرة في إفساد حالي لذتيه بأنواع السعاية ، وفنون  
النكابة ، سداً يؤمنهم من الرجعة ، ويؤجرهم من القبول والقبية . فتأتى لهم  
من ذلك ما خلص لي أجره ، وعظم لذتهم وزرّه ، لا بشهادة عدل  
مقبول ولا بثبوت خط معروف ، إنسا هي ألقى راشها الهوى وبرأها ،  
مع براءتي من لفظها ومعناها ، وموحدها ومشاها ، زور وحساد ،  
وبضائع أسواق فساد .

واستبلغ المجهود في استفساد هذه الجهة التي انتقلت إليها بكل حيلة . فما  
وجد السعي محلاً ، ولا ألقت المكابد رجلاً لذتها ولا أهلاً ؛ فعاد  
التشتي على التعم ، وإهانة الرمم ، وإحراق المصنعات ، ومحو الحسنات ،  
وتغيير الصدقات . وكنت ، لغروري بالزمان ، وثقتي منه بالأمان ، أظن  
أن لا سبيل للدهر علي ، ولا تطرق له إلى ، وأن مفارقتي لمن بالأندلس  
إنما هي مفارقة أب لولد ، وقلوب حلكد ، وأن عقاري الموروث

والمكتسب جَارٍ يَجْرَى الوقت الذي لا يُبدَل ، وصريح الشريعة الذي لا يتأوَّل ، وأنَّ فوائدَه تلحق بي حيث كنتُ من المعمر ، فلا أُكَلِّف رزقاً ولا أعمل جَهْداً لغرور ؛ واستحكمتْ صيغته لمُساعدة الأيَّام ، والثَّقة برَغْبِي الدِّعَام .

ثمَّ دُكَّ الجبل العاصم من الطوفان ، والممسك للأرض عند الرجفان . فكان موتُ المولى المرحوم أبي فارس الذي أَوْثَقْنَا إِلَيْهِ ، وعوَّلْنَا عَلَيْهِ ، ووَثِقْنَا بِوَعْدِهِ ، ونَسَكْنَا بِعَهْدِهِ ؛ فانْخَرَقَ الحِجَابُ ، واستأْصَدَتِ الذُّلَابُ ، واستنْصَرَتِ البَغَاتُ والذُّبَابُ ، وظنَّ أَنَّهَا الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَا تَرْفَعُ ، وَأَنَّ الْوِطْنَ بَعْدَهُ إِنَّمَا هُوَ السَّرَابُ الْبَلَقُّعُ ، وَأَنَّ وَلَدَ السُّلْطَانِ لَا تَتَعَدَّلُهُ بَيْعَةٌ ، وَلَا تَقُومُ لَهُ دَوْلَةٌ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ لَوْلَدِهِ دَعْوَةٌ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا خَبَأَ اللَّهُ لِقِيَّتِهِ الْإِسْلَامَ مِنْ عِمَادِ خَلْفِ الدَّاهِبِ ، وَمَتَارِ أَبَانَ بَعْدَ أَفُولِ الْبَدْرِ الْمَذَاهِبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ سُدَّ مَسَدَهُ بِالْوَزِيرِ الَّذِي خَلَفَ الْعِمَادَ ، وَصَانَ الْحَرِيمَ وَالْأَوْلَادَ ، وَحَفِظَ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ ، وَأَقَامَ الْحُجَّ وَالْجِهَادَ ، الْمَعْرُوفَ الْحَقَّ الْمَشْهُورَ الْجَدَّ الْمُمَيَّزَ فِي حَلْبَةِ الْأَمْرِ الْعَلَوِيِّ بِالسَّبْقِ ، وَالْحِسَامَ الَّذِي فَتَحَ جِبَالَ الْغَرْبِ وَصَحَارِي الشَّرْقِ . وَوَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِي الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُسْكَنْتَةِ ، وَالْمُحَاورَةِ وَالْمُخَاطَبَةِ ، وَدَسَّ الْأَغْرَاءَ ، وَتَحَامَلَتِ السُّفَرَاءُ . وَوَصَلَتِ الْوَزِيرُ الْبِرَاءَةَ بِخَطِّهِ سَالِكَةً سَبِيلَ التَّلَطُّفِ بِكُلِّ اعْتِبَارٍ ، مَعْلُوقَةً رِسْمَ الْوَدِّ بِأَمْرِ غَيْرِ كِبَارٍ ، مَقْرُراً أَنَّ خَاطِرَهُ مَعَ مُدَاخَلَتِهِمْ إِيَّايَ لَا يَنْصَفُ بِقَرَارٍ ، وَلَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى تَحَكُّمٍ بِاسْتِقْهَارٍ ، وَلَا جَهْلٍ بِمَا لِحَرَمَةِ الْبَابِ الْمَرْيِيٍّ مِنْ عُلُوِّ الْمَقْدَارِ .

وعرض الوزيرُ ذلك عليَّ فسهَّلْتُهُ ، وَخَفَّضْتُ فِيهِ نَصَحَهُ ، وَاخْتَصَرْتُهُ رَأْيَا ، وَبَذَلْتُ فِي نَسَبِهِ سَعْيَا . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَطَّأِ نِيَّيَ نَرَبٍ كَسَلًا ، وَلَا انْتَهَمَ عَلَيَّ مُسْتَكْرَهًا ؛ إِنَّمَا عَرَضَهُ انْصِرَافِي وَاسْتَعَالِي بِشَأْنِي . فَلَمَّا أَنَّ تَسَافَرَ فَيَسْتَرِيحُ مِنْ قُرْبِي ، وَمَا تَتَوَقَّعُ ظَنُونُهُ مِنْ

أَجَلِي ؛ أَوْ أَعْمَلُ عَلَى الْلِحَاقِ بِهِ بَعْدَ قَضَاءِ وَطَرِي مِنْ حَجِّي . وَلَمَّا إِن تَضَطَّرُّنِي الْحَاجَةُ إِلَى اسْتِرْفَادِهِ وَاسْتِصْلَاحِهِ ، وَيَضِيقُ صَدْرِي ؛ فَأَرْضَى بِتَحْكِيمِهِ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْغُرَضَيْنِ بِانْصِرَافِي إِلَى سُكْنَى مَدِينَةِ سَلَا ، وَأَقْسَمْتُ لَهُ عَلَى إِيثَارِي إِيَّاهُ ، وَعَدَمِ رِضَائِي بِسِوَاهُ ؛ فَجَاءَتْ عَوَاصِفُ الْأَنْفَاسِ الْعَالِيَةِ ، وَرَسَخَتْ جِبَالُ الْمِسَمِ السَّامِيَةِ ، وَوَقَعَ لَمَّا جِئْتُ بِهِ الْإِنْكَارُ ، وَفِي سَنَانِ فُسَادِهِ الْإِيرَادُ وَالْإِصْدَارُ ، وَعَظُمَتْ مِنْ تَحْمِيلِ ذَلِكَ الْأَثَقَةِ ، وَلَمْ تَرْتَضَهِ الْمَلِكَةُ الْمُؤْتَنَفَةُ ؛ وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَقْرَأَ فِي دَوْلَةِ مَرِّينَ عَلَى الْمُضِيَةِ لَهَا بِيَدِ الْخَطِيطَةِ ، حَتَّى تَكُونَ لغيرها تَابِعَةً ، وَلِسِوَاهَا مُصَانَعَةً . وَانْصَرَفَ الرَّسُولُ عَنْ ظَاهِرِ مَجَامِلَةٍ ، وَعَدَّةٍ بِإِرْفَادٍ وَمُوَاصَلَةٍ ، وَإِجْرَاءِ عَادَةٍ ، وَإِبْدَاءِ فِي الْجَمِيلِ وَإِعَادَةٍ ، إِلَّا أَنَّ سَبَابِرَةَ الْفِتْنَةِ ، وَأَعْدَاءَ الدَّوْلَةِ ، دَسُّوا لَهُ أُمُوراً مِنَ الْعَمَلِ عَلَى اجْتِنَابِ مَنْ يَطْلُبُ مَلِكُ الْأَنْدَلُسِ وَالْعَزَمَ عَلَى إِجَازَتِهِ ، وَأَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ قَدْ أَبْرَمَ ، وَالتَّيْدِيرُ قَدْ أَحْكَمَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ بِذَلِكَ سُلْطَانًا ، أَوْ يَشْغَلَ بِهِ سِرًّا أَوْ إِعْلَانًا ؛ فَأَقْدَمَ إِقْدَامَ الْمُسْتَمِيتِ ، وَعَاجَلَ الْأَلْفَةَ بِالتَّشْتِيتِ ، وَانْقَادَ فِي هَوَى غَضَبِهِ ، وَجَنَى عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى وَطَنِهِ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ !

هذا تقريرُ حالي ، فِي انْتِقَالِي وَارْتِمَالِي ، الَّذِي عَلَّقْتُ بِهِ الْيَمِينَ ، وَالدَّعَاءَ وَالتَّأْمِينَ . فَبِنَ عَذْرِ فَالْتِهِ مَثْبِيهِ ، وَمِنْ حِمْلِ بَعْدَهَا ، فَالْتِهِ حَسْبِيهِ ؛ فَقَدْ عِلِمَ الصَّدَقُ مَنْ يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى ، وَيَقْرُبُ زَلْفَى ، وَيَجْزِي الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ؛ فَالْذُّنْيَا أَخْلَامُ ، وَالْعُمُرُ مَتَامُ ، وَإِنْ جَرَتْ الْأَقْدَارُ ، وَرَابَ الْإِيرَادُ وَالْإِصْدَارُ ، وَتَعَاوَرَ الْحَسَفُ وَالْإِبدَارُ ، فَالْذُّنْيَا الْآخِرَةُ هِيَ الدَّارُ ! وَكَأَنِّي بِسَرَحِ الْحَيَاةِ قَدْ اجْتَوَيْ ، وَبَسَاطَةِ الْوُجُودِ قَدْ طَوَيْ ، وَعِنْدَ اللَّهِ الْقِسْطُ الَّذِي لَا يَجُورُ ، وَالْحَكْمُ الْعَدْلُ الَّذِي يَرْضَى بِهِ الْبِرُّ وَالْفَجُورُ !

## ذكر التعريف بما أمكن

### من ملوك النصارى بالاندلس على الاختصار

ولما كان هذا الجزء مخصصاً بأخبار الأندلس ، وكان كثيراً ما يبرأ فيه ذكر ملوك قشتالة ، كان من كماله أن نلعب بنسبة من ملوكهم ، إذ لا يخلو الزمان ممن ينشوء لذلك ، لا سيما الملوك ؛ فهي أبداً لأخبار الملوك متطوعة ، ولسماع أنبايا منشوفة . وقد كنت طلبت شيئاً من ذلك من مطبئيه ، وهو الحكيم الشهير ، طبيب دار قشتالة وأستاذ علمائها ، يوسف بن وقار الإسرائيلي الطليطلي ، لما وصل إلينا في عرض الرئاسة عن سلطانه ؛ ففقد لي في ذلك تقييداً أنقل منه بلفظه أو بجمعه ما أمكن ، وأستدرك ما أغفل ، إذ ليس بقادر في العرض .

قال الحكيم : سألت أعزك الله وأدام كرامتك أن أثبت لك ما نحق عندي من التواريخ التي وقع فيها نسب ملك قشتالة وقرع ملوكهم فأثبت لك ذلك بما استخرجته من الكتاب الذي أمر بعمله الملك الأعظم دون الفنس فصدت أن يكون ذلك عندك بأصل فنقول :

ذكر في التاريخ المذكور أن الأرض المسماة الآن قوريون ، وفي الزمان القديم قانتطابرية كانت بأيدي ناس عظماء يُسمون دوقيش ؛ ونشأ بينهم نزاع وخلاف أوجب فراق أحد أولئك الرؤساء عنها ، واسمها بيلايه بن الدوق قافيلة ؛ وسكن بأرض أشطوريش ، وهي بين أرض ليون وغليسية . فلما جازت العرب إلى الأندلس على عهد الوليد بن عبد الملك ، في سنة ٩٢ من الهجرة ، وفتح الأرض طارق بن زياد مولى موسى بن نصير ، ثم موسى بعده ، واستولى المسلمون على أكثر بلاد الأندلس ، واتصل الفتح بأرض أشطوريش ، حيث كان بيلايه المتقدم

الذكر ، قام بيلايه لحاية الأرض ؛ واجتمع إليه طائفة غير كثيرة العدد من الشيعة وأبطال الرجال ؛ فحصى جهة أشطوريش ، ودافع عنها المسلمين . وعمت مدافعتة وحمايته قطر ليون وقطر برنغال ، واضطلع بذلك ، ورد عنه العرب ؛ وقد أنس بقتلهم وكثرت موافقاته إليهم . فأتى أهل تلك الجهات على تقديمه ملكاً لها لاستحقاقه ذلك بنفسه وبنيته ، وإن كان غريباً عن أرضه ؛ فكان ذلك سنة ٧٥٧ لتاريخ الصغر وبموافقة ٩٩ للهجرة . وهو أول من تسمى بهذه الأرض ملكاً بعد دخول العرب . ودام ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم مات وملك بعده ابن له يسمى قافيلة ؛ وقادى ملكه عامين ؛ ثم قتلته دب تعرض له في الصيد ، ولم يحذره ؛ فأتى عليه . وولي الملك بعده صهر له من بنيته وأرضه اسمه دون ألفنيس بن الدوق دون بطر ، من أهل قانتطابرية ، كان قد وصل من تلك الأرض لزيارة أم بيلايه ، وأعانته وخدمته فأكرمه بيلايه ، وزوجه ابنته . فلما هلك ، لم يوجد أولى به منه ؛ فملك في سنة ٧٧٢ ، بموافقة ١١٤ للهجرة . واتصل مدته تسع عشرة سنة ؛ وكان يسمى القاطوليقة لمعرفته بأصول شريعة الروم المسمى علمها عندهم قاطوليقي .

ولما هلك ، ولي بعده ابنه المسمى فرويلة في سنة ٧٩١ للصغر ، وبموافقة ١٣٣ للهجرة ؛ وفي عهده دخل الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وعقدت له البيعة بالاندلس تسع ذي الحجة من سنة ١٣٨ .

ولما هلك فرويلة ملك بعده أخوه أيرلييه ، واستولى على أرض أشطوريش التي منها أصله وأرض غليسية وأرض برنغال وبعض ليون . وكان ملكاً كبيراً ؛ وكانت ولايته سنة ٨٠٠ للصغر ، بموافقة ١٤٨ للهجرة ، ومدته ست سنين . ثم هلك . وولي بعده شيله أخوه ثاني سنين . ثم ولي

بعده أخوه 'دون ألفتش' بن 'فرويلة'، وتسمى قناتش (ومعناه 'الملك' الصالح) لغافٍ صلاحٍ كان عليه عهدهم؛ واتصل ملكه إحدى وأربعين سنة؛ وكان ابتداء أمره سنة ٨١٨ للصفر؛ وثار عليه عم له، ابن جارية غير مسمّية، اسمه 'موريغاطه'؛ فخلعه وملك بعده خمس سنين. ثم ولي بعد هذا الخالع قريب له تغلب عليه اسمه 'برموده'، كان أول أمره قسّاً أي عالمياً فقيهاً في دينهم؛ وملك ست سنين. ثم عاد الأمر إلى المخلوع ألفتش بن 'فرويلة' مدة، إلى قام الإحدى والأربعين سنة المذكورة. ثم ملك بعده، لما هلك، رمية بن 'دون ألفتش' القاطوليفه، المتقدّم الذكر قبل هذا، اختياراً من الناس، وذلك سنة ٨٦٥ للصفر. ثم ولي بعده ابنه أردونش سنة ٨٦٥؛ وكانت مدته عشر سنين. ثم ملك بعده ابنه دون ألفتش بن أردونش؛ وتسمّى ماعنه، أي الملك الكبير؛ وكانت مدته ستاً وأربعين سنة؛ وولي 'نير' 'س'؛ رضمه منكمه واتسعت ملكته؛ وهو الذي نقل دار ملك أبيه إلى ليون، وتسمّى ملك ليون. وكان ابتداء ملكه سنة ٨٧٥، بموافقة ٢٤٨ للهجرة.

ثم ولي بعده ابنه دون غرسيّة؛ وكان ابتداء ملكه سنة ٩٢٤ للصفر، بموافقة سنة ٢٩٧ للهجرة؛ ومدته ثمان سنين. ثم ملك بعده أخوه 'فرويلة' سنة ٩٣٢، بموافقة ٣٠٥ للهجرة؛ وكانت مدته سنة واحدة وشهرين؛ وأصابه مرض الجذام؛ فلم يثأر معه قيامه بالملك. ولهذا العهد نشأ بجهة ليون، التي كان حكمهم قناتش من قبل ملكها، شتات واختلاف؛ أوجب اقتطاع البلاد القناتلية عن ملك ليون؛ فقدّم أهلها على أنفسهم ربيّين من سبيلهم. حسبي جرى عليه بعمل ببلاد المسلمين بالأندلس على عهد ملوك الطوائف؛ وتغلب القضاة، وسالموا ملك ليون على أن يخدموه بثلاثمائة فارس متى احتاج ذلك؛ فقبل ذلك منهم، وقنع بطاعتهم. وكان أحدهما يسمى 'نوشيه رجورة'، والآخر لابن قناتشه. ومن

'نوشيه رجورة' تناسل ملوك قناتش وليون الذين استقرّ الملك في عقيهم على عهدهم.

رجع الحديث للملك ليون. ثم ملك بعد 'فرويلة' دون ألفتش بن 'دون أردونش' خمس سنين وثانية أشهر؛ ثم زهد، وترهب، وأصابه وسواس؛ فتخلّى بعد ذلك عن الملك لأخيه رمية سنة ٩٣٣؛ وكانت مدة ملكه عشرين سنة. وفي السنة الأولى من مدته، قام بقناتش داعياً إلى نفسه القمزر 'دون قران' غنصاليس، حفيد 'نوشيه رجورة' أحد القاضيين المذكورين قبل.

رجع حديث ليون. ثم ملك بعد رمية، أردونش ابنه سنة ٩٥٨، بموافقة سنة ٣٣١ للهجرة؛ فكانت مدته خمس سنين وستة أشهر. ثم ثار عليه وخلعه أخوه 'دون سانشه' سنة ٩٦٣ للصفر، بموافقة سنة ٣٣٦ للهجرة؛ وكانت مدته اثنتي عشرة سنة.

وفي مدة سانشه هذا الثائر بأخيه، خرجت قناتش عن حكم صاحب ليون جميلة؛ واستقل القمزر المذكور 'قران' غنصاليس بها؛ ولم يبق فيها للملك ليون طاعة. وكان سبب ذلك أن القمزر 'دون قران' غنصاليس حدثت بينه وبين سانشه سلطان بكرة مفاتنة؛ فغلبه القمزر وقتله. وملك بعده بكرة ابنه دون غرسيّة؛ وكانت بنت ملك بكرة زوجاً لدون سانشه صاحب ليون؛ وكانت تطالب القمزر بعداوة قناتله لأبيها، وهي مع ذلك تخادعه وتريه الصداقة؛ وكانت تعدّه بتزويج بنت أخيها غرسيّة صاحب بكرة ولد قناتله، لتزول بينهم العداوة رأساً؛ وداخلها زوجها ملك ليون في استدعائه لحضور رأي كبير يسمونه القمزر، تحضر فيه الملوك والأمراء لتقدير المصالحة الرقبتية والأبدية؛ ففعل ذلك؛ ووعد القمزر بالوصول؛ فكتبت المرأة لأخيها صاحب بكرة أن يحاول أمره في طريقه، ويؤتسه، ويطلب

لقائه لعلّه يتأدّش فيه ثأره . فلما قضى القُمُزُ حاجته من حضور القُرُتِ ، ورجع قافلاً إلى بُرْغُش بِلَدِهِ من عمالة قَشْتَنَالَة ، طلب منه صاحب نَبَارَة الاجتاج ؛ فوقع الاتفاق على أن يستصحب كل واحدٍ منهما سبعة من الفرسان بدون سلاح . وجاء القُمُزُ بحال طمأنينة على بغلة ، وفرسانه السبعة بين يديه ، حتى إذا قَرُبَ من مكان الوعد ، رأى صاحب نَبَارَة في خمسة وثلاثين فارساً يحملون السلاح ؛ فأيقن بالشر ، وأعجلوه عن التحوّل إلى الفرَس . فدخل جَنَّةً كانت بالموضع ، واعتصم ببرُجٍ كان هنالك ؛ ودافع هو وناسه عن أنفسهم ؛ فقاتله صاحب نَبَارَة قتالاً شديداً بقيّة اليوم إلى نصف الليل . ثم اقتضى أماته على أن يزل آمنّاً في نفسه من القتل ؛ ونزل ؛ فاحتمله صاحب نَبَارَة إلى ناجرة ؛ فأكبّله ، وبقي عنده سنة ونصف سنة . ثم غب منه سراح فرسانه إلى قَشْتَنَالَة ؛ فسرّحهم .

وانفق أن حلّ بالموضع قُمُزٌ معروفٌ من أرض أخرى ؛ فطلب أن يزور القُمُزَ الأسير ، وأشفق حاله ، ووعده المشاركة الجميلة في أمره ؛ وطلب زيارة بنت صاحب نَبَارَة ، وهي التي كان القُمُزُ الأسيرُ وعدّ بتزويجها . وعقد من ذلك حديثٌ حثّ له بسببه ؛ فأخذ معها في شأنه ، وضمن لها ، إن خلصته من أسرهِ ، أنه يحملها معه إلى قَشْتَنَالَة ، ويتزوّجها ، ويعرف لها قدرَ إحسانها إليه .

وللنصارى في أثناء هذا أحاديثٌ وأشعارٌ ومَعَانٍ ترجع إلى شطارة العُشّاق وارتكابهم الأخطاء . فتمّ ما ذهبت إليه من ذلك ، وذهب بها إلى قَشْتَنَالَة ، وتزوّجها ، وعاد إلى مُلْكِهِ ، وإلى الحروب على صاحب نَبَارَة ، إلى أن أسره وانتصف منه ؛ وأقام في أسرهِ ثلاثة أشهر . ثم تشفّعت فيه بنته ؛ فأطلقه طَوْعاً . ثم طال الأمد ، واستدعى صاحب لِيُون القُمُزَ مرةً أخرى لحضور قُرُتٍ آخر ؛ فوصل إليه ، وهذا على

عَهْد المنصور محمد بن أبي عامر . وهم كلهم بين موافقة عن بلادهم لابن أبي عامر وبين تقيّة وسلّم .

وقد كان القُمُزُ غنصاليس صاحب قَشْتَنَالَة فسد ما بينه وبين صاحب لِيُون ؛ فقبض عليه وأسرّه سنة ٩٧١ . ودبرت أيضاً زوجته بنت ملك نَبَارَة التي خلصته من الأسر الأوّل الحيلة في خلاصه من هذه ؛ فسرت من بُرْغُش في خمسمائة فارس مختارة ، تطوي المراحل ليلاً ، إلى أن كانت على ثلاثة فراسخ من لِيُون ؛ وتركّت الفرسان في غياض وحبال ، وأقبلت في زي راهبة تقصد الحجّ لشكّت بأقرب . وأكرّم السلطان صاحب لِيُون قدوسها ، وبركها ؛ فسألت منه أن تزور القُمُزَ أسيرَه ، وتُساوِرَ من العَدُوّ إلى الحجّ ؛ فأذن لها في ذلك ؛ فأطالت معه الحديث . ثم أمرته بخرج في زيتها مع أحد خدَمَتِها مخاطب الحرس عنها ؛ وبقيت هي راقدة في سرير القُمُزَ كأنه لم يرح . فلما حصل في ظاهر البلد ، وجد الحيل تنتظره بكلّ فرسخ ، إلى أن وصل بجُمْلَةٍ خياله . ولما تعرف صاحب لِيُون ذلك ، شقّ عليه ؛ ثم لم يسعه إلا أن وجهه إليه زوجته هذه مفرجة الشدائد . وكان هذا القُمُزُ فارساً كبيراً ، لا نظير له ؛ فشمر بعد ذلك في حرب صاحب لِيُون ، وأضاقه ، وغم أرضه ، إلى أن اصطلحا على أداء حقوق كانت للقُمُزَ قبله ، والتسليم فيما بيده ؛ فاستقلّ القُمُزُ بأرض قَشْتَنَالَة فمن حينئذ .

رجع الحديث إلى ملك لِيُون . ثم توفي دون سانشيه ملك لِيُون . وولي بعده كولدّه رَمِيْرَه ، وهو صبي صغير من خمس سنين ، وذلك في سنة ٩٧٥ ؛ وكانت مدّة حكمه خمساً وعشرين سنة . وتولّت تدبير ملكه والدته دونة طريجة وعمته دونة اللبيرة . وهلك القنديل دون قران غنصاليس أيضاً في زمانه سنة ٩٧٨ ؛ فكانت مدّة القنديل قران غنصاليس نحواً من تسع وثلاثين سنة . ثم ثار عليه في غلبسية دون برموده بن دون

أردونيته وغلبها . ولما مات دون رميره الذي تقدم صبياً ، ودبرته أمه وعمته ، خلع الملك لدون برموده بن دون أردونيته ؛ وكان مبتدأ ملكه سنة ١٠٠٠ للصغر ، ومدة ملكه سبع عشرة سنة . وعلى برموده هذا ألح ابن أبي عامر بالغزوات ؛ وفي مدته ومدة من قبله ومن بعده قريباً منه ، كان سوق ذلك الجهاد المحظوظ .

ثم ملك بعد دون برموده ابنه دون ألفونس سنة ١٠١٧ للصغر ؛ وكانت مدته سبعاً وعشرين سنة . وملك بعده دون برموده ولدته سنة ١٠٤٤ لتاريخ الصغر ؛ وكانت مدته عشر سنين . وكان دون برموده هذا قد تزوج بنت قنيد قشتالة واسمها طريجة ؛ وبأبي خيرته بعد . وعند هلاك دون برموده ، انتقل الملك لنسل القمزر دون فرنان غنصالس حفيد القاضي الأول نونيه رجورة المتقدم الذكر .

ولما انتقل ملك ليون إلى حفيد نونيه رجورة القاضي بقشتالة ، بسبب البنت التي كانت زوجاً لبرموده ملك ليون وكونه لم يعقب ، فنذكر عقبه من هذا الجد ، وهو الذي صار أصلاً وانقطع ما قبله ؛ فنقول : تولى القاضي الأول نونيه رجورة سنة واحدة ، وهي سنة ٧٣٢ ؛ ثم هلك ؛ فولي بعده ابنه غنصالس نونيس ؛ ثم تولى بعده ابنه القمزر دون فرنان غنصالس ، المتقدم الذكر ، تسعاً وثلاثين سنة ؛ ثم تولى بعده القمزر دون غرسيه فرانديس ؛ ثم تولى بعده ابنه دون سانجه . وكان لدون سانجه ابنتان إحداهما تسمى دونه طريجة ، وتزوجت دون برموده صاحب ليون ، والثانية تسمى دونه إلسيرة ، وتزوجت سانجه ملك نبارده ، ووددت منه بنين كبيرهما دون غرسيه ملك نبارده بعد أبيه ، والثاني دون فرانده الذي هو أول من تسمى ملك قشتالة . وكان لدون سانجه ولد من عشيق غير مهورية اسمه دون رميره ، ملك أرض أرغون . فمن نسل دون فرانده

ثم ملوك قشتالة إلى الآن ؛ ومن نسل دون رميره هم ملوك أرغون . فلما توفي دون سانجه قمزر قشتالة ، ولي بعده دون غرسيه ابنه ؛ وكان ضعيف العقل ؛ اقضى نظره التوجه إلى ليون ليتزوج بها أخت ملكها برموده ، وحمل معه صهره دون سانجه ملك نبارده ؛ فنزل صاحب نبارده بفحص ليون ، ونزل دون غرسيه بداخل البلد ، وحدث بالبلد فتنه وهرج قتل فيه . وقبل إن قتله بإشارة سلطان ليون . وقامت الحرب لأجل ذلك بين صاحب ليون وبين صاحب نبارده ؛ وقد انضفت إلى ملكه بعد قتل صهره قشتالة سنة ١٠٦٦ للصغر ؛ وكانت نحواً من ست عشرة سنة ؛ وقتل طائفة من الزعماء اثيمت بالتدبير على صهره ؛ واستضاف أرضهم إلى أرض قشتالة ؛ وهي المسماة بيلد وليد ، وسنطيمنش ، وما إليها ؛ فضخم ملكه . ثم تصالح مع صاحب ليون على أن يتزوج ابنه دون فرانده مع أخته ، وأن يسمى ملك قشتالة . وأعطاه أبوه جزءاً كبيراً من أرض نبارده ، وهي ناجيرة وما إليها . فلما توفي أبوه ، تحرك ملك ليون لقتاله ، وأصرخ المذكور أخاه القائم بعد أبيه بذلك نبارده ؛ فغلبا على صاحب ليون ، وهزمناه ؛ وقتل في الحرب . فانصرف ملك ليون لدون فرانده بن دون سانجه المتقدم الذكر .

ثم قال الشيخ الحكيم : وإذا بلغنا إلى هذا الحد ، فلنذكر الآن ملوك قشتالة وليون ، ونجعل إلى ذات اليمين عدد الأولاد من عقب بلبايه ، وإلى ذات اليسار عدد هم من عقب فرانده هذا المذكور . فنقول :

ملك دون فرانده صاحب نبارده وقشتالة وليون أربعين سنة وستة أشهر ؛ وكان ابتداء ملكه سنة ١٠٥٣ للصغر ؛ وقسم ملكه على أولاده الثلاثة ؛ فأعطى ملك قشتالة لدون سانجه ولده الأكبر ، وأعطى ملك ليون لدون ألفونس ، وأعطى ملك غليسيه وبرنفسال



لداون غرسية . فلما توفي دون فرأته ، ثار دون شائجه على أخويه . وأخذ منها الملك ، وأمرهما . فأما دون غرسية ، فقيده بالديد ، وسجنه في حصن ناجرة ؛ فبقي بها نحواً من ثمان عشرة سنة . وأما أخوه 'دون ألفتش' ، فجعله 'مونجاً' في موضع عبادة على ركن الزهاد ، مراقباً عليه بوضع يقال له 'سقفند' ؛ واحتال ، فهرب منه ، ولحق بطليطلة . وبها يومئذ المأمون بن ذي النون ؛ فأواه ، وأجاره ، وسكن عنده ؛ وسكناه بطليطلة واطلاعه على عورتها هو الذي أوجب تمكك النصارى بها ؛ وأقام عند ابن ذي النون إلى أن قُتل أخوه شائجه بتدبير أخيه أراكه ، إذ داخلته في قتله بعض فرسانه ، وقد خرج يتصيد ؛ فطارده صيداً ؛ وذلك الفارس يبقوه ؛ فلما انفرد به ، طعنه برمح كان له ، وقتله ؛ وركض ؛ فلحق بالأخت المذكورة بمدينة سمورة ؛ فاستجار بها . ووجهه عنه النصارى إلى طليطلة ؛ فولّوه عوضاً منه ؛ وذلك سنة ١١٠١ . ولما ملك ، أنفذ الأمر بقتل قاتل أخيه ، وقال ما معناه : « عمل جيد وعادة سوء ! »

ثم توفي في شهر يونيه سنة ١١٤٧ ؛ فلم يترك ولداً ؛ فولي الملك حفيده ولد ولد فرزند .

وقال الحكيم فيه : هذا الحفيد المسبى بألفتش هو الذي تمكك طليطلة وما إليها . وكان ابتداء ملكه سنة ١١٤٧ للصفر . وكانت مدته ستاً وخمسين سنة . قال : وهو أول من تسمى إنشردور ؛ ومعناه سلطان السلاطين ، إذ مهّد جيرانه ، واقتنح دار ملك النصارى القوط طليطلة ، واستخدم ملوك المسلمين بالأندلس .

قال ابن وقار : كان له سبعة من الملوك يخدمونه ، ولا يعصون أمره بين مسلمين ونصارى . وفي مدته خرجت جهة برنقال عن حكم قشتالة في أول أمره ، إذ كان صغيراً عند الولاية ؛ وكان جدّه دون

ألفتش قد زوج بنتاً له مع أحد قرابته اسمه أنريقر ، وأعطاه برنقال ، وسمّاه دوقاً . ثم ، لما هلك وولي بعده برنقال ابنه ، توجه إلى الباب ؛ فولاه برنقال ، وتبناها له ؛ فلم يكدّه ألفتش صاحب قشتالة وليون على أن التهي به . فمن تسله ملوك برنقال إلى الآن ، حسباً يأتي إن شاء الله .

قلت : وهذا ألفتش المعمر هو الذي طغى واستخوذ على ملوك المسلمين ، وضرب بين أمراء الطوائف ، إلى أن قمعه الله بلمنونة ، وهزمه هزيمة الزلاقة على يد يوسف بن تاشفين ، حسباً يأتي إن شاء الله .

قال ابن وقار فيه : ثم قسم ملكه قسمين ؛ فأعطى ملك قشتالة ولده شائجه ، وتسمى باسم الملك في حياة أبيه خمس سنين ؛ وأعطى ملك ليون وغليسية ولده دون فرأته . ثم استمرت أيام دون شائجه بعد موت أبيه عاماً واحداً . ثم توفي سنة ١١٩٨ ؛ وترك ابناً صغيراً من أربع سنين اسمه 'دون ألفتش' ؛ فملك بعده ثلاثاً وخمسين سنة . وهذا الصبي المعمر هو الذي جرّت عليه الهزيمة المعروفة بالأرك على يد يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي - رحمه الله - سنة ١٢٣٣ للصفر ، وفي شهر أغسطس . ثم دالت له الأيام ؛ فكانت له على الناصر بن المنصور هزيمة العقباب ، التي لم تستقل العترة بعدها بالأندلس ؛ وذلك ثامن عشر من يولييه من سنة ١٢٥٠ للصفر . وكان هذا الملك الرومي بعد الهبة ؛ لبس من بعد الهزيمة عليه ثياب الحزن ، وأقسم أن لا يزيلها حتى يأخذ ثأره . فلما أتيح له الظفر بالناصر بن المنصور ، رغب منه النصارى أن يرفع الحزن ؛ فقال : « وكيف وأنا لم أنتصف ؛ إنما غلبت ابن من غلبي ! هضيت في عنق الابن ، وهضيت الأب في عنقي ! لم تزلها عني غلبي لغيره ! »

وكانت له ابنة اسمها برنقال ، وزوجها ابن عمه دون ألفتش

ملك ليون ؛ فولدت له ولدَيْن أكبرهما قرآنده ، وأصغرهما دون ألفنش ؛ فملك قرآنده بعده قسطنطال وليون . وكان ألفنش لفانث ملبنة ؛ ومعنى الإفانث ولد السلطان . فلما توفي ألفنش ، ولي ابنه دون إنثريق ثلاث سنين ، أولها سنة ١٢٥٠ . ثم هلك بحجر أحاب دماغه في لعب من الصبيان عام ١٢٥٣ ؛ فرجع الملك لأخيه ملكة ليون ؛ فأعطته ولدها قرآنده . فهذا قرآنده ملك قسطنطال من أمه وملك ليون من أبيه ؛ وهو الذي نزل قسطنطال وإشبيلية وجيان ومرسية . وحسبك هذا الظهور الذي أقام البرهان على أن الدنيا لا تزن عند الله شيئاً ! فكما اشملت عليه تلك المدائن العظيمة من بلاد وعمالات ومناير ومساجد وأعيان وفرسان وعلماء وأعلام ! « ذلك بما قدّمت أيديكم وأن الله ليس يظلام للعبيد ! » وهو المسمى بالأخول ؛ وعلى عهده كان قيام ابن هود وابن نصر وغيرهم ممن تقدّم ذكره . وهلك بعد استخلاص إشبيلية ؛ ولذلك كانت كهنة اللزوم رمز ، فتقول : « الأسود الأخول إذا أدخل يده في الزيت هلك ! » يعنون إذا ملك إشبيلية معدن الزيت . وكانت مدته خمساً وثلاثين سنة ، وابتداء ملكه من لدن ١٢٦٥ للصفر .

وولي بعده ولده دون ألفنش سنة ١٢٩٠ للصفر ؛ وكانت مدته ثلاثاً وثلاثين سنة وستة أشهر ؛ ، عدم التمام دون عمره ، وخاف من أن يطرقه الموت ؛ فيخرج الملك عن عقبه ؛ فجعل الملك بعده خلفه من ينشئ ذي العرف . ثم ولد له بعد هذا ولده السلطان دون جانجه ؛ فلما كبر دون جانجه ، عظم عليه انفراد ذي العرف بالملك دونه ؛ ولم يسع الأب حله ؛ فشر عن مخالفته لأبيه واستخلاص الملك بالسيف ؛ فخلع الأب ، وضيّق عليه ، إلى أن لم يبق يده إلا قسطنطال وأحوازها ؛ واستنصر عليه بالمولى السلطان المرابط أبي يوسف بن عبد الحق ، ولاد

به ، ورهن عنده تاجه ذخيرة النصارى المستقرة بدار مرين ؛ ولقيته بصخرة عباد من أحواز رندة ؛ فسلم عليه . ويقال إن أمير المسلمين ، لما فرغ من ذلك ، طلب بلسان الرنانية الماء ؛ ففعل به يده من قبلة ألفنش أو مصافحته .

والتي يذكر بالشيء . فأنشئت حكاية انتفتت لي بسبب ذلك ، استندعي بها الدعاء بمن يحسن عنده موقعها . وهي أن اليهودي الحكيم ابن زوزار ، على عهد ملك النصارى حفيد هذا ألفنش المذكور ، وصل إلينا في حوائجه ، ودخل إلى بدار سكناي مجاور القصر السلطاني بمصر عرناطة ، وعدي القاضي اليوم بفرناطة وغيره من أهل الدولة ، ويده كتاب من سلطان المغرب محمد بن أبي عبد الرحمان ابن السلطان الكبير المولى أبي الحسن . وكان محمد هذا قد فر إلى صاحب قسطنطال ، واستدعى من قبله الملك ؛ فسهل له ذلك ، وشرط عليه ما شاء ؛ ورثما وصله خطابه بما لم يقنعه في إطاره ؛ فقال لي : « مولاي السلطان دون يطره بسلام عليك ، ويقول لك : انظر مخاطبة هذا الشخص ! وكان بالأمس كلباً من كلاب بابيه ، حتى ترى خسارة الكرامة فيه ! » فأخذت الكتاب من يده ، وقرأته ، وقلت له : « أبلغه عنّي أن هذا الكلام ما جرّك إليه إلا خلوة بابيك من الشيوخ الذين يعرفونك بالكلاب وبالأسود ، ومن تغسل الأيدي منهم إذا قبلوها ؛ فتعلم من الكلب الذي تغسل يده منه ومن لا . وإن جد هذا الولد هو الذي قبل جدك يده ، واستدعى الماء لغسل يده منه بمحض النصارى والمسلمين ؛ ونسبة إليه . وإنك معرض إلى اللجأ إليه ؛ فيسكفك بأضعاف ما عاملته به ! » فقام أبو الحسن المستنقى بيكي ، ويقبل يدي ، ويصغني بوني الله ، وكذلك من حضري . وتوجه إلى المغرب رسولا ؛ فقص على بني مرين خبر ما

شاهداً مني وسمعه ؛ وبالحضرة اليوم بمن تلقى منه ذلك كثير ، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه !

رجع الحديث . ثم هلك ألفونس . وولي الأمر بعده دون سانشيه ابنه سنة ١٣٢٢ للصفر ؛ وكانت مدته اثنتي عشرة سنة ؛ وهو الذي افتتح طريف ، ونازل الجزيرة ؛ وكانت الوقعة بأسطوله . ثم هلك ، وولي بعده فرنانده ، وهو صبي صغير دون عشر سنين ، في الثامن والعشرين لإبريل العجسي من سنة ١٣٢٣ للصفر . وهو الذي نازل الجزيرة ، وأخذ جبل الفتح ؛ وكانت مدته سبع عشرة سنة . ولما وقعت الفتن بين السلطان نصر وبين ابن عمه بالقة ، نازل القبداق وهلك عليها . وولي بعده ابنه دون ألفونس في سابع شتنبر عام ١٣٥٠ ، وسنه ثلاثة عشر شهراً ؛ وتقدم تربيته والنيابة عليه عمه دون بطر ؛ وهو الذي وقعت عليه وقعة المراج بظاهر عرناطة ؛ وسيقت جثته إلى البلد ، وجعلت في صندوق خشب ببعض الأبراج ، عن يمين الصاعد إلى الصمراء لصق باب يعقوب ؛ وصارت الصبيان يرمون ذلك التابوت بالحجارة إلى أن غطته ، واحتجج إلى بناء البرج ؛ وأنا نائب عن السلطان إذ ذاك . واضطروا إلى الكشف عن التابوت ؛ فألقي قد غرق ، واستؤذنت فيما يفعل بتلك الرمة ؛ فأمرت بأن يتخذ لها تابوت جديد ، وينقلها نصارى السلطان المستخدمون في المباني حسب ما يريد أساقفتهم . فلما أخرجت الرمة لنقل إلى التابوت ، ألقى بين الفجارات منها سنان صغار الجرم قد أثبتت فيها يد مجاهدة يوم الوقعة ، كانت سبباً للفتح . فاستعبرت رقة ، وقبلت ذلك السلاح الكريم ، وسألت الله بركة معلم بها ، وأمرت برده بمكان بنائه ، وأعدت الصندوق لحاله ، لما رأيت في ذلك من التذكير بأيام الله ونكابة الكفار إذا مروا به ، وتخليد الفخر للدين ما شاء الله . والله يفتح بالحايد الخالصة لوجهه الكريم !

ثم كبر ألفونس هذا ؛ فاستولى على ثغر وبرة عند فتنه الغزاة بأندلس ؛ ثم على بلد أطيبة ، والحقرة المسبوبة إليها . وأوقع بالمسلمين الوقعة العظيمة بطريف . ثم نال قلعة تحصب على ستة فراسخ من الحضرة وقتلها . ثم أملى الله له بشق عصي الأمة ، وما نال أمير المسلمين المرجو لنصرها من التمهيص بالقبزوان ، واستبداد ولده عليه بذلك المغرب ؛ فانتهر الفرصة في الأندلس ، ليأس أهلها من نصرة الإسلام ؛ فتحرك إلى إشبيلية ، ونازل جبل الفتح ، وسد حصاره إلى أن نزل اللطف الحقي بهلاكه عليه ، بعد ما بنى وعزم على السكنى في شهر مارس سنة ١٣٥٠ للصفر ، بموافقة محرم من عام ٧٥١ ؛ فكانت مدة ملكه نحواً من تسع وثلاثين سنة .

وتولى الأمر بعده ولده دون بطر . وسفله الله عن المسلمين بحروب أهل ملته ؛ فأنهى على سلطان برجلونة إلى أن انتزع كثيراً من بلاده ، كدانية وقلعة أثوب ، وأربونة ، وغيرها ؛ ونازعه أخوه الملك ، وهو إنريق ، ابن أبيه من غشقة أولدها ولداً ، جلة لما ساء الله من شتات كلمتهم . وكهرت بطر النصرانية لكثرة الكلف واتصال الحركات والاستعانة بالمسلمين ؛ فخلع وفر إلى بلد أربونة من عسل صاحب الاغلطرة ، بعد أن انتهت دار ملكه بإشبيلية ، وعاشت أيدي الرعية في خزائنه بجزء من عينه . واستولى على البلاد أخوه إنريق ؛ فلحق بإشبيلية مستند على من أهلها ؛ وأهطعت الأرض إلى طاعته . وأعان دون بطر مملك الجبهة التي قصد ، وشر لنصره ، وتحرك في جمع كثير من أهل تلك الأرض ؛ وشأنهم عجب في السلاح والقوة ، ووفور العدة ، والقتال من بعد الاسترحال ، ولزوم الأرض على الكربة . وكان اللقاء بين الطائفتين بتاجرة من أحواز نبال ؛ ف وقعت على إنريق الهزيمة المستأصلة ، وخلص إلى بعض الملوك المجاورة في شردمة قليلة ؛ وتلف كباراه وخلصانه

وعاد أخوه بِطْرُه إلى مُلْكِهِ . ولم ينشب أن فرض على البلاد مَغْرَمًا يقضي به دون الطائفة التي أصرَحَتْهُ ، إذ كان ذلك عن التزام أموال ؛ فخالفت عليه جملة من البلاد كقَرْطَبَة وما يجاورها ؛ واستعان عليهم بخلفائه من المسلمين . فكفَتْ اللهَ ذلك النَّصْرِيَّ ضَعْفًا جَيِّدًا ، قَدُمَتِ الْعُهُودُ بِمِثْلِهِ ، فنَوَزَلَتْ قَرْطَبَة ، وَفُتِحَتْ مَدِينَةُ طَاعَةِ أَخِيهِ . ولما أخذ تخفُّقها ونهبها الجوع ، استغاث أهلها بدُونِ بِطْرُه ؛ ففتَحَ بَنُ كَنْتَشْ لَه من النصارِيَّةِ وَبَدَعَ من مُرْسان المسلمين ، قاصِدًا إقْلَاعَهُ عن طَلَبِطَلَّة ؛ ففهم عليه أخوه قبل وصوله إليه ، وهو على غير أُمَةٍ ؛ ففهمه بظاهر حصْنٍ مُنْتَدِلٍ ، وَأُلْجَأَ إِلَى « حصاره ، ونَزَلَه ، وأحاط به . وضاق بالصبر ذرع المحصور ؛ فصانِع قَوْمًا من مُخْدَامِ أَخِيهِ ، وتوثق منهم في تسبب خلاصه ، كَانُوا أَسْرَه عن ناسه . فلما حُصِّلَ بِأَيْدِيهِمْ ، وَجَّهُوا لِأَخِيهِ من أَعْلَمَتِهِ ؛ فبادَرَ إِلَيْهِ ، وقتله في أخريات رَمَضَانَ من سنة ٧٦٩ . واستولى لِإِشْرِيْق على مُلْكِهِ قَسْتَنَالَه وَلِيُون ؛ وهو بها إلى الآن ، معبُورٌ بِفَتْحَةٍ عَظِيمَةٍ وحروبٍ دائمة ، هنيء المسلمون لها بردُ الحَيَاةِ ، وَجَلَّتْ نِعْمُ اللهَ لدينِهِمْ . واللهُ المَسْئُولُ في صَلَةِ الْإِطْفَافِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَإِجْمَالِ صَانَعِهِمُ الدِّينِ بِقَضَلِهِ !

ونشير بعد هذا إلى نَسْلِ مُلُوكِ بُرْتُغَالِ على سبيل الإلماع والإشارة ؛ فنقول :

أول من انفرد بملك بُرْغَال ، واقطعه من لِيُون وقَسْتَالَة الفُصْ  
إلشريق الذي تَوَاجَّ بِتِ الْفُتُشْ مَلِك قَسْتَالَة وَلِيُون ؛ وقد نَبِهَ  
عليه . ثم ملك بعده ابْنُ الْفُتُشْ وتَسَمَّى دَوْغَا ، ثم بعد ذلك مَلِكًا ،  
يُدْعَى الْفُتُشْ .  
ملك بعده دُون الْفُتُشْ بن دُون سَانْجِه . ثم ولي بعده ابنه دُون سَانْجِه  
ابن دُون الْفُتُشْ ، وخَلَعَ عن المُلْك . ثم ملك عَوْضًا منه أخوه دُون

وَإِذْ قَرَعْنَا مِنْهُمْ، فَنْشِيرُ كَذَلِكَ إِلَى مَلُوكِ أَرْغُونُ وَبَرِّحِلُونَهُ ؛  
فَقُولُ : أَوَّلُ مِنْ أَفْرَدَهَا ، وَاقْطَعَهَا ، دُونِ زَمِيرُهُ ابْنُ مَلِكِ تَبَارَةِ ،  
حَسْبُ ابْنَةٍ عَلَيْهِ قَبْلُ ؛ وَهَلِكُ قَتِيلًا فِي حَرْبٍ لِلْمُسْلِمِينَ . وَتَوَلَّى بَعْدَهُ أَخُوهُ  
سَانَجُهُ ، وَفَازَكَلَ مَدِينَةَ وَشَقَّةَ مِنْ مَدُنِ الْإِسْلَامِ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ؛  
فَأَصِيبَ بِسَهْمٍ قُتِيَ عَلَيْهِ . وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ دُونُ بِيْطْرُهُ . ثُمَّ مَلِكٌ بَعْدَهُ  
أَخُوهُ دُونُ أَلْفَنْشُ . ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ أَخُوهُمَا دُونُ زَمِيرُهُ ؛ وَكَانَ مُوَنْجَا ،  
أَيَّ صَالِحًا عَابِدًا . وَلَمَّا هَلِكُ ، مَلَكَتْ بَعْدَهُ ابْنَتُهُ ، وَصِيرَتْ الْمَلِكَةَ إِلَى  
زَوْجِهَا دُونُ رَيْمُونْدُهُ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ أَرْغُونُ لَدَاكَ . ثُمَّ هَلِكُ ؛ فَوَلِيَ بَعْدَهُ  
دُونُ أَلْفَنْشُ ' قَنْزُ بَرِّحِلُونَهُ . وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ دُونُ بِيْطْرُهُ بْنُ دُونِ  
أَلْفَنْشُ . ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ دُونُ جَابِيْشُ ، وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ مَدِينَةَ بَلَنْسِيَّةَ  
مِنْ يَدِي أَبِي جَمِيلِ رِيَّانَ بْنِ مَرْوَدَيْشٍ وَغَيْرَهَا مِنَ الْجِهَاتِ . ثُمَّ مَلِكٌ  
بَعْدَهُ ابْنُهُ دُونُ بِيْطْرُهُ . ثُمَّ ابْنُهُ دُونُ أَلْفَنْشُ . ثُمَّ مَلِكٌ بَعْدَهُ  
دُونُ جَابِيْشُ بْنُ دُونِ بِيْطْرُهُ أَخُوهُ ؛ وَهُوَ الَّذِي نَازَلَ الْمَرْيَةَ عَلَى عَهْدِ  
نَاصِرٍ مِنْ بَنِي نَاصِرٍ ؛ كَانَ شَهِيرَ الْقُوَّةِ وَالرَّأْيِ وَالْعَزِيمَةِ . ثُمَّ وَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ  
أَلْفَنْشُ بْنُ دُونِ جَابِيْشُ . وَوَلِيَ بَعْدَهُ دُونُ بِيْطْرُهُ بْنُ دُونِ أَلْفَنْشُ ؛

وغير آتت أرتغون إلى اليوم . انتهى تأريخهم .

\*\*\*

وقد وَفَيْتَنَا بِنَعْضِ ما أَرَدْنَاهُ من هذا القسم ، وسامَحْنَا القَلَمُ فيه ،  
لكون الوَطَنُ ، الواقع فيه التأريخ ، وَطَنَنَا الذي لا نَعْدُ به في جهد  
المشهور من أحداثه ، والمتعارف من كوائمه ، مع الاختصار على كُلِّ حال ،  
وقصد الإلماع . وَيَتَلَوُّهُ في القسم الثالث ما يَخْتَصُّ بِالْمَغْرِبِ من لَدُنْ  
أَحْوَازِ بَرَقَّةٍ إلى السُّوسِ الْأَقْصَى وساحِلِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ . والله وليُّ  
الإعانة سُبْحَانَهُ ! لا رَبَّ غَيْرَهُ ولا مَعْبُودَ سِوَاهُ ! وهو حَسْبِي ونعم  
الوكيل !

انتهى

القسم الثاني من

كتاب أعمال الأعلام ،

في من يُوبِغ قَبْلَ الاحتلام ، من ملوك الإسلام ،

والحمد لله رب العالمين

٥

## الفهرس

### الفهرس الاول

#### في اسماء الرجال والنساء

أ

احمد بن حسين الداني ٥٦	ابن الأبار أبو عبد الله ٢٧٣
احمد بن الحسين بن قسي أبو القاسم ٢٤٨-٢٥٢	أبان بن عبد الله الأموي ٣٢٠، ٢٩
احمد بن حنبل ٨٦	ابراهيم بن أحمد بن الحذاق ٥٠
احمد بن خالد ٤٩، ٥٠	ابراهيم بن أحمد بن مفرج بن هيثم ٢٦٠،
احمد بن دراج القسطلتي أبو عمرو ١٢٣،	٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣
١٩٧، ٢١٢، ٢٢٣	ابراهيم بن براز ٢٦٥
احمد بن رُشد ٣٥٢، ٣٥٣	ابراهيم بن حجاج الاشيلي ٢٧، ٢٨،
احمد بن سعيد بن حزم ٣٨، ٨٠، ١٠٦ -	٣٤، ٣٥
١٠٨	ابراهيم بن أبي الحسن بن اشقيلة أبو اسحاق
احمد بن سعيد بن محمد بن الحصار القرطبي ٥٣،	٢٨٧، ٢٩٠
٥٥	ابراهيم بن عبد الله الزبيري القلاي ٤٩
احمد بن سليمان بن محمد بن هود المقنن بالله	ابراهيم بن محمد الرحمن القيسي ٥٠
١٦٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٨	ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن الشرق ٥٣
احمد بن عباد ٤٩	الاجري ٥٤
احمد (بن عباس) بن أبي زكرياء الوزير ٢١٦	الاجري ٥١، ٥٣
احمد بن عبد الله الباجي الاشيلي ٥٤	احمد بن ابراهيم بن أبي سفيان النافقي ٥٥
احمد بن عبد الله بن الحسن القرطبي ٥٣	احمد بن ايوب بن أبي الزبيح ٥٦
احمد بن عبد الله بن محمد بن عروس	احمد بن برد أبو حفص (كاتب الرسائل)
الموروري ٥٤	٩١، ٩٥
احمد بن عبد الله بن هرثة بن ذكوان ٤٤،	احمد بن بقي بن مخلد ٢٩
٤٥، ٨٥، ٩٣، ١١٨، ١٢٦	احمد بن حجر التائر ٢٤٨
احمد بن عبد ربه (الشاعر) ٢٣، ٢٩، ٣٥	
احمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الكلاعي ٥٣	

أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن عاصم ٢٥٨ ،  
 ٢٥٩  
 أحمد بن عبد العزيز بن عيئون ١٩١  
 أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن يوسف بن هود  
 ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٥٣  
 أحمد بن علي بن أحمد أباغاني ٥٣  
 أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور ابن  
 خفيف ٥٦  
 أحمد بن عفيف القرطبي ٥٥  
 أحمد بن عيسى بن المكرم النافقي ٥٠  
 أحمد بن فرلان ٥٠  
 أحمد بن محمد بن أحمد بن حدين ١٧٦ ،  
 ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣

أحمد بن محمد بن عبد الله بن عمر ٨٠  
 أحمد بن محمد بن سليمان بن هود المستعين بالله  
 ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٤  
 أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ٥٦  
 أحمد بن محمد بن عبد الله بن قاسم ٢٠٨  
 أحمد بن محمد بن عبد الله بن هاني ابن  
 الباب ٥٢  
 أحمد بن محمد البشطي ٥٠  
 أحمد بن محمد بن مكيال الرضائي القرطبي ٥٠  
 أحمد بن محمد بن ملحان ٢٦٤  
 أحمد بن مسلمة بن حجاج ٣٥  
 أحمد بن موسى أبو جعفر ( الوزير ) ١٣٦ ،  
 ١٣٧ ، ١٤١  
 أحمد بن هلال ٥٣  
 أحمد بن يحيى بن أحمد العاملي ابن الباق ٥٤  
 أحمد بن يوسف بن إسحاق الأستنجي ٥٦  
 أحمد بن يوسف بن الإمام ٥١  
 ابن الأحمر ٥٤  
 ابن أبي الاحوص أبو الحجاج ٢٩٩  
 ادريس بن عبد الله ٢٩٧

ادريس بن عبيد الله بن ادريس ٥٢  
 ادريس بن علي بن حمود ١٣١ ، ١٤٠ ،  
 ١٤٣ ، ١٤١  
 ادريس الأمامون الموحدي ٢٧٩  
 ادريس بن يحيى بن ادريس بن علي بن  
 حمود ١٤٢  
 ادريس بن يحيى بن علي بن حمود ١٤١  
 اذقوش ١٢  
 اذقوش بن فرزند ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،  
 ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٤٦  
 اركاة ٣٣٠  
 اردون بن اذقوش ( ملك جليقة ) ٢٠  
 اردونيه بن رمير ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،  
 ارمقند ١١٥  
 ابن اسباط = عبد الرحمن  
 اسحاق ٥٨  
 اسحاق بن عطاف ٢٧  
 اسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي الرناني  
 ١٤٢ ، ٢٣٧  
 ابو اسحاق الالبيري ٢٣١  
 ابو اسحاق ابن ابي القاسم ابن الحكيم ٢٩٢  
 اسلم بن عبد العزيز ٥٧  
 اساعيل بن اسحاق ابن الطحان ٥٠  
 اساعيل بن عباد الراسي ٥٦  
 اساعيل بن عباد بن محمد بن عباد ١٥٦  
 اساعيل بن عبد الرحمن بن دنون ١٧٧ ، ٢٠٥  
 اساعيل بن فرج بن نصر أبو الوليد ٢٩٤ -  
 ٢٩٥  
 اساعيل بن محمد بن عباد ١٢٠ ، ١٣٧ ،  
 ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٨  
 اساعيل بن يوسف بن اساعيل بن فرج بن نصر  
 ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧  
 ابن اسقيلولة = ابراهيم بن ابي الحسن ، ابو  
 الحسن ، عبد الله بن ابراهيم ، علي بن

ابراهيم ، علي بن أبي محمد ، فرج بن ابي  
 محمد ، محمد بن ابي محمد ، أبو محمد بن  
 ابي الحسن ، يوسف بن أبي محمد  
 اصمغ بن الفرغ بن الفارس الطائي ٥٢  
 ابن الاصمغ = عبد المهيمن بن مروان ،  
 مروان بن عبد الملك  
 أبو الاصمغ ( وزير المستعين ابن هود ) ١٧٤  
 الآملي ٥٤  
 ابن اضحى ( قاضي غرناطة ) ١٧٦ ، ٢٥٨  
 اعتاد ( جارية المعتد وأم ولد ) ١٥٩ ،  
 ١٦١ ، ١٦٤  
 ابن الاعرابي ٥١  
 أفلح الصقلي ٢١١  
 اقبال الدولة ( لقب علي بن مجاهد ) ٢٢٠  
 البيرة ( دولة ) ٣٢٧ ، ٣٢٨  
 الفتن بن اردونيه ٣٢٤  
 الفتن بن الفتن ٣٣٦  
 الفتن بن اريق ٣٣٦  
 الفتن بن برمودة ٣٢٨  
 الفتن بن بطر ٣٢٣  
 الفتن بن بطر ٣٣٧  
 الفتن بن جاش ٣٣٧  
 الفتن بن جاش ٣٣٧  
 الفتن بن شاذي ٣٣٧  
 الفتن بن فراند ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ،  
 ( وانظر ايضا اذقوش بن فرزند ) ٣٣٢  
 الفتن بن فراند ٣٣٤  
 الفتن بن فرويلة ٣٢٤  
 ابن الياس ٢٧  
 امرؤ القيس ٤٥  
 أمية بن محمد بن حزة ٥٢  
 أمية بن عبد الرحمن بن هشام العراقي ١٣٨ ،  
 ١٣٩  
 الامين ١٣٢  
 ازيق ٣٣١

## ب

الباجي ٥٣  
 الباجي = عبد الله بن محمد بن علي ، محمد بن  
 آحن بن عبد الله ، أبو الوليد  
 باديس بن حبوس بن ماكن الصنهاجي ١٤١ ،  
 ١٤٢ ، ١٩٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ،  
 ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠  
 باديس بن منصور بن بلقين بن زيري ٢٢٧  
 الباروني المزمي ٣٠٠  
 ابن الباكس = سليمان بن أيوب  
 ابن بجامة الالبيري ٥٠  
 البخاري ٢٧٦  
 بدر ( مول عبد الرحمن الداخل ) ٨  
 ابن بركان ابو الحكم ٢٤٩  
 ابن بطلال ابو جعفر ٢٩٩  
 ابن بركة = محمد بن محمد  
 ابن بركة = عبد الله بن محمد  
 برمودة ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩  
 برمودة بن الفتن بن اردونيه ٣٢٨  
 برقالة ٣٣١

ابن زكريا أبو عبد الله ٢٧٦  
 ابن بشام ١٣٥ ، ١٩٠  
 النسطري أبو الأصغر ٣٠٠  
 بشر الصقلي ١٠٩  
 ابن بشر ٥٤  
 بشرى الفتي ١٠٤  
 بشر الفتي ١٠٤  
 ابن بطال ( الثاني ) ٢٠٩  
 ابن بطال = محمد بن زكريا  
 بطرء بن الفتح ٣٣٥ ، ٣٣٦  
 بطرء بن جاش ٣٣٧  
 بطرء بن شاعة ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧  
 ابن بكر ١١٧  
 ابن بكر أبو عبد الله ٢٩٩  
 أبو بكر بن إسحاق ابن السليم ٤٩  
 أبو بكر بن الحديدي ١٧٧ ، ١٧٩  
 ١٨٢  
 أبو بكر الرئيمي ٢١٧  
 أبو بكر بن عبد العزيز ابن رويش  
 ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣  
 أبو بكر ابن غازي ( الوزير ) ٢١  
 أبو بكر ابن القوطية ٥٠  
 أبو بكر بن محمد ابن الحكيم ٣٤  
 أبو بكر بن محمود ٢٩٩  
 أبو بكر بن يحيى ٢٧  
 بلايه بن فافلة ٣٢٢ ، ٣٢٣  
 بلج بن بشر القشيري ١٥٣ ، ٢٥٢  
 بلقين بن باديس بن حنوس بن زيري  
 ٢٣٠ ، ٢٣١  
 بلقين بن حنوس بن ماسن بن زيري ٢٣٠  
 بلقين بن يوسف بن زيري ٢٢٨  
 بليق الفتي ١٠٤  
 ابن البلاء = خلف  
 الليثاني أبو عبد الله ٣٠٠

## ت

تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين  
 ٢٤٨ ، ٢٤٧  
 ابن التاكسري ١٩٥ ، ٢٢٥  
 التجاني = محمد بن سعيد  
 التلساني أبو الحسن ٣٠٠  
 التلساني أبو الحسين ٢٧٦  
 تميم بن بلقين بن باديس بن زيري  
 ٢٣٤ ، ٢٣٦

## ث

ثابت ٥٣  
 ثعلبة بن سلامة العاملي ٧  
 الثفري ( القائل برسبة ) ٢٥٨  
 ثوابه بن سلة الجذامي ٧

## ج

ابن جابر أبو إسحاق ٣٠٠  
 ابن جابر أبو عبد الله ٢٩٩  
 جافه ( ملك ارغون ) ٢٧٣  
 جانجه بن الفتح ٣٣٢  
 جاش ( ملك برجلونة ) ٣٣٧  
 جاش ابن بطرء ٣٣٧  
 ابن جبير = عبد الله بن محمد  
 ابن جفاف = جعفر بن جفاف  
 ابن الجدة أبو الحسن ٢٤٢  
 ابن جريح = عبد الرحمن بن سعيد  
 ابن 'جزي' = يوسف بن عبد الرحمن  
 جمسوس ( لقب القاضي علي بن الحسن ) ٧٨  
 جعفر بن جفاف أبو محمد ١٨٢ ،  
 ٢٠٣ - ٢٥٥

جعفر بن عثمان المصعفي ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤  
 ٦٠ ، ٦١  
 جعفر بن علي ٤٢  
 جعفر بن علي ابن الاندلسي ٦٣ ، ٦٥  
 ٧٧ ، ٢٣٧  
 جعفر بن عمر بن حفصون ٣٢ ، ٣٣  
 جعفر الفتي ١٣٨  
 ابن أبي جعفر ( قاضي مرسية ) ١٧٦  
 ابن الجنان ٢٧٦  
 ابن جهم ٥٢  
 جهور بن محمد بن جهور أبو الحزم ١٣٨ ،  
 ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٥٦  
 ٢٠٢ ، ٢٣٨  
 ابن جهور = جهور بن محمد ، عبد الرحمن بن  
 محمد ، عبد الملك بن محمد ، محمد بن جهور ،  
 أبو موسى  
 جوان ابن اذفونش ٢٩٥  
 جود ( أم علي بن مجاهد ) ٢١٩  
 ابن جودي = سعيد بن سليمان  
 جود الصقلي ٦٠  
 ابن الجباب أبو الحسن ٣٠٠

## ح

ابن الحاج ٢٩٩  
 ابن الحارث ٥٤  
 حباسة بن ماسن بن زيري ٢٢٩  
 حنوس بن ماسن بن زيري الصنهاجي  
 ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٢٩  
 ابن حنيس أبو بكر ( الشاعر ) ٢٥٩  
 ابن حجاج = هاشم بن يحيى  
 أبو الحجاج بن نصر ٢٩٢ ، ٢٩٣  
 ابن الحجام = محمد بن علي  
 ابن الحذاء = ابراهيم بن أحمد

ابن الحذاء أبو عبد الله ١٩٠  
 ابن الحديدي = أبو بكر ، محمد بن يحيى  
 ابن سعيد  
 ابن 'حذير' ١٢٠  
 ابن 'حذير' = أحمد بن محمد ، موسى بن  
 مروان  
 ابن الحذاء = محمد بن يحيى  
 ابن حذلم أبو عبد الله ٢٩٩  
 حذيفة بن الاحوس القيسي ٦  
 الحر بن عبد الرحمن 'التقي' ٦  
 ابن حرييل = عبد الرحمن بن أحمد بن محمد  
 الحريري ٥٢  
 ابن حريش = الليث  
 ابن حزم ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣  
 ابن حزم أبو محمد ١٤ ، ٢٦ ، ١٣٢  
 ١٤٢ ، ١٩٤  
 ابن حزم أبو الفيرة ١٩٧  
 ابن حزم = أحمد بن سعيد  
 حسام الدولة ( لقب عبد الملك بن رزن )  
 ٢٠٥ ، ٢٠٦  
 حسان بن ضار - أبو الحطار  
 الحسن ١٣٢  
 حسن بن أحمد بن عبد الودود ٦٣ ، ٦٤  
 الحسن بن حمي بن عبد الملك التجيبي ٥٣  
 الحسن بن سعد ٤٩  
 حسن بن علي بن حود ١٤٠  
 الحسن بن القاسم بن حود ١٣٣  
 حسن بن القاسم بن قنوت ٦٦  
 حسن بن مجاهد المامري ٢٢١  
 حسن بن محمد بن ذكوان ٤٨  
 حسن بن يحيى بن علي بن حود ١٤٠  
 ابن الحسن ٥٣  
 أبو الحسن ابن اشتياولة ٢٨٧  
 أبو الحسن المريني ٢٩٨

حناء الشرازية (أم المتكفي البامي) ١٣٦  
ابن حنون = الحسين بن الحسين ، علي بن  
الحسين  
الحسين بن أحمد بن الحسين بن قتي ٢٥١ ،  
٢٥٢  
الحسين بن الحسين بن عبد الله بن حنون ابو  
الحكم ٢٥٥ ، ٢٥٤  
ابن الخشاء = أبو زيد  
ابن أخيه حصاد ( الثالث ) ٢١٠  
الحصار = أحمد بن سعيد بن محمد  
حفص بن عمر بن حفصون ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤  
أبو حفص بن عبد المؤمن بن علي ٢٧١  
حكم بن بدر ٨٦  
حكم بن سعيد بن حكم الأموي ابو عمر  
٢٧٦ ، ٢٧٧  
حكم بن سعيد الفزاري ١٣٨  
الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ١١٣ ،  
١٢١  
الحكم بن عبد الرحمن الناصر المستنصر بالله ٤١ ،  
٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ،  
١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨٣ ، ٢٢٧  
الحكم بن عبد الرحمن ٤٨  
حكم بن عكاشة ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ،  
١٥٩  
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل  
١٤ - ١٨  
ابن حكم = حكم بن سعيد ، سعيد  
ابن الحكم أبو بكر بن ذي الوزارين  
٣٠٠  
أبو زكرياء بن أبي القاسم  
حامد بن عمار الزاهد ٥٥  
حامس بن مروان ٤٩  
حمام بن أحمد بن عبد الله بن حمام ٥٥

ابن حمام = حمام بن أحمد  
ابن حمدان ٥٢  
ابن حمدان = أحمد بن محمد بن أحمد  
حمود بن غايه ٢٥٦  
حي بن يحيى البصري أبو الصباح ٨  
ابن حي = الحسن بن حي  
ابن حيان حيان ابن خلف ابو مروان  
٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٠ ، ٨٠ ،  
٨٤ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٢٧ ،  
١٢٩ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ،  
١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ،  
٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧

## خ

ابن خالد ٥١  
ابن خالد = عبد الرحمن بن أحمد بن نصر  
الخزاعي ٥١ ، ٥٢  
ابن خزر = محمد بن علي بن محمد  
خزرون الترنجاني ١٥٥ ، ٢٣٩  
خطاب بن مسلمة الايادي ٥١  
ابو الخطار حمام بن ضرار الكلي ٧  
ابن الخطيب ( المؤلف ) ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ،  
١٦٤ ، ٢١٧ - ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،  
٣٠٩ - ٣٢١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤  
ابن خفاجة ابو اسحق ٥  
ابن خفيف = أحمد بن عمر بن عبد الله  
خلف بن البناء الامي ٥٥  
خلف بن حسين ( أبو ابن حيان ) ٧٠ ،  
٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،  
خلف بن سعيد بن أحمد الازدي ٥٦  
خلف بن عيسى بن سعد الخير بن أبي  
درم ٥٤  
خلف الفتي ١٠٤

خلف بن مروان الصخري ٥٦  
خلف بن نجاح ( القائد ) ١٥٠ ، ١٥١  
ابن خنيس ٢٥٤  
خبيل ابو الحسن الرئيس ٢٥٩  
خير بن شاكر ٢٧  
خيرة الصيقل العامري ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،  
٢٢٦  
خيران الفتي العامري ١٠٤ ، ١٢١ ،  
١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،  
٢٠١ ، ٢١٠ - ٢١٦ ، ٢١٥

## د

الداني = احمد بن حسين  
ابن دحون = عبد الله بن يحيى  
ابن دحم ٥٠  
ابن دراج المصطفي = أحمد  
ابن ابي درم = خلف ابن عيسى  
ابن دُرُمي ٩٨  
ابن دهم ٥٥  
الدينوري ٥٠

## ذ

ابو ذر ١٨٣  
ابن ذكوان = أحمد بن عبد الله ، حسن بن  
محمد ، محمد بن أحمد ، محمد بن عبد الله  
الذلقاء ( أم المظفر عبد الملك بن أبي عامر )  
١٠٩  
ذو العرف ٣٣٢

## ر

الرازي بن اسمعيل بن عباد ١٦٣

ابن الزامي ٢٩٠  
ربيع الاسقف ٣٨  
ربيع القومس ( متولي الماهدين ) ١٥  
ابن ربيع أبو عامر ٢٩٩  
ابن أبي ربيع = أحمد بن أيوب  
الرحال = عبد الله بن عبد الرحمن  
رُدمير بن اردون ٣٦  
رُدمير ابن شاذي ٦٣  
ابن رُدمير ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٥٩  
الرشاطي أبو محمد ١٤٥  
ابن رشد = أحمد  
الرشيد بن المشد بن عبّاد ٢٤٥ ، ٢٤٦  
الرسيد ( لقب محمد بن ممن بن صادق  
التجبي ) ١٩٠  
ابن رشيق ٥٢  
ابن رشيق = عبد الرحمن  
الرصافي أبو عبد الله الشاعر ٢٦٦  
رضوان ( مولاي بني نصر ) ٣١١  
الرعيي أبو عبد الله ٢٩٩  
ابن رفاعه ٥٠  
ابن الرقيق ٩٤  
رمير بن اردونه ٣٢٥  
رمير بن الففش بن بطر ٣٢٤  
رمير بن شاذي ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،  
٣٣٧  
رُميك ١٥٩ ، ١٦٤  
رُميكية ١٥٩  
ابن الرميي ٢٨٦  
ابن الرنق ( صاحب قفريه ) ٢٥١  
ابن رويش = ابو بكر بن عبد العزيز  
ري قرحه ( لقب رُدمير بن شاذي )  
٦٣ ، ٦٥  
ري ٣٠٨  
ريوند ٣٣٧



عبد الملك بن رزيق بن هذيل بن خلف  
٢٠٦، ٢٠٥  
عبد الملك العامري ( جد بني عامر ) ٥٩  
عبد الملك بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي المعروف بالبلسي ١١  
عبد الملك بن عبد العزيز ( قاضي بلسية ) ٢٥٦  
عبد الملك بن قطن القهري ٧٠٦  
عبد الملك بن ميثم ١٧٧  
عبد الملك بن محمد بن جهور ١٤٨، ١٤٩ - ١٥١  
عبد الملك بن محمد بن أبي عامر المظفر ٧٠٠، ٧١١، ٨١٢، ٨٢٣ - ٨٣٠، ٨٩٠، ٩١٤، ٩١٩، ٩٢٧، ٩٣٨، ٩٣٧  
عبد الملك بن مروان بن الحكم ٩٠٦، ٩٠٧  
عبد الملك بن منذر ٥٧  
عبد الملك بن هذيل التميمي ٤٩  
عبد الميمون بن مروان بن الأصم ٥٥  
عبد المؤمن بن عليّ الموحدي ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٥ - ٢٦٩  
عبد الوهاب ( الثائر ) ٢٧  
ابن عبد الوهاب أبو عبد الله ٢٩٩  
عبدون بن خرزون الزنادجي ١٤٢، ٢٣٨، ٢٣٩  
ابن عبدون ابو محمد الوزير الشاعر ١٨٦ - ١٨٨  
عبد الله بن الوليد القبطي ٩  
ابن عبيدة ابو بكر ٢٩٩  
عتاب بن مروان بن عتاب ٥١  
ابن عتاب ابو عبد الله ٥٧  
عتاب بن ابراهيم بن ابي طلاق المسكزي ٢١  
عثان بن سعيد الخنمي الشذوني ٥١  
عثان بن عقان ١٠، ٢٢٨  
عثان بن ابي الملقى ٢٩٦

١٢٧، ١٢٨ - ١٢٩، ١٣٠، ١٤٠، ١٤٢  
علي بن أبي طالب ١٣٢  
علي بن علي بن نصر ١٦  
علي بن عيسى بن ميمون ٢٤٨  
علي بن كاشة ١٦  
علي بن محمد العامري ١٧١، ٢١٩  
علي بن أبي محمد بن أبي الحسن ابن اسحقولة ٢٢٠، ٢٢١ - ٢٢٢  
علي بن أبي محمد بن أبي الحسن ابن اسحقولة ٢٨١  
علي بن يوسف بن تاشفين ١٧٤، ١٧٥، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٢  
عماد الدولة ( لقب سالم بن يوسف بن هود ) ٢٨٠  
عماد الدولة ( لقب عبد الملك بن أحمد بن هود ) ١٧٤  
ابن عمار = محمد بن عمار  
عمر بن حفص بن جعفر المدعو "بابن حفصون" ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١ - ٣٤، ١١٦  
عمر ( الخليفة ) ١٠  
عمر بن عباد الزعيني ٥٤  
عمر بن عبد الله بن علي ٣١٤  
عمر بن عبد ربه المافري ٤٥  
عمر بن عبد العزيز ١٢، ١٤٤  
عمر بن عسقلجة ٧٨  
عمر بن محمد بن ابراهيم ابن الرافعي الاجري ٥١  
عمر بن محمد بن عبد الله ابن الأفلح المتوكل ١٨٠، ١٨٤ - ١٨٦  
عمر بن محلي البطونمي ٢٨٨، ٢٨٩  
عمر بن مضمّن الهترولي ٢٧  
أبو عمر بن عبد الله بن عبد البّر النميري ٥٠  
أبو عمر بن عبد الرحمن الفرداجي ٥٧

أبو عمر الفنوني ( والي قرطبة ) ٢٥٣  
عميرة بن الفضل ١٩٤  
ابن عميرة أبو المطرف ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦  
ابن عثان ٢٤٩  
أبو عثان ( السلطان المريني ) ٣٠٥، ٣٠٦  
عنبه بن سبيع الكلي ٦  
العنجي أبو عبد الله ٣٠٠  
ابن عون الله ٩٣  
عياض ابو الفضل ( القاضي ) ٤٤، ٤٩، ٥٧  
ابن عياض ( الأمير ) ٢٤٨  
ابن عياض ( الثائر جبرية ) ١٧٦، ٢٦٠  
عيسى بن أبي بكر بن مزين أبو الاصمغ ٢٠٩  
عيسى بن سعيد ( الكاتب ) ٧٥  
عيسى بن عذرة الاندراشي ٣٠٠  
عيسى بن الملاة التدميري ٥٢، ٥٣  
ابن عيسى ٥٢  
ابن ابي العيش أبو الحسن ٢٩٩  
ابن عيشون = أحمد بن عبد العزيز

## غ

غالب ( ملوك الحكم ) ٤٢، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٧٧  
غالب بن عبد الله بن قلم المافري ٥١  
غالب بن يوسف بن سعد بن مردنیش أبو المظفر ٢٧٢  
ابن غالب ( شيخ البيازين بغرناطة ) ٣٠٠  
غانم بن محمد بن سعد بن مردنیش ٢٧١  
ابن غانم = أبو طالب  
ابن غانية = حو ، عبد الله بن حو ، يحيى  
ابن غران = يحيى  
غربية بن الفتح بن اوردونيه ٣٢٤

## ز

الزب الفتي ١٠٤  
زاوي بن زري بن مناد الصنهاجي ١٣٠  
١٣١ - ١٣٨ ، ٢٢٧ - ٢٢٩  
زبيدة بنت جعفر ٢٠ ، ١٣٢  
ابن الزبير أبو بكر ٢٩٩  
ابن الزبير أبو الحسن ٢٩٩  
ابن زرب ٥٥  
ابن زرب = محمد بن يقي ، يحيى بن محمد  
ابن زرزار اليهودي الحكيم ٣٣٣  
ابن زكرياء أبو محمد ٢٩٩  
ابن أبي زكرياء = أحمد بن عباس ، عباس  
أبو زكرياء الخفصي ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٥  
أبو زكرياء بن عزيز بن يوسف بن سعد  
ابن مردنش ٢٨٠  
أبو زكرياء بن أبي القاسم ابن الحكيم  
٢٩٢ ، ٢٩٩  
ابن زمرك ٧٨ ، ٧٩  
ابن أبي زمين = محمد بن عبدالله بن عيسى  
ابن زفل = سعيد بن أحمد  
زنون ( جد بني دنون ) ١٧٧  
زهر الأبادي ٥٦  
زهير الفتي العامري ٤٨ ، ١٠٤ ، ١٣٠  
١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٩٠ ، ٢١٥  
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٣٠  
ابن الزيات أبو جعفر ٢٩٩  
زيادة الله الضبي أبو منصور ٩٤  
زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد بن  
مردنش أبو جيل ٢٧١ ، ٢٧٢ ،  
٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٣٣٧  
أبو زيد ابن الحشاش ٥٧  
ابن أبي زيد ٥٣

## س

سابور الفتي ١٨٣  
ابن سابور ١٨٣  
الساخي أبو عبد الله ٢٩٩  
سالم بن يوسف بن هود أبو النجدة ٢٨٠  
أبو سالم المري ٣١١  
السامي ( لقب أدريس بن يحيى بن أدريس بن  
عبي بن حود ) ١٤٢  
سبع بن يوسف بن سعد بن مردنش أبو  
الخارث ٢٧١  
سبيعة ( زوجة القاسم بن حود ) ١٤١  
سدراي أبو محمد ( الثائر ) ٢٤٨  
سراج بن عبد الله بن سراج ٤٩  
سعد بن عمر بن محمد بن الأفلح ١٨٦  
سعد بن مردنش ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٩  
سعدون السرتياقي ٢١  
ابن سعدون أبو جعفر الكاتب ٢٠٦  
سعيد بن أحمد بن زفل الحثاني ٢٠٩  
سعيد بن حكم الأموي ٢٧٥ - ٢٧٦  
سعيد بن حمدون المدني القيسي ٥٠  
سعيد بن سليمان بن جودي ٢٧ ، ٣١  
سعيد بن سهل الشرقي ٥٦  
سعيد بن عبد الملك الجذامي أبي الملاح ٥٤  
سعيد بن عيسى بن المكرم العافقي ٥٠  
سعيد بن عمن ٥٣  
سعيد بن مرشد السكي ٥١  
سعيد بن مستنة ٢٧  
سعيد بن موسى بن مصم الغساني ٥٤  
سعيد بن هذيل ٢٧  
سعيد بن يوسف بن القليلة ٧١  
أبو سعيد بن إسحاق بن يوسف بن نهر  
٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥

## ش

أبو سعيد بن عبد المؤمن بن علي ٢٦١  
ابن السقاء ( الوزير ) ١٤٩  
السكري ٥١  
ابن السكن ٥٤  
ابن سفون أبو محمد ٣٠٠  
ابن السلام ٢٧ ، ٥٤  
ابن السلام = أبو بكر بن إسحق ، محمد بن  
إسحق ، منذر بن إسحق  
سليمان بن أيوب ابن بلككاش ٤٩  
سليمان البرزالي ١٢٨ ، ١٢٩  
سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن  
المستعين ١١٣ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١١٦  
١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٧  
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ٢٠٥  
٢١٠ ، ٢٢٧  
سليمان بن ربيع الكلي ٥٥  
سليمان بن عبد الملك بن أخطل ٢٤  
سليمان بن عبد الرحمن المرتضى ١٣٤  
سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية الأموي ١١  
سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي ٦  
سليمان بن عمر بن حفصون ٣٣  
سليمان بن محمد الشذوني ٢٧  
سليمان بن محمد بن هود المستعين بالله ١٧٠ ،  
١٧١ ، ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٠  
سليمان بن هشام ١١٠  
ساجدة الصنهاجي ( الوزير ) ١٩٧ ، ٢٣٤  
السمح بن ملك الخولاني ٦  
سواجات البرغواطي ١٤١ ، ١٤٢  
سوار ٣١  
ابن سيدة ٢١٨  
سير بن أبي بكر الفتوي ١٨٥  
سيف الدولة ( لقب بلقين بن باديس بن  
حبوس ) ٢٣٠  
الشاطبي أبو جعفر ٢٩٩  
ابن شالب اليهودي ١٥٩  
ابن الشامة ٥١  
شاذنج بن أذفونش ٢٩٤  
شاذنج بن الففش ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦  
شاذنج بن رميرة ٣٢٥ ، ٣٢٩  
شاذنج بن غرسية ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،  
٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ٣٢٨  
شاذنج بن فراند ٣٣٠  
شاذنج بن فردلند ٣٢٨  
ابن شبرين أبو بكر ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،  
٣٠١  
الشجري ٥٦  
ابن شراجل ( الدار ) ٢٦١  
ابن شرف القيرواني ١٨٢  
ابن الشرق = إبراهيم بن محمد بن إبراهيم  
الشعي أبو المطرف الأمير ٢٣٦  
شعلي الفتي ٧٦ ، ١٠٤  
ابن شعب أبو إسحق ٢٩٩  
ابن شعب المشرقي ٣٠٠  
شفيع الفتي ١٠٤  
الشكياتي ( الثائر ) ٢٤٨  
شمس بنت الغالب بالله النصري ٢٨٧  
شنجول ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن أبي  
عامر ) ٦٦  
الشفاطي أبو الحجاج ٢٠٩  
ابن الشهيد ١٩٠  
ابن شهيد = أبو عامر  
ابن شيبه = محمد بن عبد الله  
شيله بن الففش ٣٢٣

## ص

ابن صاحب الصلاة ابو عبد الله ٢٦٥  
ساعد بن الحسن البغدادي ابو الملا ٦٨  
٩٤، ٧٢

صالح ٥٨

صبح ( زوجة الحكم المستنصر وأم هشام المؤيد )

٦١، ٦٠، ٥٩، ٤٢

سعود بن داود بن دعات ٥٦

ابن الصفار = يونس بن عبد الله

ابن صفوان أبو جعفر ٣٠٠

صلاح الدين ٢٠

الصليل بن حاتم ٧

ابن الصنّاع أبو عبد الله ٣٠٠

الصوّاف ٥٢

ابن الصيرفي ١٨٩، ١٦٥، ١٥٧

## ض

الضبي = زيادة الله

## ط

طارق بن زياد ٣٢٣، ٥٩، ٦

طالوت ( الفقيه ) ١٥

ابن طالوت ( الكاتب ) ٢٢٥، ١٩٥

ابن طاهر أبو عبد الله ( صاحب مرسية )

٢٥٧، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١

ابن الطعان = اساعيل بن اسحق ٦

طرشوس المجوسي ١١٠

الطرسوني أبو عبد الله ٣٠٠

طرفة الفتي ١٠٤

طربجة ( دونة ) ٣٢٨، ٣٢٧

ابن طفيل أبو بكر ٢٦٤

طلحة بن علي الطلوئي ٢٨٨

طلحة بن يوسف بن سعد بن مردنيش ٢٧٢

الطنجالي أبو بكر ٣٠٠

الطوسي ٥١

## ظ

الظافر بن المتمد ١٥١

الظافر ( لقب عبد الرحمن بن هشام بن عبد

الجبار ) ١٣٤

الظافر ( لقب عبد الملك بن محمد بن جهور )

١٤٩

الظافر ( لقب المتمد الاول ) ١٥٧

## ع

عاج ( الجارية ) ٢٥، ٢٤

ابن عاصم أبو عبد الله ٣٠٠

ابن عاصم = أحمد بن عبد الرحمن بن علي

العامي بن عبد الله بن محمد الأموي ٢٩

ابن أبي العاصي أبو اسحق ٢٩٩

ابن أبي العافية الحضر ٣٠٠

العالي بالله ( لقب إدريس بن يحيى بن علي بن

حمود ) ١٤١

عبد الله القرشي التميمي القرطبي ٥٦

عبد الله بن البجاد ١٠٢

عبد الله بن محمد بن أزهر بن جبير

الاستنجي ٥١

عبد الله بن محمد الصابوني المعروف بأبى بركة ٥٠

عبد الله بن محمد بن أبي عامر ٧٥

عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري ٥٠

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأمير الأموي

٢٦ - ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٤

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن اسد

الجبني ٥٤

عبد الله بن محمد بن علي ابن رفاعة الباجي ٥١

عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الأفلح ١٨٢ -

١٨٣

عبد الله بن مروان ٩٩

عبد الله بن يحيى بن دحون ٥٥

ابو عبد الله بن أبي الحجاج بن نصر ١٦

ابو عبد الله بن عمر الحاجب ٣٠٥

ابن عبد البر ٢١٨

ابن عبد البر النميري = عبد الله أبو عمر

عبد الجليل بن وهيب ٢٤٦

عبد الحميد بن منثور ٢٠٩

ابن عبد ربه = أحمد، عمر

عبد الرحمن بن إبراهيم بن حجاج الانبلي ٣٥

عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد ابن عجب ٥٣

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن حرييل ٥٤

عبد الرحمن بن أحمد بن نصر بن خاله ٥٥

عبد الرحمن بن اسباط ٢٤٥

عبد الرحمن بن جريش ٢٤

عبد الرحمن بن حبيب ( أمير أفريقية ) ٨

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

الأمير الأموي ١٨ - ٢٠

عبد الرحمن بن دنون ١٧٧

عبد الرحمن بن رشيق ٢٠١، ١٦٠

٢٥٧، ٢١٠

عبد الرحمن بن سعيد بن جرج ٥٥

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر

الأموي ٥٧

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الأموي ٢٩

عبد الرحمن بن عبد الله العافقي ٦

عبد الرحمن بن عمر بن حفصون ٣٣، ٣٢

عبد الرحمن بن منبوء ١٧٧

عبد الرحمن بن محمد بن جهور ١٤٩، ١٥٠

عبد الرحمن بن أبي عامر المدعوي شنجون ٦٦

١٠٩، ٩٨ - ٨٩، ٨٢، ٧٣، ٧١

١٩٣، ١١٢، ١١١

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الناصر لدين الله

٢٨ - ٣٢، ٣٠ - ٣٤، ٣٥ - ٤١، ٤٦

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد

الرحمن الناصر الملقب بالمرتضى ١٣٠،

٢٢٩، ١٣٨، ١٣١

عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ٤٨

عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن ساعد ٥٢

عبد الرحمن بن غنار القرطبي ٥٧

عبد الرحمن بن مروان الجليقي ٢١، ٢٧

عبد الرحمن بن المشاط الرعيني ٥٣

عبد الرحمن بن معاوية الأموي الداخل ٦، ٧ -

٢٩، ٢٩، ٣٢٣

عبد الرحمن بن هارون ابن الفنازعي ٥٤

عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ١٣٤ -

١٣٥

عبد الرحمن بن يعقوب المنصور الموحدي ٢٧٢

ابن عبد الرؤوف = محمد بن هشام

ابن عبد الصمد ( شاعر المتمد ) ١٦٥ - ١٧٠

عبد العزيز بن أفلح ٢٢٦

عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر

المنصور ٩٤، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٤ -

١٩٥، ١٩٦، ٢١٧

عبد العزيز ( بن محمد ) البكري ٢١٠

عبد العزيز بن مروان ٥٠

عبد العزيز أبو فارس ( السلطان المريني ) ٨٠

عبد العزيز بن موسى بن نصير ٦

عبد الكريم بن عبد الواحد بن ميث ١٢، ١٩

عبد الملك بن أحمد بن محمد بن هود ١٧٣،

١٧٤، ١٧٥

عبد الملك بن إدريس الجزيري ٧١، ٧٢

عبد الملك بن أبي الجواد ٢٧

غربية بن شاذي ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٦٩،  
 ٣٢٩، ٣٢٥  
 غربية بن فرانس ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠  
 الفتني ( المقدم ) ٢٧٩  
 غصالي نونس ٣٢٨  
 ابن غومس ( القومس ) ٨٠، ٩٧، ٩٨

## ف

أبو فارس عبد العزيز ( لسلطان المريني )  
 ٣١٨، ٣١٧  
 فافيلة بن بلايه ٣٢٣  
 فائق الصقلي ٤٨، ٦٠  
 الفتح ( صاحب القلائد ) ١٦٠، ١٨٥  
 ١٩١، ٢٠١، ٢٠٦  
 فتح الله بن يحيى ١٤٢  
 ابن فحلون ٥٢  
 ابن الفخار = محمد بن عمر  
 ابن الفخار أبو عبد الله ٣٠٠  
 ابن الفراء = محمد بن القاسم  
 ابن فراس ٦٤  
 فرانس غصالي ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨  
 فرانس الحول ٣٣٢  
 فرانس بن الفتح ٣٣٢  
 فرانس بن شاذي ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٤  
 ابن الفرج ( الوزير ) ١٧٩  
 فرج بن كنانة ١٢  
 فرج بن أبي محمد بن أبي الحسن ابن اشيقله  
 ٢٨٨، ٢٨٧  
 فردند ( ملك افريقية ) ٢٣  
 فردند ( أبو شاذي وجد اذفونش ) ٢٤٣  
 ابن الفرضي ٤٠  
 ابن فرانس = العباس  
 فرويلة بن الفتح ٣٢٣

فرويلة بن الفتح بن اوردوني ٣٢٥  
 الفريسي الرندي ٣٠٠  
 الفضل بن عمر بن محمد بن الاطلس ١٨٦  
 ابن فطيس = عبد الرحمن بن محمد بن عيسى  
 ابن الفقيه الفراء أبو عبد الله ٣٠٠  
 ابن فهد = محمد بن عبدون بن محمد  
 ابن أبي الفياض ٧٧، ٧٧، ١٩٣  
 ابن فهد = أبو محمد

## ق

القاسي أبو الحسن ٥٦  
 ابن القابلة = محمد بن يحيى  
 قاسم بن أصبغ ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢،  
 ٥٣  
 القاسم بن حمود ١١٩، ١٢١، ١٢٧  
 ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢  
 ١٣٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٥٣، ١٩٥  
 القاسم بن محمد بن عبد الرحمن الاموي ٢٦  
 القاسم بن محمد بن محمد بن القاسم بن حمود  
 ١٤٢  
 قاسم ( أبو أمّ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد  
 الله بن قاسم ) ٢٠٨  
 قاسم بن عمود المرواني ٩٥  
 أبو القاسم بن الحسن بن يوسف الحسي ٣٠٠  
 ٣٠٥  
 أبو القاسم بن عبد الله الشبي ٢٢٨  
 أبو القاسم عتار ٥٥  
 أبو القاسم القري ٨٥  
 قاشطه ٣٢٤  
 القائلولة ٣٢٣  
 ابن القبري = محمد بن وهب  
 القبطي = عبد الله بن الوليد  
 القري أبو علي ٣٠٠

ابن قريمان = أحمد  
 القزّاز = حكيم بن سعيد  
 قسططين الملك ٣٧  
 ابن قمي ١٧٦  
 ابن قمي = أحمد بن الحسين، الحسين بن أحمد  
 ابن القطان ١٥٤  
 ابن قطن ٥٣  
 ابن قنن أبو جعفر ٢٩٩  
 ابن القليبة = سعيد بن يوسف  
 ابن القنازعي = عبد الرحمن بن هارون  
 ابن القوطية ٥٤  
 ابن القوطية = أبو بكر  
 القياطي ٢٩٩  
 قيس بن يوسف بن اساعيل بن نصر ٣٠٧  
 القيشطيطي = أحمد بن محمد

## ك

الكلاعي = أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم  
 ابن كاشة أبو الحسن ٢٩٥  
 الكتبتور ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥  
 كوتر الفقي ١٠٤  
 الكوكب ( اسم بغل عبد الرحمن الداخل ) ٨

## ل

لاين قاله ٣٢٤  
 لبّ بن سليمان بن محمد بن هود ١٧١  
 ابن اللباب = أحمد بن محمد بن عبد الله  
 ابن لياية ٤٩، ٥١، ٥٧  
 ابن اللباب = أحمد ابن يحيى  
 ابن لوت أبو عيسى ٢٠٩  
 لب الفاء العامري ٢٤٨  
 ليد بن عبد الله ٢٤٨

اللوئي أبو عبد الله ٣٠٠  
 اللوئي ( القائد ) ٢٥٥  
 الليث بن حريش ٥٥  
 ليلى ٤٥

## م

ابن المارعا ( الكاتب ) ٧٨  
 الماسي ( الكثر على الموحدين ) ٢٥١  
 ماغنه ٣٢٤  
 ماسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ٢٢٨،  
 ٢٢٩  
 مالك بن أنس ١٥، ٥٧  
 مالك بن محمد بن عبّاد ١٦٤  
 المأمون الباسي ١٦٢  
 المأمون ( لقب عبد الرحمن بن أبي عامر ) ٩٠  
 المأمون ( لقب القاسم بن حمود ) ١٣٠  
 المأمون ( لقب يحيى بن اساعيل بن دنون )  
 ١٧٧، ١٧٨  
 المأمون بن المتعمد بن عبّاد ١٥٩، ١٦٣  
 مبارك العامري ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥  
 ٢٢٦  
 المتأيد بالله ( لقب أحمد بن محمد بن ملحان )  
 ٢٦٤  
 المتني ١٢٣، ١٨٤  
 المتوكل على الله ( لقب عمر بن محمد بن عبد الله  
 ابن الأطفلس ) ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦  
 المتوكل على الله ( لقب محمد بن يوسف بن  
 هود ) ٢٧٨  
 المتوكل ( لقب يحيى حفيد المأمون ابن دنون )  
 ٢٠٢  
 ابن متوّه = عبد الرحمن، عبد الملك  
 مجاهد العامري أبو الجيش ١٩٠، ١٩٢،  
 ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٧، ٢٢٠

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صادق  
التجيني ١٨٩  
محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن المريني  
٣٣٣  
محمد بن عبد العزيز بن يحيى ٥٠  
محمد بن عبد الملك بن محمد بن أبي عامر المنصور  
٨٨ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥  
محمد بن عبدون بن محمد بن فهد ٥٧  
محمد بن عبد الله بن الوليد المطيعي ٢٢٠  
محمد بن العراقي ١٣٤ ، ١٣٦  
محمد بن عزيز بن يوسف بن سعد بن مردئش  
٢٧٢ ، ٢٨٠  
محمد بن علي بن أحمد الرئيس العروس  
٢٩٢  
محمد بن علي بن الحجاج ٢٤٨  
محمد بن علي بن محمد بن خزر المغراوي  
٨٦ ، ٨٧  
محمد بن عمار الوزير ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢  
١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٥٧  
محمد بن عمر ( من أصحاب ابن قتي ) ٢٤٩  
محمد بن عمر البكري القاضي ٦٨  
محمد بن عمر بن الفغار ١٥  
محمد بن عيسى ( قاضي سبته ) ١٢١  
محمد بن عيسى بن حسين بن سيد الدار ٥٢  
محمد بن عيسى المرطلي ٥٤  
محمد بن القاسم بن جود ١٣٣ ، ١٤٢  
١٤٣ ، ١٥٦  
محمد بن القاسم بن القراء ٥٤  
محمد بن محمد بن بركة الصابوني ٥٣  
محمد بن أبي محمد بن أبي الحسن ابن اشيئولة  
٢٨٧ ، ٢٨٩  
محمد بن محمد بن القاسم بن جود ١٤٢  
محمد بن مرتين الفائض ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨  
محمد بن مرشد ٩٨

٢٢٦، ٢٢١  
ابن أبي عبد الله أبو محمد الجارحلي ٣٠٠  
محرر بن عيسى التميمي ٢٢٦  
ابن المرقوف أبو عبد الله ٣٠٠  
ابن المرقوف أبو علي ٣٠٠  
محمد بن إبراهيم بن حجاج ٣٥  
محمد بن أحمد بن سليمان بن هود المؤمن ١٦٠  
١٧٦، ١٧٢  
محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي ٥٦  
محمد بن أحمد بن عبد الله بن ذكوان ٥٦  
محمد بن أحمد المرقوف ٢٩٦  
محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن قاسم  
٢٠٨  
محمد بن أحمد بن محمد بن قادم بن زيد  
القرطبي ٥٢  
محمد بن إدريس بن علي بن حمود ١٤١  
محمد بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود  
١٤٣، ١٤٢  
محمد بن إسحاق ابن السليم ٤٨  
محمد بن إسماعيل بن عبيد أبو القاسم القفاني  
١٣٣، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٣ -  
١٥٥  
محمد بن إسماعيل بن محمد بن فرج بن نصر  
٣٠٩ - ٣٠٨  
محمد بن إسماعيل المغربي ١٠٢  
محمد بن أضحى ٢٧  
محمد بن بشير ١٤٦  
محمد بن جهور بن محمد بن جهور ١٤٨ -  
١٥٠، ١٥٠، ١٥١  
محمد بن الحاج بن عبد الرحمن بن علفه ٥٠  
محمد بن حسن بن عبد الله بن مذهب الزبيدي  
٥٢  
محمد بن حرزون بن عبدون ٢٣٩، ٢٤٠  
محمد بن أبي دهم ٥٤  
محمد بن ذكوان ابن برطال ٤٩  
محمد بن سيد بن مردنش ٢٥٩ - ٢٦٢  
٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧١  
محمد بن سيد النجاشي ٩٩ - ١٠٢  
محمد بن سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد  
الرحمن الناصر ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦،  
١٩٦  
محمد بن سليمان بن محمد بن هود ١٧١  
محمد بن شراحيل البليسي ٥٢  
محمد بن عاتفة (الفائد المرباطي) ١٨٢  
٢٠٤  
محمد بن عباد بن محمد بن عباد المتمدن ١٥١  
١٥١، ١٥٦، ١٥٧ - ١٦٥، ١٨٤  
١٩٢، ١٩٢، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٤٤  
٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٧  
محمد بن عبد الله البرزالي ١٣٣، ١٤٠  
٢٣٧ - ٢٣٦، ١٥٥  
محمد بن عبد الله ابن ذكوان ٤٩  
محمد بن عبد الله ابن شبة الاشبيلي ٥١  
محمد بن عبد الله بن عامر ابن أبي عامر =  
المصور ابن أبي عامر  
محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمين ٥٢  
محمد بن عبد الله بن القاسم الاستنجي ٥١  
محمد بن عبد الله بن قاسم الفهرري ٢٠٨  
محمد بن عبد الله بن محمد بن الأطلس ١٤٣،  
١٥٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٣ - ١٨٤  
محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن  
الاموي ٢٩  
محمد بن عبد الله بن محمد القفاني المرقوف بابن  
أبي جعفر ٢٥٨  
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الامير الاموي  
٢٠، ٢٣، ٢٤، ٣١  
محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن  
الناصر ١٣٤ - ١٣٥، ١٣٦

أبو محمد بن الشاق ٥٥  
أبو محمد بن قيد القرطبي ٥٦  
محمود ( أمير الدائرة ) ١٣٤  
مختار بن عبد الرحمن القرطبي ٥٧  
مخلد بن كيداد ٢٢٨  
مذافع بن يوسف بن سعيد بن مردئش ٢٧٢  
ابن المرباط أبو بكر ٣٠٠  
المرفقي ( لقب سليمان بن عبد الرحمن ) ١٣٤  
المرفقي ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن عبد  
الملك بن عبد الرحمن الناصر ) ١٣٠  
ابن مرتين = محمد بن مرتين  
ابن مرج الكحل أبو عبد الله ٢٧٨  
ابن مردئش = زيان بن مدافع ، سبع بن  
يوسف ، طلحة بن يوسف ، سعد ، عامر  
ابن يوسف ، عزيز بن يوسف ، غالب بن  
يوسف ، غاثم بن محمد ، محمد بن سعد ،  
محمد بن عزيز ، مدافع بن يوسف ، هلال  
ابن محمد ، يوسف بن سعد  
مروان بن الحكم ٤٧  
مروان بن عبد الملك ٥٥  
مروان بن محمد المجدي ٧  
المرواني القاضي ٥٢  
بنت المروزية ( أمّ المستكفي العبّاسي ) ١٣٦  
ابن مزين الدابر ٢٤٨  
ابن مزين = عيسى بن أبي بكر ، موسى بن أبي  
بكر  
المستعلي ( لقب القاسم بن محمد بن محمد بن القاسم  
ابن حمود ) ١٤٢  
المستعلي ( لقب محمد بن إدريس بن يحيى بن علي  
ابن حمود ) ١٤٢  
المستعين ( لقب أحمد بن محمد بن سليمان بن  
هود ) ١٧٢  
المستعين ( لقب سليمان بن الحكم ) ١١٣  
المستعين ( لقب سليمان بن محمد بن هود ) ١٧٠

المستكفي ( لقب محمد بن عبد الرحمن بن عبد  
الله بن عبد الرحمن الناصر ) ١٣٥  
المستكفي العبّاسي ١٣٦  
ابن مسنة = سعيد  
المستنصر العبّاسي أبو جعفر ٢٨٥ ، ٢٨٢  
المستنصر أنورحدي ٢٧٢  
المستنصر ( لقب حسن بن علي بن حمود ) ١٤٠  
المستنصر ( لقب الحكم بن عبد الرحمن الناصر )  
٤١  
ابن مسعدة أبو عثمان ٢٩٩  
ابن مسعود ٥٠  
مسلة بن عبد الملك بن مروان ٧  
مسلة بن محمد بن مسلة ٥١ ، ٥٣  
ابن المشاط ٥٢  
ابن المشاط = عبد الرحمن  
المصغني = جعفر بن عثمان  
ابن مطرف ٥١  
ابن المطرف النجبي ١٧٠  
المطرف بن عبد الله بن محمد الأموي ٢٨ ،  
٢٩  
مطروح بن سليمان الأعرابي ١١  
مظفر العامري ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥  
مظفر الفتي ١٠٤  
المظفر ( لقب باديس بن حبّوس بن زيري )  
٢٣٠  
المظفر ( لقب عبد الله بن بلقين بن باديس )  
٢٣٣  
المظفر ( لقب عبد الملك بن محمد بن أبي عامر )  
٨٣  
المظفر ( لقب عيسى بن أبي بكر بن مزين )  
٢٠٩  
المظفر ( لقب محمد بن عبد الله بن الأقطس )  
١٨٣  
المعالي ٤٩

معاوية بن هشام الأموي ٩  
المتنّ ( لقب هشام بن محمد بن عبد الملك )  
١٣٩  
المتنصر ( لقب محمد بن معن بن صباح النجبي )  
١٩٠  
المتنضد ( لقب عبّاد بن محمد بن عبّاد ) ١٥٥  
العتلي ( لقب يحيى بن علي بن حمود ) ١٣٣  
المتنشد ( لقب محمد بن عبّاد بن محمد بن عبّاد )  
١٥٦  
المرّبي ١٨٤  
المرزّ بن إسحاق الشيعي ٢٢٨  
المرزّ بن باديس ٢٢٩  
معزّ الدولة بن محمد بن معن بن صباح النجبي  
١٩٢ ، ١٩١  
ابن معمر القنّوي ٢١٨  
معن بن عبد العزيز بن صباح النجبي أبو  
الاحوص ٦٣ ، ٦٤ ، ١٨٩  
المعيطي = محمد بن عبد الله بن الوليد  
ابن معيث = عبد الكريم بن عبد الواحد  
مفرّج ههك ٢٦٣  
ابن مغوّز ٢٧٦  
مقاتل ( صاحب طرطوشة ) ١٧١  
ابن مقبل = أبو الوليد  
المقتدر ( لقب أحمد بن سليمان بن هود ) ١٧١  
المقري أبو عمرو ٢١٨  
ابن المكرم القافقي = أحمد بن عيسى ، سعيد  
ابن عيسى  
ابن المكوي ٥٤  
الملك بن أحمد بن أبي صفرة النعماني ٥٦  
ابن مهلب الكاتب ٢٢٥  
ابن مهيب أبو عبد الله ٢٨٦  
ابن أبي الموت ٥١  
المؤنن ( لقب عبد العزيز بن عبد الرحمن بن  
أبي عامر ) ١٩٥

منذر بن إسحاق بن السليم ٤٩  
منذر بن سعيد البلوطي ٣٩  
المنذر بن سليمان بن محمد بن هود ١٧١  
المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأمير الأموي  
٢٣ - ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١  
منذر بن يحيى النجبي ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٨٩  
١٩٣ ، ١٩٦ - ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦  
ابن المنذر الوزير ٣٤  
المنصور ( لقب عبد الملك بن محمد بن جهور )  
١٤٩  
المنصور محمد بن أبي عامر ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٨  
٥٩ - ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٦  
٩٨ - ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١  
١١٢ ، ١١٧ ، ١٥٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨  
١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢  
المنصور العبّاسي أبو جعفر ٩٠ ، ٩٥ ، ١٥٦ ،  
٣٠٨  
المنصور بن عمر بن الأقطس ١٨٦  
المنصور بن الناصر بن غلّاس ١٩١  
ابن منظور أبو بكر ٢٩٩  
ابن منظور أبو عمر ٢٩٩  
المهدي ابن تومرت ٢٤٧ ، ٢٤٩  
المهدي ( لقب أحمد بن الحسين بن قمي )  
٢٤٩  
المهدي ( لقب محمد بن إدريس بن علي بن  
حمود ) ١٤١  
المهدي ( لقب محمد بن هشام بن عبد الجبار )  
١٠٩  
المهلب بن أحمد بن أبي صفرة النعماني ٥٦  
ابن مهلب الكاتب ٢٢٥  
ابن مهيب أبو عبد الله ٢٨٦  
ابن أبي الموت ٥١  
المؤنن ( لقب عبد العزيز بن عبد الرحمن بن  
أبي عامر ) ١٩٥

ابن المؤنث المرادي ابو الحسن ٣٠٠  
 موريه صه ٣٢٤  
 موسى بن ابي بكر بن مزين ٢٠٩  
 موسى بن عزرون ٧٨  
 موسى بن مروان بن الحدير ٢١١  
 موسى بن نصير ٣٢٢، ٥٩، ٦٠  
 ابو موسى بن أبي الحزم بن جهور المرشاني ٥٣  
 الموفق ( لقب بمجاهد العمري ) ٢٢٠  
 مؤمنة بنت الغالب بالله ٢٨٧  
 الميزاني ١٠٤  
 ابن ميمون = علي بن عيسى ، محمد

## ن

النابلي ابو علي ٥٠  
 الناصر ( لقب بادي بن جيتوس بن زيري )  
 ٢٣٠  
 الناصر ( لقب عبد الله بن بلقين بن باديس )  
 ٢٣٣  
 الناصر ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله )  
 ٢٨  
 الناصر ( لقب عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر )  
 ٩٠  
 الناصر ( لقب علي بن حمود ) ١٢٨  
 الناصر بن يعقوب النصور بن يوسف بن عبد  
 المؤمن ٣٣١، ٢٧٠، ٢٦٩  
 ابن نبيل = يحيى بن عمر  
 نجاء العلوي ابو الفوز ١٤١  
 نجاء الفتى ١٠٤  
 النحاس ٥١  
 نصر الفتى ١٠٤  
 نصر بن محمد بن نصر ٣٣٧، ٣٣٤، ٢٩٤  
 ابو نصر بن يحيى البحصي ٢١٠  
 نظام الدولة بن احمد بن محمد بن قاسم ٢٠٨

هلال بن محمد بن سعد بن مردنيش ٢٧١  
 أبو هلال = يوسف  
 ابن الهمداني ١١١  
 ابن همشك = ابراهيم بن أحمد ، مفرج  
 ابن الهناء أبو القاسم المالقي ٣٠٠  
 اليهم بن عبيد الكلاني ٦

## و

واثق الفتى ١٠٤  
 الوادياتي ابو الفرج ٢٩٩  
 واضح الصقلي ٤٨، ١٠٤، ١١٢، ١١٤  
 ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨  
 ابن واهد = يحيى بن عبد الرحمن  
 الوحيدي أبو محمد ٢٥٥  
 ابن وداعة ١١٨  
 ابن الورد ٥١، ٥٤  
 ابن وزير ( التائر ) ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠  
 ٢٥١  
 ابن وزير ( جد المؤلف ) ١٥  
 ابن وضاح ١٢، ٥٧  
 ابن وقار = يوسف  
 الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموي ٦  
 ٤٢، ٣٢٢  
 ابو الوليد البافقي ٥٧  
 ابو الوليد بن مقل ٥٦  
 وهب ٥٠  
 وهب بن محمد بن عمود الاموي ٥٣  
 وهب بن مسرة ٥١، ٥٢  
 ابن وهبون = عبد الجليل  
 الوهي ( التائر ) ٢٤٨

## ي

باقي ٦٧  
 يحيى بن أحمد البحصي ٢١٠  
 يحيى بن اساعيل بن دنون المأمون ١٤٩،  
 ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٨، ١٥٩  
 ١٧٧-١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٩٦  
 ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٥٧، ٣٣٠  
 يحيى النجبي الانقر ٢٧  
 يحيى التراس ١٠١  
 يحيى بن حسن بن علي بن حمود ١٤٠  
 يحيى بن سلامة السكي ٦  
 يحيى بن عبد الله الليثي ٥٧  
 يحيى بن عبد الرحمن بن واهد ٤٩  
 يحيى بن علي بن حمود ١٢٧، ١٣١، ١٣٢،  
 ١٣٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٥٥  
 يحيى بن علي ( ملك الزاب ) ٤٢  
 يحيى بن عمر بن حسين ابن نبيل ٥٥  
 يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق  
 ٢٩٦  
 يحيى بن غانية ٢٥٣، ٢٥٤  
 يحيى بن غران ٢٠٩  
 يحيى بن محمد بن عبد الله بن الانطس ١٨٤  
 يحيى بن محمد بن زرب ٤٨  
 يحيى ( أبو منذر بن يحيى ) ١٩٦  
 يحيى بن منذر بن يحيى ١٧٠، ٢٠٠  
 يحيى بن واسنو الأمير ١٩١  
 يحيى حفيد يحيى بن اساعيل بن دنون ١٧٩-  
 ١٨٠، ٢٠٣، ٢٠٤  
 يحيى بن يحيى الراوية ١٥  
 ابو يحيى بن احمد بن صابح النجبي ١٨٩،  
 ١٩٠  
 ابو يحيى بن أبي بكر بن مسعود المجاري ٢٩٩

## الفهرس الثاني

### في اسماء الاماكن

٣٣٥ ، ٣٣٢ ، ٣٠٩ ، ٢٩٣	٢٩٣ ، ٢٧٢ ، ٢٦١ Ubeda ابدية
٢٢٩ Iznajar	٣٣٥ ، ١٢ Narbonne أربونة
٣٢٣ ، ٣٢٢ Asturies	٢١٩ ، ٦٧ Europe الارض الكيرة
١١٩ ، ٤٢ Arzila	٢٩٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ Aragon أرغون
٣٣٥ ، ٢٩٣ Teba	٣٣٨ ، ٣٣٧ ، ٣٢٩ ، ٣٢٨
أغراطة = غراطة	٣٣١ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ Alarcos الارك
٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ١٦٥ ، ١٦٤	٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ١٤٢ Arcos أركش
٢٥٩ Fraga	٢٩٨ ، ٨٩ Guadimellato أرملاط
٧٤ France	١١٣
٢٢٨ ، ٨٩ ، ٦٥ ، ٣٢ ، ٨	١٧٤ Arnedo أرنيط
٢٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٠	٢١١ ، ١٩٤ ، ١٩٣ Orihuela أريولة
١٦ Crête	٣٣٥ ، ٢٥٨
١٣٦ Uclés	٢٧٦ ، ٣٢ ، ٢٨ ، ٢٢ Ecija استجة
٢١ ، ١٩ Alava	٢٦١ ، ٢٥٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٠
٣١ ، ٣٠ ، ٢٧ ، ٢٣ ، ٨ Elvira	٦٩ ، ١٢ Astorga أستورقة
١٤٠ ، ١١٩ ، ١١٧ ، ٥٦ ، ٣٢	٢٨ Estepa أسطبة
٢٢٨ ، ٢١٢ ، ١٥٥	٢٧٩ Safi آسفي
١٠٣ أم سلة ( ريش ) بقرطبة	١٦ Alexandrie الاسكندرية
٢٨٨ ، ٢٥٥ Antequera	٢٩٣ ، ٢٠ Lisbonne أشيونة
٢٩٣ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦٢ Atienza	٣٢ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٠ Séville اشيلية
٣٤ انجش	١٢٩ ، ١٢٠ ، ١٠٠ ، ٥٩ ، ٣٤
٣٣٥ ، ٢٩٦ Andarax	١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٧ ، ١٣٣ ، ١٣٢
٢٥٣ Andujar	١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٤٥ ، ١٤٣
٢٧٢ El Puig de Cebolla	١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦١ ، ١٥٨ ، ١٥٥
٦٧ El Padron	٢٤٤ ، ٢٣٩ ، ٢٠٣ ، ١٩١ ، ١٨٦
١١٩ باب السدة بقرطبة	٢٦١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩ ، ٢٤٦
١٩٢ باب موسى بالمرية	٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٧١ ، ٢٦٥

٣٣١ ، ٢٥٧ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥	٧٠ يدبر الدمري
٢٧٢ ، ٢٧١	١٢١ ابن يربوع السبي
١٧١ يوسف بن سليمان بن محمد بن هود	٦٧ يعقوب الخواري
٢٥٩ يوسف بن عبد الرحمن بن مجزي	يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المنصور
٨ ، ٧	٣٣١ ، ٢٦٩ أبو يعقوب السلطان المريني
٢٧١ ، ٢٦٩	٩٧ ابن يعلى الزناتي
٢٥٩ يوسف بن عبد الرحمن بن علي	٥٦ يعيش بن محمد بن يعيش
٢٨٧ يوسف بن ابي محمد بن أبي الحسن ابن اشقيلة	١٠٤ بين الفتي
٢٣٣ يوسف بن محمد بن عمر بن يوسف	٢٠٨ بين الدولة ( لقب محمد بن عبد الله بن قاسم )
٣٣١ ، ٢٣٠	يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن نصر
٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٠	٣٠٨ ، ٣٠٦ - ٣٠٤
٣٣٠ ، ٣٢٢	يوسف بن بخت بن أبي عبدة
٣٣٦ ، ٣٣١	يوسف البطروجي ( الثائر )
٣٣٢ ، ٢٨٨	يوسف بن تاشفين
٥٥ يونس بن عبد الله ابن الصغار	١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ٢٠٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٥ ، ٢٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم



١٢٤٠ : ١٥٦٠ : ١٥٦٠ : ١٢٤٦  
 ٢٨٨٠ : ٢٨٩٠ : ٢٩٣٠ : ٣٠٠٤  
 ٣٣٠٥ : ٣٣٣٠ : ٣٣٩٠ : ٣٣٣٣  
 الروض المحدث ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 روضة Rueda : ١٧٥٠ : ١٧٦٠ : ١٧٦٠  
 ١٩٨  
 رومة Rome ٦٧ : ٧٤ : ٣٣٦  
 ريف حمارة ١٤٢  
 ريه : ٢٧٠ : ٣١٠ : ٢٣٠  
 الزاب ٤٢ : ٢٣١  
 الزاهرة ( المدينة ) ٦٢ : ٧٤ : ٨٠ : ٨٨ : ٩٣ : ٩٧ : ١٠١ : ١١٠  
 ١١٢ : ١١١  
 الزقاق Détroit de Gibraltar :  
 الزلاقة Sacrajas ٢٣٥ : ٢٤٦ : ٣٣١  
 الزهراء ( مدينة ) ٤٠ : ٤١ : ٥٠ : ١٠١ : ١١٧ : ١١٩ : ١٤٦  
 الزو ( اسم مركب التهمة في النهر الاعظم )  
 ٨٠  
 سبتة Ceuta ٦٦ : ١٢١ : ١٢٨ : ١٢٩ : ١٣١ : ١٤٠ : ١٤٢ : ١٤٣ : ٢٧١ : ٢٧٧ : ٢٧٩ : ٢٨٠ : ٣١٨  
 سجاسة ٢٢  
 السجن القديم ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 سرذانية Sardaigne ٢١٩ : ٢٢٠  
 سرسطة Saragosse ٨ : ١١ : ٢٧ : ٧٢ : ١١٩ : ١٦٠ : ١٧٠ : ١٧١ : ١٧٣  
 دنيا Denia ١٧١ : ١٩٢ : ١٩٣ : ١٩٥ : ١٩٦ : ١٩٧ : ٢٠٠ : ٢٢٢ : ٢٩٣  
 سفند ٣٣٠  
 السفائين ( وادي ) ٢٩٨ : ٣٠٤  
 سلا Salé ٢٨٠ : ٣١٣ : ٣١٨ : ٣٢١  
 سمورة Zamora ٦٧ : ٣٣٠  
 سنترية Santaver ١٧٧  
 السهة Albarracin ٢٠٥ : ٢٠٦  
 السوس الاصى ٢٣٦ : ٣٣٨

٢٢٥ : ٢٢٦ : ٢٥٦ : ٢٦٠ : ٢٧١  
 ٢٧٣ : ٢٧٣ : ٢٩٣ : ٣٣٧  
 بنبونة Pampelune ٦٩ : ٧٢ : ٨٧  
 البنت Aipuenta ١٣١ : ١٣٨  
 البياز Albaicin بقرطبة ٣٠٠  
 بياسة Baeza ٢١٦ : ٢٦١ : ٢٩٣  
 بيت المقدس Jérusalem ٦٧  
 تآكر'نا ٢٣٨  
 تاهرت ٢٢  
 تدهير ٨ : ١٠٠ : ٢١١ : ٢٤٧  
 تطيلة Tudéle ١٧١ : ١٧٤ : ١٧٦  
 تلسان ٢٩٧ : ٣١٨  
 تونس ٣٨ : ٢٧٢ : ٢٧٤ : ٢٧٥ : ٢٨٦ : ٢٧٧  
 التفر الادق ٢٠٥  
 التفر الاعلى ٦١ : ٦٢ : ٨٠ : ٨٢ : ١١٣ : ١١٨ : ١٣٠ : ١٣٦ : ١٧٠ : ١٩٣ : ٢٠٥ : ٢٠٩  
 التفر الجوفي ١٨٣ : ٢٤٣  
 الجامع ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 جبل طاروق Gibraltar ٦  
 جبل الميون Gibralean ١٥٥ : ٢١٠ : ٢٩٣  
 جبل الفتح Gibraltar ٦ : ٢٦٥ : ٢٦٦ : ٢٩٧ : ٣٠٤ : ٣١٨ : ٣٣٤ : ٣٣٥ : ٣٦٩ : ٣٧٠ : ٣٧١ : ٣٧٢ : ٣٧٣ : ٣٧٤ : ٣٧٥ : ٣٧٦ : ٣٧٧ : ٣٧٨ : ٣٧٩ : ٣٨٠ : ٣٨١ : ٣٨٢ : ٣٨٣ : ٣٨٤ : ٣٨٥ : ٣٨٦ : ٣٨٧ : ٣٨٨ : ٣٨٩ : ٣٩٠ : ٣٩١ : ٣٩٢ : ٣٩٣ : ٣٩٤ : ٣٩٥ : ٣٩٦ : ٣٩٧ : ٣٩٨ : ٣٩٩ : ٤٠٠ : ٤٠١ : ٤٠٢ : ٤٠٣ : ٤٠٤ : ٤٠٥ : ٤٠٦ : ٤٠٧ : ٤٠٨ : ٤٠٩ : ٤١٠ : ٤١١ : ٤١٢ : ٤١٣ : ٤١٤ : ٤١٥ : ٤١٦ : ٤١٧ : ٤١٨ : ٤١٩ : ٤٢٠ : ٤٢١ : ٤٢٢ : ٤٢٣ : ٤٢٤ : ٤٢٥ : ٤٢٦ : ٤٢٧ : ٤٢٨ : ٤٢٩ : ٤٣٠ : ٤٣١ : ٤٣٢ : ٤٣٣ : ٤٣٤ : ٤٣٥ : ٤٣٦ : ٤٣٧ : ٤٣٨ : ٤٣٩ : ٤٤٠ : ٤٤١ : ٤٤٢ : ٤٤٣ : ٤٤٤ : ٤٤٥ : ٤٤٦ : ٤٤٧ : ٤٤٨ : ٤٤٩ : ٤٥٠ : ٤٥١ : ٤٥٢ : ٤٥٣ : ٤٥٤ : ٤٥٥ : ٤٥٦ : ٤٥٧ : ٤٥٨ : ٤٥٩ : ٤٦٠ : ٤٦١ : ٤٦٢ : ٤٦٣ : ٤٦٤ : ٤٦٥ : ٤٦٦ : ٤٦٧ : ٤٦٨ : ٤٦٩ : ٤٧٠ : ٤٧١ : ٤٧٢ : ٤٧٣ : ٤٧٤ : ٤٧٥ : ٤٧٦ : ٤٧٧ : ٤٧٨ : ٤٧٩ : ٤٨٠ : ٤٨١ : ٤٨٢ : ٤٨٣ : ٤٨٤ : ٤٨٥ : ٤٨٦ : ٤٨٧ : ٤٨٨ : ٤٨٩ : ٤٩٠ : ٤٩١ : ٤٩٢ : ٤٩٣ : ٤٩٤ : ٤٩٥ : ٤٩٦ : ٤٩٧ : ٤٩٨ : ٤٩٩ : ٥٠٠ : ٥٠١ : ٥٠٢ : ٥٠٣ : ٥٠٤ : ٥٠٥ : ٥٠٦ : ٥٠٧ : ٥٠٨ : ٥٠٩ : ٥١٠ : ٥١١ : ٥١٢ : ٥١٣ : ٥١٤ : ٥١٥ : ٥١٦ : ٥١٧ : ٥١٨ : ٥١٩ : ٥٢٠ : ٥٢١ : ٥٢٢ : ٥٢٣ : ٥٢٤ : ٥٢٥ : ٥٢٦ : ٥٢٧ : ٥٢٨ : ٥٢٩ : ٥٣٠ : ٥٣١ : ٥٣٢ : ٥٣٣ : ٥٣٤ : ٥٣٥ : ٥٣٦ : ٥٣٧ : ٥٣٨ : ٥٣٩ : ٥٤٠ : ٥٤١ : ٥٤٢ : ٥٤٣ : ٥٤٤ : ٥٤٥ : ٥٤٦ : ٥٤٧ : ٥٤٨ : ٥٤٩ : ٥٥٠ : ٥٥١ : ٥٥٢ : ٥٥٣ : ٥٥٤ : ٥٥٥ : ٥٥٦ : ٥٥٧ : ٥٥٨ : ٥٥٩ : ٥٦٠ : ٥٦١ : ٥٦٢ : ٥٦٣ : ٥٦٤ : ٥٦٥ : ٥٦٦ : ٥٦٧ : ٥٦٨ : ٥٦٩ : ٥٧٠ : ٥٧١ : ٥٧٢ : ٥٧٣ : ٥٧٤ : ٥٧٥ : ٥٧٦ : ٥٧٧ : ٥٧٨ : ٥٧٩ : ٥٨٠ : ٥٨١ : ٥٨٢ : ٥٨٣ : ٥٨٤ : ٥٨٥ : ٥٨٦ : ٥٨٧ : ٥٨٨ : ٥٨٩ : ٥٩٠ : ٥٩١ : ٥٩٢ : ٥٩٣ : ٥٩٤ : ٥٩٥ : ٥٩٦ : ٥٩٧ : ٥٩٨ : ٥٩٩ : ٦٠٠ : ٦٠١ : ٦٠٢ : ٦٠٣ : ٦٠٤ : ٦٠٥ : ٦٠٦ : ٦٠٧ : ٦٠٨ : ٦٠٩ : ٦١٠ : ٦١١ : ٦١٢ : ٦١٣ : ٦١٤ : ٦١٥ : ٦١٦ : ٦١٧ : ٦١٨ : ٦١٩ : ٦٢٠ : ٦٢١ : ٦٢٢ : ٦٢٣ : ٦٢٤ : ٦٢٥ : ٦٢٦ : ٦٢٧ : ٦٢٨ : ٦٢٩ : ٦٣٠ : ٦٣١ : ٦٣٢ : ٦٣٣ : ٦٣٤ : ٦٣٥ : ٦٣٦ : ٦٣٧ : ٦٣٨ : ٦٣٩ : ٦٤٠ : ٦٤١ : ٦٤٢ : ٦٤٣ : ٦٤٤ : ٦٤٥ : ٦٤٦ : ٦٤٧ : ٦٤٨ : ٦٤٩ : ٦٥٠ : ٦٥١ : ٦٥٢ : ٦٥٣ : ٦٥٤ : ٦٥٥ : ٦٥٦ : ٦٥٧ : ٦٥٨ : ٦٥٩ : ٦٦٠ : ٦٦١ : ٦٦٢ : ٦٦٣ : ٦٦٤ : ٦٦٥ : ٦٦٦ : ٦٦٧ : ٦٦٨ : ٦٦٩ : ٦٧٠ : ٦٧١ : ٦٧٢ : ٦٧٣ : ٦٧٤ : ٦٧٥ : ٦٧٦ : ٦٧٧ : ٦٧٨ : ٦٧٩ : ٦٨٠ : ٦٨١ : ٦٨٢ : ٦٨٣ : ٦٨٤ : ٦٨٥ : ٦٨٦ : ٦٨٧ : ٦٨٨ : ٦٨٩ : ٦٩٠ : ٦٩١ : ٦٩٢ : ٦٩٣ : ٦٩٤ : ٦٩٥ : ٦٩٦ : ٦٩٧ : ٦٩٨ : ٦٩٩ : ٧٠٠ : ٧٠١ : ٧٠٢ : ٧٠٣ : ٧٠٤ : ٧٠٥ : ٧٠٦ : ٧٠٧ : ٧٠٨ : ٧٠٩ : ٧١٠ : ٧١١ : ٧١٢ : ٧١٣ : ٧١٤ : ٧١٥ : ٧١٦ : ٧١٧ : ٧١٨ : ٧١٩ : ٧٢٠ : ٧٢١ : ٧٢٢ : ٧٢٣ : ٧٢٤ : ٧٢٥ : ٧٢٦ : ٧٢٧ : ٧٢٨ : ٧٢٩ : ٧٣٠ : ٧٣١ : ٧٣٢ : ٧٣٣ : ٧٣٤ : ٧٣٥ : ٧٣٦ : ٧٣٧ : ٧٣٨ : ٧٣٩ : ٧٤٠ : ٧٤١ : ٧٤٢ : ٧٤٣ : ٧٤٤ : ٧٤٥ : ٧٤٦ : ٧٤٧ : ٧٤٨ : ٧٤٩ : ٧٥٠ : ٧٥١ : ٧٥٢ : ٧٥٣ : ٧٥٤ : ٧٥٥ : ٧٥٦ : ٧٥٧ : ٧٥٨ : ٧٥٩ : ٧٦٠ : ٧٦١ : ٧٦٢ : ٧٦٣ : ٧٦٤ : ٧٦٥ : ٧٦٦ : ٧٦٧ : ٧٦٨ : ٧٦٩ : ٧٧٠ : ٧٧١ : ٧٧٢ : ٧٧٣ : ٧٧٤ : ٧٧٥ : ٧٧٦ : ٧٧٧ : ٧٧٨ : ٧٧٩ : ٧٨٠ : ٧٨١ : ٧٨٢ : ٧٨٣ : ٧٨٤ : ٧٨٥ : ٧٨٦ : ٧٨٧ : ٧٨٨ : ٧٨٩ : ٧٩٠ : ٧٩١ : ٧٩٢ : ٧٩٣ : ٧٩٤ : ٧٩٥ : ٧٩٦ : ٧٩٧ : ٧٩٨ : ٧٩٩ : ٨٠٠ : ٨٠١ : ٨٠٢ : ٨٠٣ : ٨٠٤ : ٨٠٥ : ٨٠٦ : ٨٠٧ : ٨٠٨ : ٨٠٩ : ٨١٠ : ٨١١ : ٨١٢ : ٨١٣ : ٨١٤ : ٨١٥ : ٨١٦ : ٨١٧ : ٨١٨ : ٨١٩ : ٨٢٠ : ٨٢١ : ٨٢٢ : ٨٢٣ : ٨٢٤ : ٨٢٥ : ٨٢٦ : ٨٢٧ : ٨٢٨ : ٨٢٩ : ٨٣٠ : ٨٣١ : ٨٣٢ : ٨٣٣ : ٨٣٤ : ٨٣٥ : ٨٣٦ : ٨٣٧ : ٨٣٨ : ٨٣٩ : ٨٤٠ : ٨٤١ : ٨٤٢ : ٨٤٣ : ٨٤٤ : ٨٤٥ : ٨٤٦ : ٨٤٧ : ٨٤٨ : ٨٤٩ : ٨٥٠ : ٨٥١ : ٨٥٢ : ٨٥٣ : ٨٥٤ : ٨٥٥ : ٨٥٦ : ٨٥٧ : ٨٥٨ : ٨٥٩ : ٨٦٠ : ٨٦١ : ٨٦٢ : ٨٦٣ : ٨٦٤ : ٨٦٥ : ٨٦٦ : ٨٦٧ : ٨٦٨ : ٨٦٩ : ٨٧٠ : ٨٧١ : ٨٧٢ : ٨٧٣ : ٨٧٤ : ٨٧٥ : ٨٧٦ : ٨٧٧ : ٨٧٨ : ٨٧٩ : ٨٨٠ : ٨٨١ : ٨٨٢ : ٨٨٣ : ٨٨٤ : ٨٨٥ : ٨٨٦ : ٨٨٧ : ٨٨٨ : ٨٨٩ : ٨٩٠ : ٨٩١ : ٨٩٢ : ٨٩٣ : ٨٩٤ : ٨٩٥ : ٨٩٦ : ٨٩٧ : ٨٩٨ : ٨٩٩ : ٩٠٠ : ٩٠١ : ٩٠٢ : ٩٠٣ : ٩٠٤ : ٩٠٥ : ٩٠٦ : ٩٠٧ : ٩٠٨ : ٩٠٩ : ٩١٠ : ٩١١ : ٩١٢ : ٩١٣ : ٩١٤ : ٩١٥ : ٩١٦ : ٩١٧ : ٩١٨ : ٩١٩ : ٩٢٠ : ٩٢١ : ٩٢٢ : ٩٢٣ : ٩٢٤ : ٩٢٥ : ٩٢٦ : ٩٢٧ : ٩٢٨ : ٩٢٩ : ٩٣٠ : ٩٣١ : ٩٣٢ : ٩٣٣ : ٩٣٤ : ٩٣٥ : ٩٣٦ : ٩٣٧ : ٩٣٨ : ٩٣٩ : ٩٤٠ : ٩٤١ : ٩٤٢ : ٩٤٣ : ٩٤٤ : ٩٤٥ : ٩٤٦ : ٩٤٧ : ٩٤٨ : ٩٤٩ : ٩٥٠ : ٩٥١ : ٩٥٢ : ٩٥٣ : ٩٥٤ : ٩٥٥ : ٩٥٦ : ٩٥٧ : ٩٥٨ : ٩٥٩ : ٩٦٠ : ٩٦١ : ٩٦٢ : ٩٦٣ : ٩٦٤ : ٩٦٥ : ٩٦٦ : ٩٦٧ : ٩٦٨ : ٩٦٩ : ٩٧٠ : ٩٧١ : ٩٧٢ : ٩٧٣ : ٩٧٤ : ٩٧٥ : ٩٧٦ : ٩٧٧ : ٩٧٨ : ٩٧٩ : ٩٨٠ : ٩٨١ : ٩٨٢ : ٩٨٣ : ٩٨٤ : ٩٨٥ : ٩٨٦ : ٩٨٧ : ٩٨٨ : ٩٨٩ : ٩٩٠ : ٩٩١ : ٩٩٢ : ٩٩٣ : ٩٩٤ : ٩٩٥ : ٩٩٦ : ٩٩٧ : ٩٩٨ : ٩٩٩ : ١٠٠٠ : ١٠٠١ : ١٠٠٢ : ١٠٠٣ : ١٠٠٤ : ١٠٠٥ : ١٠٠٦ : ١٠٠٧ : ١٠٠٨ : ١٠٠٩ : ١٠١٠ : ١٠١١ : ١٠١٢ : ١٠١٣ : ١٠١٤ : ١٠١٥ : ١٠١٦ : ١٠١٧ : ١٠١٨ : ١٠١٩ : ١٠٢٠ : ١٠٢١ : ١٠٢٢ : ١٠٢٣ : ١٠٢٤ : ١٠٢٥ : ١٠٢٦ : ١٠٢٧ : ١٠٢٨ : ١٠٢٩ : ١٠٣٠ : ١٠٣١ : ١٠٣٢ : ١٠٣٣ : ١٠٣٤ : ١٠٣٥ : ١٠٣٦ : ١٠٣٧ : ١٠٣٨ : ١٠٣٩ : ١٠٤٠ : ١٠٤١ : ١٠٤٢ : ١٠٤٣ : ١٠٤٤ : ١٠٤٥ : ١٠٤٦ : ١٠٤٧ : ١٠٤٨ : ١٠٤٩ : ١٠٥٠ : ١٠٥١ : ١٠٥٢ : ١٠٥٣ : ١٠٥٤ : ١٠٥٥ : ١٠٥٦ : ١٠٥٧ : ١٠٥٨ : ١٠٥٩ : ١٠٦٠ : ١٠٦١ : ١٠٦٢ : ١٠٦٣ : ١٠٦٤ : ١٠٦٥ : ١٠٦٦ : ١٠٦٧ : ١٠٦٨ : ١٠٦٩ : ١٠٧٠ : ١٠٧١ : ١٠٧٢ : ١٠٧٣ : ١٠٧٤ : ١٠٧٥ : ١٠٧٦ : ١٠٧٧ : ١٠٧٨ : ١٠٧٩ : ١٠٨٠ : ١٠٨١ : ١٠٨٢ : ١٠٨٣ : ١٠٨٤ : ١٠٨٥ : ١٠٨٦ : ١٠٨٧ : ١٠٨٨ : ١٠٨٩ : ١٠٩٠ : ١٠٩١ : ١٠٩٢ : ١٠٩٣ : ١٠٩٤ : ١٠٩٥ : ١٠٩٦ : ١٠٩٧ : ١٠٩٨ : ١٠٩٩ : ١١٠٠ : ١١٠١ : ١١٠٢ : ١١٠٣ : ١١٠٤ : ١١٠٥ : ١١٠٦ : ١١٠٧ : ١١٠٨ : ١١٠٩ : ١١١٠ : ١١١١ : ١١١٢ : ١١١٣ : ١١١٤ : ١١١٥ : ١١١٦ : ١١١٧ : ١١١٨ : ١١١٩ : ١١٢٠ : ١١٢١ : ١١٢٢ : ١١٢٣ : ١١٢٤ : ١١٢٥ : ١١٢٦ : ١١٢٧ : ١١٢٨ : ١١٢٩ : ١١٣٠ : ١١٣١ : ١١٣٢ : ١١٣٣ : ١١٣٤ : ١١٣٥ : ١١٣٦ : ١١٣٧ : ١١٣٨ : ١١٣٩ : ١١٤٠ : ١١٤١ : ١١٤٢ : ١١٤٣ : ١١٤٤ : ١١٤٥ : ١١٤٦ : ١١٤٧ : ١١٤٨ : ١١٤٩ : ١١٥٠ : ١١٥١ : ١١٥٢ : ١١٥٣ : ١١٥٤ : ١١٥٥ : ١١٥٦ : ١١٥٧ : ١١٥٨ : ١١٥٩ : ١١٦٠ : ١١٦١ : ١١٦٢ : ١١٦٣ : ١١٦٤ : ١١٦٥ : ١١٦٦ : ١١٦٧ : ١١٦٨ : ١١٦٩ : ١١٧٠ : ١١٧١ : ١١٧٢ : ١١٧٣ : ١١٧٤ : ١١٧٥ : ١١٧٦ : ١١٧٧ : ١١٧٨ : ١١٧٩ : ١١٨٠ : ١١٨١ : ١١٨٢ : ١١٨٣ : ١١٨٤ : ١١٨٥ : ١١٨٦ : ١١٨٧ : ١١٨٨ : ١١٨٩ : ١١٩٠ : ١١٩١ : ١١٩٢ : ١١٩٣ : ١١٩٤ : ١١٩٥ : ١١٩٦ : ١١٩٧ : ١١٩٨ : ١١٩٩ : ١٢٠٠ : ١٢٠١ : ١٢٠٢ : ١٢٠٣ : ١٢٠٤ : ١٢٠٥ : ١٢٠٦ : ١٢٠٧ : ١٢٠٨ : ١٢٠٩ : ١٢١٠ : ١٢١١ : ١٢١٢ : ١٢١٣ : ١٢١٤ : ١٢١٥ : ١٢١٦ : ١٢١٧ : ١٢١٨ : ١٢١٩ : ١٢٢٠ : ١٢٢١ : ١٢٢٢ : ١٢٢٣ : ١٢٢٤ : ١٢٢٥ : ١٢٢٦ : ١٢٢٧ : ١٢٢٨ : ١٢٢٩ : ١٢٣٠ : ١٢٣١ : ١٢٣٢ : ١٢٣٣ : ١٢٣٤ : ١٢٣٥ : ١٢٣٦ : ١٢٣٧ : ١٢٣٨ : ١٢٣٩ : ١٢٤٠ : ١٢٤١ : ١٢٤٢ : ١٢٤٣ : ١٢٤٤ : ١٢٤٥ : ١٢٤٦ : ١٢٤٧ : ١٢٤٨ : ١٢٤٩ : ١٢٥٠ : ١٢٥١ : ١٢٥٢ : ١٢٥٣ : ١٢٥٤ : ١٢٥٥ : ١٢٥٦ : ١٢٥٧ : ١٢٥٨ : ١٢٥٩ : ١٢٦٠ : ١٢٦١ : ١٢٦٢ : ١٢٦٣ : ١٢٦٤ : ١٢٦٥ : ١٢٦٦ : ١٢٦٧ : ١٢٦٨ : ١٢٦٩ : ١٢٧٠ : ١٢٧١ : ١٢٧٢ : ١٢٧٣ : ١٢٧٤ : ١٢٧٥ : ١٢٧٦ : ١٢٧٧ : ١٢٧٨ : ١٢٧٩ : ١٢٨٠ : ١٢٨١ : ١٢٨٢ : ١٢٨٣ : ١٢٨٤ : ١٢٨٥ : ١٢٨٦ : ١٢٨٧ : ١٢٨٨ : ١٢٨٩ : ١٢٩٠ : ١٢٩١ : ١٢٩٢ : ١٢٩٣ : ١٢٩٤ : ١٢٩٥ : ١٢٩٦ : ١٢٩٧ : ١٢٩٨ : ١٢٩٩ : ١٣٠٠ : ١٣٠١ : ١٣٠٢ : ١٣٠٣ : ١٣٠٤ : ١٣٠٥ : ١٣٠٦ : ١٣٠٧ : ١٣٠٨ : ١٣٠٩ : ١٣١٠ : ١٣١١ : ١٣١٢ : ١٣١٣ : ١٣١٤ : ١٣١٥ : ١٣١٦ : ١٣١٧ : ١٣١٨ : ١٣١٩ : ١٣٢٠ : ١٣٢١ : ١٣٢٢ : ١٣٢٣ : ١٣٢٤ : ١٣٢٥ : ١٣٢٦ : ١٣٢٧ : ١٣٢٨ : ١٣٢٩ : ١٣٣٠ : ١٣٣١ : ١٣٣٢ : ١٣٣٣ : ١٣٣٤ : ١٣٣٥ : ١٣٣٦ : ١٣٣٧ : ١٣٣٨ : ١٣٣٩ : ١٣٤٠ : ١٣٤١ : ١٣٤٢ : ١٣٤٣ : ١٣٤٤ : ١٣٤٥ : ١٣٤٦ : ١٣٤٧ : ١٣٤٨ : ١٣٤٩ : ١٣٥٠ : ١٣٥١ : ١٣٥٢ : ١٣٥٣ : ١٣٥٤ : ١٣٥٥ : ١٣٥٦ : ١٣٥٧ : ١٣٥٨ : ١٣٥٩ : ١٣٦٠ : ١٣٦١ : ١٣٦٢ : ١٣٦٣ : ١٣٦٤ : ١٣٦٥ : ١٣٦٦ : ١٣٦٧ : ١٣٦٨ : ١٣٦٩ : ١٣٧٠ : ١٣٧١ : ١٣٧٢ : ١٣٧٣ : ١٣٧٤ : ١٣٧٥ : ١٣٧٦ : ١٣٧٧ : ١٣٧٨ : ١٣٧٩ : ١٣٨٠ : ١٣٨١ : ١٣٨٢ : ١٣٨٣ : ١٣٨٤ : ١٣٨٥ : ١٣٨٦ : ١٣٨٧ : ١٣٨٨ : ١٣٨٩ : ١٣٩٠ : ١٣٩١ : ١٣٩٢ : ١٣٩٣ : ١٣٩٤ : ١٣٩٥ : ١٣٩٦ : ١٣٩٧ : ١٣٩٨ : ١٣٩٩ : ١٤٠٠ : ١٤٠١ : ١٤٠٢ : ١٤٠٣ : ١٤٠٤ : ١٤٠٥ : ١٤٠٦ : ١٤٠٧ : ١٤٠٨ : ١٤٠٩ : ١٤١٠ : ١٤١١ : ١٤١٢ : ١٤١٣ : ١٤١٤ : ١٤١٥ : ١٤١٦ : ١٤١٧ : ١٤١٨ : ١٤١٩ : ١٤٢٠ : ١٤٢١ : ١٤٢٢ : ١٤٢٣ : ١٤٢٤ : ١٤٢٥ : ١٤٢٦ : ١٤٢٧ : ١٤٢٨ : ١٤٢٩ : ١٤٣٠ : ١٤٣١ : ١٤٣٢ : ١٤٣٣ : ١٤٣٤ : ١٤٣٥ : ١٤٣٦ : ١٤٣٧ : ١٤٣٨ : ١٤٣٩ : ١٤٤٠ : ١٤٤١ : ١٤٤٢ : ١٤٤٣ : ١٤٤٤ : ١٤٤٥ : ١٤٤٦ : ١٤٤٧ : ١٤٤٨ : ١٤٤٩ : ١٤٥٠ : ١٤٥١ : ١٤٥٢ : ١٤٥٣ : ١٤٥٤ : ١٤٥٥ : ١٤٥٦ : ١٤٥٧ : ١٤٥٨ : ١٤٥٩ : ١٤٦٠ : ١٤٦١ : ١٤٦٢ : ١٤٦٣ : ١٤٦٤ : ١٤٦٥ : ١٤٦٦ : ١٤٦٧ : ١٤٦٨ : ١٤٦٩ : ١٤٧٠ : ١٤٧١ : ١٤٧٢ : ١٤٧٣ : ١٤٧٤ : ١٤٧٥ : ١٤٧٦ : ١٤٧٧ : ١٤٧٨ : ١٤٧٩ : ١٤٨٠ : ١٤٨١ : ١٤٨٢ : ١٤٨٣ : ١٤٨٤ : ١٤٨٥ : ١٤٨٦ : ١٤٨٧ : ١٤٨٨ : ١٤٨٩ : ١٤٩٠ : ١٤٩١ : ١٤٩٢ : ١٤٩٣ : ١٤٩٤ : ١٤٩٥ : ١٤٩٦ : ١٤٩٧ : ١٤٩٨ : ١٤٩٩ : ١٥٠٠ : ١٥٠١ : ١٥٠٢ : ١٥٠٣ : ١٥٠٤ : ١٥٠٥ : ١٥٠٦ : ١٥٠٧ : ١٥٠٨ : ١٥٠٩ : ١٥١٠ : ١٥١١ : ١٥١٢ : ١٥١٣ : ١٥١٤ : ١٥١٥ : ١٥١٦ : ١٥١٧ : ١٥١٨ : ١٥١٩ : ١٥٢٠ : ١٥٢١ : ١٥٢٢ : ١٥٢٣ : ١٥٢٤ : ١٥٢٥ : ١٥٢٦ : ١٥٢٧ : ١٥٢٨ : ١٥٢٩ : ١٥٣٠ : ١٥٣١ : ١٥٣٢ : ١٥٣٣ : ١٥٣٤ : ١٥٣٥ : ١٥٣٦ : ١٥٣٧ : ١٥٣٨ : ١٥٣٩ : ١٥٤٠ : ١٥٤١ : ١٥٤٢ : ١٥٤٣ : ١٥٤٤ : ١٥٤٥ : ١٥٤٦ : ١٥٤٧ : ١٥٤٨ : ١٥٤٩ : ١٥٥٠ : ١٥٥١ : ١٥٥٢ : ١٥٥٣ : ١٥٥٤ : ١٥٥٥ : ١٥٥٦ : ١٥٥٧ : ١٥٥٨ : ١٥٥٩ : ١٥٦٠ : ١٥٦١ : ١

ميورقة Majorque ١٨ - ٢١٩ - ٢٢٢  
 ٢٥٦ - ٢٦٩ - ٢٩٣  
 ناجرة Najera ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٣٠  
 ٣٣٥  
 الناعورة بقرطبة ٧٨  
 نبرة Navarre ٣٢٥ - ٣٢٧ - ٣٢٨  
 ٣٣٠ - ٣٣٥ - ٣٣٧  
 النهر الاعظم = الوادي الكبير  
 وادي آتش Guadix ٢٦٤ - ٢٨٠ - ٢٨٧  
 ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٣٠٩  
 ٣١١  
 وادي آنة Guadiana ٦٠  
 وادي الحجاورة Guadalajara ٣٤ - ٨٠ - ٨٠  
 ١٧٨ - ٢٠٩  
 الوادي الكبير Guadalquivir ٣٧ - ٨  
 ٧٦ - ٨٠ - ١٠٣  
 وادي يارو Guadiaro ١١٥ - ١٢١  
 ويرة Overa ٢٩٣ - ٢٩٧ - ٢٣٥  
 وشقة Huesca ١٧١ - ١٧٢ - ١٨٩  
 ٣٣٧  
 ولة Huelva ١٤٢ - ٢١٠  
 وليد Valladolid ٣٢٩  
 يبرة Evora ٢٥٠ - ٢٩٣  
 اليندون ٢٦٢  
 يومين ١٥٢

قليرة بومدين ٢٧٣  
 قورش Comares ٢٨٨ - ٢٩٠  
 قنبيل Cambil ٢٩٤  
 قنريق ( كورة بالاندلس ) ٢٣٠  
 قنطرة قرطبة ١٢ - ١١١ - ١٥٩  
 قوت راشه ( ريش ) بقرطبة ١٠٣  
 قونكة Cuencos ١٨٠  
 القبروات Kairouan ٣٧ - ٣٣٥  
 الكلبانية la Campina ٢٥  
 الكرس Alcaraz ٢٩٣  
 لارفة Lenda ١٧٠ - ١٧١ - ٢٠٩  
 ليلة Niebla ١٥٥ - ٢١٠ - ٢٤٨ - ٢٤٩  
 ٢٩٣ - ٢٩٥  
 لفت Alicante ٢٥٦  
 لورقة Lorca ٢٥٧ - ٢٩٣  
 لوشة Loja ١٥ - ٢٨٨  
 اللؤلؤة ( فبة بقصر المنصور بالزاهرة ) ٧٦  
 ليون Leon ٧٤ - ٢٤١ - ٣٢٢ - ٣٢٥  
 ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٦  
 لبيط Aledo ٢٤٧  
 ماردة Mérida ١١ - ٢١ - ٢٨٠ - ٢٩٣  
 ماسة ٢٥١  
 مالقة Malaga ٣٤ - ٧٨ - ١١٧ - ١١٧  
 ١٢١ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٣٦ - ١٤٠  
 ١٤٣ - ٢٣٠ - ٢٣٤ - ٢٣٦ - ٢٥٤  
 ٢٥٥ - ٢٦١ - ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨٠  
 ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١  
 ٢٩٣ - ٢٩٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣٣٤  
 المدائن ( جزائر اشبيلية ) ١٠٠  
 المدور Almodovar del Rio ٣٣٧  
 ٢٣٨  
 المدينة Médina ٥٢  
 المدينة بقرطبة ١٠٣  
 المدينة البيضاء ( أي سرقطة ) ١٧١

٢٣٥ ، ٢٢٠ ، ٢١٦ ، ٢١١ - ٢٠٩ ، ٢٣٢ ، ٢٢٩ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٤٧ ، ٢٣٦ - ٢٣٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٨٧ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٦١ ، ٣٣٣ ، ٣١٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٨٧ ، ٦٧ Galice غلبية ٣٢٩ ، ٣٢٧ فاس Fez ٦٦ الفج ٢١٦ فحس البلوط Las Pedroches ١٨١ فروقنة ( وادي ) Guadalhortuna ٢٩٤ فرون برّيل ( ريش ) بقربطة ١٠٣ فرنجلوش Hornachuelos ٢٥٤ الفت Alfuentes ٢١٧ فنادس Cadiz ٢٤٨ ، ٢٠ فاقارة ٣١ فاقاطيرة Cantabric ٣٢٣ ، ٣٢٢ الفيداق Alcandete ٣٣٤ قبرة Cabra ٢٣ ، ٢٢٩ القطة ( حصن ) ٤٢ قراغش ٢٠٩ قرنبيرة Carbonera ٢٧٢ قرطاجنة Carthage ٣٨ قرطبة Cordoue ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٦ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٨ - ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ - ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،

٢٧ Jodav شوذر  
 ٢٠٩ الشوط ( حصن )  
 ٢٤٥، ٢٤٣ الصحراء  
 صخرة ابن الشرق ٢٠٩ ( ولعله حصن بن  
 الشرق المذكور ص ١٣٩ )  
 صخرة جباد ٣٣٣  
 الصخرة والصخيرة والصخور والصخورات  
 ( حصون من ظاهر مرسية ) ٢٦٠ ،  
 ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٦٢  
 الصرح المرد ( بالزهراء ) ٣٨  
 صقلية Sicile ٢٧٧  
 طبرية Tavira ٢٩٣ ، ٢٥٥  
 طرش Torrox ٣٣  
 طرطوش Tortosa ١٧١ ، ٢٢٦  
 طرفية Tarifa ٢٩١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،  
 ٣٣٧  
 طلياطة Tejada ٣٠٩  
 طليطة Talavera ١٧٨ ، ٢٤٧  
 طليطلة Tolède ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ،  
 ٢٤ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ،  
 ١٥٨ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ٣٠٢ ،  
 ٢١٦ ، ٢٤٣ ، ٢٩٣ ، ٣٣٦  
 طنجة Tanger ٤ ، ١٩ ، ٣٨  
 العدو ( اي عدوة المغرب ) ١١ ، ٢٩ ،  
 ٣٧ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٨٧ ، ٩٣ ،  
 ١٩٩ ، ١٢٨ ، ٢٢٠  
 العراق ٤٤ ، ٨٧  
 الغابا Tolosa ٢٧٠ ،  
 ٣٣١  
 غرب الاندلس Algarve ١٥٦ ، ١٨٣ ،  
 ٢٠٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ - ٢٥٠ ، ٢٧٥ ،  
 ٢٧٩  
 غرناطة ٨ ، ٢٧ ، ٧٨ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ،  
 ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦٣ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ،  
 ٢٢٢ ، ٢٤٨ ، ١٨٦ ، ١٨٣ Santarem  
 شنتري ٢٩٣ ، ٢٩٩  
 شنت بطر ٢٦٢

## الفهرس الثالث

### في أسماء القبائل والعشائر والاجناس

الاباضية ٢٣٧	الجلالة ٦٩
الادارسة ٣، ٣٧، ٤٢، ١٢٨	جبور ( بنو ) ١٤٥، النح
ارنيان ( بنو ) ٢٣٨، ٢٤٠	حجاج ( بنو ) ٣٢، ٣٤، ٣٥
ازداجة ٦٦، ١١٩، ٢٤٣	حفصون ( بنو ) ٣٢ - ٣٤
اشقيلولة ( بنو ) ٢٨٧ - ٢٩١	الحكيم ( بنو ) ٣٤، ٢٩٢
الاغليطرة ٣٣٥	حمود ( بنو ) ٣، ١٢٨، النح، ١٤٠، النح، ٢٩٠
الافرنجة ١٢، ٢٣، ١٩٦	خلدون ( بنو ) ٣٤
الافطس ( بنو ) ١٨٢	دمر ( بنو ) ٧٠، ١١٩، ٢٣٨
الالانيون ٢١٩	دنون ( بنو ) ١٧٦، ٢٠٩
الانقليش ٢٠	الدلم ٦٩
الانكثير ٢٠	ذي النون ( بنو ) = دنون ( بنو )
البربر والبرابرة ٧، ٣٦، ٦٣، ٧٠	رزين ( بنو ) ٢٠٦
٨٧، ٩٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٦	الروم ١١، ١٢، ٤٢، ٥٨، ٨٧
١١٢ - ١٢٠، ١٢٧ - ١٣٥، ١٣٧	١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥ - ١٧٦
١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٣	زناة ٣٧، ٦٦، ٨٦، ٩٧، ٢٢٨
١٥٥، ١٥٦، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٥	٢٣٠، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٣٣
٢١١، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٦	زيري ( بنو ) ١١٩، ٢٢٧
٢٣٨	السقة ( بنو ) ٢٥٠
برزال ( بنو ) ١١٩، ١٣٧، ٢٣٦	الشاذلية ٣٠٠
٢٣٧	الشعبة ٣٢
برغواطة ١٤١، ٢٤٣	الصقالية ١٢، ٤٠، ٥٩، ٦٠، ٧٧
البشكنش والشكيش ١٢، ٦٣	١٠٢
نجيب ١٨٢، ١٨٩	صادح ( بنو ) ١٨٩
الترك ٣٠، ٣٦	صناهجة ٦٦، ١١٩، ١٤٠، ١٩٠
الجزيريون ٢٤٣	

٢١٢، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠	مردنيش ( بنو ) ٢٥٩ - ٢٧٤
طاهر ( بنو ) ٢٠١	مروان ( بنو ) ٧، ٩٠، ٩٣، ٩٥
المامريون ٤٣، ٤٧	٩٦، ١٠٩
عبداد ( بنو ) ٣٤، ١٥٢، ٢٠٩	المريديون ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠
العباسيون ٧، ٢٧٢، ٢٧٩	مريث ( بنو ) ٦٨
عبد الحق ( بنو ) ٣	مسلمة ( بنو ) ١٨٢ - ١٨٣
غومس ( بنو ) ٧٠	المهايدون ١٥، ١٨، ٣٣
الفرس ٣٦	مفراوة ٦٦، ١١٩
الفرنجة ٢٠، ٧٤، ١١٤، ١١٥، ٢٢٠	مكناسة ١٨٢
قاسم ( بنو ) ٢٠٨	الموحدون ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥
قحطان ٩٢، ١٨٢	٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥ -
قريش ٩، ٩١، ٩٣، ١١١	٢٧٧
لحم ١٥٢	هابيل ( بنو ) ٢٧
لثونة ١٥٥، ١٧٣، ٢٩٣، ٢٩٥	هاتم ( بنو ) ١٢٨
المجوس ٢٠، ٤١	هود ( بنو ) ١٧٠، النح
المدراريون ٢٤٣	يحيى ( بنو ) ٢١٠
المرايطون ١٦٣، ١٦٦، ١٨٤، ١٨٥	يفرن ( بنو ) ١١٩، ٢٣٨
١٩٢، ٢٠٣، ٢٤١ - ٢٦٤، ٢٦٥	اليوثان ٣٦

## الفهرس الرابع

في أسماء الكتب الواقعة في هذا الجزء

الحطّيب ٣٦	« الإحاطة » لابن الحطّيب ٣١٠ . ٣٠٦
« رسائل أخوان الصفا » ٢٤٩	« أخبار الدولة المأمورية » لابن حيّان ٩٨
« ربحانة الكتاب » لابن الحطّيب ٣٠٦	« الإنشاف » لابن المنذر ٥١
« طبقات القضاة » للخشي ٣٨	« البصيرة الكبرى » لابن حيّان ١٥١
« فرائد العقيان » لفتح ١٨٥٠ . ١٦٠	« تاريخ » ابن خنيس ٢٥٤
٢٠٦ . ٢٠١	« تاريخ الميزاني » ١٠٤
« اللمعة البدرية » لابن الحطّيب ٣٠٦	« التمهيد والاستنكار » لابي الوليد الباجي ٥٧
« المآخر الطيبة ، في المآخر الحطّيبية » لابن الحطّيب ٣١٠	« توجيه حديث الموطأ » ( كتاب في ) ٥٢
« المتن » لابن حيّان ١٢٧٠ . ٨٤	« خلع الرسن » في التعريف بأحوال أبي الحسن
« المدارك » لابي الفضل عياض ٥٧	« الحسن » لابن الحطّيب ٨٠
« المدونة » ٥٠	« خلع التملّين » لأبي القاسم بن قسي ٢٤٩
« المطمح » لفتح ٢٠٢	« الدلائل » ( مختصر ) لابن عبد ربه ٥٤
« المظفر » للمظفر ابن الأقطس ١٨٣	« الذخيرة » لابن بسام ٥٩
« المغرب » ١٨٩	« ذكريات » عبد الله بن بلقّين بن زيري ١٩٨
« المغرب » ٢٠٠	« رسالة الفلك ، في سياسة الملك » لابن
« الموطأ » ( شرح على ) لابن الحنّاء ٥٥	

## NOTE BIBLIOGRAPHIQUE

I. — Le *Kitâb A'mâl al-a'lâm* fait l'objet d'une mention des auteurs maggribins suivants :

- al-Makkari, *Nafh at-tîb*, éd. du Caire, 1302-04 H., IV, p. 244 ;
- al-Makkari, *Azhâr ar-riyâd*, éd. de Tunis, 1322 H., I, p. 177 ;
- al-Ifrânî, *Nuzhat al-hâdi*, éd. Houdas, Paris 1888, p. 259 ;
- al-Kattânî, *Salwat al-anfâs*, éd. de Fès, 1310 H., III, p. 189 ;
- an-Nâsirî, *Kitâb al-Istiksâ'*, éd. du Caire, 1312 H., II, p. 133 .

II. — Description des manuscrits :

Sur le ms. de la Bibliothèque de la grande-mosquée d'al-Karawiyn, cf. A. Bel et 'Abd al-Hayy al-Kattânî, *Catalogue des livres arabes de la bibliothèque de la mosquée d'El-Qarouiïne à Fès*, Fès, 1918, p. 101 (no 1286).

Sur le ms. de la Bibliothèque Nationale d'Alger (no 1617) et la copie faite pour Codera, cf. F. Codera, *Mision historica en Argelia y Tunez*, Madrid, 1892, p. 155 sqq., 177-178; E. Fagnan, dans la *Revue Africaine*, 1890, XXXIV, p. 259-292 ; le même, *Catalogue des manuscrits arabes de la Bibliothèque-Musée d'Alger*, Paris, 1893, p. 449.

Sur le ms. de la Bibliothèque de l'Académie d'Histoire de Madrid, cf. F. Codera, op. cit.

Sur les mss. de la Bibliothèque de la grande-mosquée az-Zaitûna à Tunis, cf. M. Roy, *Extrait du catalogue des manuscrits... de la Grande Mosquée* de Tunis, vol. I, Tunis, 1900, no 4936 et no 4937.

III. — Editions et traductions partielles :

1o Chapitres sur Mujâhid de Dénia et son fils Ikbâl ad-dawla (présente édition, pp. 217-222), dans F. Codera, *Mochéhid, conquistador de Cerdena* (Centenario Nichele Amari, Palerme, 1910, vol. II, pp. 130-133).

2o Liste des chapitres ; chapitres sur les 'Ubaidides et les Zirides d'Ifrikiya ; chapitres sur l'histoire de la Sicile, dans H. H. Abdul-

Wahab, *Contribution à l'histoire de l'Afrique du Nord et de la Sicile* (ibid., vol. II, pp. 427-482).

3o Chapitres sur les révoltés de l'Algarve à la fin de la dynastie almoravide (présente édition, pp. 248-252), dans David Lopes, *Os Arabes nas obras de Alexandre Herculano*, Lisbonne, 1911, pp. 130-137.

4o Chapitre sur les rois chrétiens d'Espagne (présente édition, pp. 322-338), dans M. M. Antuna, *Una version arabe compendiada de la « Estoria de Espana » de Alfonso el Sabio (Al-Andalus, vol. I, 1933, Madrid-Grenade, pp. 105-154) : cf. mon compte-rendu dans Hespéris, tome XVIII, 1934, p. 102.*

IV. — Cf. aussi Brockelmann, G.A.L., II, p. 262 (4) ; A. Prieto Vives, *Los Reyes de taifas*, Madrid, 1926.

Le *Kitâb A'mâl al-a'lâm* n'est pas cité dans l'article consacré à Ibn al-Khatib par C. F. Seybold, dans l'*Encyclopédie de l'Islam*, vol. II, p. 421.

de composition du *Kitāb A'māl al-a'lām*, dont le titre lui-même explique le but que se proposait Ibn al-Khatīb en l'écrivant : pour le dédier à ses protecteurs, le sultan et son vizir régent, il désirait consacrer un ouvrage à la relation des règnes de tous les princes musulmans qui avaient reçu l'investiture avant d'avoir atteint l'âge de puberté. Ce n'était évidemment là qu'un artifice et un prétexte. Ce cadre historique étroit fut tout de suite rompu par Ibn al-Khatīb, qui se mit à l'œuvre pour grouper les éléments d'une grande histoire musulmane universelle, peut-être une sorte de pendant de celle de son contemporain Ibn Khaldūn, et dans laquelle le Maghrib et l'Espagne devaient certainement tenir la place la plus considérable.

\*  
\* \*

On pourra trouver dans la contribution de M. H. H. Abdul-Wahhab au Centenario de Michele Amari le détail des titres de chapitres de la première partie du *Kitāb A'māl al-a'lām*, consacrée à l'Orient, et de la troisième, consacrée à l'Afrique du Nord et à la Sicile. Cette dernière partie semble bien être demeurée inachevée : la dynastie almohade est loin d'y occuper la place qu'elle mérite, et l'histoire des Mérinides, des 'Abd alwādides et des Hafsides n'y est même pas abordée. Tout y décèle, comme l'a très bien fait remarquer M. H. H. Abdul-Wahhab, la hâte de l'auteur, qui aurait rédigé l'une des parties de son livre, sinon l'ensemble, dans l'espace de quarante jours à peine, si l'on en croit du moins une indication portée sur un manuscrit.

Il n'en est pas de même de la seconde partie, qui traite de l'histoire de l'Espagne musulmane et forme l'essentiel de tout l'ouvrage. On s'en aperçoit au premier examen du contenu. Si Ibn al-Khatīb passe assez rapidement, en suivant d'ailleurs d'assez près le *Kitāb al-Bayān al-mughrib* d'Ibn 'Idārī al-Marrākuchī, sur les événements d'Espagne antérieurs au X<sup>e</sup> siècle de J.-C., l'histoire postérieure est au contraire le plus souvent traitée avec une abondance et une précision auxquelles les chroniques publiées jusqu'ici ne nous avaient pas encore habitués.

Il y a d'ailleurs longtemps que l'importance de la partie espagnole du *Kitāb A'māl al-a'lām* avait été soulignée. Dès 1892, l'orientaliste F. Codera la signala au monde savant et forma le souhait qu'une édition en fût publiée. C'est ce vœu que nous

nous sommes attaché à réaliser, le jour où il nous a été possible d'utiliser le manuscrit qui se trouve à la bibliothèque de la grande-mosquée d'al-Karawiyūn à Fès, et qui est sans conteste le meilleur de ceux dont on dispose actuellement. Il nous a été en effet facile de nous rendre compte que tous les manuscrits connus de l'histoire d'Ibn al-Khatīb (mss. d'al-Karawiyūn, d'Alger, de Tunis et de Madrid) appartiennent à la même famille et qu'ils présentent les mêmes lacunes, y compris l'arrêt brusque du récit marqué dans la présente édition à la page 286. L'abondance relative des copies n'a dans ces conditions pas rendu très aisé l'établissement d'un texte, qui, trop souvent, est d'une extrême concision et est rédigé dans une langue très littéraire, qui n'est point celle de la plupart des chroniqueurs occidentaux.

\*  
\* \*

Nous nous félicitons de l'initiative du Dar al-Makchouf de Beyrouth de publier une édition nouvelle du *Kitāb A'māl al-a'lām*, bien plus soignée que la précédente, qui est depuis longtemps épuisée, et pourvue des voyelles essentielles.

## INTRODUCTION

Le Kitâb A'mâl al-a'lâm fi-man bûyi'a kabl al-ihtilâm min mulûk al-Islâm, dont une grande partie, relative à l'histoire de l'Espagne musulmane, fait l'objet de la présente édition, est l'un des derniers en date parmi les nombreux ouvrages que composa, au cours de sa vie mouvementée, le célèbre homme d'Etat et littérateur grenadin du XIV<sup>e</sup> siècle, Lisân ad-dîn Muhammad Ibn al-Khatîb. Plusieurs orientalistes, F. Codera, E. Fagnan, H. H. Abdul-Wahhab, et, en dernier lieu, M. M. Antuna, qui ont décrit ce livre ou en ont publié des extraits, ont tour à tour indiqué dans quelles circonstances il fut composé. On se bornera, en renvoyant à leurs travaux, à rappeler brièvement ces circonstances.

Après avoir, pendant plusieurs années, joué un rôle considérable à la cour nasrite de Grenade auprès du sultan Muhammad V, dont il était le premier ministre, Ibn al-Khatîb dut, en 773 (1371), s'exiler d'Espagne à la suite d'accusations portées contre lui par ses détracteurs et passer au Magrib, où il se réfugia, à Tlemcen, auprès du sultan mérinide Abû Fâris'Abdal-'Azîz. Celui-ci lui fit le meilleur accueil et refusa de le livrer au gouvernement de Grenade, comme ce dernier le pressait de le faire. Mais Abû Fâris mourut l'année suivante (774 — 1372), et son fils Abû Zaiyân Muhammad as-Sa'îd, qui n'avait pas quatre ans, fut proclamé à sa place. Ibn al-Khatîb fit alors tous ses efforts pour se concilier les bonnes grâces du régent du royaume mérinide, le vizir Abû Bakr Ibn Ghâzî. Effectivement, pendant le court règne du prince-ennemi, Ibn al-Khatîb jouit d'une entière immunité. Mais lorsque bientôt Abû Zaiyân fut déposé et qu'Abu'l-Hasan al-Mustashîr fut proclamé à sa place (776 — 1374), le malheureux exilé fut en proie, non sans raison, aux plus vives inquiétudes. On sait les conditions lamentables dans lesquelles, après avoir été emprisonné à Fès, il y fut étranglé une nuit par les émissaires de l'un de ses ennemis personnels les plus acharnés à sa perte.

C'est dans le court intervalle qui sépare la proclamation du petit souverain mérinide Abû Zaiyân et sa déposition, c'est-à-dire entre 774 et 776 (1372-1374), que se place exactement la date



LISAN AD-DIN IBN AL-KHATIB

HISTOIRE  
DE  
L'ESPAGNE MUSULMANE

(KITAB A'MAL AL-A'LAM)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ AVEC INTRODUCTION ET INDEX

PAR

**E. LÉVI-PROVENÇAL**

Professeur à la Sorbonne  
Directeur de l'Institut d'Etudes Islamiques  
de l'Université de Paris

DAR AL-MAKCHOUF

BEYROUTH

1956